# روض الرياحين في حكايات الصالحين

الملقب

نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر
في حكايات الصالحين والأولياء والأكابر

تأليف

عفيف الدين أبي السعادات
عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي

مكتبة زهران
١ شارع الشيخ محمد عبده
خلف جامعة الأزهر
ت ٥١٤٢٩٥٥

رقـــم إيـــــداع : ٢٠٠٤/٧٣٢٩
رقـــم دولــــــى : 1-049-349-977

طبعة جديدة
مضبوطة - محققة - معتنى بإخراجها
أصح الطبعات وأكثرها شمولا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾

(قرآن كريم)

# كتاب روض الرياحين

## مقدمة المؤلف

قال الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق، أوحد الزمان، وفريد العصر والأوان، عفيف الدين، وواسطة عقد عباد **الله** الصالحين، ناصر كلمة الحقّ والدين، عبد **الله** بن أسعد اليافعى اليمنى، نزيل الحرمين الشريفين، رحمه **الله** وأرضاه، وجعل الجنة منقلبه ومثواه، آمين:

الحمد **لله** المعروف بالمعروف، الموصوف بالكمال فى الآزال والآباد، المتقدس عن النقص والمثل، والشريك والضد، والزوجة والأولاد، المنفرد بالعظمة والكبرياء، والعزّة والبقاء، **الملك الحنان المنان، الجواد** الذى هدى بفضله من شاء، وأضلّ بعدله من شاء من العباد. ونبه فى كتابه الكريم على وفق ما سبق فى علمه القديم من الإشقاء والإسعاد، فقال عز من قائل (من يهد **الله** فهو المهتد) وقال تعالى (ومن يضلل **الله** فما له من هاد)، الذى أذاق حلاوة طاعاته ولذاذة مناجاته، من شغله به من الزهاد والعباد، وخص بفضله العظيم من اصطفاه للحضرة القدسية، وصفاه من كدورات الصفات النفسية، فأبعد عنه الهجر والإبعاد، ونوّر قلوب أوليائه بنور معرفته، وسقاهم بكأس محبته شراب الوداد، فسكروا براح الهوى، ولم يسقوا مداما كما قلت فى الإنشاد:

سُكارى ولم يُسقوا مداما وإنما ... سقوا حبّ حسن جلّ عن وصف واصف

سقاهم من الراح التى من يشمها ... تميل به قبل ارتشاف المعارف

تجلى لهم فشاهدوا جمال المحبوب، وعجائب الملك والملكوت والغيوب، وتنعمت بالمشاهدة منهم عين الفؤاد، وأجلسهم على بساط الأنس مقرّبين فى حضرة القدس، وصرّفهم فى ملكه، فهم الملوك فى الحقيقة فى جميع البلاد، وفى المعنى قلت:

**ملوك على التحقيق ليس لغيرهم ... من الملك إلا اسمه وعقابه**
**شموس الهدى منهم ومنهم بدوره ... وأنجمه منهم ومنهم شهابه**
**أولئك هم أهل الولاية نالهم ... من الله فيها فضله وثوابه**
**وقرب وأنس واجتلاء معارف ... ووارد تكليم لذيذ خطابه**
**وأسرار غيب عندهم علم كشفها ... وقد سكروا مما يطيب شرابه**

وقلت فيهم أيضا فى قصيدة أخرى:

**ملوك البرايا ليس يشقى جليسهم ... لهم بيض رايات العلا فى المواقف**
**حبوا وحظوا اصطفوا ثم قربوا ... وولوا وعلوا فوق كلّ الطوائف**

أماتوا نفوسهم، فأحياها الحىّ القيوم الحياة الطيبة، قبل يوم المعاد، وأطعمهم من تحف فواكه جنات الوصل، وطرف هدايا فيض الفضل، فى روضات رضوان ربّ العباد.

وفى هذا المعنى قلت:

**جنوا من جنان الوصل تفاح تحفة ... بروضات رضوان وروح وريحان**
**وعيش هنىّ فى حمى ظلّ نعمة ... تراهم ملوكا جوف جنات عرفان**
**فآها على تلك العطيات والمنى ... على تلك فابكوا يا صحابى وخلانى**
**فوا أسفا إن مت يوما بحسرتى ... وما ذقت حالى عيشها الطيب الهانى**

جنوا ثمرات المقامات العالية، والأحوال الغالية، كما قلت فى كتاب الإرشاد أيضا:

**جنوا ثمر خوخ الخوف فى روضة الرضا ... وإجاص إخلاص وتين التوكل**
**وأرطاب حبّ قد جنتها يد الهوى ... وأعناب أشواق بها القلب ممتلى**

ورمـــان إجـــلالٍ وتفـــاح هيـــبـــة ومـوز الحيـا مبدى رجاء السفرجل
جنـان جنـان عـــــارف بمعــــــارف جنـى من جنـاهـا كلّ دان مـــــذلل
فيـا طرف قلبى عش برؤياك طرفة ويا نفس ذا أحلى نفـــيس لـه كلى
ويا طيب عـــيش ناعم من رآك لم يرَ عــيش عــزٍّ غــيـر عــيش منكل

فسبحان من أنعم عليهم بفضله، ومنّ عليهم بسنىّ العطايا وجاد. وأحمده على ما هدانا للإسلام، وخصنا بسيد الأنام، وسراج الظلام، سيدنا محمد الماحى بنوره ظلام الكفر والعناد، المخصوص بالمقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، والشرف المشهود يوم يقوم الأشهاد. وأشهد أن لا إله إلا **الله** وحده لا شريك له، شهادة خالصة التوحيد، خالية من الشرك والإلحاد، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، الهادى إلى سبيل الرشاد، صلى **الله** عليه وعلى آله الغرّ الكرام، وأصحابه النجباء الأمجاد.

**أما بعد**، فإنى لما كنت محبا للأولياء والصالحين، وعاشقا للصوفية العارفين، من أهل الذوق والشوق والتجريد والانفراد، ومولعا بكلامهم وحكاياتهم فى كتب الحقائق والدقائق، النفيسات الجياد، كما قلت فى محاسن ذكرهم فى المعنى:

دعتنى دواعى حبهم نحو ذكرهم بجـمـع كـتـاب فـيـه لبٌّ لبـاب
بـه من حكايات الملاح مــلاحــهـا مـحـاسـن أفـعـال وحسن خطاب
وفـضل كـرامـات وأحـوال أهلهـا وعـالى مـقـامـات زهت بقـبـاب
قـبـاب من الأنوار فى ذروة العلى زهت فى سماء المجد مثل شهاب
سمت للسمـوات ارتفـاعـا ورفـعة بحضـرة قدس فى شـريف رحـاب
فـأرواحـهم ترتاح شـوقـا وتجتلى جمـالا لهـا يبدو بكشف حجـاب
حكاياتهم يحيى القلوب سمـاعهـا ويروى ظمـا الصـادى بعذب شراب
تخيرت منهـا وانتخبت محـاسنا لأهل الهـوى والعـاشـقين سـوابى
وأهديت ريـاهـا لمشـتمٍّ طيـبـهـا بروض رياحين القلوب كـتـابى
هدية خـال من هوى حسنهـا لمن دعـاه هـواهـا نحـو كـشف نقـاب

وسميت هذا الكتاب (**بروض الرياحين، فى حكايات الصالحين**) ولقبته: **بنزهة العيون النواظر، وتحفة القلوب الحواضر، فى حكايات الصالحين والأولياء الأكابر.**

انتخبته وانتقيته وجمعته وألفته من كتب عديدة، لأئمة كبار ذوى مناقب حميدة، منهم الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى، والإمام الأستاذ أبو القاسم القشيرى، والشيخ الإمام شهاب الدين السهروردى، والشيخ الإمام أبو عبد **الله** محمد بن إبراهيم الخيرى، والشيخ الإمام تاج الدين بن عطاء الله الشاذلى السكندرى، والشيخ أبو العباس أحمد بن علىّ القسطلانى، والإمام العالم أبو الفرج بن الجوزىّ، والشيخ الإمام العالم أبو عبد **الله** محمد بن قدامة المقدسىّ، والشيخ الإمام العالم أبو الليث نصر بن محمد السمرقندى، والإمام العالم أبو العباس أحمد بن علىّ، عرف بابن الأطريانى، وآخرون يطول عددهم، غير هؤلاء العشرة، رضى الله تعالى عنهم. أودعته خمس مئة حكاية، وخمسة فصول، منها فصلان مقدمة، وفصلان خاتمة، وفصل خاتمة الخاتمة؛ **وبالله** التوفيق، وعليه التكلان.

## الفصل الأوّل من المقدمة

فى شىء من فضائل الأولياء والصالحين، والفقراء والمساكين. **الثانى:** فى إثبات كرامات الأولياء السادات الأصفياء. **والفصل الأول من الخاتمة:** فى الجواب عن إنكار وقع من بعض الفقهاء المصنفين فى بعض حكاياتهم. **والثانى:** فى بيان مذهبهم فى عقائدهم. * **وفصل الخاتمة:** فى توحيد **الرحمن**، وطرف من طرف الجنان، مختوما بمدح خاتم الأنبياء، وتاج الأصفياء صل **الله** عليه وسلم، وشرف وكرم وعظم، والحكايات عن الأولياء والصالحين، ومشايخ الصوفية وأهل الدين المجذوبين منهم والسالكين، الصادقين منهم والصدّيقين، والفقراء المباركين، والمجاهدين والزاهدين والعابدين، ينتفع بها إن شاء الله تعالى الزهاد والعباد، وأهل الدين، وتقوى بها قلوب المريدين، كما روينا عن تاج العارفين،*قطب العلوم، سيد الطائفة المشغولة **بالله** العارفة، أبى القاسم الجنيد قدّس **الله** روحه ونوّر ضريحه، أنه قيل له ما للمريدين فى مجاراة

الأحكام؟ فقال: الحكايات جند من جنود **الله** تعالى، تقوى بها قلوب المريدين، قيل له: فهل فى ذلك شاهد؟ فقال رضى **الله** عنه نعم، قوله تعالى (**وكلا نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك**).

وكذلك حكى عن الشيخ الصالح الكبير، العارف **بالله** الخبير، أبى سليمان الدارانىّ رضي الله عنه قال: اختلفت إلى مجلس بعض القصاص، فأثر كلامه فى قلبى، فلما قمت لم يبق فى قلبى منه شىء، فعدت ثانيا فسمعته، فبقى فى قلبى أثر كلامه فى الطريق، ثم ذهبت فعدت ثالثا، فبقى أثر كلامه فى قلبى حتى رجعت إلى منزلى، فكسرت آلات المخالفات، ولزمت الطريق إلى **الله** تعالى. ولما حكى للشيخ العارف الواعظ يحيى بن معاذ الرازى رضي الله عنه هذه الحكاية قال: عصفور اصطاد كركيا، يعنى بالعصفور: القاصّ، وبالكركى: أبا سليمان الدارانى. وكذلك بلغنا أن الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين. ثم إنى حذفت أسانيد الحكايات رغبة فى الاختصار، وعلما بأن من ليس له فيهم اعتقاد لا يفيد فيه الإسناد. وأما من اعتقدهم فإنه ينتفع بما سمع عنهم، ولا يتوقف على ثبوت الأسانيد القوية، كتوقف الأحاديث النبوية، إذ ليس يترتب على ذلك شىء من الأحكام الشرعية، بل مجرّد حكايات وعظية، فينبغى أن يتعظ بها ولا ينكر، فقد قال الشيوخ رضى **الله** عنهم: أقلّ عقوبة المنكر على الصالحين، أن يحرم بركتهم، قالوا ويخشى عليه سوء الخاتمة، ونعوذ **بالله** من سوء القضاء. * وقال الشيخ العارف **بالله** أبو تراب النخشبى رضي الله عنه: إذا ألف القلب الإعراض عن **الله** تبارك وتعالى، صحبته الوقيعة فى أولياء **الله** عزّ وجلّ. * وقال الشيخ العارف أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى رضى **الله** عنه: ما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء **الله** تعالى، لأن محبة أولياء **الله** تعالى، دليل على محبة **الله** عزّ وجلّ. * وقال الأستاذ أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه التصديق بعلمنا هذا ولاية، يعنى الولاية الصغرى دون الكبرى.

قلت: والناس على أربعة أقسام: **القسم الأول**: حصل لهم التصديق بعلمهم، والعلم بطريقهم، والذوق لمشروبهم وأحوالهم. **والقسم الثانى**: حصل لهم التصديق والعلم المذكوران دون الذوق. **والقسم الثالث**: حصل لهم التصديق

دونهما. **والقسم الرابع**: لم يحصل لهم من الثلاثة شيء، ونعوذ بالله من الحرمان، ونسأله التوفيق والغفران. ◆ وها أنا معترف بأنى خال عن أحوالهم وذوقهم، جاهل بعلم تحقيقهم، عاجز عن سلوك طريقهم، لكننى محبهم، وموقن بصدقهم، وفيهم قلت فى المعنى:

**ألا أيها السادات إن طريقكم ... على غيركم وعر صعاب عقابه**

**طريق كحدّ السيف لله درّ من ... يكون على حدّ السيوف ذهابه**

**وإنى وإن عجز عرانى محبكم ... فأنتم لقلبى خلده ومآبه**

**وهل من فتى فيكم على جذب عاجز ... شديد القوى سهل عليه اجتذابه**

**إلهى الفقير اليافعى ليس عنده ... سوى حبهم ذا زاده وركابه**

**إلهى بذاك انفعه واحشره معهم ... وعمر بنا قلبا تناهى خرابه**

**وصل على من فضلهم فيض فضله ... خلاصتهم من ذا اللباب لبابه**

**ومن خير آل فى البرايا وصاحب ... من الخلق كلّ آله وصحابه**

**محمد المختار من آل هاشم ... غياث الورى الغيث الرواء سحابه**

## الفصل الأول من المقدمة

### فى شىء من فضائل الأولياء الصالحين، والفقراء والمساكين، مما جاء به القرآن والأخبار والآثار

قال عزّ من قائل (**فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما**). وقال تعالى (**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، لا تبديل لكلمات الله، ذلك هو الفوز العظيم**). وقال سبحانه (**إن عبادى ليس لك عليهم سلطان**). وقال عزّ وجلّ (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين**). وقال سبحانه (**يحبهم ويحبونه**). وقال عزّ وجلّ

(رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه). وقال تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون، نزلا من غفور رحيم). وقال تعالى (من أهل الكتاب أمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون، يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات، وأولئك من الصالحين). وقال تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا). وقال تعالى (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، تعرفهم بسيماهم، لا يسألون الناس إلحافا) فهذه عشر آيات اقتصرت عليها.

**وأما الأخبار**، فنقتصر منها على عشرة أحاديث صحيحة.

* **الحديث الأول**: روينا فى صحيح البخارى، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى قال: من عاد لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إلىّ عبدى بشىء أحبّ إلىّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرّب إليه بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى أعطيته، ولئن استعاذنى لأعيذنه» روى استعاذنى، واستعاذ بى، بالنون والباء، وآذنته بالحرب: أعلمته بأنى محارب له، وأنشدنا بعض شيوخنا لبعضهم:

**من اعتزّ بالمولى فذاك جليل ... ومن رام عزّا من سواه ذليل**

**ولو أن نفسى مذ براها مليكها ... مضى عمرها فى سجدة لقليل**

**أحبّ مناجاة الحبيب بأوجه ... ولكن لسان المذنبين كليل**

* **الحديث الثانى**: روينا فى صحيح مسلم، عن أبى هريرة أيضا رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ربّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرّه» وفيهم قلت فى أرجوزة مثلثة:

لله قــــوم فى الحىّ كــــرام مــسـتـيـقـظون والورى نيـام أولو مـقـامـات علت وأحـوال

دارت عليهم فى الهوى كؤوس نور البـرايـا للهـدى شـمـوس ليسوا كشمس فى السماء أفال

خلعات مـولاهم عليهم زهر تزهو وبين الخلق شعث غبر ما أحمر الكبريت يدرى جهال

مع حـبـه أعطاهم المعـارف إن أقسموا يوما أبرّ الحالف أحـــبــــة أدلوا بكلّ إدلال

* **الحديث الثالث**: روينا فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرىّ رضي الله عنه قال: «جاء رجل فقال: يا رسول الله أىّ الناس أفضل؟ قال: مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله تعالى، قال: ثم من؟ قال: ثم رجل يعتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه»، وفى رواية «يتقى الله، ويدع الناس من شرّه»، وأنشدوا:

أخصّ الناس بالإيمان عـبـد خفيف الحاذ مسكنه القفار له فى الليل حظّ من صـلاة

ومن صـوم إذا طلع النهـار وقوت النفس يأتى فى كفاف وكـان له على ذاك اصطبـار

وفيه عـفـة وبه خـمـول إليـه بالأصـابع لا يشـار وقل البـاكـيـات عليـه لما

قضى نحبا وليس به يسار فذلك قد نجى من كلّ شرّ ولم تمسسه يوم البعث نار

* **الحديث الرابع**: روينا فى صحيح البخارى، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى وقال: كن فى الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل»

وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك. وأنشدنا بعض شيوخنا لبعضهم:

أيا فـرقـة الأحـبـاب لابد لى منك ويا دار دنيــــا إننى راحل عنك

ويا قـصـــر الأيام مـــالى وللمنى ويا سكرات الموت مـالى وللضحك

ومـــالى لا أبكى لنفـسـى بعـبـرة إذا كنت لا أبكى لنفسى فمن يبكى

الا أى حىّ ليس بالموت مـــوقنا وأىّ يقين منه أشـــبـــه بالشك

* **الحديث الخامس**: روينا فى كتاب الترمذى، عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام» قال الترمذى حديث حسن صحيح. وفى مدح الفقر والفقراء قلت:

وقائلة ما المجد للمرء والفخر ... فقلت لها شيء لبيض العلا مهر

فأما بنو الدنيا ففخرهم الغنى ... كزهر نضير في غد يبس الزهر

وأما بنو الأخرى ففى الفقر فخرهم ... نضارته تزداد ما بقى الدهر

* **الحديث السادس:** روينا فى الصحيحين عن أسامة رضي الله عنه، عن النبىّ ﷺ، قال: «قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجدّ محبوسون، غير أن أهل النار قد أمر بهم إلى النار. وقمت على باب النار، فإذا عامة من دخلها النساء». يعنى بأصحاب الجدّ بفتح الجيم: الأغنياء.

الا يا غوانى من أرادت سعادة ... وتوقى عذابا بالنسا صار محدقا

فأكثر أهل النار هنّ حقيقة ... روينا حديثا فيه صدقا مصدّقا

تخلى التباهى تبدّل اللهو بالبكا ... وتبذل كل الجهد فى الزهد والتقى

وتمتاض عن لين بدنيا خشونة ... وعن يابس فى الدين أخضر مورقا

رعى الله غزلانا تبيت قوانتا ... ويصبح منها القلب بالخوف محرقا

تظلّ عن المرعى الخصيب صوائما ... ويمسى سمين البطن بالظهر ملصقا

ترى بين عين والسهاد تواصلا ... وبين الكرى والعين منها تفرّقا

وبين مماء، والغذاء تقاطعا ... وبين خلوف المسك والثغر ملتقى

ترى ناحلات قارئات مصاحفا ... ولؤلؤ بحر الدرّ فى الورد مشرقا

فدتها من الآفات كل نفوس من ... يخالفها فى الوصف غربا ومشرقا

خليلىّ إن الموت لا شكّ نازل ... وبين الأحبا لا يزال مفرّقا

فجدّ الدار لا يزال نعيمها ... بها الحسن واللذات والملك والبقا

ولقيا حسان ناعمات منعم ... بهنّ سعيد سعد ذلك من لقا

كواعب أتراب زهت فى خيامها ... بظلّ نعيم قطّ مامسّها شقا

كدرّ وياقوت وبيض نعامة ... كساها البها والنور والحسن رونقا

مليحات أوصاف تعالت صفاتها ... عن الوصف فوق المرتقى وصفها رقى

تغنى بما لم تسمع الخلق مثله ... وقد حبرت صوتا رخيما مشوّقا

غناهنّ: نحن الخالدات فقط ما ... نبيد ونحن الناعمات فلا شقا

ولا سخط والراضيات بنا المنى ... فطوبى لمن كنا له من أولى التقى

* **الحديث السابع**: روينا فى الصحيحين أيضا، عن سهل بن سعد الساعدى ﷺ فقال: «مرّ رجل بالنبىّ ﷺ، فقال لرجل جالس عنده: ما رأيك فى هذا؟ فقال رجل من أشراف الناس: هذا والله حرىّ إن خطب ينكح، وإن شفع أن يشفع، فسكت رسول الله ﷺ، ثم مرّ رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ ما رأيك فى هذا؟ فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حرىّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال لايسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ، هذا خير من ملء الأرض مثل هذا». وأنشد بعضهم:

**لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه ... فلا تترك التقوى اتكالا على النسب**

**لقد رفع الإسلام سلمان فارس ... وقد وضع الشرك الحسيب أبا لهب**

وأنشد آخر، وقيل إنه لعلىّ كرّم الله وجهه:

**دليلك أن الفقر خير من الغنى ... وأنّ قليل المال خير من المثرى**

**لقاؤك عبدا قد عصى الله بالغنى ... ولم تلق عبدا قد عصى الله بالفقر**

ويروى، للغنى، وللفقر: باللام.

* **الحديث الثامن**: روينا فى الصحيحين أيضا عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، أن النبىّ ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة» قوله يحذيك: أى يعطيك (بلا مقابل).

وأنشد بعضهم:

**تجنب قرين السوء واصرم حباله ... فإن لم تجد عنه محيصا فداره**

**وأحبب حبيب الصدق واترك مراءه ... تنل منه صفو الودّ ما لم تماره**

**ولله فى عرض السموات جنة ... ولكنها محفوفة بالمكاره**

* **الحديث التاسع**: روينا فى كتاب الترمذى، عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عزّ وجلّ: المتحابون فى

جلالى لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء»، قال الترمذى: حديث صحيح. وفى موطأ الإمام مالك رضى الله تعالى عنه بإسناده الصحيح «يقول الله تبارك وتعالى: وجبت محبتى للمتحابين فىّ، والمتجالسين فىّ، والمتزاورين فىّ، والمتباذلين فىّ» وأنشد بعضهم فى إغباب زيارة الإخوان وقلتها، واقتصاد الزائر على حسب ما يختار المزور:

**إذا شئت أن تقلى فزر متواترا ... وإن شئت أن تزداد حبا فزر غبا**

**يقولون لا تملل زيارة صاحب ... فإنك إن أمللته كره القربا**

وأنشد بعضهم:

**يقلّ إخائى عند من زرت بيته ... كثيرا ولكنى أقلّ فأكثر**

**وإن زرت من لا يشتهى أن أزوره ... كثيرا فما لومى له حين يضجر**

وأنشد آخر:

**عليك بإقلال الزيارة إنها ... تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا**

**فإنى رأيت الغيث يسأم دائما ... ويسئل بالأيدى إذا هو أمسكا**

* **الحديث العاشر**: روينا فى الصحيحين، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبىّ ﷺ، قال: «سبعة يظلهم الله تحت ظله، يوم لا ظلّ إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق بالمسجد، ورجلان تحابا فى الله عزّ وجلّ، اجتمعا عليه وافترقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله تعالى، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» وفى هذا الحديث قلت هذه القصيدة المسماة: معالى الرفعة فى حديث السبعة:

**روينا حديثا فى الصحيحين سبعة ... يظلهم المولى بخير ظلال**

**يظلهمو فى ظله الله يوم لا ... سوى ظله ظلّ فهاك مقالى**

**إمام له عدل ومن فى عبادة ... نشا بالتقى لله لا بضلال**

**ومن قلبه يهوى المساجد دائما ... تعلقه فيها بغير زوال**

وشخصان فى الله الكريم تحابا | بحال افتراق منهما ووصال
وإنى أخاف الله من قال عندما | دعت ذات عالى منصب وجمال
ومصدق أخفى التصدّق لم يكن | بما أنفقت يمناه علم شمال
ومن ذكر الربّ المهيمن خاليا | ففاضت به عيناه خوف نكال
وخوف القلى والهجر بعد وصاله | وشوقا إلى رؤيا جمال جلال
فأكرم بهم من سبعة طيبى الثنا | وأكرم بها فى القوم سبع خصال
وأكرم به فخرا سما كلّ مفخر | ومجد فعال فوق كلّ فعال
بمقعد صدق تحت عرش مليكهم | تجلى لهم باهى جمال كمال
تراهم ملوكا فوق نجب من البها | وغرفات درّ كالنجوم عوال
على سرر الياقوت فى فرش سندس | وحور من النور المضىء غوال
وما تشتهيه النفس من كلّ لذّة | ومن زينة والكلّ ليس ببال
وما لم ترى عين وتسمع أذن ذى | سماع ويخطر للأنام ببال
هنيئا لهم طوبى لهم تمّ سعدهم | أنيلوا نوالا خير كلّ نوال

**قلت:** وهذه الأحاديث العشرة كلها صحاح كما ترى، وهذه أحاديث أخرى رواها جماعة من الأئمة بأسانيدهم فى كتبهم. منها ما رووا عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبىّ ﷺ قال: «بدلاء أمتى أربعون رجلا، اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، كلما مات منهم واحد، أبدل الله مكانه آخر، فإذا جاء الأمر قبضوا» * ورووا عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تبارك وتعالى فى الأرض ثلاث مئة رجل قلوبهم على قلب آدم عليه السلام، وله أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام، وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام، وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام، وله واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاث مئة،

وإذا مات من الثلاث مئة أبدل الله مكانه من العامة، يدفع بهم البلاء عن هذه الأمة». وذكر بعضهم عزرائيل ولم يذكر موسى وجعل مكانه إبراهيم، ومكان إبراهيم جبريل، ومكان جبريل ميكائيل، ومكان ميكائيل إسرافيل، ومكان إسرافيل عزرائيل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والواحد المذكور فى هذا الحديث، هو القطب، وهو الغوث، ومكانته من الأولياء كالنقطة من الدائرة التى هى مركزها، به يقع صلاح العالم. وقال بعضهم: لم يذكر رسول الله ﷺ قلبه فى جملة قلوب الأنبياء والملائكة والأولياء، وإذ لم يخلق الله تعالى فى عالم الخلق والأمر أعزّ وألطف وأشرف من قلبه ﷺ، فقلوب الملائكة والأنبياء والأولياء، صلوات الله وسلامه عليهم بالإضافة إلى قلبه، كإضافة سائر الكواكب إلى كمال الشمس*

وقال الشيخ العارف أبو الحسن النورى رضى الله عنه: شاهد الحقّ القلوب، فلم ير قلبا أشوق إليه من قلب سيدنا محمد ﷺ، فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة

* وقال الشيخ العارف بحر المعارف ذو النون المصرى رضى الله عنه: ركضت أرواح الأنبياء فى ميدان المعرفة، فسبقت روح نبينا محمد ﷺ أرواح الأنبياء إلى رياض الوصال.

* ورووا عن علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه أنه قال: البدلاء بالشام، والنجباء بمصر، والعصائب بالعراق، والنقباء بخراسان، والأوتاد بسائر الأرض، والخضر عليه السلام سيد القوم * وعن الخضر عليه السلام أنه قال: ثلاث مئة هم الأولياء، وسبعون هم النجباء، وأربعون هم أوتاد الأرض، وعشرة هم النقباء، وسبعة هم العرفاء، وثلاثة هم المختارون، وواحد منهم هو الغوث رضى الله تعالى عنهم أجمعين * ورووا عن أبى الدرداء رضي الله عنه أنه قال: إن لله عبادا يقال لهم الأبدال، لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية، ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية، وسلامة الصدور والرحمة لجميع المسلمين، اصطفاهم الله بعلمه، واستخلصهم لنفسه، وهم أربعون رجلا على مثل قلب إبراهيم ﷺ، لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه. واعلم أنهم لا يسبون شيئا ولا

يلعنونه، ولا يؤذون من تحتهم ولا يحتقرونه، ولا يحسدون من فوقهم، أطيب الناس خيرا، وألينهم عريكة، وأسخاهم نفسا، لا تدركهم الخيل المجراة، ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم، إنما قلوبهم تصعد فى السقوف العلى، ارتياحا إلى الله تعالى فى استباق الخيرات (**أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون**) وهذا بعض كلامه.

* ورووا عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله خواصا يُسكنهم الرفيع من الجنان، كانوا أعقل الناس، قال قلنا يا رسول الله، فكيف كانوا أعقل الناس؟ قال: كان همتهم المسابقة إلى ربهم عزّ وجلّ، والمسارعة إلى ما يرضيه، وزهدوا فى الدنيا وفى فضولها، وفى رياستها ونعيمها، فهانت عليهم، فصبروا قليلا واستراحوا طويلا» ❖ ورووا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعثت الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولا، فقال: يا رسول الله إنى رسول الفقراء إليك، فقال: مرحبا بك وبمن جئت من عندهم، جئت من عند قوم أحبهم، فقال: يا رسول الله إن الفقراء يقولون لك إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله» ورواه بعضهم «ذهبوا بالجنة، هم يحجون ولا نقدر عليه، ويتصدّقون ولا نقدر عليه، ويعتقون ولا نقدر عليه، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخرا لهم، فقال رسول الله ﷺ: بلغ الفقراء عنى أن لمن صبر واحتسب منهم ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شىء: أما الخصلة الأولى: فإن فى الجنة غرفا من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم فى السماء، ولا يدخلها إلا نبىّ أو فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير. والخصلة الثانية: تدخل الفقراء إلى الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو مقدار خمسمائة عام. والخصلة الثالثة: إذا قال الفقير: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصا، وقال الغنىّ مثل ذلك، لم يلحق الغنى بالفقير فى فضله وتضاعف الثواب وإن أنفق الغنىّ معها عشرة آلاف درهم، وكذلك أعمال البرّ كلها فرجع إليهم الرسول فأخبرهم بذلك، فقالوا: رضينا ياربّ رضينا» * ورووا عن الحسن البصرىّ رضي الله عنه، أنه روى عن النبىّ ﷺ أنه قال: «أكثروا من معرفة الفقراء، واتخذوا عندهم الأيادى، فإن لهم دولة، قالوا: يا رسول الله وما دولتهم؟ فقال ﷺ: إذا كان يوم القيامة، قيل لهم انظروا إلى من أطعمكم كسرة

أو كساكم ثوبا أو سقاكم شربة فى الدنيا، فخذوا بيده ثم أفيضوا به إلى الجنة». * ورووا عن الحسن أيضا رضي الله عنه بروايته عن النبىّ ﷺ أنه قال: «يؤتى بالعبد الفقير يوم القيامة فيعتذر الله عزّ وجلّ إليه، كما يعتذر الرجل إلى الرجل فى الدنيا، فيقول الله عزّ وجلّ: وعزّتى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لهوانك علىّ، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة، ولكن يا عبدى اخرج إلى هذه الصفوف وانظر إلى من أطعمك أو كساك وأراد بذلك وجهى، فخذ بيده فهو لك، والناس يومئذ قد ألجمهم العرق، فيتخلل الصفوف وينظر من فعل به ذلك؛ فى الدنيا، فيأخذ بيده ويدخله الجنة». * ورووا نحو هذا بأسانيدهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبىّ ﷺ، وقال فيه: «فانظر إلى من أطعمك أو سقاك أو كساك» ثم ذكر الحديث. * ورووا «إن الله تعالى أوحى إلى موسى ﷺ: يا موسى، إن من عبادى من لو سألنى الجنة بحذافيرها لأعطيته، ولو سألنى علاقة سوط من الدنيا لم أعطه، وليس ذلك من هوان له علىّ، ولكنى أريد أن أدخر له فى الآخرة من كرامتى، وأحميه من الدنيا كما يحمى الراعى غنمه من مراعى الذئب».

* ورووا عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لكلّ شىء مفتاح، ومفتاح الجنة حبّ المساكين والفقراء الصادقين الصابرين، هم جلساء الله يوم القيامة». * ورووا عن النبىّ ﷺ أنه قال: «اللهمّ أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين». * ورووا الحديث المشهور، قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة؟ قال ﷺ: نعم، التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله». قلت: فعلى هذا لا يكون النور المذكور إلا لقلب زاهد فى الدنيا.

* والحديث الحسن فى الترمذىّ وغيره عن شدّاد بن أوس رضى الله عنه، عن النبىّ ﷺ أنه قال: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى» قال العلماء: معنى دان نفسه: أى حاسبها * ورووا عن زيد بن أسلم رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أخرج رجل غنىّ من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدّق بها،

وأخرج رجل فقير درهما واحدا من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه، صار صاحب الدرهم الواحد أفضل من صاحب مائة ألف درهم». قلت: ويؤيده قوله ﷺ: «سبق درهم مائة ألف درهم» الحديث أخرجه الإمام أبو عبد الرحمن النسائى فى سننه، وإلى ذلك أشرت حيث قلت:

**لئن كان للأموال فخر على الثرى ... فللفقر فخر بالثريا معلق**

**وإن أنفق المثرى ألوفا عديدة ... فدرهم أهل الفقر يا صاح يسبق**

وأشرت أيضا إلى ذلك بأوضح من هذا حيث قلت:

**روينا حديثا بالأسانيد مثبتا ... وفى النسائى يلقاه من يتصفح**

**على مائة مع مثلها ألف مرة ... لصاحب دنيا درهم الفقر يرجح**

**إذا جاد ذا من درهمين بواحد ... ومن عرض مال ذاك فى تلك يسمح**

ويدلّ على فضل صدقة الفقير أيضا قوله تعالى **(والذين لا يجدون إلا جهدهم)**، وقوله ﷺ: «أفضل الصدقة جهد المقل». والأخبار فى فضائلهم خارجة عن الحصر. ولنقتصر منها على هذا القدر.

وأما الآثار عن السلف الصالحين، والأئمة العاملين رضى الله عنهم أجمعين، فخارجة عن الحصر أيضا. وها أنا أذكر منها نبذة يسيرة محذوفة الأسانيد، طلبا للاختصار، وخوفا من الملل فى الإكثار. * فمن الضحاك رضى الله عنه قال: من مرّ فى السوق فرأى شيئا يشتهيه ،لا يقدر عليه فصبر وأحتسب، كان خيرا له من ألف دينار ينفقها كلها فى سبيل الله تعالى ❖ وعن أبى سليمان الدارانى رضي الله عنه قال: تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنىّ ألف عام ❖ وعن إمام الورعين وعلم الزاهدين وسرّ العارفين أبى نصر بشر بن الحارث رضى الله عنه قال: العبادة من الفقير كعقد جوهر على جيد حسناء، والعبادة من الغنىّ كشجرة خضراء على مزبلة. وقيل: ثياب الفقراء من الصوف الخشن والمرقعات والسواد إذا لبسها الزهاد كانت عليهم بهجة، وإذا لبسها غيرهم كانت عليهم سمجة. ❖ وعن ابن وهب رحمه الله قال: وقع حريق فى حىّ مالك بن دينار، فقال شباب الحىّ: منزل أبى يحيى

مـالك بن دينار، منـزل أبى يحـيى مـالك بن دينار، منزل أبى يحـيى مـالك بن دينار، فـخـرج عليـهم مـالك مـتـزرا ببـارية وفى يده مطهـرة وهو يقـول: نجـا المخـفـون، أو قـال: فـاز المخـفـون نحن وأنتم، أو قـال : منـا ومنكم يوم القـيـامـة. وقـال أيضـا: يا مـعـاشـر الأغنياء موتوا كمدا، فإن العيش عيش الآخرة، أو قـال فى الدار الآخـرة. وأيضـا درهم الفـقـيـر أزكى عند الله من دينار الغنىّ. * وعن أبى الدرداء أنه قـال: أهل الأمـوال يأكلون ونأكل، ويشـربون ونشـرب، ويلبـسـون ونلبس، ولهـم فضـول أمـوال ينظرون إليـهـا وننظر إليـهـا مـعـهـم، وهـم يحـاسـبون عليهـا ونحن برآء منهـا، وقال أيضـا ما أنصفنـا إخواننا الأغنياء يحبوننا فى الله تعالى ويفـارقوننا فى الدنيـا، وإنه سيأتى يوم يسـرّهم أن أن يكونوا بمنزلتنا، ولا يسرّنا أن نكون بمنزلتهم، وفى هذا المعنى قلت:

**ولا قط تغـبط أهل دنيـا فـإنهم ... غـدا يغـبطونك يحـزنون وتفـرح**

**فـمــا ذاك إلا فـتـنة أىّ فـتـنة ... بهـا نطقت طه عن الحقّ تفـصح**

أعنى قوله تعالى فى سورة طه (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه، ورزق ربك خير وأبقى)، وعن أبى الدرداء رضي الله عنه أيضا أنه كان يوما جالسا فأتته امرأة فقالت أتجلس بين هؤلاء؟ فو الله ما فى البيت هفة ولا سنة من دقيق، فقال يا هذه إن بين أيدينا عقبة كئودا لا ينجو منها إلا كل مخفّ، فرجعت وهى راضية: وعن بعض الشيوخ الأكابر: أنه جاءه إنسان فقال: ادع الله لى فقد أضرنى العيال، فقال له الشيخ رضي الله عنه: إذا قال لك عيالك ما عندنا دقيق ولا خبز فادع الله فإن دعاءك أرجى من دعائى لك فى تلك الساعة * وعن بعضهم أيضا: أنه قال له أولاده: ما عندنا عشاء، فقال: نحن أهون على الله من أن يجوّعنا، إنما يجوّع أحبابه، أو قال أولياءه * وكان بعضهم يقول إذا أقبل الفقر: مرحبا بشعار الصالحين * وعن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: أنه سئل عن إستعاذة النبى ﷺ من الفقر وقد أخبر بما فيه من الثواب، فقال: أنما معناه فقر القلب لا فقر اليد كما أن الغنى غنى القلب لا غنى اليد * وعن الأستاذ أبى القاسم الجنيد رضي الله عنه: أنه جاءه إنسان بخمس مئة درهم ووضعها بين يديه، وقال تفرقها على هؤلاء الجماعة، فقال ألك غيرها؟

قال نعم لى دنانير كثيرة، قال أتحب زيادة عليها؟ قال نعم، قال الجنيد خذها فأنت أحوج إليها منا ولم يقبلها.

وأنشد بعض الأخيار:

**لكسرة من جريش الخبز تشبعنى ... وشربة من قراح الماء ترويني**

**وخرقة من خشين الثوب تسترنى ... حيا وإن مت تكفينى لتكفينى**

ولبعضهم أيضا:

**حذفت فضول النفس حتى رددتها ... إلى دون ما يرضى به المتعفف**

**وأملت أن أجرى خفيفا إلى العلى ... فإن رمتم أن تلحقوا بى فخففوا**

**لأبتذلنّ النفس حتى أصونها ... وغيرى فى قيد من الذل يرسف**

**حملت جبال الحب فوقى وإننى ... لأعجز عن حمل القميص وأضعف**

وروى أن الطراز المعلم طيب الثناء جميل الشيم إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: أتاه رجل بعشرة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها وقال: تريد أن تمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم؟ لا أفعل ذلك. ولله در القائل حيث قال:

**ولست بميال إلى جانب الغنى ... إذا كانت العلياء فى جانب الفقر**

**وعن الإمام الجليل** السيد الحفيل عبد الله بن المبارك رضي الله عنه: أنه سئل: من الناس؟ فقال العلماء، قيل: فمن الملوك؟ قال الزهاد، قيل: فمن السفلة؟ قال الذى يأكل بدينه * وعن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال: طلبت أبناء الدنيا الراحة فى الدنيا فأخطأوا، ولو علموا أن الملك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيف * وعن ذى النون المصرى رضي الله عنه قال: الزهاد ملوك الآخرة، وهم فقراء العارفين بالله تعالى: وعن الشيخ الكبير أبى مدين الشهير رضى الله عنه قال: الملك ملكان: ملك البلاد، وملك قلوب العباد، والملوك على الحقيقة هم الزهاد. وقال جماعة من العلماء منهم الإمام الشافعى رضي الله عنه: إذا أوصى إنسان بماله لأعقل الناس صرف إلى الزهاد فى الدنيا * وقال الشيخ الكبير العارف بالله الخبير أبو عبد الله القرشى رضي الله عنه: من فوائد الفقر وثمراته وجود ألم الجوع

والعرى والتلذذ بهما والزيادة منهما والمنافسة فيهما. وأنشدوا فى ذلك:

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه ... فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباى تحتهما ... قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به ... يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم إن غبت يا أملى ... والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا

وعن قطب الإخوان كبير الشأن أبى يزيد البسطامى رضي الله عنه أنه قال: إن لله عبادا لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار * وعن الشيخ الكبير بالله تعالى أبى عثمان المغربى رضي الله عنه أنه قال: العارف بالله تضىء له أنوار العلم فينظر بها عجائب الغيب * وعن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى سعيد الخراز رضي الله عنه أنه قال: إذا أراد الله أن يتولى عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذّ الذكر فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجالس الأنس، ثم أجلسه على مرسى التوحيد، ثم رفع عنه الحجاب، وأدخله دار الفردانية، وكشف له حجاب الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلاهو، فحينئذ صار العبد زمنا فانيا، فوقع فى حفظه سبحانه وتعالى برىء من دواعى نفسه * وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه لرجل: أتحبّ أن تكون وليا لله؟ قال نعم، فقال: لا ترغب فى شىء من الدنيا والآخرة، وفرّغ نفسك لله تعالى وأقبل بوجهك وكليتك عليه، ليقبل عليك ويواليك * وقال الشيخ أبو نصر السراج رضي الله عنه: الناس فى الأدب على ثلاث طبقات: أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم فى الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسمار الملوك وأشعار العرب. وأما أهل الدين فأكثر آدابهم فى رياضة النفس وتأديب الجوارح، وحفظ الحدود، وترك الشهوات. وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم فى طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب فى مواقف الطلب، وأوقات الحضور، ومقامات القرب * وقال الشيخ الكبير إمام السالكين حجة الله على العارفين، قطب المقامات، كثير الكرامات أبو محمد سهل بن عبد الله رضي الله عنه: أعمال البرّ كلها فى صحائف الزاهدين * قلت: هذا قول عارف صديق

فى نهاية التصديق، وبيانه مختصرا أن أهل الدنيا يخرج بعضهم بعض ماله فى بعض أعمال البرّ، وهو يحبّ كثرة المال واتساعه، ويتعرّض للفتنة ويشغله عن أنواع الطاعة، والزهاد خرجوا عن الكل لله تعالى بالفعل والنية بغضا للدنيا وتفرّغا للطاعات السنية، وجمعوا بين العبادات القلبية والبدنية والمالية، واطلع الحقّ سبحانه وتعالى على قلوبهم، فلم يجد فيها حبا لغيره، فأكرمهم بقربه، ووهب لهم ما لا تفهمه العقول من فضله وخيره، اللهمّ لا تحرمنا خيرك لشرّنا، وهب لنا من فضلك العظيم، واجعل بك شغلنا بجاه نبيك محمد الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، إنك الملك المنان ذو الفضل العظيم. فهذه قطرة من بحار فضائلهم اقتصرت عليها، وإن يكن فى بعض الأحاديث التى ذكرتها ضعف، ففى الأحاديث الصحيحة كفاية. منها قوله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا» أخرجاه فى الصحيحين كما ذكرنا، وقوله ﷺ: «ربّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه» أخرجاه أيضا فى الصحيحين كما تقدم، وقوله ﷺ: «قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجدّ محبوسون» أخرجه مسلم فى صحيحه كما مضى، وقوله ﷺ: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام» أخرجه الترمذى فى جامعه، وقال: حديث حسن صحيح كما ذكرناه، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة، ويكفى حاله ﷺ وما كان عليه من النظر، ورفض الدنيا كما هو مشهور فى الأحاديث، وكذلك حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء والسلف الصالحين رضى الله عنهم * وقال الإمام الكبير العارف بالله الخبير، المحقق الورع الشهير أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى رضى الله عنه، بعد أن ذكر العلماء المائلين إلى الدنيا: يزعمون أن أصحاب محمد ﷺ كانت لهم أموال، فيحتجّ المغرورون بذكر الصحابة رضى الله عنهم ليعذرهم الناس على جمع المال، وقد دهاهم الشيطان وما يشعرون، ويحك أيها المفتون احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه مكيدة من الشيطان، ينطق بها على لسانك لتهلك، لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة رضى الله عنهم أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة، فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم، ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه، فقد أزريت بسيدنا

محمد ﷺ وبالمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت، ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه، فقد زعمت أن رسول الله ﷺ لم ينصح أمته إذ نهاهم عن جمع المال، كذبت وربّ السماء على رسول الله ﷺ، بل كان ﷺ للأمة ناصحا، وعليهم مشفقا، وبهم رءوفا رحيما؛ ويحك أيها المفتون هذا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فى فضله وتقاه وصنائعه المعروفة، وبذله الأموال فى سبيل الله تعالى مع صحبته لرسول الله ﷺ وبشراه بالجنة، يوقف فى عرصة القيامة وأهوالها بسبب مال اكتسبه من حلال للتعفف وصنائع المعروف، وأنفق منه قصدا وأعطى فى سبيل الله سبحانه، منع من السعى إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين، وصار يحبو فى آثارهم حبوا، فما ظنك بأمثالنا الغرقى فى فتن الدنيا؟ وبعد: فالعجب كلّ العجب من كلّ مفتون متمرغ فى تخاليط الشبهات والسحت، يكالب على أوساخ الناس، ويتقلب فى الشهوات والزينة والمباهاة وفتن الدنيا ثم يحتجّ بعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، ثم قال المحاسبى رحمه الله بعد كلام طويل حسن ذكر فيه الصحابة رضى الله عنهم: كانوا للمسكنة محبين، ومن خوف الفقر آمنين، وبالله تعالى فى أرزاقهم واثقين، وبمقادير الله عزّ وجلّ مسرورين، وفى البلاء راضين، وفى الرخاء شاكرين، وفى الضرّاء صابرين، وفى السرّاء حامدين، وكانوا لله متواضعين، وعلى أنفسهم مؤثرين، وعن حبّ العلو والتكاثر ورعين، وكانوا إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا: مرحبا بشعار الصالحين، فبالله عليك أكذلك أنت؟ والله إنك لبعيد الشبه بالقوم، حالك ضد أحوالهم، تطغى عند الغنى، وتبطر عند الرخاء، وتفرح عند السرّاء، وتغفل عند أداء شكر النعماء، وتقنط عند الضرّاء، وتسخط عند البلاء، ولا ترضى بالقضاء، وتبغض الفقر، وتأنف من المسكنة، وتجمع المال لتنعم بالدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها، ولقد كانوا فيما أحلّ الله لهم أزهد منك فيما حرّم الله عليك، وكانوا للزلة الصغرى أشدّ استعظاما منك من كبار المعاصى، فليت أطيب أموالك وأحلها مثل شبهات أموالهم، وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا من حسناتهم أن لا تقبل، وليت صومك مثل إفطارهم، وسهرك مثل نومهم، وليت حسناتك مثل واحدة من حسناتهم، ويحك

ينبغى لك أن ترضى بالبلغة، وتعتبر بذوى الأموال إذا وقفوا للسؤال، وتسبق فى الرعيل الأول فى زمرة المصطفى ﷺ لا حبس عليك ولا حساب، فقد قال ﷺ «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمس مئة عام». انتهى كلام المحاسبى رحمه الله، وهذا بعض كلامه * وقال بعض الشيوخ الكبار: رأيت النبىّ ﷺ فى المنام وهو يحدثنى بفضائل الفقراء، وشرف الفقير على الغنى، فحفظت من قوله ﷺ أنه قال لى: حسبك أن عائشة رضى الله عنها تدخل الجنة قبل أغنيائها بخمس مئة عام، وإن ابنتى فاطمة رضوان الله عليها تدخل الجنة قبل عائشة بأربعين سنة، لأنها نالت من الدنيا أقل من عائشة رضوان الله عليهما.

* وروينا عن الشيخ العارف الجليل المعظم أبى عبد الرحمن حاتم الأصمّ رضي الله عنه أنه دخل الرىّ ومعه ثلاث مئة وعشرون رجلا يريدون الحج، وعليهم جباب الصوف، وليس معهم جراب ولا طعام، فدخلوا على رجل من التجار متقشف يحبّ المساكين، فأضافهم تلك الليلة فلما كان من الغد قال الرجل لحاتم: ألك حاجة؟ فإنى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل، فقال حاتم: عيادة المريض فيها فضل، والنظر إلى الفقيه عبادة، وأنا أجىء أيضا معك، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرىّ، فلما جاءوا إلى الباب إذا هو يشرق حسنا، فبقى حاتم متفكرا يقول: يارب عالم على هذا الحال؟ ثم أذن لهم فدخلوا، فإذا دار قوراء لها سعة وفيها ستور، فبقى حاتم رضي الله عنه متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذى هو فيه، فإذا بفرش وطيئة، وهو راقد عليها، وعند رأسه غلام وبيده مذبة، فقعد الرازى وحاتم قائم، فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس، فقال لا أجلس فقال لعلّ لك حاجة؟ فقال نعم، فقال ما هى؟ قال مسألة أسألك عنها، فقال: سل، قال قم فاستو جالسا حتى أسألك، فاستوى جالسا، قال حاتم رضي الله عنه: علمك هذا من أين أخذته؟ قال من الثقات حدثونى به، قال عمن؟ قال عن أصحاب رسول الله ﷺ، قال: وأصحاب رسول الله ﷺ عمن؟ قال عن النبى ﷺ، قال: والنبى ﷺ عمّن؟ قال: عن جبريل عليه السلام، قال: وجبريل عليه السلام عمن؟ قال: عن الله عزّ وجلّ، قال حاتم: ففيما أداه جبريل عن الله تبارك وتعالى إلى النبى ﷺ، وأداه النبى ﷺ إلى أصحابه رضى الله عنهم، وأصحابه إلى الثقات، والثقات إليك، هل سمعت من كان فى داره أميرا وكان

فى داره الثروة والمتاع الحسن، وكانت داره واسعة كانت له عند الله تعالى المنزلة الكبرى؟ قال لا، قال فكيف سمعت؟ قال سمعت من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وقدم لآخرته وأحبّ المساكين كانت له عند الله المنزلة الكبرى العالية، قال: فأنت بمن اقتديت؟ أبالنبى ﷺ وبأصحابه الصالحين؟ أم بفرعون وهامان؟ يا علماء السوء، مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها، فيقول: العالم على هذه الحالة، لا أكون أنا شرّا منه، ثم خرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا ❖ وأنشدوا فى أن السعادة بالتقوى لا بالدنيا ولا بجمع المال:

**ولست أرى السعادة جمع المال ... ولكن التقى هو السعيد**

**فتقوى الله خير الزاد ذخرا ... وعند الله للأتقى مزيد**

**وما لابدّ أن يأتى قريب ... ولكن الذى يمضى بعيد**

قلت: وحاتم الأصمّ المذكور رضي الله عنه من كبار شيوخ الصوفية، وقد اجتمع به الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وسمع كلامه وسأله؛ فأجابه واستحسن جوابه، ولم تزل العلماء الصلحاء قديما وحديثا يعتقدون طائفة الصوفية ويزورونهم ويتبركون بمجالستهم ودعائهم وآثارهم، من ذلك ما جاء عن الإمام سفيان الثورىّ فى مجالسته لرابعة رضى الله عنها وتأدّبه معها. وما جاء عن الإمامين: الشافعى، وأحمد فى مجالستهما لشيبان الراعى رضى الله عنهم، وحكايته المشهورة معهما، فقد روينا أن الإمام أحمد كان عند الشافعى، فجاء شيبان الراعى، فقال أحمد: أريد يا أبا عبد الله أن أنبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم. فقال له الشافعى: لا تفعل، فلم يسمع، فقال لشيبان: ما تقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات فى اليوم والليلة، ولم يدر أى صلاة نسيها، ما الواجب عليه يا شيبان؟ فقال شيبان: يا أحمد هذا قلب غفل عن الله، فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه ثم يعيدهنّ بعد، فغشى على أحمد. وفى رواية أخرى: فالواجب أن يؤدب بإعادة الخمس، فلما أفاق أحمد من غشيته، قال الإمام الشافعى: ألم أقل لك لا تحرّك هذا؟. وفى رواية أخرى أنه سأله عن الزكاة أيضا فى كم تجب؟ فقال شيبان: أما على مذهبكم فتجب فى الإبل فى كذا وكذا، وفى البقر فى كذا

وكذا، وفى الغنم فى كذا وكذا وفى الفضة فى كذا وكذا وفى الذهب فى كذا وكذا، وفى الزرع والثمار فى كذا وكذا، وأما على مذهبى فالكل له، وستجىء حكايته فيما بعد مع الإمام سفيان الثورى رضى الله تعالى عنهما لما اعترض لهم الأسد فى طريق الحج * وكذلك روينا أن فقيها من أكابر الفقهاء كانت حلقته بجنب حلقة الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى بكر الشبلى رضى الله عنه فى جامع المنصور، وكان يقال لذلك الفقيه أبو عمران، وكان يتعطل عليه وعلى أصحابه حلقتهم بكلام الشبلى، فسأل أصحاب أبى عمران يوما الشبلى عن مسئلة فى الحيض وقصدوا إخجاله فذكر مقالات الناس فى تلك المسئلة والخلاف فيها، فقام أبو عمران وقبل رأس الشبلى وقال: يا أبا بكر استفدت فى هذه المسئلة عشر مقالات لم أسمعها، وكان عندى من جملة ما قلت ثلاثة أقاويل * وكذلك روينا أنه اجتاز أبو العباس بن سريج الفقيه الإمام الشافعى المذهب الملقب بالباز الأشهب؛ بمجلس الأستاذ الإمام العارف بحر المعارف، أبى القاسم الجنيد رضى الله عنهما، فسمع كلامه، فقيل ما تقول فى هذا؟ فقال: لا أدرى ما أقوله، ولكنى أقول: أرى لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل؛ وما مات ابن سريج حتى اعتقد الصوفية واستحسن طريقهم. وقال بعضهم: حضرت مجلس أبى العباس بن سريج فتكلم فى الفروع والأصول بكلام حسن أعجبت منه، فلما رأى إعجابى قال: أتدرى من أين هذا؟ هذا من بركة مجالستى أبا القاسم الجنيد. وقيل لعبد الله بن سعيد بن كحلان: أنت تتكلم على كلام كل أحد، وههنا رجل يقال له الجنيد، فانظر هل تعرض عليه، فحضر حلقته فسأل الجنيد عن التوحيد، فأجابه فتحير عبد الله وقال: أعد علىّ ما قلت، فأعاده ولكن لا بتلك العبارة، فقال عبد الله ليس يمكننى حفظ ما تقول فأمله علىّ، فقال: إن كنت أجريه فأنا أمليه، فقام عبد الله وقال بفضله، واعترف بعلوّ شأنه * وأنشد بعضهم:

**أنعى إليك قلوبا طالما هطلت ... سحائب الوحى فيها أبحر الحكم**

وقيل لأبى القاسم الجنيد: ممن استفدت هذه العلوم؟ فقال: من جلوسى بين يدى الله عزّ وجلّ ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة، وأشار إلى درجة فى داره. وقال ﷺ: لو علمت أن لله تبارك وتعالى علما تحت أديم السماء أشرف

من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا لسعيت إليه وأخذته. وقال أيضا رضي الله عنه: ما أخذنا التصوّف من القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات، وكثرة الذكر لله عزّ وجلّ، وأداء فروضه وواجباته وسننه، والاتباع لجميع ما أمر به، والانتهاء عن جميع ما نهى عنه * وروى أن النجيب ابن النجيب أبا المعالى إمام الحرمين رضي الله عنه كان يدرس يوما فى المسجد بعد صلاة الصبح، فمرّ به بعض شيوخ الصوفية ومعه أصحابه من الفقراء، وقد دعوا إلى بعض المواضع، فقال إمام الحرمين فى نفسه: ما شغل هؤلاء إلا الأكل والشرب والرقص؛ فلما رجع الشيخ من الدعوة مرّ عليه وقال: يا فقيه: ما تقول فيمن يصلى الصبح وهو جنب، ويقعد فى المسجد ويدرس العلوم ويغتاب الناس، فذكر إمام الحرمين أنه كان عليه غسل، ثم حسن اعتقاده بعد ذلك فى الصوفية * وروى أن الإمام أحمد رضي الله عنه كان مع جلالة قدره يكثر التردد إلى بعض الصوفية العارفين، فقيل له: أتتردّد لرواية عند هذا الشيخ؟ فقال: عنده رأس الأمر تقوى الله، أو قال معرفة الله ❖ وكذلك لما سعى بالصوفية إلى بعض الخلفاء أمر بضرب رقابهم؛ فأما الجنيد فتستر بالفقه، وكان يفتى على مذهب أبى ثور، وأما الشحام والرقام والنورى فقبض عليهم وبسط النطع لضرب رقابهم، فتقدم الشيخ العارف بالله أبو الحسن النورى رضي الله عنه، فقال له السياف: أتدرى لماذا تبادر؟ فقال نعم، فقال وما يعجلك؟ فقال أوثر أصحابى بحياة ساعة فتحير السياف وأنهى الأمر إلى الخليفة، فتعجب الخليفة ومن عنده من ذلك! وكان القاضى عنده، فاستأذن الخليفة أن يذهب إليهم ليبحث معهم ويختبر حالهم، فأذن له الخليفة فى ذلك فأتاهم، وقال: يخرج إلىّ واحد منكم حتى أبحث معه فخرج إليه أبو الحسين النورى، فألقى عليه القاضى مسائل فقهية، فالتفت عن يمينه ثم ألتفت عن يساره ثم أطرق ساعة، ثم أجابه عن الكلّ، ثم جعل يقول: وبعد، فإن لله عبادا إذا قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله، وسرد كلاما كثيرا أبكى القاضى، ثم سأله القاضى عن التفاته، فقال سألتنى عن المسائل ولا أعلم لها جوابا، فسألت عنها صاحب اليمين فقال: لا علم لى، ثم سألت عنها صاحب الشمال فقال لا علم لى، فسألت قلبى فأخبرنى قلبى عن ربى، فأجبتك بذلك، فأرسل القاضى

إلى الخليفة يقول له: إن كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم * وكذلك جاء جماعة من فقهاء اليمن إلى الشيخ الكبير بحر الحقائق وموضح الدقائق، العارف بالله تعالى أبى الغيث بن جميل قدس الله روحه ونوّر ضريحه ونفعنا والمسلمين ببركته يمتحنونه فى شىء، فلما دنوا منه قال: مرحبا بعبيد عبدى، فاستعظموا ذلك، فلقوا شيخ الطريقين وإمام الفريقين الفقيه العالم العارف بالله أبا الذبيح إسماعيل بن محمد الحضرمى رضي الله عنه ونفعنا به، وأخبروه بما قاله الشيخ أبو الغيث له، فضحك وقال: صدق أنتم عبيد الهوى، والهوى عبده. وكان الشيخ أبو الغيث المذكور أميا ويحضر مجلسه الفقهاء ويسألونه المسائل الدقيقة فيجيبهم. وللمشايخ مع الفقهاء حكايات يطول ذكرها، وسنذكر شيئا من ذلك إن شاء الله تعالى فى حكايات الكتاب * وقال الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيرى رضي الله عنه فى رسالته المشهورة: أما بعد، فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه، صلوات الله عليهم أجمعين، جعل قلوبهم معادن أسراره، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره، صفاهم من الكدورات البشرية، ورقاهم إلى مجال المشاهدات لما تجلى لهم من حقائق الأحدية، ووفقهم للقيام بآداب العبودية، وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية، وهذا من بعض كلامه؛ ثم قال فى آخر الرسالة: والناس إما أصحاب النقل والأثر، وإما أرباب العقل والفكر، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة، فأما الذى للناس غيب فلهم ظهور، وأما الذى للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود، فهم أهل الوصال، والناس أهل الاستدلال، وهم كما قال القائل:

| | |
|---|---|
| ليلى بوجهك مشرق | وظلامه فى الناس سارى |
| والناس فى سدف الظلا | م ونحن فى ضوء النهار |

قال ولم يكن عصر من الأعصار فى مدة الإسلام وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ممن له علوّ فى التوحيد وإمامة القوم، إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبركوا به انتهى كلامه. ولله درّ قائلهم فى هذه الأبيات:

كـــانت لقلبى أهواء مـــفـــرّقـــة فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
وصــار يحـسـدنى من كنت أحسـده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركت للخلق دنيــــاهم ودينهم شــغــلا بحــبك يا دينى ودنيــائى

ولله درّ القائل الآخر:

فأجسامهم فى الأرض قتلى بحبهم وأرواحهم فى الحجب نحو العلى تسرى
قلوبهم جــــوالة بمعـــسكر بـه أهل ودّ الله كـــالأنجم الزهـر

ولله درّ القائل الآخر:

على مثل حدّ السيف تسرى إلى العلا فــمن زاغ لا أرض تقلّ ولا ســمــا
فــمن فــاز بالتـوفـيق فــالله صــانه ولولا جـمـيل اللطف والله مـا نما

ولله درّ القائل الآخر:

إذا جيّش الأحباب جيشا من الجفا بنينا من الصبر الجميل حصونا
وإن ركبوا خيل الصدود مغيرة أقمنا عليها للوصال كمينا
وإن جـرّدوا أسـيـافـهم لقـتـالنا لقـــيـناهم بالذلّ مـــدرّعـــينا
وإن لم يروا فى ودّنا ووصـــــالنا صـبـرنا على أحكامـهـم ورضـينا

ولله درّ القائل الآخر:

ولو طردونى كنت عـبـدا لعـبـدهم وإن أبعدونى زدت فى الحبّ والودّ
ولى عندهم هجر كما حكم الهوى وهم أهل فضل لى ومنزلة عندى

ولله درّ القائل الآخر:

وكنت قـــديما أطلب الوصل منهم فلما أتانى الحلم وارتفع الجـهل
تيـــقنت أن العـــبـــد لا طلب له فإن قربوا فضل وإن أبعدوا عدل
وإن أظهروا لم يظهروا غير وصفهم وإن ستروا فالستر من أجلهم يحلو

ولله درّ القائل:

**ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى ... وأبحت جسمى من أراد جلوسى**

**فالجسم منى للجليس مؤانس ... وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى**

ولله درّ القائل الآخر:

**فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب**

**وليت الذى بينى وبينك عامر ... وبينى وبين العالمين خراب**

**إذا صحّ منك الودّ يا غاية المنى ... فكلّ الذى فوق التراب تراب**

ولله درّ القائل الآخر:

**نفس المحبّ على الأسقام صابرة ... لعلّ مسقمها يوما يداويها**

**لا يعرف الشوق إلا من يكابده ... ولا الصبابة إلا من يعانيها**

**الله يعلم أنّ النفس قد تلفت ... شوقا إليك ولكنى أسليها**

**فنظرة منك يا سؤلى ويا أملى ... أشهى إلىّ من الدنيا وما فيها**

وقال آخر:

**إن كان سفك دمى أقصى مرادكم ... فما غلت نظرة منكم بسفك دمى**

## الفصل الثانى

### فى إثبات كرامات الأولياء رضى الله تعالى عنهم

وظهور الكرامات على الأولياء جائز عقلا وواقع نقلا. أما جوازه عقلا فإنه ليس بمستحيل فى قدرة الله عزّ وجلّ، بل هو من قبيل الممكنات كظهور معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، هذا مذهب أهل السنة من المشايخ العارفين، والنظار الأصوليين، والفقهاء والمحدثين رضى الله تعالى عنهم أجمعين، وتصانيفهم ناطقة بذلك شرقا وغربا وعجما وعربا، ثم القول الصحيح المحقق المختار عند جمهور الأئمة المحققين من أهل السنة، أن كل ما

جاز للأنبياء من المعجزات، جاز للأولياء مثلها من الكرامات، بشرط عدم التحدّى، ولا يرد على ذلك القرآن للزومه التحدى، ولا يصحّ قول من يقول: إن ذلك يؤدّى إلى الالتباس بين الكرامات والمعجزات، لأن المعجزة يجب على النبىّ ﷺ أن يتحدّى بها ويظهرها؛ والكرامة يجب علىَ الولىّ أن يخفيها ويسترها، إلا عند الضرورة، أو إذن، أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار، أو لتقوية يقين بعض المريدين، كما فعل بعضهم، غرف عسلا من الجوّ ووضعه فى فم مريد له * وروى أن رجلا أرى غيره الكعبة من بلاد بعيدة. وآخر أرى بعض المنكرين الكعبة يطوف بها، وقد سمعنا سماعا محققا أن جماعة منهم شوهدت الكعبة تطوف بهم طوافا محققا. ورأيت بعضا ممن شاهد ذلك من الثقات الأتقياء، بل من السادات العلماء، وغير ذلك مما يطول ذكره، وما ذهب إليه الإمام أبو إسحاق الإسفراينى رحمه الله تعالى من إثبات بعض الكرامات دون بعض، فهو مخالف لمذهب الجمهور الصحيح المشهور. وأما وقوع ذلك نقلا، أعنى ظهور الكرامات، فقد جاء فى القرآن وفى الأخبار والآثار بالإسناد ما يخرج عن الحصر والتعداد ❖ فمن ذلك فى القرآن، ما أخبر الله تعالى عن مريم بنت عمران رضى الله تعالى عنها فى قوله عزّ وجلّ **(كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، قال يا مريم أنّى لك هذا؟ قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)** * وقوله سبحانه وتعالى لمريم **(وهزّى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)** وكان فى غير أوان الرطب كما جاء فى التفسير.

* ومن ذلك ما أخبر الله عزّ وجلّ من العجائب على يد الخضر عليه الصلاة والسلام مع موسى النبى ﷺ * وكذلك قصة ذى القرنين رضوان الله عليه، وتمكين الله سبحانه وتعالى له ما لم يمكنه لغيره * وكذلك قصة أهل الكهف رضى الله تعالى عنهم، والأعاجيب التى ظهرت من كلام الكلب معهم وغير ذلك * وكذلك قصة آصف بن برخيا رضى الله تعالى عنه مع سليمان ﷺ فى عرش بلقيس فى قوله تعالى **(قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك)** وكلّ هؤلاء المذكورين ليسوا بأنبياء * ومن ذلك فى الأخبار، الحديث الصحيح المشهور فى الصحيحين، حديث جريج الراهب الذى كلمه طفل فى المهد حين قال له: يا غلام من أبوك؟ فقال: فلان الراعى.

ومن ذلك حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة، وهو حديث صحيح متفق على صحته، وهو مشهور فى الصحيحين، وفى آخره «انفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» * ومن ذلك حديث البقرة التى حمل عليها صاحبها أو راكبها على اختلاف الرواية، فالتفت إليه فكلمته، فقالت: إنى لم أخلق لهذا، ولكنى خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله تعجيبا وفزعا: أبقرة تتكلم! فقال رسول الله ﷺ: «فإنى أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر»، وهذا أيضاً حديث صحيح مشهور مذكور فى الصحيحين وغيرهما، وهو متفق على صحته، أعنى اتفقوا على تكلم البقرة المذكورة. وإن اختلفوا فى بعض ألفاظ الحديث. ومن ذلك الحديث الصحيح المتفق على صحته المذكور فى الصحيحين فى أبى بكر الصديق رضي الله عنه مع ضيفه الذى قال فيه: وايم الله ما كنا نأخذ لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فأكلوا حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر رضى الله تعالى عنه فقال لامرأته: يا أخت بنى فراس ما هذا؟ قالت وقرة عينى، لهى الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرّات * ومن ذلك أيضا الحديث الصحيح المتفق على صحته، المخرج فى الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيمن قبلكم من الأمم مُحدَّثون، فإن يك فى أمتى أحد منهم فإنه عمر» * ومن ذلك أيضا ما صحّ عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال: يا سارية الجبل الجبل، فى حال خطبته فى يوم الجمعة، فبلغ صوته إلى سارية فى ذلك الوقت، فتحذّر من العدوّ فى مكانٌ من الجبل فى تلك الساعة، فكان فى ذلك لعمر كرامتان بينتان: إحداهما ما كشف له عن حال سارية وأصحابه من المسلمين، وحال العدوّ؛ والثانية: بلوغ صوته إلى سارية من بلاد بعيدة * ومن ذلك الحديث المتفق على صحته فى سعد بن أبى وقاص الذى قال فيه أبو سعدة: أصابتنى دعوة سعد. أخرجاه فى الصحيحين * ومن ذلك الحديث المتفق على صحته أيضا فى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه الذى قال فيه للتى ادّعت عليه أنه أخذ شيئا من أرضها، فقال: اللهمّ إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها فى أرضها، فما ماتت حتى ذهب بصرها، وبينما هى تمشى فى أرضها إذ وقعت فى حفرة فماتت. أخرجاه أيضا فى الصحيحين*

ومن ذلك الحديث الصحيح حديث البخارى الذى قال فيه: قالت: والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب ﷺ، فوالله لقد وجدته يوما يأكل قطفا من عنب فى يده، وإنه لموثق فى الحديد، وما بمكة ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبا، يعنى بهذه المرأة بنت الحارث بن عامر بن نوفل كما ذكر فى الحديث*

ومن ذلك الحديث الصحيح حديث البخارى أيضا فى أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضى الله تعالى عنهما الذى قال فيه: خرجا من عند النبىّ ﷺ فى ليلة مظلمة، ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كلّ واحد منهما واحد حتى أتى أهله *

ومن ذلك الحديث الصحيح حديث الرجل الذى سمع صوتا فى السحاب يقول: اسق حديقة فلان * وما جاء أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما، قال: للأسد الذى منع الناس الطريق: تنحّ، فبصبص بذنبه، وذهب فمشى الناس، فقال ابن عمر رضى الله تعالى عنه، صدق رسول الله ﷺ: «من خاف الله خوّف اللهمنه كل شىء» * ومن ذلك ما جاء أن رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمىّ رضى الله تعالى عنه فى غزاة، فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر، فدعا الله باسمه الأعظم، فمشوا على الماء * وما جاء أنه كان بين سلمان وأبى الدرداء رضى الله تعالى عنهما قصعة، فسبحت حتى سمعا التسبيح ❖ وما جاء أن عمران بن الحصين رضى الله تعالى عنه كان يسمع تسليم الملائكة عليه، حتى اكتوى فانحبس عنه ذلك سنة، ثم أعاده الله عليه ❖ ومن ذلك الحديث الصحيح، حديث مسلم المتقدّم ذكره «ربّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه». قلت ولو لم يكن إلا هذا الحديث لكفى دليلا*

وقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ما بلغ حدّ الاستفاضة، وقد صنف العلماء فى ذلك كتبا كثيرة. وسيأتى حديث أويس إن شاء الله تعالى فيما بعد، وحكايات كثيرة عن السلف والخلف فى الكرامات*

فإن قيل: ما بال الصحابة رضى الله تعالى عنهم لم يشتهر عنهم من الكرامات الكثير مثل ما اشتهر عن الأولياء بعدهم؟.

فالجواب، ما أجاب به الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه لما قيل له: يا أبا عبد الله، إن الصحابة لم يرو عنهم من الكرامات مثل ما قد روى عن الأولياء والصالحين، فكيف هذا؟ فقال: أولئك كان إيمانهم قويا فما احتاجوا إلى زيادة شىء يقوّون به، وغيرهم كان إيمانهم ضعيفا لم يبلغ إيمان أولئك، فقوّوا بإظهار الكرامات لهم * قلت: وفى هذا المعنى قال بعض الشيوخ الكبار فى كرامات مريم ابنة عمران كانت فى بدايتها يتعرّف إليها بخرّق العادات بغير سبب تقوية لإيمانها، وتكميلا ليقينها، فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، فلما قوى إيمانها، وكمل يقينها، ردّت إلى السبب، وقيل لها **(وهزّى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)***

وكذلك قال الشيخ الإمام العارف بالله المحقق، شيخ الطريقة ولسان الحقيقة شهاب الدين السهروردى ﷺ: وخرق العادة إنما يكاشف به لوضع ضعف يقين المكاشف رحمة من الله تعالى لعباده ثوابا معجلا لهم، فلا حاجة لهم إلى مدد من المخرقات، ورؤية القدرة والآيات، ولهذا المعنى ما نقل عن أصحاب رسول الله ﷺ كثير من ذلك إلا القليل، ونقل عن المتأخرين من المشايخ والصادقين أكثر من ذلك، لأن أصحاب رسول الله ﷺ؛ لبركة صحبة النبىّ ﷺ، ومجاورة نزول الوحى، وتردّد الملائكة وهبوطها، تنوّرت بواطنهم، وعاينوا الآخرة، وزهدوا فى الدنيا، وتزكت نفوسهم، وانخلعت عاداتهم، وانصقلت مرايا قلوبهم، فاستغنوا بما أعطوا عن رؤية الكرامة، والتماع أنواع القدرة، ومن بلغ من قوّة اليقين هذا المبلغ، يرى فى إجراء عالم الحكمة ما يرى الغير من القدرة، ويرى القدرة ممكنة، بل متجلية من سجف الحكمة، فلو تجرّدت له القدرة، وانكشفت له ما استغرب، والمستغرب للقدرة يقوى يقينه بها، لأنه محجوب بالحكمة عن القدرة، قال: وقد تكون للأولياء أنواع من الكرامات كسماع الهواتف من الهواء، والنداء من بواطنهم، وتطوى لهم الأرض؛ وقد تقلب لهم الأعيان، وقد ينكشف لهم ما فى الضمير، ويعلمون بعض الحوادث قبل تكوّنها من بركة متابعتهم رسول الله ﷺ، فأوفر الناس حظا من الصحبة والقرب والعبودية، أوفرهم حظا من متابعته ﷺ، قال الله تعالى **(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)** * قال: وكرامات الأولياء من تتمة معجزات

الأنبياء، وكلّ رسول كان له أتباع ظهرت لهم كرامات ومخرقات للعادات، هذا بعض كلامه ﷺ * وقال الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيرى ﷺ: وكلّ نبىّ ظهرت كرامته على واحد من أمته، فهى معدودة من جملة معجزاته.

قال: ثم هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة، وقد تكون إظهار طعام فى أوان فاقة من غير سبب ظاهر، أو حصول ماء فى زمان عطش، أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة، أو تخليصا من عدوّ، أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة. انتهى كلام الأستاذ أبى القاسم رحمه الله تعالى * قلت: فإن قال قائل: تشتبه الكرامات بالسحر؟ فالجواب ما أجاب به المشايخ العارفون العلماء المحققون فى الفرق بينهما، أن السحر يظهر على أيدى الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير الالتزام بالأحكام الشرعية، ومتابعة السنة.

وأما الأولياء فهم الذين بلغوا فى متابعة السنة وأحكام الشريعة وآدابها الدرجة العليا فافترقا، وقد تقدم الفرق بين الكرامات والمعجزات. قلت: والناس فى إنكار الكرامات مختلفون * فمنهم من ينكر كرامات الأولياء مطلقا، وهؤلاء أهل مذهب معروف عن التوفيق مصروف * ومنهم من يكذّب بكرامات أولياء زمانه، ويصدّق بكرامات الأولياء الذين ليسوا فى زمانه، كمعروف وسهل والجنيد وأشباههم رضى الله تعالى عنهم، فهؤلاء كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلىّ ﷺ: والله ما هى إلا إسرائيلية، صدّقوا بموسى، وكذّبوا بمحمد ﷺ، لأنهم أدركوا زمنه * ومنهم من يصدّق بأن لله تعالى أولياء لهم كرامات، ولكن لا يصدّق بأحد معين من أهل زمانه، فهؤلاء محرومون أيضا، لأن من لم يسلم لواحد معين لم ينتفع بأحد. نسأل الله تعالى التوفيق وحسن الخاتمة فى عافية، لنا وللمسلمين ولمشايخنا ووالدينا وأمة محمد ﷺ أجمعين. وسئل بعض العلماء الكبار عن كرامات الأولياء، فقال: ومن ينكر هذا إن كنت لم تعرف من هذا شيئا ولم تعقله، فارجع إلى أن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وفى معناه أنشدوا:

| | |
|---|---|
| **إذا كنت المكذّب يا جهول** | **عن الآيات تصدّقك العقول** |
| **فكن بالفهم ترجع نحو شىء** | **له الدّين المصدّق والرسول** |
| **بأن إلهنا ما شاء يقضى** | **قدير ليس يعجزه المهول** |

قلت: والعجب كلّ العجب ممن ينكر الكرامات، وقد جاءت فى الآيات

الكريمات والأحاديث الصحيحات، والآثار المشهورات، والحكايات المستفيضات الصادرات عن العيان والمشاهدات من السلف والخلف، وبلغت فى الكثرة والشهرة فى جميع البلاد مبلغا يخرج عن الحصر والتعداد. ثم إن كثيرا من المنكرين لو رأوا الأولياء والصالحين يطيرون فى الهواء لقالوا هذا سحر، أو قالوا هؤلاء شياطين، لا شكّ أن من حرم التوفيق فكذّب بالحقّ غيبا وحدسا كذّب به عيانا وحسا، كما قال الله تعالى وهو أصدق القائلين **(ولو نزّلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم، لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين)** فواعجباه! كيف ينسب السحر وفعل الشياطين إلى الأولياء المقرّبين، والأبرار الصالحين الزاهدين العابدين الصابرين الشاكرين الخائفين الراجين المتقين الورعين المتوكلين الراضين المخبتين العارفين المطهرين من الصفات المذمومات، المتحلين بمحاسن الصفات المحمودات، المتخلقين بأخلاق المولى جلّ وعلا، المستمرّين فى طاعة الله تعالى، المتأدّبين بآداب الشريعة الشريفة والسنة الغرّاء، المرتفعين عن حضيض الرخص إلى معالى عزائم ذروة العلى، المقبلين على المولى المعرضين عن الدنيا، بل وعن الأخرى، الذين كنست بنفوسهم المزابل لما أماتوها لتحيا، فأحياها الحىّ القيوم، وجمال جلاله لقلوبهم تجلى لما جاهدوا فى الله تعالى حقّ جهاده، أنجز لهم ما وعدهم بقوله تبارك وتعالى **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)** فيا ليت شعرى من أولى بهذه الآية، وبقوله تعالى **(وبشر المخبتين الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم)** وبقوله سبحانه **(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا، وعلى ربهم يتوكلون)**، وبقوله عزّ وجلّ: **(إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون)** وبقول رسول الله ﷺ فى الصحيحين: «الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» وهل هؤلاء أهل العزائم، أم هم المترخصون؟ وبقوله ﷺ: «ربّ أشعث أغبر» الحديث الصحيح المشهور، وبقوله ﷺ لما رأى مصعب بن عمير رضي الله عنه متجرّدا فى إهاب كبش دعاه حبّ الله ورسوله إلى ما ترون، وبقوله ﷺ لما سئل عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» الحديث الصحيح المشهور، وهل هذا إلا للمراقبين الحاضرين، وبقوله ﷺ: «إن البذاذة من الإيمان» يعنى بها رثاثة الهيئة، وترك فاخر اللباس، وهل هذا إلا للمتقشفين الزاهدين وغير ذلك، كحديث أويس رضي الله عنه، وما كان فيه

من رثاثة الحال والتوحش والانعزال، وغير ذلك مما لا يمكن فيه الاستيعاب، ولا يسع بعضه هذا الكتاب من أولى بهذه المذكورات وأشباهها، ومن المشكور الممدوح بحسن ثنائها أهل هذه الأوصاف المذكورات المحمودات، أم أهل أضدادها من الصفات المذمومات؟ فأىّ الفريقين أولى بالهداية، أهل المجاهدات أم غيرهم؟ وقد قال الله تعالى (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**) وأيهما أولى بعزل سلطان الشيطان عنه، أهل التوكل أم غيرهم؟ وقد قال الله تعالى: (**إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون**) وأيهما أولى بالرجولية، الذين قال الله تعالى فيهم (**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**)، أم الذين قال الله فيهم (**ألهاكم التكاثر**)؟ وأى الفريقين أولى بقوله ﷺ فى الحديث الصحيح «ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»؟ وأيهما أولى بفساد الدين: أهل الحرص والطمع، أم أهل الزهد والورع؟ وأيهما أولى بقوله تعالى (**إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى**) الأغنياء أم الفقراء؟ وأيهما أولى بقوله ﷺ «إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة» الحديث المتفق على صحته أهل المال والثروة، أم أهل الفقر والقلة؟ وأيهما عباد الرحمن المذكورون فى سورة الفرقان والذين قال فيهم الملك المنان (**إن عبادى ليس لك عليهم سلطان**) وأيهما عبيد الدنيا والشيطان اللعين الذين قال الله سبحانه فيهم (**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين**) والذين قال فيهم النبى ﷺ «تعس عبد الدينار والدرهم» وأيهما أولى باتباع السنة والاقتداء بالشريعة: أهل الزهد والجدّ والأخذ بالعزائم الرفيعة، أم أهل الرخص والتوانى وحبّ الدنيا الوضيعة الذين يحسبون أن السنة فى متابعة الحظوظ النفسية، ولا يدرون أن أشرف الاتباع رفض الدنيا والاتصاف بالصفات السنية، فكم من زاعم أنه مقتد بالسنة ومتبعها وهو تارك للفروض ومضيعها، كما قال السيد الجليل العارف بشر بن الحارث رضي الله عنه لما قيل له الناس يقولون إنك تارك للسنة يعنون ترك التزوّج، فقال: قل لهم أنا مشغول بالفرض عن السنة، وهل الفرض المتعين إلا إزالة الصفات المذمومات من القلب من الحقد والحسد والرياء والعجب والكبر والأمل والغيبة والنميمة والكذب والتصنع والسمعة والخيلاء والشحّ، والنفاق، وغير ذلك من رذائل الأخلاق التى تطهر منها أهل الخوف والإشفاق والأكياس الحذّاق، أم الفرض المذكور معرفة البيوع والطلاق التى قدّمها الجهال

الأحماق، وهل يشرق النور فى مرآة القلوب المصقولة بالزهد والهدى، أم المظلمة بالذنوب والعيوب والصدا؟ وهل يستوى ذمّ **(ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا)** ومدح الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، أم هل يستوى من باع دينه بدنياه، وبذل نفسه فى هواه، وقال لسان حاله فى معناه:

**بذلت النفس فى طلب المعانى ... معالى المجد فى جاه ومال**

ومن باع دنياه بدينه رابحا، وبذل نفسه فى حبّ مولاه سامحا، وقال لسان حاله مطربا وسائحا ما قلت تائبا محبا:

**يا سادتى إن قبلتم مهجتى ودمى ... بنظرة فى الجمال الغالب العالى**

**فقد أنلتم جميل الفضل عبدكم ... وقد ربحت ببيع الدون بالغالى**

**قلت:** وقد تمت المقدمة الموعودة، وها أنا أبتدئ إن شاء الله تعالى بحكايات الصالحين المحمودة، ولست ألتزم فى ذلك ترتيبا بينهم فى التقديم، لا بالفضائل ولا بالأسنان ولا بالأمكنة ولا بالأزمان وقد أجمع فى الحكاية الواحدة بين حكايتين أو أكثر، إما لصغر الحكاية، أو للمناسبات، أو لكونها صدرت عن شخص واحد فى بعض الحالات، وقد أغير بعض الألفاظ فى بعض الحكايات، إما باختصار، أو بتقديم وتأخير، أو بإصلاح شعر مختلّ؛ عند من هو خبير فى حكم الوزن والإعراب، أو فى حكم الشرع والآداب، وقد أحذف الشعر من بعض الحكايات لكونه غير مناسب، أو عاريا عن الحسن، أو ركيكا ليس السمع فيه براغب. وقد أودعت هذا الكتاب شيئا من نسيجى المهلهل، بعضه أنشأته جديدا، وبعضه من نسيجى الأوّل، وفى عدم جودته قلت:

**يقولون لم لا قلت شعرا تفيده ... فقلت لأنى إن أقل لا أجيده**

**إذا رمت غزلان المعانى نفرن من ... شباك اصطيادى وابن عرس تصيده**

**فلا الجيد العالى العزيز يريدنى ... ولا الدنىّ الدون الدنىء أريده**

وأنا أسأل الله الكريم، البرّ الرحيم، أن يرزقنا التوفيق والهدى والسلامة عن الزيغ والردى، وأن ينفعنا بعباده الصالحين، ويجعلنا من حزبه المفلحين، وأن ينفع بهذا الكتاب، ويعظم به الأجر والثواب، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، ويهب لنا من فضله العظيم، وأحبابنا والمسلمين آمين، إنه الملك الديان، ذو الطول والإحسان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم.

وأقدم عليها كالشاويش لها هذه القصيدة المسماة: الشهد الجالى: فى فضل الصالحين ومقامهم العالى:

**أيا عاشقا عالى جمال صفاتهم ... وحالى حلى فيهم صلاح فوائق**

**وعالى مقامات وأحوال سادة ... وزاهى كرامات عظام خوارق**

**ومكنون أسرار وباهى معارف ... ومشهود أنوار بواه بوارق**

**ووصل لأحباب وراح محبة ... إذا شمها فى الغرب من فى المشارق**

**تمايل نشوانا بها طول دهره ... فكيف بمن منها بكاساتها سقى**

**لهم فى الهوى كم من غريب عجائب ... وكم من لطيفات المعانى دقائق**

**وكم من شواج للقلوب رقائق ... وكم من معان للعلوم حقائق**

**وكم من جهيد للنفوس مخالف ... وكم من مليح للعقول موافق**

**تسمع حكايات يطيب سماعها ... ويحلو كطعم الشهد فى ثغر ذائق**

**كساها جمال القوم حسنا به كست ... كتّابى وكم طيب من القوم عابق**

**وخمس مئين عدّها فى كتابنا ... نجاب زهت يختارها كل حاذق**

**تنزّه برؤيا حسنها حين تجتلى ... عرائسها اللائى سبت لبّ عاشق**

**فها هى فى روض الرياحين قد بدت ... بفالى جمال فائق الحسن رائق**

**محاسن غرّ سادة لا ينالها ... سوى كلّ كفء فى المحبة صادق**

**أبت ترتضى خطابها غير ممهر ... لها الصدق فى الدنيا ونفس مفارق**

**فإن كنت للمهر الذى عزّ قادرا ... فنافس وسابق نحوها كلّ سابق**

**وإن كنت مثلى عاجزا فارض بالدنا ... فبالدون يرضى الدون عند العلائق**

**رعى الله من أمسى وأضحى مشمرا ... لنيل المعالى قاطعا كلّ عائق**

**إلى أن علا فوق المقامات فى العلى ... وغال المنى من قرب مولى الخلائق**

**فطوبى له فى حضرة القدس يجتلى ... جمال جلال حلّ عن وصف ناطق**

**ويسقى كؤوس الوصل من خمرة الهوى ... فيهنيه ما يلقى هناك وما لقى**

**(الحكاية الأولى عن أبى الفيض ذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه)**

قال: وصف لى رجل من السادة باليمن قد برز على الخائفين، وسما على المجتهدين، بسيما بين الناس معروف، وباللب والحكمة والتواضع والخشوع موصوف. قال: فخرجت حاجاً إلى بيت الحرام، فلما قضيت الحج قصدت زيارته لأسمع من كلامه وأنتفع بموعظته أنا وأناس كانوا معى يطلبون ما أطلب من البركة، وكان معنا شاب عليه سيما الصالحين ومنظر الخائفين، وكان مصفرّ الوجه من غير سقم، أعمش العينين من غير رمد، يحب الخلوة ويأنس بالوحدة، تراه كأنه قريب عهد بمصيبة، وكنا نعذله على أن يرفق بنفسه، فلا يجيب قولنا وعذلنا، ولا يزداد إلا مجاهدة واجتهادا، ولسان حاله يقول:

أيها العاذلون فى الحبّ مهلا ... حاش لى عن هواه أن أتسلى

كيف أسلو وقد تزايد وجدى ... وتبدّلت بعد عزّى ذلا

قيل تبلى فقلت تبلى عظامى ... وسط لحدى وحبكم ليس يبلى

حبكم قد شربته فى فؤادى ... فى قديم الزمان مذ كنت طفلا

قال: ولم يزل ذلك الشاب فى جملتنا حتى انتهى معنا إلى اليمن، وسألنا عن منزل الشيخ فأرشدنا إليه، فطرقنا الباب فخرج إلينا كأنما يخبر عن أهل القبور، فجلسنا إليه، فبدأه الشاب بالسلام والكلام، فصافحه وأبدى له البشر والترحيب من دوننا، وسلمنا كلنا عليه، ثم تقدم إليه الشاب وقال: يا سيدى إن الله قد جعلك وأمثالك أطباء لأسقام القلوب، ومعالجين لأوجاع الذنوب، وبى جرح قد نغل، وداء قد استكمن وأعضل، فإن رأيت أن تتلطف بى ببعض مراهمك فافعل، فأنشد الشيخ هذه الأبيات:

إن داء القلوب عظيم ... كيف لى بالخلاص من داء ذنبى

هل طبيب مناصح لى فإنى ... أعجز الخلق والأطباء طبى

آه واخجلتى ويا طول حزنى ... من وقوفى إذا وقفت لربى

وانقطاع الجواب منى ولم لا ... وبلائى قد جلّ عن كل خطب

فقال الشاب للشيخ: فإن رأيت أن تتلطف بى ببعض مراهمك فافعل، فقال له الشيخ: سل عما بدا لك، فقال له: ما علامة الخوف من الله تعالى؟ قال أن يؤمنك خوف الله من كل خوف غير خوفه، فانتفض الفتى جزعا ثم خرّ مغشيا عليه ساعة، فلما أفاق قال: رحمك الله متى يتقين العبد خوفه من الله؟ قال إذا أنزل نفسه من الدنيا منزلة العليل السقيم، فهو مُحْتَم من أكل الطعام مخافة طول السقام، وتصبر على مضض الدواء مخافة طُول الضنا، قال: فصاح الشاب صيحة ظننا أن روحه قد خرجت، ثم قال: يرحمك الله ما علامة المحبة لله تعالى؟ فقال: ياحبيبى إن درجة المحبة لله رفيعة، فقال الشاب: أحبّ أن تصفها لى، فقال يا حبيبى إن المحبين لله تعالى شقّ لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب إلى جلال عظمة الإله المحبوب، فصارت أرواحهم روحانية، وقلوبهم حجبية، وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة الكرام، وتشاهد تلك الأمور باليقين والعيان، فعبدوه بمبلغ استطاعتهم له، لا طمعا فى جنته ولا خوفا من ناره، فشهق الشاب شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه، فجعل الشيخ يقبله ويبكى ويقول: هذا تصرّع الخائفين، هذه درجة المحبين، هذه روح حنت فأنت فسمعت فاشتاقت فشهقت فماتت. وأنشد بعضهم:

**على قدر علم المرء يعظم خوفه ... فلا عالم إلا من الله خائف**
**فآمن مكر الله بالله جاهل ... وخائف مكر الله بالله عارف**

**(الحكاية الثانية: عن ذى النون المصرى أيضا رضى الله تعالى عنه)** قال: بينما أنا أسير فى نواحى الشام إذ وقعت إلى روضة خضراء وفى وسطها شاب قائم يصلى تحت شجرة تفاح، فتقدمت إليه وسلمت عليه، فلم يردّ علىّ السلام، فسلمت ثانيا، فأوجز فى صلاته ثم كتب فى الأرض بإصبعه:

**منع اللسان من الكلام لأنه ... كهف البلاء وجالب الآفات**
**فإذا نطقت فكن لربك ذاكرا ... لا تنسه واحمده فى الحالات**

قال ذو النون رضي الله عنه: فبكيت طويلا، وكتبت بأصبعى فى الأرض:

**وما من كاتب إلا سيبلى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه**
**فلا تكتب بكفك غير شىء ... يسرك فى القيامة أن تراه**

قال: فصاح الشاب صيحة فارق الدنيا فيها، فقمت لآخذ فى غسله ودفنه، فإذا بقائل يقول: خلّ عنه، فإن الله عزّ وجلّ وعده أن لا يتولى أمره إلا الملائكة. قال ذو النون: فملت إلى شجرة فركعت عندها ركعات، ثم أتيت الموضع الذى مات فيه الشاب فلم أجد له أثرا ولا عرفت له خبرا، رضى الله تعالى عنه.

**(الحكاية الثالثة: عنه أيضا رضي الله عنه)** قال: بينما أنا أسير فى بعض جبال بيت المقدس، إذ سمعت صوتا وهو يقول: ذهبت الآلام عن أبدان الخدام، ولهت بالطاعة عن الشراب والطعام، وألفت أبدانهم طول القيام بين يدى الملك العلام؛ قال رضي الله عنه: فتتبعت الصوت فإذا بشاب أمرد قد علا وجهه اصفرار، يميل مثل الغصن إذا ميلته الريح، عليه شملة قد اتزر بها، وأخرى قد اتشح بها؛ فلما رآنى توارى عنى بالشجر، فقلت له: أيها الغلام ليس الجفاء من أخلاق المؤمنين، فكلمنى وأوصنى، فخرّ ساجدا لله تعالى، وجعل يقول: هذا مقام من لاذ بك، واستجار بمعرفتك، وألف محبتك، فيا إله القلوب وما تحويه من جلال عظمتك، احجبنى عن القاطعين لى عنك، ثم غاب عنى، فلم أره رضي الله عنه:

**وقال أيضا رضى الله تعالى عنه:** بينما أنا أسير بين جبال الشام، إذ أنا بشيخ على تلعة من الأرض قد سقط حاجباه على عينيه كِبَرا، فسلمت عليه، فردّ علىّ السلام، ثم جعل يقول: يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريبا، ويا من قصده الزاهدون فوجدوه حبيبا، ويا من استأنس به المجتهدون فوجدوه مجيبا، ثم أنشأ يقول:

**وله خصائص مصطفون لحبه ... اختارهم فى سالف الأزمان**
**اختارهم من قبل فطرة خلقه ... فهم ودائع حكمة وبيان**

**(الحكاية الرابعة: عن الأستاذ أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه)**

قال: حضرت إملاك (زفاف) بعض الأبدال من الرجال ببعض الأبدال من النساء، فما كان فى جماعة من حضر أحد إلا وضرب بيده إلى الهواء وأخذ شيئا فطرحه من درّ وياقوت وما أشبهه. قال الجنيد: فضربت بيدى، فأخذت زعفرانا فطرحته، فقال لى الخضر عليه الصلاة والسلام: ما كان فى الجماعة من أهدى ما يصلح للعرس غيرك * وقال بعض العارفين: كوشفت بأربعين

حوراء رأيتهن يتساعين فى الهواء، عليهن ثياب من فضة وذهب وجوهر، فنظرت إليهنّ نظرة، فعوقبت أربعين يوما، ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء، فوقهنّ فى الحسن والجمال، وقيل لى: انظر إليهنّ، فسجدت وغمضت عينىّ فى السجود، قلت: أعوذ بك مما سواك، لا حاجة لى بهذا، ولم أزل أتضرّع حتى صرفهنّ عنى.

**(الحكاية الخامسة: عن الشيخ عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه)** قال: أصابتنى علة فى ساقى، فكنت أتحامل عليها للصلاة، فقمت عليها من الليل، فاجتهدت وجعا، فجلست ثم لففت إزارى فى محرابى، ووضعت رأسى عليه ونمت، فبينما أنا كذلك، إذ أنا بجارية تفوق الدمى حسنا وجمالا، تخطر بين جوار مزينات حتى وقفت علىّ وهنّ خلفها، فقالت لبعضهنّ: ارفعنه ولا توقظنه، فأقبلن نحوى فاحتملننى وأنا أنظر إليهنّ فى منامى، ثم قالت لغيرهنّ من الجوارى اللاتى معها: افرشن له، ومهدن له، ووطئن له ووسدنه، قال: ففرشن تحتى سبع حشايا لم أر لهنّ فى الدنيا مثلا، ووضعن تحت رأسى مرافق خضرا حسانا، ثم قالت للاتى حملننى: اجعلنه على الفرش رويدا لا تهجنه، قال: فجعلننى على تلك الفرش وأنا أنظر إليها، وما تأمرهن به من شأنى، ثم قالت: أحففنه بالريحان، فأتى بياسمين فحففن به الفرش، ثم قامت إلىّ فوضعت يدها على موضع العلة التى كنت أجد فى ساقى، فمسحت ذلك المكان بيدها ثم قالت: قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور، فاستيقظت والله كأنى قد نشطت من عقال، فما اشتكيت تلك العلة بعد ليلتى تلك، ولا ذهب من قلبى حلاوة منطقها بقولها: قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور.

**(الحكاية السادسة: عن عبد الواحد أيضا رضى الله تعالى عنه)** قال: نمت عن وردى ليلة، فإذا أنا بجارية لم أر أحسن منها وجها، عليها ثياب حرير خضر، وفى رجليها نعلان يسبحان، والزمامان يقدسان، وهى تقول: يا ابن زيد جدّ فى طلبى فإنى فى طلبك، ثم جعلت تقول:

**من يشترينى ومن يكن سكنى يأمن فى ربحه من الغبن**

قال: فقلت يا جارية ما ثمنك؟ فأنشأت تقول:

**محبة الله ثم طاعته وطول فكر يشاب بالحزن**

فقلت: لمن أنت يا جارية؟ فقالت:

**لمالك لا يرد لى ثمنا ... من خاطب قد أتاه بالثمن**

قال: فانتبه عبد الواحد وآلى على نفسه أن لا ينام الليل، وكان من الجماعة الذين صلوا الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة من السلف الصالح رضى الله عنهم، ونفعنا بهم.

**(الحكاية السابعة: عن الشيخ مطهر السعدى)** روى أن الشيخ مطهرا السعدىّ رضي الله عنه بكى شوقا إلى الله تعالى ستين سنة، فرأى فى المنام كأنه بجنب نهر يجرى بالمسك الأذفر، حافتاه شجر اللؤلؤ وقضبان الذهب، وإذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد: سبحان المسبَّح بكل لسان سبحانه، سبحان الموجود بكل مكان سبحانه، سبحان الدائم فى كلّ الأزمان سبحانه، قال: فقلت من أنتنّ؟ فقلن: خلق من خلق الرحمن سبحانه، فقلت ما تصنعن ههنا؟ فقلن:

**برانا إله الناس ربّ محمد ... لقوم على الأقدام بالليل قوّم**

**يناجون ربّ العالمين إلههم ... فتسرى هموم القوم والناس نوّم**

**(الحكاية الثامنة: عن الشيخ أبى بكر الضرير رضى الله تعالى عنه)** قال: كان فى جوارى شابّ حسن الوجه، يصوم النهار ولا يفطر، ويقوم الليل ولا ينام، فجاءنى يوما وقال: يا أستاذ إنى نمت عن وردى الليلة، فرأيت كأن محرابى قد انشق، وكأنى بجوار قد خرجن من المحراب، لم أر أحسن منهنّ وجها، وإذا فيهنّ واحدة شوهاء فوهاء، لم أر أقبح منها منظرا، فقلت لمن أنتنّ؟ ولمن هذه؟ فقلن: نحن لياليك التى مضت، وهذه ليلة نومك، ولو متّ فى ليلتك هذه، لكانت هذه حظك، ثم أنشأت الشوهاء تقول:

**اسأل لمولاك واردنى إلى حالى ... فأنت قبحتنى من بين أشكالى**

**لا ترقدنّ الليالى ما حييت فإن ... نمت الليالى فهن الدهر أمثالى**

**نحن السرور لمن نال السرور بنا ... جوف الظلام بسكنى المنزل العالى**

**فقد أُردت بخير إذ وعظت بنا ... فأبشر فأنت من المولى على بال**

قال: فأجابتها جارية من الحسان تقول:

أبشر بخير فقد نلت المنى أبدا ... فى جنة الخلد فى روضات جنات

نحن الليالى اللوائى كنت تسهرها ... تتلو القران بترجيع ورنات

نحن الحسان اللواتى كنت تخطبنا ... جوف الظلام بلوعات وزفرات

أبشر فقد نلت ما ترجوه من ملك ... برّ يجود بأفضال وفرحات

غدا تراه تجلى غير محتجب ... تدنى إليه وتحظى بالتحيات

قال: ثم شهق شهقة خرّ ميتا، رحمة الله تعالى عليه.

(الحكاية التاسعة: عن بعض العارفين) قال: نمت ليلة عن حزبى، فرأيت فى المنام جارية حسناء لم أر أحسن منها وجها، ولا أطيب منها ريحا، فناولتنى رقعة فى يدها فقالت: اقرأ ما فيها، فقرأته، فإذا هو:

لذذت بنومة عن خير عيش ... مع الولدان فى غرف الجنان ... تعيش مخلدا لا موت فيها

وتبقى فى الجنان مع الحسان ... تيقظ من منامك إنّ خيرا ... من النوم التهجد بالقران

قال: فاستيقظت مرعوبا، فوالله ما ذكرتها قطّ إلا طار نومى، رحمه الله تعالى.

(الحكاية العاشرة: عن الشيخ السرى السقطى) روى أن الشيخ السرىّ السقطى رضى الله تعالى عنه، دخل عليه أبو القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه وهو يبكى، فقال له: ما يبكيك؟ فقال: جاءتنى البارحة الصبية، فقالت: يا أبت هذه ليلة حارّة، وهذا الكوز أعلقه ههنا لك حتى يبرد، فقلت نعم، قال السرىّ رضى الله تعالى عنه: فغلبتنى عيناى، فنمت فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت لمن أنت؟ فقالت لمن لا يشرب الماء المبرّد فى الكيزان، فانتبهت وتناولت الكوز وضربت به الأرض. قال الجنيد رضى الله تعالى عنه: فرأيت الخزف المكسور لم يرفعه أحد عفى عليه التراب. وقال الشيخ أبو سليمان الدارانى رضى الله تعالى عنه: نمت عن وردى ليلة، فإذا أنا بحوراء تقول: يا أبا سليمان تنام وأنا أربى لك فى الخيام منذ خمس مئة عام، أو كما قالت من الكلام.

**(الحكاية الحادية عشرة: عن الشيخ عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه)** قال: بينما نحن ذات يوم فى مجلسنا هذا، قد تهيأنا للخروج إلى الغزو، وقد أمرت أصحابى أن يتهيئوا لقراءة آيتين فقرأ رجل فى مجلسنا (**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**) فقام غلام فى مقدار خمس عشرة سنة أو نحو ذلك، وقد مات أبوه وورّثه مالا كثيرا، فقال: يا عبد الواحد بن زيد (**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**) فقلت: نعم يا حبيبى، فقال: إنى أشهدك أنى قد بعت نفسى ومالى بأن لى الجنة، فقلت له: إن حدّ السيف أشدّ من ذلك وأنت صبىّ، وأنا أخاف أن لا تصبر وتعجز عن ذلك، فقال: يا عبد الواحد، أبايع الله تعالى بالجنة، ثم أعجز أنا؟ أشهد الله تعالى أنى قد بايعته، أو كما قال رضي الله عنه: قال عبد الواحد: فتقاصرت إلينا أنفسنا، وقلنا: صبىّ يعقل، ونحن لا نعقل، فخرج من ماله كله، وتصدّق به إلا فرسه وسلاحه ونفقته؛ فلما كان يوم الخروج، كان أول من طلع علينا، فقال السلام عليك يا عبد الواحد، فقلت وعليك السلام ربح البيع. ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا إذا نمنا، حتى إذا انتهينا إلى دار الروم، فبينا نحن كذلك إذا به قد أقبل وهو ينادى: واشوقاه إلى العيناء المرضية، فقال أصحابى: لعله وسوس لهذا الصبى واختلط عقله، فقلت حبيبى وما هذه العيناء المرضية؟ فقال إنى غفوت غفوة فرأيت كأنه أتانى آت فقال لى اذهب إلى العيناء المرضية فهجم بى على روضة فيها نهر من ماء غير آسن، وإذا على شط النهر جوار عليهنّ من الحلىّ والحلل ما لا أقدر أن أصفه، فلما رأيننى استبشرن بى وقلن هذا والله زوج العيناء المرضية، فقلت السلام عليكنّ أفيكنّ العيناء المرضية؟ فقلن نحن خدمها وإماؤها امض أمامك. فمضيت أمامى فإذا أنا بنهر من لبن لم يتغير طعمه، فى روضة فيها من كل زينة، فيها جوار لما رأيتهن افتتنت بحسنهنّ وجمالهن؛ فلما رأيننى استبشرن بى وقلن هذا والله زوج العيناء المرضية، فقلت السلام عليكنّ أفيكن العيناء المرضية؟ قلن لا، نحن خدمها وإماؤها فتقدم أمامك، فتقدمت فإذا أنا بنهر من خمر لذّة للشاربين وعلى شطّ الوادي جوار أنسيننى من خلفت، فقلت السلام عليكنّ أفيكن العيناء المرضية؟ قلن يا ولىّ الله نحن خدمها وإماؤها

فامض أمامك، فمضيت أمامى فوصلت إلى خيمة من درّة بيضاء. وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلى والحلل ما لا أقدر أن أصفه، فلما رأتنى استبشرت ونادت من فى الخيمة أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم، قال فدنوت من الخيمة ودخلت، فإذا هى قاعدة على سرير من ذهب مكلل بالدرّ والياقوت، فلما رأيتها افتتنت بها وهى تقول: مرحبا بك يا ولىّ الرحمن، قد دنا لك القدوم علينا، فذهبت لأعتنقها، فقالت مهلا، فإنه لم يأن لك أن تعانقنى، لأن فيك روح الحياة، وأنت تفطر الليلة عندنا إن شاء الله تعالى، قال فانتبهت يا عبد الواحد ولا صبر لى عنها، قال عبد الواحد: فما انقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدوّ، فحمل الغلام عليهم فعددت تسعة من العدوّ قتلهم وكان هو العاشر، فمررت به، وهو يتشحط فى دمه وهو يضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا رضى الله تعالى عنه: ولله درّ القائل:

| | |
|---|---|
| **يا من يعانق دنيا لا بقاء لها** | **يمسى ويصبح مغرورا وغرارا** |
| **هلا تركت من الدنيا معانقة** | **حتى تعانق فى الفردوس أبكارا** |
| **إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها** | **فينبغى لك أن لا تأمن النارا** |

**(الحكاية الثانية عشرة: عن بعض الصالحين)** حكى عن بعض الصالحين أنه عبد الله عزّ وجلّ أربعين سنة، فلما كان فى بعض الليالى أخذته دلة على الله عزّ وجلّ فقال: إلهى أرنى ما قد أعددت لى فى الجنة وأخبرنى ما قد أعددت لى من الحور العين الحسان، فما استتم الكلام حتى انشق المحراب فخرجت منه حورية لو خرجت إلى الدنيا لفتنت من فيها، فقال لها إنسية أنت أم جنية؟ فأنشأت تقول:

| | |
|---|---|
| **شكوت إلى المولى وقد علم الشكوى** | **وأعطاك ما ترجو وقد كشف البلوى** |
| **وأرسلنى أنسا إليك وإننى** | **أناجيك طول الليل لو تسمع النجوى** |

فقال، يا جارية لمن أنت؟ فقالت أنا لك، فقال كم لى مثلك حورية؟ قالت مئة حورية، ولكل حورية مئة خادمة، ولكل خادمة مئة وصيفة، ولكلّ وصيفة مئة قهرمانة، ففرح وقال: يا حورية هل أعطى أحد أكثر منى؟ قالت يا مسكين

عطاؤك عطاء البطالين الذين يقولون أستغفر الله العظيم فيغفر لهم، ثم يستغفرون الله تعالى عند غروب الشمس فيغفر لهم، ثم أنشأت تقول:

**وله خصائص مصطفون لحبه — اختارهم فى سالف الأزمان**

**اختارهم من قبل فطرة خلقه — فهم ودائع حكمة وبيان**

وأنشدت أيضا تقول:

**نشرت لهم أعلام حب حبيبهم — فتبايعوا وتناهبوا الأعلاما**

**يا حسنهم فى ظلّ عرش مليكهم — كل يقود من النجيب زماما**

**حتى إذا صاروا بحضرة قدسه — كشف المليك حجابه إكراما**

**فهم الملوك العارفون بربهم — والدائبون ببابه خداما**

قلت: وهذه خمسة أبيات قلتها وألحقتها بهذه الأبيات الأربعة:

**من عال ياقوت وزاهى جوهر — يعلوه نور يسكنون خياما**

**ومع الحسان الحور عين لو بدت — ليلا أنارت بالجمال ظلاما**

**ولعطرت كل الوجود وزخرفت — ولمات كل بالجمال غراما**

**ياحسنها بين الجوارى عندما — تمشى لتلقى قادمين كراما**

**يجزون غرفات بها فوق المنى — وتحية يلقونها وسلاما**

**(الحكاية الثالثة عشرة: عن الشيخ عبد الواحد بن زيد رضى الله تعالى عنه)** قال: كنت فى مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة وإذا بها فيها رجل يعبد صنما، فقلنا له يا رجل ما تعبد؟ فأومأ إلى الصنم، فقلنا له: إن إلهك هذا مصنوع وعندنا من يصنع مثله، ما هذا بإله يعبد، قال فأنتم من تعبدون؟ قلنا نعبد الذى فى السماء عرشه وفى الأرض بطشه وفى الأحياء والأموات قضاؤه، تقدّست أسماؤه وجلت عظمته وكبرياؤه، قال وما أعلمكم بهذا؟ قلنا وجه إلينا هذا الملك رسولا كريما، فأخبرنا بذلك، قال فما فعل الرسول؟ قلنا لما أدّى إلينا الرسالة، قبضه الملك إليه واختار له ما لديه، قال فهل ترك عندكم من علامة؟

قلنا نعم، ترك عندنا كتاب الملك، قال فأرونى كتاب الملك فإنه ينبغى أن تكون كتب الملوك حسانا، فأتيناه بالمصحف فقال ما أعرف هذا، فقرأنا عليه سورة، فلم يزل يبكى حتى ختمنا السورة، فقال ينبغى لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى، ثم أسلم وحسن إسلامه، وعلمناه شرائع الدين وسورا من القرآن، فلما كان الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا، فقال يا قوم هذا الإله الذى دللتمونى عليه إذا جنّ الليل ينام؟ قلنا لا ينام، يا عبد الله، وهو عظيم حىّ قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، قال: فبئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام، فأعجبنا كلامه؛ فلما عزمنا على الانصراف عنه قال خذونى معكم فأخذناه، فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابى هذا قريب عهد بالإسلام، فجمعنا دراهم وأعطيناه، فقال ما هذا؟ قلنا دراهم تنفقها، فقال لا إله إلا الله، دللتمونى على طريق لم تسلكوها، أنا كنت فى جزيرة أعبد صنما من دونه فلم يضيعنى وأنا لا أعرفه، فكيف يضيعنى الآن وأنا أعرفه؟ فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لى إنه فى الموت، فأتيته فقلت له: هل لك من حاجة؟ قال قد قضى حوائجى من جاء بكم إلى الجزيرة، قال عبد الواحد: فغلبتنى عيناى فنمت عنده، فرأيت روضة خضراء فيها قبة وفى القبة سرير وعلى السرير جارية حسناء لم ير أحسن منها وهى تقول: بالله إلا ما عجلتم به إلىّ فقد اشتد شوقى إليه، فاستيقظت فإذا به قد فارق الدنيا، رحمه الله تعالى، فغسلته وكفنته وواريته، فلما كان الليل رأيت فى منامى تلك الروضة، وفيها تلك القبة، وفى القبة ذلك السرير، وعلى السرير تلك الجارية وهو إلى جانبها وهو يقرأ هذه الآية **(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)** رضى الله عنه.

**(الحكاية الرابعة عشرة: عن الشيخ أبى عبد الله القرشى رضي الله عنه)** قال: كنت عند الشيخ أبى إسحاق إبراهيم بن ظريف، فأتى إليه إنسان فسأله: هل يجوز للإنسان أن يعقد على نفسه عقدة لا يحلها إلا بنيل مطلوبه؟ فقال له: نعم، واستدل بحديث أبى لبابة الأنصارى رضى الله تعالى عنه فى قصة بنى قريظة، وقوله ﷺ «أما إنه لو أتانى لاستغفرت له، ولكنه إذ قد فعل ذلك بنفسه فدعوه حتى يحكم الله تعالى فيه» قال: فسمعت هذه المسئلة وعقدت على نفسى أنى لا أتناول شيئا إلا بإظهار قدرة، فمكثت ثلاثة أيام وكنت إذ ذاك

أعمل صناعتى فى الحانوت، فبينا أنا جالس على الكرسى إذ ظهر لى شخص بيده شىء فى إناء، فقال لى اصبر إلى العشاء تأكل من هذا، ثم غاب عنى، فبينما أنا فى وردى بين العشاءين إذا انشق الجدار وظهرت لى حوراء بيدها ذلك الإناء الذى كان بيد ذلك الشخص فيه شىء يشبه العسل، فتقدّمت إلىّ وألعقتنى منه ثلاثا فصعقت وغشى علىّ، ثم أفقت وقد ذهبت ولم يطب لى بعد ذلك طعام ولا شراب وأشرب قلبى تلك الصورة، فما استحسنت بعدها شخصا ولا كنت أتمكن من سماع كلام الخلق، وأقمت على ذلك مدة.

(**الحكاية الخامسة عشرة عن مالك بن دينار ﷺ**): أنه كان يوما ماشيا فى أزقة البصرة، فإذا هو بجارية من جوارى الملوك راكبة ومعها الخدم، فلما رآها مالك نادى أيتها الجارية أيبيعك مولاك؟ فقالت كيف قلت يا شيخ؟ قال قلت أيبيعك مولاك؟ قالت ولو باعنى كان مثلك يشترينى؟ قال نعم وخيرا منك، فضحكت وأمرت به أن يحمل إلى دارها، فحمل فدخلت إلى مولاها فأخبرته، فضحك وأمر أن يدخل به إليه، فأدخل فألقيت له الهيبة فى قلب السيد، فقال ما حاجتك؟ فقال بعنى جاريتك، قال أو تطيق أداء ثمنها؟ قال قيمتها عندى نواتان مسوّستان، فضحكوا وقالوا كيف كان ثمنها عندك هذا؟ قال لكثرة عيوبها قال وما عيوبها؟ قال إن لم تتعطر ذفرت، وإن لم تستك بخرت، وإن لم تمتشط وتدهن قملت وشعثت، وإن عمرت عن قليل هرمت، ذات حيض وبول وأقذار وحزن وغمّ وأكدار، ولعلها لا تودّك إلا لنفسها، ولا تحبك إلا لتنعمها، لا تفى بعهدك ولا تصدق فى ودّك، ولا تخلف عليها أحدا بعدك إلا رأته مثلك، وأنا أجد بدون ما سألت فى جاريتك من الثمن جارية خلقت من سلالة الكافور والمسك والزعفران والجوهر والنور لو مزج بريقها أجاج لطاب، ولو دعى بكلامها ميت لأجاب، ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه وكسفت، ولو بدت فى الظلمات لأنارت به وأشرقت، ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتعطرت بها وتزخرفت، نشأت فى رياض المسك والزعفران وقضبان الياقوت والمرجان، وقصرت فى خيام النعيم وغذيت بماء التسنيم، لا تخلف عهدها ولا تبدل ودّها، فأيهما أحقّ بدفع الثمن؟ قال الذى وصفت؟ قال فإنها الموجودة الثمن، القريبة الخطب فى كلّ زمن، قال فما ثمنها رحمك الله؟ قال: اليسير

المبذول لنيل الخطير المأمول، أن تتفرّغ فى ليلك ساعة، فتصلى ركعتين تخلصهما لربك، وأن تضع طعامك فتذكر جائعك فتؤثره لله عزّ وجلّ على شهوتك، وأن ترفع عن الطريق حجرا أو قذرا، وأن تقطع أيامك بالبلغة والقلة، وترفع همك عن دار الغرور والغفلة فتعيش فى الدنيا بعزّ القناعة، وتأتى إلى موقف الكرامة آمنا غدا، وتنزل فى الجنة دار النعيم فى جوار الملك الكريم مخلدا، فقال الرجل يا جارية، أما سمعت ما قال شيخنا هذا؟ قالت نعم، قال أفصدق أم كذب؟ قالت بل صدق وبرّ ونصح، قال فأنت إذن حرة لوجه الله تعالى، وضيعة كذا وكذا صدقة عليك، وأنتم أيها الخدم أحرار، وضيعة كذا وكذا لكم، وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالى فى سبيل الله تعالى، ثم مد يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه وخلع جميع ما كان عليه واستتر به، فقالت الجارية لا عيش لى بعدك يا مولاى، فرمت بكسوتها ولبست ثوبا خشنا وخرجت معه، فودعهما مالك بن دينار ودعا لهما، وأخذ طريقا غيره، فتعبدا جميعا حتى الموت، فنقلهما على حال العبادة رحمة الله عليهما.

(**الحكاية السادسة عشرة عن جعفر بن سليمان رحمه الله تعالى**) قال: مررت أنا ومالك بن دينار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالبصرة؛ فبينما نحن ندور فيها مررنا بقصر يعمر، وإذا شاب جالس ما رأيت أحسن وجها منه، وإذا هو يأمر ببناء القصر ويقول افعلوا واصنعوا، فقال لى مالك أما ترى إلى هذا الشاب وحسن وجهه وحرصه على هذا البناء، ما أحوجنى إلى أن أسأل ربى أن يخلصه، فلعله يجعله من شباب أهل الجنة؛ يا جعفر ادخل بنا إليه، قال جعفر: فدخلنا إليه فسلمنا عليه، فردّ السلام ولم يعرف مالكا، فلما عرفه قام إليه، فقال ألك حاجة؟ فقال: كم نويت أن تنفق على هذا القصر؟ قال مئة ألف درهم فقال ألا تعطينى هذا المال فأضعه فى حقه، وأضمن لك على الله عزّ وجلّ قصرا فى الجنة خيرا من هذا القصر بولدانه وخدمه وقببه وخيمة من ياقوتة حمراء مرصعة بالجواهر، ترابه الزعفران وملاطه المسك أفيح من قصرك هذا، لا يخرب أبدا، ولم تمسه يد، ولم يبنه بان، بل قال له الجليل سبحانه: كن فكان، قال فأجلنى الليلة وبكر علىّ غدا، فقال نعم، قال جعفر فبات مالك وهو يفكر فى ذلك الشاب، فلما كان وقت السحر دعا فأكثر من الدعاء، فلما أصبحنا

غدونا فإذا بالشاب جالس على باب قصره، فلما عاين مالكا هشّ إليه ثم قال ما تقول فيما قلت بالأمس؟ قال تفعل؟ قال نعم، فأحضر البدر، ودعا بدواة وقرطاس ثم كتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان ابن فلان: إنى قد ضمنت لك على الله تعالى قصرا بدل قصرك بصفته كما وصفت، والزيادة على الله تعالى، واشتريت لك بهذا المال قصرا فى الجنة، أفيح من قصرك هذا، فى ظلّ ظليل بقرب العزيز الجليل، ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الشاب، وحملنا المال، فما أمسى حتى ما بقى مقدار ليلة، وما أتى على الشاب أربعون يوما حتى وجد مالك رضى الله عنه كتابا موضوعا فى المحراب عندما انفتل من صلا الغداة، فأخذه ونشره فإذا فى ظهره مكتوب بلا مداد: هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار، وفّينا الشاب القصر الذى ضمنت له وزيادة سبعين ضعفا، قال فبقى مالك رضي الله عنه متعجبا وأخذ الكتاب؛ فقمنا فذهبنا إلى منزل الشاب فإذا الباب مسودّ والبكاء فى الدار، فقلنا ما فعل الشاب؟ قالوا مات بالأمس، فأحضرنا الغاسل فقلنا له: ما فعلت أنت غسلته؟ قال نعم، قال مالك: فحدثنا كيف صنعت؟ قال: قال لى قبل الموت: إذا أنا مت وغسلتنى وكفنتنى اجعل هذا الكتاب بين كفنى وبدنى، فجعلت الكتاب بين كفنه وبدنه ودفنته معه، فأخرج مالك الكتاب، فقال الغاسل هذا الكتاب بعينه والذى قبضه، لقد جعلته بين كفنه وبدنه بيدى، قال فكثر البكاء. فقام شاب فقال: يا مالك خذ منى مائتى ألف درهم واضمن لى مثل هذا، قال هيهات كان ما كان وفات ما فات، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، قال فكان مالك كلما ذكر الشاب بكى ودعا له، رحمة الله تعالى عليه.

**(الحكاية السابعة عشرة: عن محمد بن السماك رضى الله تعالى عنه)**

قال: كان موسى بن محمد بن سليمان الهاشمى من أنعم بنى أمية عيشا وأرخاهم بالا؛ يعطى نفسه شهوتها من صنوف اللذات فى المآكل والمشرب والملبس والطيب والجوارى والغلمان، ليست له فكرة ولا همة إلا فى الذى هو فيه من عيشته ولذّته، وكان شابا جميلا، وجهه كاستدارة القمر، كانت نعمة الله عليه سابغة يستغل فى كلّ حول نحوا من ثلثمائة ألف درهم وثلاثة آلاف دينار، يصرف هذا كله فيما هو فيه من النعيم، وكان له مستشرف عال يقعد

فيه بالعشيات ويشرف فيه على الناس، له أبواب مشرعة إلى الجادة، وأبواب مشرعة إلى بساتينه، وقد ضرب فيه قبة عاج مضببة بالفضة، مطلية بالذهب، وهو على سرير عليه غلالة قصب، وعلى رأسه عمامة مكللة باللآلئ، ومعه فى القبة يراهن، إذا اشتهى سماع القينات نظر نحو الستارة، وإن أراد سكوتهن أومأ بيده إلى الستارة فأمسكن، هذا دأبه إلى أن يذهب الليل ويذهب عقله، فتخرج الندماء ويخلو مع من شاء، فإذا أصبح اشتغل بالنظر إلى اللعابين بين يديه بالشطرنج والنرد، ولا يذكر بين يديه موت ولا مرض ولا سقم ولا شئ فيه ذكر الغمّ إلا ذكر الفرح والسرور والنوادر التى تضحك، ويتطيب كل يوم بأنواع الطيب والمشمومات مما يكون فى أوانه حتى مضت له سبع وعشرون سنة، فبينما هو ذات ليلة فى قبته وقد مضى بعض الليل إذ سمع نغمة من حلق شجىّ خلاف ما يسمع من مطربيه، فأخذ بقلبه ولها عما كان فيه، وأومأ إليهم أن أمسكوا وأخرج رأسه من بعض طاقات القبة إلى جهة الجادة يتسمع الذى وقع بقلبه، فإذا النغمة ربما سمعها وربما خفيت عليه، فصاح بغلمانه وقال اطلبوا صاحب هذا الصوت، وكان قد عمل فيه الشراب، فخرج الغلمان يطوفون، فإذا هم بشاب نحيل الجسم دقيق العنق مصفر اللون ذابل الشفتين شعث الرأس، قد لصق بطنه بظهره، وعليه طمران لا يتوارى بغيرهما، حافى القدمين قائم فى المسجد يناجى ربه سبحانه وتعالى، فأخرجوه من المسجد، وانطلقوا به، لا يكلمونه حتى وقفوا به بين يديه، فنظر إليه فقال: من هذا؟ فقالوا صاحب النغمة التى سمعت، قال أين أصبتموه؟ قالوا فى المسجد قائما يصلى ويقرأ، فقال أيها الشاب ما كنت تقرأ؟ قال كلام الله عزّ وجلّ، قال فأسمعنى تلك النغمة، فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **(إن الأبرار لفى نعيم)** إلى قوله تبارك وتعالى **(عينا يشرب بها المقرّبون)** أيها المغرور إنها خلاف مجلسك ومستشرفك وفرشك، إنها أرائك مفروشة بفرش مرفوعة، بطائنها من إستبرق على رفرف خضر وعبقرىّ حسانٌ يشرف ولىّ الله تعالى منها على عينين تجريان فى جنتين فيهما من كل فاكهة زوجان، لا مقطوعة ولا ممنوعة، فى عيشة راضية، فى جنة عالية، لا يسمع فيها لاغية، فيها عين جارية، فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابىّ مبثوثة،

فى ظلال وعيون، أكلها دائم وظلها، تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار، نار وأى نار؟ إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون فى ضلال وسعر، يوم يسحبون فى النار على وجوههم، ذوقوا مس سقر، فى سموم وحميم وظل من يحموم، يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه، وفصيلته التى تؤويه، ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه، كلا إنها لظى نزاعة للشوى. تدعو من أدبر وتولى، وجمع فأوعى، فى جهد جهيد، وعذاب شديد، ومقت من رب العالمين، وما هم منها بمخرجين، فقام الهاشمىّ من مجلسه، وعانق الشاب، وبكى وصاح وقال: انصرفوا عنى، وخرج إلى صحن داره، وقعد على حصير مع الشاب، ينوح على شبابه، ويندب نفسه، والشاب يعظه إلى أن أصبح، وقد عاهد الله تعالى أن لا يعود لمعصيته أبدا؛ فلما أصبح أظهر توبته، ولزم المسجد والعبادة، وأمر بالذهب والفضة والجواهر والملابس فبيعت كلها، وتصدّق بها، وقطع الأجراء عن نفسه، وردّ الضياع المقتطعة، وباع ضياعه وعبيده وجواريه، وأعتق من اختار العتق وتصدّق به كله، ولبس الصوف والخشن وأكل الشعير، وكان يحيى الليل كله ويصوم النهار، حتى كان يزوره الصالحون والأخيار ويقولون له ارفق بنفسك فإن المولى كريم، يشكر اليسير، ويثيب عليه الكثير فيقول: يا قوم أنا أعرف بنفسى جرمى عظيم إن عصيت مولاى فى الليل والنهار، ويبكى ويكثر البكاء، ثم خرج حاجا على قدميه حافيا، ما عليه إلا خيشه، وما معه إلا ركوة وجراب، حتى قدم مكة وقضى حجه، فأقام بها إلى أن توفى رحمه الله تعالى، وكان يدخل الحجر بالليل وينوح على نفسه ويقول: سيدى كم لم أراقبك فى خلواتى. كم أبازرك بالمعاصى، سيدى ذهبت حسناتى وبقيت تبعاتى فالويل لى يوم ألقاك، والويل لى ثم الويل لى من صحيفتى إذا نشرت، مملوءة من فضائحى وخطيئاتى، بل حلّ لى الويل من مقتك إياى وتوبيخك لى فى إحسانك إلىّ، ومقابلة نعمتك بالمعاصى وأنت مطلع على فعالى؛ سيدى إلى من أهرب إلا إليك، وإلى من ألتجىء وعلى من أعتمد إلا عليك؟ سيدى إنى لا أستأهل أن أسألك الجنة، بل أسألك الجنة، بل أسألك بجودك وكرمك وفضلك أن تغفر لى وترحمنى فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة، وأنشدوا فى هذا المعنى:

**عصيتك جاهلا يا ذا المعالى ... ففرّج ما ترى من سوء حالى**

**إلى من يرجع المملوك إلا ... إلى مولاه يا مولى الموالى**

وقد ألحقت هذين البيتين بثالث فقلت:

**فإنك أهل مغفرة وعفو ... وثواب ومفضال النوال**

(**الحكاية الثامنة عشرة عن ابن هارون الرشيد**) حكى أنه كان لهارون الرشيد ولد قد بلغ من العمر ست عشرة سنة، وكان قد وافق الزهاد والعباد، وكان يخرج إلى المقابر ويقول: قد كنتم قبلنا وقد كنتم تملكون الدنيا، فما أراها منجيتكم وقد صرتم إلى قبوركم، فيا ليت شعرى ما قلتم وما قيل لكم؟ ويبكى بكاء شديدا، وكان رضى الله تعالى عنه ينشد:

**تروّعنى الجنائز كل يوم ... ويحزننى بكاء النائحات**

فلما كان فى بعض الأيام مرّ على أبيه وحوله وزراؤه وكبار دولته وأهل مملكته، وعليه جبة صوف وعلى رأسه مئزر صوف، فقال بعضهم لبعض: لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك، فلو عاتبه لعله يرجع عما هو عليه، قال فكلمه فى ذلك وقال: يا بنىّ لقد فضحتنى بما أنت عليه، فنظر إليه ولم يجبه، ثم نظر إلى طائر وهو على شرافة من شراريف القصر، فقال أيها الطائر، بحق الذى خلقك إلا جئت على يدىّ، فانقضّ الطائر على كفّ الغلام، ثم قال له: ارجع إلى موضعك، فرجع إلى موضعه، فقال بحقّ من خلقك إلا ما سقطت فى كفّ أمير المؤمنين، فما نزل، فقال له الغلام: أنت الذى فضحتنى بحبك الدنيا، وقد عزمت على مفارقتك، ففارقه ولم يتزود منه بشىء إلا مصحف كريم وخاتم، وانحدر إلى البصرة، وكان يعمل مع الفعلة فى الطين، وكان لا يعمل إلا يوم السبت بدرهم ودانق يتقوّت فى كل يوم دانقا؛ قال أبو عامر البصرى: وقد كان وقع فى جدارى حائط، فخرجت أطلب من يعمل لى فى الحائط، إذ رأيت غلاما لم أر أحسن منه وجها وبين يديه زنبيل وهو يقرأ فى مصحف، فقلت له يا غلام أتعمل؟ قال ولم لا أعمل وللعمل خلقت؟ ولكن أخبرنى فى أى الأعمال تستعملنى؟ فقلت فى الطين، فقال بدرهم ودانق

وأصلى صلاتى فقلت لك ذلك، ثم مضيت به إلى العمل وتركته يعمل؛ فلما كان المغرب جئته فوجدته قد عمل عمل عشرة رجال، فوزنت له درهمين، فقال يا أبا عامر ما أصنع بهذا؟ وأبى أن يقبل، فوزنت له درهما ودانقا؛ فلما كان الغد خرجت إلى السوق فى طلبه فلم أجده، فسألت عنه، فقيل لى إنه لا يعمل إلا يوم السبت ولا تراه إلا يوم السبت الثانى، فأخرت العمل إلى السبت الثانى، ثم أتيت السوق فإذا هو على تلك الحال، فسلمت عليه ثم عرضت عليه العمل، فقال كمقالته الأولى، فمضيت به إلى العمل، فوقفت أنظر إليه من بعيد وهو لا يرانى، فأخذ كفا من الطين وتركه على الحائط وإذا الحجارة يتركب بعضها على بعض، فقلت: هكذا أولياء الله تعالى معانون؛ فلما أراد أن ينصرف وزنت له ثلاثة دراهم فأبى أن يقبل إلا درهما ودانقا، فوزنت له ذلك؛ فلما كان السبت الثالث جئت إلى السوق فلم أره، فسألت عنه، فقيل لى: له ثلاثة أيام وجع فى خرابة يعالج سكرات الموت، فوهبت أجرة لمن يدلنى عليه، ومشينا حتى وقفنا عليه، فى خراب بلا باب، وإذا هو مغشىّ عليه، فسلمت عليه وإذا تحت رأسه نصف لبنة وهو فى حال الموت، فسلمت عليه ثانية فعرفنى، فأخذت رأسه وجعلتها فى حجرى، فمنعنى من ذلك وأنشأ يقول:

يا صاحبى لا تغترر بتنعم فالعمر ينفد والنعيم يزول وإذا علمت بحال قوم مرّة

فاعلم بأنك عنهم مسئول وإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول

ثم قال: يا أبا عامر إذا فارقت روحى جسدى، فغسلنى وكفنى فى جبتى هذه، فقلت يا حبيبى ولم لا أكفنك فى ثياب جديدة، فقال لى الحىّ أحوج إلى الجديد من الميت، الثياب تبلى والعمل يبقى، وخذ زنبيلى ومئزرى فادفعهما للحفار، وخذ هذا المصحف والخاتم وامْض بهما إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد، ولا تدفعهما إلا من يدك إلى يده وقل له: يا أمير المؤمنين معى وديعة من غلام غريب وهو يقول لك: لا تموتنّ على غفلتك هذه أو قال على غرتك هذه، ثم خرجت روحه رَحِمَهُ اللهُ، فعلمت أنه ولد الخليفة وعملت بجميع ما أوصانى به، وأخذت المصحف والخاتم ودخلت بغداد، وقصدت قصر الخليفة هارون الرشيد، ووقفت على موضع مشرف؛ فخرج موكب عظيم فيه تقدير ألف

فارس، ثم تبعه عشرة مواكب فى كلّ موكب ألف فارس، وخرج أمير المؤمنين فى الموكب العاشر، فناديت بقرابتك من رسول الله ﷺ يا أمير المؤمنين إلا ما وقفت لى قليلا، فلما رآنى قلت: يا أمير المؤمنين معى وديعة من غلام غريب، ثم دفعت إليه المصحف والخاتم وقلت له: هذا ما أوصانى به، فنكس رأسه وأسبل دمعته وأوصى علىّ بعض الحجاب وقال ليكن هذا عندك إلى أن أسألك عنه؛ فلما رجع هو وأصحابه أمر بالستور فرفعت، ثم قال للحاجب هات الرجل وإن كان يجدّد علىّ أحزانى، فقال لى الحاجب: يا أبا عامر إن أمير المؤمنين محزون مهموم، فإذا أردت أن تكلمه عشر كلمات فاجعلها خمسا، فقلت نعم ودخلت عليه فإذا مجلسه خال، فلما رآنى قال: ادن منى، يا أبا عامر، فدنوت منه، فقال: أتعرف ولدى؟ قلت نعم قال فى أى شىء كان يعمل؟ قلت فى الطين والحجارة، قال استعملته أنت؟ قلت نعم، فقال استعملته وله اتصال برسول الله ﷺ؟ فقلت المعذرة لله تعالى ثم إليك يا أمير المؤمنين، فإنى ما علمت من هو إلا عند وفاته، قال أنت غسلته بيدك؟ قلت نعم، قال هات يدك، فأخذها ووضعها على صدره وهو يقول: بأبى كيف كفنت العزيز الغريب؟ ثم أنشأ يقول:

يا غريبا عليه قلبى يذوب ولعينى عليه دمع سكوب يا بعيد المكان حزنى قريب
كدر الموت كل عيش يطيب كان بدرا على قضيب لجين فهوى البدر فى الثرى والقضيب

قال ثم تجهز وخرج إلى البصرة وأنا معه حتى انتهى إلى القبر، فلما رآه غشى عليه، فلما أفاق أنشد هذه الأبيات:

يا غائبا لا يئوب من سفره عاجله موته على صغره
يا قرة العين كنت لى أنسا فى طول ليلى نعم وفى قصره
شربت كأسا أبوك شاربها لابد من شربها على كبره
أشربها والأنام كلهم من كان من بدوه ومن حضره
فالحمد لله لا شريك له قد كان هذا القضاء من قدره

قال أبو عامر: فلما كان تلك الليلة، قضيت وردى واضجعت، وإذا بقبة من نور عليها سحاب من نور، وإذا قد كشف السحاب فإذا الغلام ينادى: يا أبا

عامر جزاك الله عنى خيرا، فقلت يا ولدى إلى ماذا صرت؟ قال إلى ربٍّ كريم راض غير غضبان؛ أعطاني مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وآلى على نفسه أن لا يخرجَ عبد من الدنيا مثل خروجي إلا أكرمه مثل كرامتي، فاستيقظت فرحا به وبما قال لى، وبشرنى به رضى الله تعالى عنه. قلت: حكيت هذه الحكاية على غير هذه الصفة من طريق آخر، قال الراوى: سئل هارون الرشيد عنه فقال: إنه ولد لى قبل أن أبتلى بالخلافة، فنشأ نشئا حسنا، وتعلم القرآن والعلم؛ فلما وليت الخلافة تركنى ولم ينل من دنياى شيئا، فدفعت إلى أمه هذا الخاتم وهو ياقوت يساوى مالا كثيرا، وقلت لها تدفعين هذا إليه؟ وكان برّا بأمه رحمة الله تعالى عليه.

**(الحكاية التاسعة عشرة: عن عبد الله بن مهران رحمه الله تعالى)** قال: حج هارون فوافى الكوفة فأقام بها أياما، ثم ضرب بالرحيل، فخرج الناس وخرج بهلول المجنون رضى الله تعالى عنه فيمن خرج، فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به، إذ أقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به، فلما جاء هارون نادى البهلول بأعلى صوته: يا أمير المؤمنين، يا أمير المؤمنين؛ فكشف هارون السجاف بيده وقال لبيك يا بهلول لبيك يا بهلول، فقال يا أمير المؤمنين، حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامرى قال: «رأيت النبى ﷺ بمنى على جمل وتحته رحل رثّ، فلم يكن ضرب ولا طرد ولا إليك إليك، وتواضعك فى سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك، فبكى هارون حتى سقطت الدموع على الأرض ثم قال: يا بهلول زدنا يرحمك الله تعالى، فقال:

**هب أنك قد ملكت الأرض طرّا ودان لك العباد فكان ماذا؟**

**أليس غدا مصيرك جوف قبر ويحثو الترب هذا ثم هذا؟**

فبكى هارون ثم قال أحسنت يا بهلول، هل غيره؟ قال نعم يا أمير المؤمنين، رجل آتاه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله وعفّ فى جماله كتب فى خالص ديوان الله تعالى من الأبرار، فقال أحسنت يا بهلول مع الجائزة، فقال اردد الجائزة على من أخذتها منه فلا حاجة لى فيها، قال يا بهلول إن يكن

عليك دين قضيناه فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى دين بدين، اردد الحق إلى أهله،واقض دين نفسك من نفسك، فقال يا بهلول فنجرى عليك ما يكفيك، فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال: يا أمير المؤمنين: أنا وأنت من عباد الله تعالى فمحال أن يذكرك وينسانى. فأسبل هارون السجاف ومضى.

**(الحكاية العشرون)** حكى أنه لما خرج هارون الرشيد حاجا إلى مكة، فرش له من جوف العراق إلى الحرم لبود مرعزى، وكان حلف أن لا يحج إلا راجلا، فاستند يوما إلى ميل وقد تعب، وإذا بسعدون المجنون قد عارضه وهو يقول:

**هب الدنيا تواتيكا ... أليس الموت يأتيكا ... فما تصنع بالدنيا**

**وظل الميل يكفيك ... ألا يا طالب الدنيا ... دع الدنيا لشانيكا**

**كما أضحكك الدهر ... كذاك الدهر يبكيكا**

قال فشهق هارون الرشيد شهقة خرّ مغشيا عليه حتى فاتته ثلاث صلوات، فلما أفاق طلبه فلم يقع له على أثر وبقى متلهفا عليه. ويروى أن هارون قال فى حجته هذا الكلام: الركوب على الخنافس ولا المشى على الطنافس.

**(الحكاية الحادية والعشرون: عن محمد بن الصباح رحمه الله تعالى)** قال: خرجنا نستسقى بالبصرة، فلما أصحرنا إذا نحن بسعدون المجنون قاعدا على الطريق، فلما رآنى قام وقال لى: أين؟ قلت نستسقى، قال بقلوب سماوية: أم بقلوب خاوية: قلت سماوية، قال فاجلسوا ههنا واستسقوا، فجلسنا حتى ارتفع النهار وما تزداد السماء إلا صحوا ولا الشمس إلا حرّا فنظر إلينا وقال: يا بطالون لو كانت قلوبكم سماوية لسقيتم، ثم توضأ وصلى ركعتين ولحظ إلى السماء بطرفه فتكلم بكلام لم أفهمه، فوالله ما استتم كلامه حتى رعدت السماء وأبرقت وأمطرت مطرا جيدا، فسألناه عن الكلام الذى تكلم به فقال: إليكم عنى، إنما هى قلوب حنت فرنت فعاينت فعلمت وعملت وعلى ربها توكلت، ثم أنشأ يقول:

**اعرض عن الهجران والتمادى ... وارحل لمولى منعم جواد**

**ما العيش إلا فى جوار قوم ... قد شربوا من صافى الوداد**

**(الحكاية الثانية والعشرون: عن مالك بن دينار رضي الله عنه)** قال دخلت جبانة البصرة فإذا أنا بسعدون المجنون رضي الله عنه، فقلت له كيف حالك وكيف أنت؟ فقال يا مالك كيف يكون حال من أصبح وأمسى يريد سفرا بعيدا بلا أهبة ولا زاد، ويقدم على ربّ عدل حاكم بين العباد، ثم بكى بكاء شديدا، فقلت ما يبكيك؟ فقال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت والبلاء، ولكن بكيت ليوم مضى من عمرى لم يحسن فيه عملى، أبكانى والله قلة الزاد وبعد المفازة والعقبة الكئود، ولا أدرى بعد ذلك أصير إلى الجنة أم إلى النار؟ فسمعت منه كلام حكمة فقلت: إن الناس يزعمون أنك مجنون، فقال وأنت اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا، زعم الناس أنى مجنون وما بى جنة، ولكن حبّ مولاى قد خالط قلبى وأحشائى، وجرى بين لحمى ودمى وعظامى، فأنا والله من حبه هائم مشغوف، فقلت يا سعدون فلم لا تجالس الناس وتخالطهم؟ فأنشأ يقول:

**وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقى ... أفتش عن هذا الورى ثم أكشف**

**فما إن عرفت الناس إلا ذممتهم ... جزى الله خيرا كل من لست أعرف**

**فما كل من تهوى يحبك قلبه ... ولا كل من تحبب يكن لك منصف**

**وما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التى كنت تألف**

**(الحكاية الثالثة والعشرون: عن ذى النون المصرى رضي الله عنه)** قال بينما أنا أطوف وقد هدأت العيون ببيت الله الحرام إذ أنا بشخص قد حاذى البيت وهو يقول رب عبدك المسكين الطريد الشريد من بين يديك، أسألك من الأمور أقربها ومن الطاعات أحبها، وأسألك بأصفيائك من خلقك الكرام من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إلا سقيتنى بكأس محبتك، وكشفت عن قلبى أغطية جهل معرفتك، حتى أرقى بأجنحة الشوق إليك، فأناجيك فى أركان الحق بين رياض العرفان. ثم بكى حتى سمعت وقع دموعه على الحصى ثم ضحك وانصرف، فتبعته وقلت فى نفسى: هذا إما عارف وإما مجنون، فخرج من المسجد وأخذ نحو خراب مكة ثم التفت إلىّ وقال: مالك ارجع أمامك، فقلت ما اسمك يرحمك الله؟ قال عبد الله. قلت ابن من؟ قال ابن عبدالله، قلت قد علمت أن الخلق كلهم عبيد الله وبنو عبيده، فما اسمك؟ قال سمانى أبى

سعدون، قلت المعروف بالمجنون؟ قال نعم، قلت فمن القوم الذين سألت الله تعالى بهم وبحرمتهم؟ قال أولئك قوم ساروا إلى الله تعالى سيرا من نصب المحبة بين عينيه وتجردوا تجرد من أخذت الزبانية بقلبه ثم التفت إلىّ وقال: يا ذا النون، قلت نعم، قال بلغنى أنك تقول قل شيئا أسمع من أسباب المعرفة، قلت أنت الذى يقتبس من علمك؟ فقال حق السائل الجواب، ثم أنشأ يقول:

**قلوب العارفين تحن حتى تحل بقربه فى كل راح**

**صفت فى ود مولاها فليست لها عن ودّ مولاها براح**

(**الحكاية الرابعة والعشرون عن سعدون**) قيل كان سعدون المجنون رضى الله تعالى عنه يدور فى شوارع البصرة ويقف على كل دار مر بها ويقرأ (**يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم**) ويبكى وينشد:

**فلو لم يكن شىء سوى الموت والبلى وتفريق أعضاء ولحم مبدد**

**لكنت حقيقا يا ابن آدم بالبكا على نائبات الدهر مع كل مسعد**

وكان إذا اشتد به الجوع أنشد:

**إلهى أنت قد آليت حقا بأنك لا تضيع من خلقتا**

**وأنك ضامن للرزق حتى تؤدى ما ضمنت كما قسمتا**

**وإنى واثق بك يا إلهى ولكنّ القلوب كما علمتا**

وكان عليه جبة صوف مكتوب على كمها الأيمن سطر:

**عصيت مولاك يا سعيد ما هكذا تفعل العبيد**

وعلى الكم الأيسر مكتوب سطران:

**تبا لمن قوته رغيف يأتى به السيد اللطيف**

**يعصى إلها له جلال وهو به راحم رءوف**

ومن خلفه سطران:

**كل يوم يمر يأخذ بعضى يذهب الأطيبين شىء ويمضى**

**نفس كفى عن المعاصى وتوبى ما المعاصى على العباد بفرض**

ومن بين يديه سطران:

**أيهـــا الشـــامخ الذى لا يرام ... نحن من طينة عليك الســـلام**
**إنما هذه الحيـــاة مـــتـــاع ... ثم مـــوت به تســـاوى الأنام**

وعلى عكازه مكتوب سطران:

**اعمل وأنت بذى الدنيا على وجل ... واعلم بأنك بعد الموت مبعوث**
**واعلم بأنك ما قدمت من عمل ... يحصى عليك وما خلفت موروث**

فقيل له: أنت حكيم لست بمجنون، فقال أنا مجنون الجوارح لست بمجنون القلب، ثم ولى هاربا رضى الله عنه.

**(الحكاية الخامسة والعشرون: عن أبى الجوال المغربى رحمه الله تعالى)**

قال: كنت جالسا مع رجل صالح ببيت المقدس وإذا قد طلع علينا شاب والصبيان حوله يقذفونه بالحجارة ويقولون مجنون، فدخل المسجد وهو ينادى: اللهمّ ارحمنى من هذه الدار، فقلت له هذا كلام حكيم فمن أين لك هذه الحكمة؟ فقال من أخلص له الخدمة أورثه طرائف الحكمة، وأيده بأسباب العصمة وليس بى جنون وزلق بل قلق وفرق، ثم جعل يقول:

**هجرت الورى فى حبّ من جاد بالنعم ... وعفت الكرى شوقا إليه فلم أنم**
**وموّهت ذهنى بالجنون على الورى ... لأكتم ما بى من هواه فما انكتم**
**فلما رأيت الشوق بالحبّ بائحا ... كشفت قناعى ثم قلت نعم نعم**
**فإن قيل مجنون فقد جننى الهوى ... وإن قيل مسقام فما بى من سقم**
**وحق الهوى والحبّ والعهد بيننا ... وحرمة روح الأنس فى حندس الظلم**
**لقد لامنى الواشون فيك جهالة ... فقلت لطرفى افصح العذر فاحتشم**
**فعاتبهم طرفى بغير تكلم ... وأخبرهم أن الهوى يورث السقم**
**فبالحلم يا ذا المنّ لا تبعدنى ... وقرب مزارى منك يا بارئ النسم**

قال فقلت أحسنت لقد غلط من سماك مجنونا فنظر إلىّ وبكى وقال أو لا تسألنى عن القوم كيف وصلوا فاتصلوا؟ قلت بلى أخبرنى، فقال طهروا

الأخلاق، ورضوا منه بيسير الأرزاق، وهاموا من محبته فى الآفاق واتزروا بالصدق وارتدوا بالإشفاق، وباعوا العاجل الفانى بالآجل الباقى، وركبوا فى ميدان السباق وشمروا تشمير الجهابذة الحذاق، حتى اتصلوا بالواحد الرزاق، فشرّدهم فى الشواهق وغيبهم عن الخلائق، لا تؤويهم دار ولا يقرّ بهم قرار، فالنظر إليهم اعتبار ومحبتهم افتخار، وهم صفوة أبرار ورهبان أحبار، ومدحهم الجبار ووصفهم النبى المختار، إن حضروا لم يُعرفوا، وإن غابوا لم يفقدوا وإن ماتوا لم يشهدوا، ثم أنشأ يقول:

| | |
|---|---|
| **كن مع جميع الخلق مستوحشا** | **مستأنسا بالواحد الحق** |
| **واصبر فبالصبر تنال المنى** | **وارض بما يجرى من الرزق** |
| **واحذر من النطق وآفاته** | **فآفة المؤمن فى النطق** |
| **وجد فى السير وشمر كما** | **شمر أهل السبق للسبق** |
| **أولئك الصفوة ممن سما** | **وخيرة الله من الخلق** |

قال: فأنسيت الدنيا عند حديثه، ثم ولى هاربا وأنا متأسف عليه رحمه الله.

(**الحكاية السادسة والعشرون: عن ابن القصاب الصوفى رحمه الله تعالى**) قال: دخلنا جماعة إلى المارستان، فرأينا فيه فتى مصابا شديد الهوس، فولعنا به وزدنا فى الولع فاتبعناه، فصاح وقال: انظروا إلى ثياب مطرزة وأجساد معطرة، قد جعلوا الولع بضاعة والسخف صناعة، وجانبوا العلم رأسا، ليسوا من الناس ناسا، فقلنا له أفتحسن العلم فنسألك؟ فقال إى والله إنى لأحسن علما جما فاسألون، فقلنا من السخىّ فى الحقيقة؟ فقال الذى رزق أمثالكم وأنتم لا تساوون قوت يوم، فضحكنا وقلنا: من أقلّ الناس شكرا؟ فقال من عوفى من بلية ثم رآها فى غيره، فترك العبرة والشكر واشتغل بالبطالة واللهو، قال فكسر قلوبنا، وسألناه عن بعض الخصال المحمودة فقال: خلاف ما أنتم عليه، ثم بكى وقال: ياربّ إن لم تردّ علىّ عقلى فردّ علىّ يدى لعلى أصفع كل واحد من هؤلاء صفعة، فتركناه وانصرفنا.

(**الحكاية السابعة والعشرون: عن عبد الواحد بن زيد رضى الله تعالى عنه**) قال: سألت الله عزّ وجلّ ثلاث ليال أن يرينى رفيقى فى الجنة، فقيل لى

يا عبد الواحد رفيقك فى الجنة ميمونة السوداء، فقلت وأين هى؟ فقيل لى فى بنى فلان بالكوفة فخرجت إلى الكوفة وسألت عنها، فقالوا هى مجنونة ترعى غنيمات، فقلت أريد أن أراها فقالوا اخرج إلى الجبانة فخرجت فإذا هى قائمة تصلى وإذا بين أيديها عكاز وعليها جبة صوف مكتوب عليها: لا تباع ولا تشترى، وإذا الغنم مع الذئاب فلا الذئاب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف من الذئاب، فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها ثم قالت: ارجع يا ابن زيد فليس الموعد ههنا إنما الموعد غدا، فقلت يرحمك الله من أعلمك أنى ابن زيد؟ فقالت أما علمت أن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؟ فقلت لها عظينى، فقالت واعجبا لواعظ يوعظ، إنه بلغنى ما من عبد أعطى من الدنيا شيئا فابتغى إليه ثانيا إلا سلبه الله حبّ الخلوة معه وبدّله بعد القرب بعدا وبعد الأنس وحشة، ثم أنشأت تقول:

**يا واعظا قام لاحتساب ... تزجر قوما عن الذنوب**
**تنهى وأنت السقيم حقا ... هذا من المنكر العجيب**
**لو كنت أصلحت قبل هذا ... عيبك أو تبت من قريب**
**كان لما قلت يا حبيبى ... موقع صدق من القلوب**
**تنهى عن الغىّ والتمادى ... وأنت فى النهى كالمريب**

فقلت لها: إنى أرى هذه الذئاب مع الغنم، فلا الغنم تفزع من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم، فلأىّ شىء هذا؟ فقالت إليك عنى، فإنى أصلحت ما بينى وبين سيدى، فأصلح ما بين الذئاب والغنم. رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها آمين.

**(الحكاية الثامنة والعشرون: عن أبى الربيع)** قال: بتّ أنا ومحمد بن المنكدر وثابت البنانى عند ريحانة المجنونة رضى الله تعالى عنها وعنهم أجمعين، قال فقامت أول الليل وهى تقول:

**قام المحبّ إلى المؤمل قومة ... كاد الفؤاد من السرور يطير**

فلما كان جوف الليل سمعنا هاتفا يقول:

**لا تأنس بمن توحشك نظرته ... فتمنعن من التذكار فى الظلم**
**واجهد وكدّ وكن فى الليل ذا شجن ... يسقيك كأس وداد العزّ والكرم**

فلما ذهب الليل نادت: واحزناه! واسلباه، فقلت مم ذا؟ فقالت:

**ذهب الظلام بأنسه وبإلفه ليت الظلام بأنسه يتجدّد**

(**الحكاية التاسعة والعشرون: عن عتبة الغلام رضى الله تعالى عنه**) قال: خرجت من البصرة فإذا أنا بخباء أعراب قد زرعوا زرعا، وإذا بخيمة مضروبة، وإذا فى الخيمة جارية مجنونة عليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشترى فدنوت منها فسلمت عليها فلم تردّ على السلام ثم سمعتها تقول:

**أفلح الزاهدون والعابدونا إذا لمولاهم أجاعوا البطونا**

**أسهروا الأعين القريحة فيه فمضى ليلهم وهم شاهدونا**

**حيرتهم محبة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا**

**هم البباء ذوو عقول ولكن قد شجاهم جميع ما يعرفونا**

قال: فدنوت إليها فقلت: لمن الزرع؟ فقالت لنا إن سلم، فتركتها وأتيت بعض الأخبية، فأرخت السماء مطرا كأفواه القرب، فقلت والله لآتينها وأنظر قصتها فى هذا المطر، فإذا بالزرع قد غرق وإذا هى قائمة وهى تقول: والذى أودع قلبى من صروف صفاء مودّة محبتك إن قلبى ليوقنّ منك بالرضا، ثم التفتت إلىّ وقالت: يا هذا إنه الذى زرعه فأنبته، وأقامه فسنبله، وركبه فشققه، وأرسل عليه غيثا فسقاه، واطلع عليه فحفظه، فلما دنا حصاده أهلكه؛ ثم رفعت رأسها نحو السماء وقالت: كلّ العباد عبادك وأرزاقهم عليك فاصنع ما شئت، فقلت لها: كيف صبرك؟ فقالت اسكت يا عتبة إن إلهى لغنىّ حميد، فى كلّ يوم منه رزق جديد، الحمد لله الذى لم يزل يفعل بى أكثر مما أريد، قال عتبة: فوالله ما ذكرت كلامها إلا هيجنى وأبكانى.

(**الحكاية الثلاثون: عن ذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه**) قال: وصف لى رجل من أهل المعرفة فى جبل لكام، فقصدته فسمعته يقول بصوت حزين فى بكاء وأنين:

**ياذا الذى أنس الفؤاد بذكره أنت الذى ما إن سواك أريد**

**تفنى الليالى والزمان بأسره وهواك غضّ فى الفؤاد جديد**

قال ذو النون فتبعت الصوت فإذا بفتى حسن الوجه حسن الصوت، وقد ذهبت تلك المحاسن وبقيت رسومها، نحيل قد اصفر واحترق، وهو يشبه الوله الحيران، فسلمت عليه، فردّ على السلام وبقى شاخصا يقول:

**أعميت عينى عن الدنيا وزينتها — فأنت والروح منى غير مفترق**

**إذا ذكرتك وافى مقلتى أرق — من أول الليل حتى مطلع الفلق**

**وما تطابقت الأحداق عن سنة — إلا رأيتك بين الجفن والحدق**

ثم قال: يا ذا النون مالك وطلب المجانين قلت: أو مجنون أنت؟ قال قد سمعت به. قلت مسئلة، قال سل، قلت أخبرنى ما الذى حبب إليك الانفراد وقطعك عن المؤانسين وهيمك فى الأودية والجبال؟ فقال حبى له هيمنى، وشوقى إليه هيجنى، ووجدى به أفردنى، ثم قال: يا ذا النون أعجبك كلام المجانين؟ قلت إى والله وأشجانى، ثم غاب عنى فلا أدرى أين ذهب رَحِمَهُ اللَّهُ.

**(الحكاية الحادية والثلاثون: عن ذى النون المصرى أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ)** قال: بلغنى أن بجبل المقطم جارية متعبدة فأحببت لقاءها، فخرجت إلى المقطم أطلبها فلم أجدها، فلقيت جماعة من المتعبدين فسألتهم عنها، فقالوا أتترك العقلاء وتسأل عن المجانين؟ فقلت دلونى عليها وإن كانت مجنونة، قالوا هى فى الوادى الفلانى، فذهبت إلى الوادى فلما أشرفت عليه سمعت صوتا حزينا وهو يقول:

**ياذا الذى أنس الفؤاد بذكره — أنت الذى ما إن سواك أريد**

قال: فاتبعت الصوت فإذا بجارية جالسة على صخرة عظيمة، فسلمت عليها، فردّت علىّ السلام وقالت: يا ذا النون مالك وللمجانين تطلبهم؟ فقلت لها وأنت مجنونة؟ فقالت لو لم أكن مجنونة لما نودى علىّ بالجنون، فقلت لها ما الذى جننك؟ قالت يا ذا النون، حبه جننى، وشوقه هيمنى، ووجده أقلقنى، لأن الحبّ فى القلب والشوق فى الفؤاد والوجد فى السر، فقلت يا جارية، الفؤاد غير القلب؟ فقالت نعم، الفؤاد نور القلب، والسرّ نور الفؤاد؛ فالقلب يحبّ، والفؤاد يشتاق، والسرّ يجد، قلت وما يجد؟ قالت يجد الحقّ، قلت وكيف

يجد الحقّ؟ قالت يا ذا النون وجدان الحقّ بلا كيف، ثم أنشأت تقول:

**إن كنت بالوجد موجودا فلا وجدت     نفسى وجودك إلا بعد موجودى**

فقلت يا جارية، ما صدق وجدانك للحقّ؟ فبكت بكاء شديدا حتى كادت نفسها تفيض، ثم غشى عليها، فلما أفاقت نادت تقول: أوّاه أوّاه منك، ثم أنشأت تقول:

**فوجدى به وجد بوجد وجوده     ووجد وجود الواجدين لهيب**

**لئن متّ حقا فى محبة سيدى     فإنّ المنايا فى الفؤاد تطيب**

ثم صاحت صيحة وقالت: هكذا يموت الصادقون، وغشى عليها ساعة، فحركتها فإذا هى ميتة، فطلبت شيئا أحفر لها به قبرا، فإذا هى قد غيبت عنى، فلم أجدها رحمة الله عليها.

**(الحكاية الثانية والثلاثون: عن الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه)**

قال: مكثت فى جامع الكوفة ثلاثة أيام، لم أطعم طعاما ولم أشرب شرابا، فلما كان اليوم الرابع هزلنى الجوع، فبينما أنا جالس، إذ دخل علىّ من باب المسجد رجل مجنون وبيده حجر كبير، وفى عنقه غلّ ثقيل، والصبيان من ورائه، فجعل يجول فى المسجد حتى إذا حاذانى جعل يتفرّس فىّ، ففزعت فى نفسى منه، فقلت إلهى وسيدى، أجعتنى وسلطت علىّ من يقتلنى؟ فالتفت إلىّ وقال:

**محلّ نبات الصبر فيك غريزة     فياليت شعرى هل لصبرك آخر**

قال الفضيل: فزال عنى جزعى، وطار عنى هلعى، وقلت: يا سيدى لولا الرجاء لم أصبر، قال: فأين مستقرّ الرجاء منك؟ قلت بحيث مستقرّ هموم العارفين، قال: أحسنت والله يا فضيل، إنها لقلوب الهموم عمرانها، والأحزان أوطانها، عرفته فاستأنست به وارتحلت إليه؛ فعقولهم صحيحة، وقلوبهم غارقة، بالأنوار مشرقة، وأرواحهم بالملكوت الأعلى معلقة، ثم ولى وأنشأ يقول:

**فهام ولىّ الله فى القفر سائحا     وحطت على سير القدوم رواحله**

**فعاد بخير قد جرى فى ضميره     تذوب به أحشاؤه ومفاصله**

قال الفضيل: فوالله لقد بقيت عشرة أيام لم أطعم طعاما، ولم أشرب شرابا وجدا بكلامه، فطوبى لمن استوحش من الخلق، وأنس بالحقّ، وأنشد بعضهم:

**أنست بوحدتى ولزمت بيتى ... فطاب الأنس لى وصفا السرور**

**وأدّبنى الزمان فلا أبالى ... هُجرت فلا أزار ولا أزور**

**ولست بسائل ما عشت يوما ... أسار الجند أم ركبَ الأمير**

وأنشد آخر:

**كفانى من اللذّات أن لا يروعنى ... وزير ولا يسطو علىّ أمير**

**(الحكاية الثالثة والثلاثون: عن الشبلى رضى الله تعالى عنه)** قال: مرّ بى بهلول المجنون فى بعض الأيام وهو خارج إلى الجبانة، ومعه قصبة قد جعلها فرسه، وبيده مقرعة وهو يعدو، فقلت: إلى أين يا بهلول، فقال: إلى العرض على الله عزّ وجلّ، قال فجلست حتى رجع وقد انكسرت القصبة، واحمرّت عيناه من البكاء، فقلت له: ما كان منك؟ قال: وقفت بين يديه على أن يكتبنى من الخدّام فلما عرفنى طردنى، قلت: هذا القول من بهلول قول عارف محبّ مقبول، صدر من قلب حزين بالخوف مشغول ـ وفى معنى العرض والردّ والقبول أسرت فى هذه العشرة الأبيات أقول:

**عرضنا على المولى ونحن عبيد ... فمنا شقىّ ردّه وسعيد**

**فمن كان منا ليس يصلح خادما ... فمن بابه بالطرد ذاك بعيد**

**ومن كان يصلح فهو فى قدس حضرة ... قريب ومقبول هناك حميد**

**حبيب له جاه عريض ورفعة ... ومجد على مرّ الجديد جديد**

**أولئك خدّام كرام وسادة ... ونحن عبيد السوء بئس عبيد**

**فيا أسفنا يوم التغابن عندما ... يقابلهم وعد ونحن وعيد**

**ترى الناس إلا هم سكارى وما هم ... سكارى ولكنّ العذاب شديد**

**تحيط بنا الأهوال من كل جانب ... إلى أن كانا بالعقار نميد**

**وهم ركبوا نجبا من النور فى الهوا ... تطير إلى الربّ الكريم وفود**

**ولا فزع يحزنهم بل بقربه ... لهم فرح يحلو هناك وعيد**

قيل: مثل الصالحين وما زينهم الله به دون غيرهم، مثل جند قال لهم الملك تزينوا للعرض عليّ غدا ، فمن كانت زينته أحسن كانت منزلته عندى أرفع، ثم يرسل الملك فى السر بزينة من عنده، ليس عند الجند مثلها، إلى خواصِّ مملكته وأهل محبته، فإذا تزينوا بزينة الملك فخروا على سائر الجند عند العرض على الملك، فهذا مثل من وفقهم الله للأعمال الصالحات.

**(الحكاية الرابعة والثلاثون عن السرى السقطى)** قال السرّى السقطىّ رضى الله تعالى عنه: خرجت يوما إلى المقابر، فإذا ببهلول المجنون، فقلت له: أىّ شىء تصنع ههنا؟ قال: أجالس قوما لا يؤذوننى وإن غبت لا يغتابوننى، فقلت له ألا تكون جائعا؟ فولى عنى وأنشأ يقول:

**تجوع فإن الجوع من علم التقى ... وإن طويل الجوع يوما سيشبع**

وقيل لآخر من عقلاء المجانين، وقد أقبل من بعض المقابر: من أين جئت؟ فقال: من عند هذه القافلة النازلة، قيل له: ماذا قلت لهم وماذا قالوا لك؟ قال: قلت لهم: متى ترحلون؟ فقالوا حين تقدمون - وقيل لآخر: لم لا تصلى؟ فتكلم بكلام عجيب غريب وأنشد شعرا:

**يقولون زرنا واقض واجب حقنا ... وقد أسقطت حالى حقوقهم عنى**

**إذا هم رأوا حالى ولم يأنفوا لها ... ولم يأنفوا منها أنفت لهم منى**

وأنشد بعضهم شعرا:

**يقولون مجنون ولو علموا بما ... أقاسيه من فرط الجوى بسطوا العذرا**

وسئل بعضهم عن هؤلاء المجانين وما يتكلمون به من الحكمة والمعرفة فقال: إن هؤلاء كان لهم فضل وعقل، فلما أخذ الله عقلهم أبقى عليهم فضلهم.

**(الحكاية الخامسة والثلاثون: عن عطاء رضى الله تعالى عنه)** قال: دخلت سوقا من الأسواق، فإذا أنا بجارية ينادى عليها، فاشتريتها بسبعة دنانير على أنها مجنونة، وجئت بها إلى منزلى، فلما كان الليل وقد مضى بعضه، رأيتها قد توضأت واستقبلت القبلة تصلى، فسمعتها تختنق بالدموع وتقول: إلهى بحبك لى إلا ما رحمتنى، فتحققت جنونها، وقلت يا جارية لا

تقولى هكذا، ولكن قولى بحبى لك، فقالت: إليك عنى يا بطال، فوحقّ حقه لو لم يحبنى ما أنامك وأقامنى، ثم سقطت على وجهها وجعلت تقول:

**الكرب مجتمع والقلب محترق ... والصبر مفترق والدمع مستبق**

**كيف القرار على من لا قرار له ... مما جناه الهوى والشوق والقلق**

**ياربّ إن كان شىء فيه لى فرج ... فامنن علىّ به مادام بى رمق**

ثم نادت بأعلى صوتها: إلهى كانت المعاملة بينى وبينك سرًا، والآن قد علم المخلوقون، فاقبضنى إليك، ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا، رحمة الله عليها.

(**الحكاية السادسة والثلاثون: عن الشبلى رضى الله تعالى عنه**) قال: رأيت مجنونا فى بعض الطرقات والصبيان خلفه يرجمونه بالحجارة وقد أدموا وجهه، وشجوا رأسه، فزجرتهم عنه، فقالوا: يا شيخ دعنا نقتله، فإنه كافر، قلت: ما بدا لكم من كفره؟ قالوا: يزعم أنه يرى ربه ويحادثه، فقلت أمسكوا علىّ قليلا، ثم تقدمت إليه، فوجدته يتحدث ويضحك ويقول فى أثناء ذلك هذا جميل منك، تسلط علىّ هؤلاء الصبيان يفعلون بى هكذا؟ فقلت له: يا أخى هؤلاء الصبيان يقولون عنك شيئا، قال يا شبلى ما يقولون؟ قلت: يقولون إنك تزعم أنك ترى ربك وتحادثه، فصاح صيحة عظيمة، ثم قال: يا شبلى وحقّ من تيمنى بحبه وهيمنى بين بعده وقربه، لو احتجب عنى طرفة عين لتقطعت من ألم البين، ثم ولى عنى مسرعا وهو يقول:

**خيالك فى عينى وذكرك فى فمى ... ومثواك فى قلبى فأين تغيب**

قلت: الصواب فى هذا البيت أن يقال:

**جمالك فى عينى وذكرك فى فمى ... وحبك فى قلبى فأين تغيب**

لأن بعض ألفاظ البيت الذى قاله لا يجوز فى صفات الخالق سبحانه وتعالى.

(**الحكاية السابعة والثلاثون: عن محمد بن محبوب رحمه الله تعالى**) قال: كنت فى شارع المارستان، فإذا بغلام قد غلّ وقيد، فقال لى: يا ابن محبوب: أتراه بعد الغلّ والقيد راضيا عنى، كل ذلك فى حبه، ثم بكى وأنشأ يقول:

من ذنوبى يحقّ لى أن أنوحا ... لم تدع لى الذنوب قلبا صحيحا

أخلقت مهجتى أكفّ المعاصى ... ونعانى المشيب نعيا صريحا

كلما قلت قد برى جرح قلبى ... عاد قلبى من الذنوب جريحا

إنما الفوز والنعيم لعبد ... جاء فى الحشر آمنا مستريحا

**(الحكاية الثامنة والثلاثون: عن علىّ بن عبدان رحمه الله تعالى)** قال: كان عندنا مجنون يجنّ بالنهار، ويفيق بالليل، ويصلى ويناجى ربه إلى الصباح، فقلت له يوما: منذ كم جننت؟ قال منذ عرفت، ثم أنشأ يقول:

أنا الذى ألبسنى سيدى ... لما تقرّبت لباس الوداد

فصرت لا آوى إلى مؤنس ... إلا مالك رازق العباد

قال: فخرجت فإذا أنا به ذاهل العقل، فدخل وقال: (آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) فعلمت أنه جائع، فقدمت إليه طعاما، فأكل ثم شرب، وأنشأ يقول:

عليك اتكالى لا على الناس كلهم ... وأنت بحالى عالم ليس تُعلم

وأقسمت أنى كلما جعت سيدى ... ستفتح لى بابا فأسقى وأطعم

فقلت له: أوصنى بوصية، فأنشأ يقول:

الزم الخوف مع الحزن وتقـ ... ـوى الله تربح واترك الدنيا جميعا

إن تقوى الله أرجح واجتهد فى ... ظلمة الليل إذا ما الليل جنح

واقرع الباب قليلا ... فلعلّ الباب أن ينفتح

* وقيل لبعضهم: علمنى شيئا أنتفع به، فقال: فرّ منهم ولا تأنس بهم، فيتمّ اتصالك، ويقلّ عذابك، فقلت زدنى، قال:

الزم الصدق والتقى ... واترك العجب والريا

واغلب النفس والهوى ... ترزق السؤل والمنى

فقلت: حسبك رضى الله تعالى عنك.

(الحكاية التاسعة والثلاثون: عن ذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه) قال: رأيت فى جبل لبنان فى كهف رجلا أبيض الرأس واللحية، أشعث أغبر نحيفا نحيلا، وهو يصلى، فسلمت عليه بعد ما سلم من الصلاة، فردّ علىّ السلام وقام إلى الصلاة، فما زال راكعا وساجدا حتى صلى العصر، ثم استند إلى حجر، وجعل يسبح الله ولا يكلمنى، فقلت له: رحمك الله، ادع الله عزّ وجلّ لى، فقال: آنسك الله بقربه، فقلت له: زدنى، فقال: يا بنىّ من آنسه الله بقربه أعطاه أربع خصال عزّا من غير عشيرة، وعلما مغير طلب، وغنى من غير مال وأنسا من غير جماعة، ثم شهق شهقة فلم يفق إلا بعد ثلاثة أيام، ثم قام فتوضأ وسألنى: كم فاته من صلاة؟ فأخبرته، فقال:

إن ذكر الحبيب هيج شوقى ثم حبّ الحبيب أذهل عقلى

وقد استوحشت من ملاقاة المخلوقين، وأنست بربّ العالمين، وانصرف عنى بسلام، فقلت له: يرحمك الله، وقفت عليك ثلاثة أيام رجاء الزيادة، وأريد موعظة منك وبكيت، فقال: أحبب مولاك، ولا ترد بحبه بدلا، فالمحبون لله هم تيجان العباد وعلم الزهاد، وهم أصفياء الله وأحباؤه وعباده وأولياؤه، ثم صرخ صرخة وفارق الدنيا، فما كان إلا هنيهة فإذا نحن بجماعة من العباد ينحدرون من الجبل، فتولوه حتى واروه تحت التراب، فسألت ما اسم هذا الشيخ؟ فقالوا شيبان المصاب، رحمه الله تعالى ونفعنا به.

(الحكاية الأربعون: عن ذى النون أيضا رضي الله عنه) قال: بينما أنا جالس فى بعض أودية بيت المقدس، إذ سمعت صوتا يقول: يا ذا الأيادى التى لا تحصى، وياذا الجود والبقاء، متع بصر قلبى فى الجولان فى جبروتك، واجعل همتى متصلة بجود لطفك يا لطيف، وأعذنى من مسالك المتجبرين بجلال بهائك يا رءوف واجعلنى لك فى الحالين خادما يا لطيف، وكن لى يا منوّر قلبى وغاية طلبى فى القصد صاحبا، قال: فطلبت الصوت فإذا هى امرأة كأنها كالعود المحترق، وعليها درع من الصوف وخمار من الشعر، قد أضناها الجهد، وأفناها الكمد، وذوّبها الحبّ، وقتلها الوجد، فقلت: السلام عليك، فقالت وعليك السلام يا ذا النون، فقلت لا إله إلا الله، كيف عرفت اسمى ولم ترينى؟

قالت: كشف لى عن سرّه الحبيب، فرفع عن قلبى حجاب العمى فعرّفنى اسمك، فقلت ارجعى إلى مناجاتك، فقالت أسألك يا ذا النور والبهاء أن تصرف عنى شرّ ما أجد، فقد استوحشت من الحياة، ثم خرّت ميتة، فبقيت متحيرا متفكرا، فأقبلت عجوز كالولهانة، فنظرت إليها، ثم قالت: الحمد لله الذى أكرمها، فسألتها من هى؟ فقالت: أنا زهراء الولهانة، وهذه ابنتى، توهم الناس منذ عشرين سنة أنها مجنونة، وإنما قتلها الشوق إلى ربها عزّ وجلّ، رضى الله تعالى عنها.

وأنشد بعضهم:

**قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... مـا لذّة العـيش إلا للمـجـانين**

**(الحكاية الحادية والأربعون: عن الشيخ أبى عبد الله الإسكندرانى رضي الله عنه)**

قال: كنت بجبل لكام أسيح راجيا رؤية الرجال أو النساء من القوم الصالحين، فجمع الله لى مرادى، فأوّل من لقيت امرأة، وقد سمعتنى أنشد هذه الأبيات:

**يا جيرة الحىّ من شرقى ذى سلم ... هل عودة لليالينا على العلم**

**أيام شملى بكم يا سلم مجتمع ... وحبل ودّى لديكم غير منصرم**

**ناشدتك الله إن جزت العقيق ضحى ... فاقر السلام عليهم غير محتشم**

**وقل تركت صريعا فى دياركم ... ميتا كحىّ بغير السقم ذا سقم**

قال: فلما رأيتها قلت فى نفسى: لو كان اجتماعى برجل كان أحسن من امرأة، فقالت: يا أبا عبد الله ما رأيت أعجب من حالك! أيريد الاجتماع بالرجال من لم يصل إلى مقامات النساء؟ فقلت ما أكثر دعواك، فقالت تحرم الدعاوى بغير بينة، فقلت فما الذى لك من البينة؟ قالت هو لى كما أريد، لأنى له كما يريد، قلت فأريد الساعة سمكا مشويا طريا، قالت هذا من نزول مقامك وافتجاعك فى غذائك وطعامك، وهلا سألته أن يهب لك من الشوق جناحا تطير به إليه كطيرانى، ثم طارت وتركتنى، فوالله ما رأيت أمرّ من ذلى، وأحلى من عزّها، فعدوت خلفها وقلت: يا سيدتى بالذى أعطاك ومنعنى، وجاد عليك

وخذلني، جودي عليّ بدعوة، فقالت أنت لا تريد إلا دعوة الرجال، ثم أنشدت:

**ما الجزع وما الغضا وما نعمان ... لولاك ومـا طويلع والبـان**

**ما ينفعني العقيق والسكان ... إن لم أركم بالحمى سكان**

فقلت لها: إن لم يكن الدعاء، فزوّديني منك بنظرة، وقلت:

**قفي زوّديني نظرة من جمالك ... وإلا دعيني سائرا مع جمالك**

**وقولي لحادي العيس هذا أسيرنا ... ترفق بصبّ واله متهالك**

**وجودي على المشتاق يوما بنظرة ... وفاء له إن الوفاء من فعالك**

فقالت: إن الذي أنا فيه من الخطر، أولى من اشتغالك بالنظر، قلت والدعاء لابدّ منه، قالت: في غداتك تلقى السيد الداعي، والمولى المجيب الواعي، والمليح المقبول في المساعي، ثم مرّت ولحلو العيش أمرت، وغابت عني وما غابت، بل بسهام حالها رمت قلبي فأصابت، ثم بتّ ليلتي ببليتي، وقد بلبلت بشرف بالها بلبالي، وقطعت لما قطعت بسيف حبها أوصالي؛ فلما كان من الغد، إذا أنا برجل يزحف وعليه آثار المآثر، وبه من الحبّ ثائر، فقلت: إن كان الرجل المشار إليه كما ذكرت فهو هذا، فأقبل بإقباله وقبوله عليّ، وقال نعم هو هو، قلت: يا سيدي فلعلّ إرفادي بدعوة يكون لي بها عند الحبيب حظوة، فقال: يا أبا عبد الله فاتك دعاء من ليس لها دعوى، أما كان عندك من بصر البصيرة ما تعرف به ريحانة الكوفية، ولكن يا أبا عبد الله، ما أقدر أن أدعو لك حتى تصل إلى مقام مجانيننا، وفي غد تراهم وتؤمن بما من الوجد اعتراهم، ثم غاب عني فلم أره، فأدركني من الوجد مالا أعبر عنه، ولا أقدر على فراغي منه، ثم أنشد لسان حالي:

**أنا شيخ الهوى بزاوية الحبّ ... ومن يدّعي الغرام مريدي**

**والذي مات بالغرام شهيدا ... ذاك في شرعة الهوى من شهودي**

**وفقيه مدرس سنن العشـ ... ـق فمن ذا الذي يكون معيدي**

**وإذا ما ادّعى المحبة قوم ... دع دعاويهم فهم من عبيدي**

| | |
|---|---|
| **يا أهيل الهـوى إلىّ هلمـوا** | **أنا سلطانكم وأنتم جنودى** |
| **قلت للقلب قد ملئت غراما** | **فأجاب الفؤاد هل من مزيد** |
| **سكرة الحبّ أين منها خلاصى** | **ليس عن سكرة الهوى من محيد** |
| **وإذا أنكر العذول غرامى** | **فالهوى سائقى ودمعى شهودى** |

فلما كان من الغد، إذا بقارئ يقرأ **(وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه)** بصوت رخيم من قلب حزين رحيم، يكاد سامعه يذوب شوقا، ومستحديه يتوله جنونا وعشقا، ومجاريه لا يجاريه سعيا وسبقا: فالمطرود يناديه بحضرة ناديه؛ كم تسعد وأشقى، فقلت: وقد استعبدنى بحسن صوته رقا، بالذى جاد بنعمة النغمة حقا، ارفق بقلب شقه خوف الفراق شقا، وجعله على لبة أطيار العشق عنقا، وصيره صريعا على مصارع أبواب أرباب الوصل والوصول ملقى، قال: فبرز لى رجل قد خنقه الحبّ خنقا، وقال: ما تريد بالمجنون الذى دمعه لا يرقا، وجنونه لا يداوى ولا يرقى، وعمره فى الطريق ينادى الحريق، فما يرى نحو الغريق سحابا ولا برقا، ولكن قد أحالوك على فى الدعاء بنسبة الجنون بيننا وفقا، فعليك بجناب المجانين وانشق من حبهم نشقا، والزم سنة سيدنا محمد ﷺ تدوم وتبقى، واحذر أن تخرج عنها فتسمع منه وقد غضب سحقا سحقا، فقلت: أوصنى، فقال: ارحم نفسك من الذنوب فانها ضعيفة، وارفق بها رفقا، وإياك ودنياك، فانها تجعل أعالى أبنائها ببحرها غرقى، وأوساطهم شرقى، وأدناهم حرقى، ومع هذا متعك الله قبولا ووصولا وصدقا، وجعلك من قوم رضى الله تعالى عنهم، فقال عز من قائل: «أولئك هم المؤمنون حقا» ولا أحرمك لذة النظر، ولاجعلك ممن يقنع بعد العيان بالخبر، ففهمت ما أشار إليه رحمة الله تعالى عليه.

**(الحكاية الثانية والأربعون: عن ذى النون رضى الله تعالى عنه)** قال: بينما أنا أسير فى جبل أنطاكية، إذ أنا بجارية كأنها مجنونة، وعليها جبة صوف، فسلمت عليها فردت على السلام، ثم قالت: ألست ذا النون؟ فقلت: عافاك الله كيف عرفتينى؟ فقالت: عرفتك بمعرفة حب الحبيب، ثم قالت: أريد

أن أسألك عن مسألة، قلت سلى، قال: أى شىء السخاء؟ قلت: البذل والعطاء، قالت: هذا السخاء فى الدنيا، فما السخاء فى الدين؟ قلت: المسارعة إلى طاعة رب العالمين، قالت: فإذا سارعت إلى طاعة المولى فهو أن يطلع على قلبك وأنت لاتريد منه شيئا منذ عشرين سنة فاستحى منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجرة، ولكن أعمل تعظيما لهيبته وعز جلاله، ثم مرت وتركتنى رضى الله تعالى عنها.

**(الحكاية الثالثة والأربعون: عن ذى النون أيضا رضى الله تعالى عنه)** قال: بينما أنا أسير فى تيه بنى إسرائيل، إذ أن بجارية سوداء قد استلبها الوله من حب الرحمن، شاخصة ببصرها نحو السماء، فقلت: السلام عليك يا أختاه، فقالت: وعليك السلام يا ذا النون، فقلت لها من أين عرفتينى يا جارية؟ فقالت: يابطال إن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام، ثم أدارها حول العرش، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فعرفت روحى روحك فى ذلك الجولان، وأنشدت تقول:

**إن القلوب لأجناد مجندة — لله فى الغيب والأهواء تختلف**

**فما تعارف منها فهو مؤتلف — وما تناكر منها فهو مختلف**

قال ذو النون رضى الله تعالى عنه: فقلت إنى لأراك حكيمة، علمينى شيئا مما علمك الله، فقالت: يا أبا الفيض ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كل ما كان لغير الله تعالى ويبقى القلب مصفى ليس فيه غير الرب عز وجل، فحينئذ يقيمك على الباب، ويوليك ولاية ويأمر الخزان لك بالطاعة، فقلت: يا أختاه زيدينى، فقالت: يا أبا الفيض خذ نفسك لنفسك، وأطع الله تعالى إذا خلوت بحبك إذا دعوت، رضى الله تعالى عنها ورحمها.

**(الحكاية الرابعة والأربعون: عن أبى القاسم الجنيد رضي الله عنه)** قال: حججت فى الوحدة، فجاورت بمكة، فكنت إذا جن الليل دخلت الطواف، وإذا بجارية تطوف وتقول:

**أبى الحب أن يخفى وكم قد كتمته — فأصبح عندى قد أناخ وطنبا**

**إذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره — وإن رمت قربا من حبيبى تقربا**

**ويبدو فأفنى ثم أحيا به له — ويسعدنى حتى ألذ وأطربا**

قال: فقلت لها ياجارية، أما تتقين الله فى مثل هذا المكان تتكلمين بهذا الكلام؟ فالتفتت إلى وقالت ياجنيد:

**لولا التقى لم ترنى أهجر طيب الوسن إن التقى شردنى**

**كما ترى عن وطنى أفر من وجدى به فحبه هيمنى**

ثم قالت: ياجنيد، أنت تطوف بالبيت أم برب البيت؟ فقلت: أطوف بالبيت، فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: سبحانك سبحانك، ما أعظم مشيئتك فى خلقك، خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار، ثم أنشأت تقول:

**يطوفون بالأحجار يبغون قربة إليك وهم أقسى قلوبا من الصخر**

**وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم وحلوا محل القرب فى باطن الفكر**

**فلو أخلصوا فى الود غابت صفاتهم وقامت صفات الود للحق بالذكر**

قال الجنيد: فغشى على من قولها، فلما أفقت لم أرها رضى الله تعالى عنها.

**(الحكاية الخامسة والأربعون: عن ذى النون المصرى رضي الله عنه)** قال: لقيت امرأة فى تيه بنى إسرائيل، عليها مدرعة من شعر، وخمار من صوف، وفى كفها عكاز من حديد، فقلت: السلام عليك ورحمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، ما للرجال وخطاب النساء عافاك الله، فقلت: أنا أخوك ذو النون المصرى، فقالت: مرحبا حياك الله بالسلام، قلت: ما تصنعين ههنا؟ قالت: كلما أتيت إلى بلد يعصى فيه الحبيب ضاق على ذلك البلد، فأنا أطلب بقعة طاهرة، أخر عليها ساجدة أناجيه بقلب ذاب من شدة الشوق إلى لقائه، قلت: ما سمعت أحدا يذكر الحبيب أحسن من ذكرك، فأى شىء المحبة؟ فقالت: سبحان الله أنت الحكيم الواعظ وتسألنى عن المحبة؟ أول المحبة يبعث على الكد الدائم، حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفاء جرعهم من محبته لذيذ الكئوس، ثم صرخت وخرت مغشيا عليها، فلما أفاقت رضى الله تعالى عنها قالت:

**أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا**

**فأما الذى هو حب الهوى فذكر شغلت به عن سواكا**

**وأما الذى أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا**

**ولا حمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا**

**(الحكاية السادسة والأربعون عن محمد بن رافع رحمه الله)** قال: أقبلت من بلاد الشام،بينما أنا فى بعض الطريق، رأيت فتى عليه جبة من صوف، وبيده ركوة، فقلت: أين تريد؟ قال: لا أدرى، فقلت: من أين جئت؟ فقال لاأدرى، فظننته موسوسا، فقلت: من خلقك؟ فاصفر لونه حتى كأنه صبغ بالزعفران، ثم قال: خلقنى من لايعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، فقلت: يرحمك الله أنا من إخوانك، وممن يأنس إلى أمثالك، فلا تنقبض منى، فقال: إنى والله أود لو أجاز لى ترك الجماعات حتى أنفرد فى شاهق منيف صعب المرتقى، أو فى غار لعلى أجد قلبى ساعة يسلو عن الدنيا وأهلها، فقلت: وما جنت عليك الدنيا حتى استحقت منك هذا البغض؟ فقال: جناياتها العمى عن جناياتها، فقلت: هل من دواء تعالج به من هذا العمى الذى حجب عنى ما يراد بى؟ فقال: ما أراك تقدر على هذا العلاج فاستعمل من الدواء أيسره، فقلت: صف لى دواء لطيفا، قال: فما داؤك؟ قلت: حب الدنيا، فتبسم وقال: أى داء أعظم من هذا، ولكن اشرب السموم الطرية، والمكاره الصعبة، قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم مُر الصبر الذى لاجزع فيه، والتعب الذى لاراحة فيه، قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم الوحشة التى لاأنس فيها، والفرقة التى لاأجتماع معها، قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم السلو عما تريد، والصبر عما تحب، فان أردت فاستعمل هذا، وإلا فتأخر واحذر الفتن فإنها كقطع الليل المظلم، قلت له: فدلنى على عمل يقربنى إلى الله عز وجل، فقال: يا أخى قد نظرت فى جميع العبادات، فلم أر أرفع، أو قال أنفع من الفرار من الناس، وترك مخالطتهم! ياأخى رأيت القلب عشرة أجزاء، فتسعة مع الناس، وجزء مع الدنيا، فمن قوى على الانفراد حاز تسعة أجزاء من القلب، ثم غاب عنى فلم أره، رضى الله تعالى عنه.

**(الحكاية السابعة والأربعون: عن بعض الصالحين رضى الله تعالى عنهم)** قال: مررت بطبيب وبين يديه جمع من الناس، وهو يصف لهم ما يشربون، فتقدمت إليه فجس بيدى جسا لطيفا وقال لى:

**أرى بك داء ليس يبلغه وصفى ... ولكن بحمد الله يبريك ذو اللطف**

**فصحت من الآلام صيحة مغرم ... صدقت وقد أشهرت جملة ما أخفى**

**فجد لى بوصف فيه برئى من الضنا ... فقد حل مابى من سقامى ومن ضعفى**

قال: فأطرق ساعة ثم قال: خذ عروق الفقر مع ورق الصبر، مع إهليلج التواضع، ثم ألق الجملة فى ظرف اليقين، واجعل عليه ماء الخشية والحياء، وأوقد تحته نار الحزن والشجى، ثم صفه بمنخل المراقبة فى جام الرضا، وامزجه بشراب التوكل، وتناوله بكف الصدق، واشربه بكأس الاستغفار، وتمضمض بعده بماء الورع، واجعل حميتك فى ترك الحرص والطمع، فإنك إن فعلت هذا رجوت لك الشفاء إن شاء الله تعالى. وأنشدوا:

**قل للطبيب إذا ما جئت تسأله ... هل فى علومك مايشفى من الكمد**

**إنى مرضت بأوزارى وفجعتها ... وليس بى ألم أشكوه فى جسدى**

**(الحكاية الثامنة والأربعون عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب)** قيل: مر أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى بعض شوارع البصرة، فإذا هو بحلقة كبيرة والناس حولها يمدون إليها الأعناق ويشخصون إليها بالأحداق، فمضى إليهم لينظر ما سبب اجتماعهم؟ فإذا فيهم شاب حسن الشباب، نقى الثياب، عليه هيبة الوقار وسكينة الأخيار، وهو جالس على كرسى والناس يأتونه بقوارير من الماء، وهو ينظر فى دليل المرضى، ويصف لكل واحد منهم ما يوافقه من أنواع الدواء، فتقدم إليه وقال: السلام عليك أيها الطبيب ورحمة الله وبركاته، هل عندك شىء من أدوية الذنوب، فقد أعيا الناس داؤها يرحمك الله؟ فأطرق الطبيب برأسه إلى الأرض، ولم يتكلم، فناداه ثانية كذلك فلم يتكلم، فناداه ثالثة كذلك، فرفع الطبيب رأسه بعد ما رد السلام، فقال: أو تعرف أدوية الذنوب بارك الله فيك؟ قال نعم، قال صف وبالله التوفيق، قال: تعمد إلى بستان الإيمان، فتأخذ منه عروق النية، وحب الندامة، وورق التدبر، وبزر لورع وثمر الفقه، وأغصان اليقين، ولب الإخلاص، وقشور الاجتهاد، وعروق التوكل، وأكمام الاعتبار، وسيقان الإنابة، وترياق التواضع، تأخذ هذه الأدوية بقلب حاضر، وفهم وافر، بأنامل التصديق، وكف التوفيق، ثم تضعها فى طبق التحقيق، ثم تغسلها بماء الدموع، ثم تضعها فى قدر الرجاء، ثم توقد عليها بنار الشوق، حتى ترغى زبد الحكمة، ثم تفرغها فى صحاف الرضا، وتروح عليها بمراوح الاستغفار، وينعقد لك من ذلك شربة

جيدة، ثم تشربها فى مكان لايراك فيه أحد إلا الله تعالى، فإن ذلك يزيل عنك الذنوب حتى لايبقى عليك ذنب، ثم أنشأ الطبيب يقول:

**يا خاطب الحوراء فى خدرها ... شمر فتقوى الله من مهرها**

**وكن مجدا لا تكن وانيا ... وجاهد النفس على صبرها**

ثم شهق شهقة فارق بها الحياة الدنيا، فقال رضى الله تعالى عنه: والله إنك لطبيب الدنيا وطبيب الآخرة، ثم أمر بتجهيزه ودفنه رحمة الله تعالى عليه.

**(الحكاية التاسعة والأربعون: عن ذى النون رضى الله تعالى عنه)** قال: مررت ببعض الأطباء وحوله جماعة من الرجال والنساء، وهو يصف لكل واحد منهم ما يوافقه من الدواء، فدنوت إليه، وسلمت عليه، فرد على السلام، فقلت له: يرحمك الله، صف لى دواء الذنوب، وكان حكيما حاذقا، فأطرق ساعة، ثم قال لى: إن وصفت لك تفهم؟ فقلت نعم إن شاء الله تعالى، فقال: خذ عروق الفقر، مع ورق الصبر، مع إهليلج التواضع، مع بليلج الخضوع مع دهن بنفسج الهيبة، مع خطمية المحبة مع تمر هندى السكينة، مع ورد الصدق، فإذا جمعت هذه الأوصاف، فاجعلها فى قدر الإحكام، وصب فوقها من ماء الأحكام، وأوقد تحتها بنار الاشتياق والاحتراق، وحركها بأصطام العظمة حتى يزيد زبد الحكمة، فإذا صفا بصفاء الفكر، فاجعله فى جام الذكر، وصفه براووق الرضا، واجعل فيه محمودة الإنابة، وغض مقل الجد فى العمل، واشربه فى حانوت الخلوة، وتمضمض بماء الوفاء، وغير فاك بسواك الخوف والجوع، وشم تفاح القناعة، وامسح شفتيك بمنديل الإعراض عما سوى الله تعالى، فهذه شربة تحبط الذنوب، وتقرب من علام الغيوب.

**(الحكاية الخمسون عن بعض الصالحين)** حكى عن بعضهم أنه مرض وضعف، واصفر لونه، فقيل له: ألا ندعو لك طبيبا يداويك من هذا المرض؟ فقال الطبيب أمرضنى، ثم أنشد

**كيف أشكو إلى طبيبى ما بى ... والذى بى أصابنى من طبيبى**

❖ وقال ذو النون المصرى ﵁: إن لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب

أعينهم، وسقوها بماء التوبة، فأثمرت ندما وحزنا، فجنُّوا من غير جنون، وتبلدوا من غير عى ولابكم، وإنهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله تعالى وبرسوله ﷺ، ثم شربوا بكأس الصفاء، فورثوا الصبر على طول البلاء، ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت، وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت، واستظلوا تحت أوراق الندم، وقرءوا صحيفة الخطايا، فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصولوا إلى علو الزهد بسلم الورع، فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا، واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة، وسرحت أرواحهم فى العلى حتى أناخوا فى رياض النعيم، وخاضوا فى بحر الحياة، وردموا خنادق الجزع، وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم، واستقوا من غدير الحكمة، وركبوا فى سفينة العطية، وأقلعوا بريح النجاة فى بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة، وقال ﷺ: اللهم اجعلنى من الذين تاهت أرواحهم فى الملكوت، وكشف لهم حجاب الجبروت، فخاضوا فى بحر اليقين، وتنزهوا فى ظهر رياض المتقين، وركبوا فى سفينة التوكل، وأقلعوا بشراع التوسل، وساروا بريح المحبة فى جداول قرب العزة، وحطوا بشاطىء الإخلاص، فنبذوا الخطايا، وحملوا الطاعات برحمتك يا أرحم الراحمين، وأنشد بعضهم:

| | |
|---|---|
| ركب المحب إلى الحبيب سفينة | تجرى من الخطرات فى أمواج |
| فى سرّ سرّ السرّ سرًّا أقلعت | فى لج بحر زاخر عجاج |
| يا حسنها تجرى به متفردا | بعلومه فى جنح ليل داج |
| فالقلب مشكاة وفيه زجاجة | قد علقت بسلاسل المنهاج |
| متوقد بالنور من زيتونة | تسقى سراجا فاق كل سراج |

❖وفى شىء من هذه المعانى قلت: لما جاءتهم عناية الفضل تركوا الفضول، وسافروا إلى منازل الوصول، وركب السادات على خيل السعادات، واستعانوا فى سفرهم على سلوك الطريق بزاد التقوى المعجون بماء التوفيق، وراضوا خيلهم فى رياض الرياضة، وضمروها وألجموها بلجام منع الالتفات إلى غير مولاها، وزجروها وضربوها بسوط الخوف، وحركوها بأعمال الشوق،

وركضوها إلى غاية المنى فى ميدان السوق، ونالوا بمواضى عزائم الهمم العوالى عزيز مكرمات مجد المعالى، باجتلاء بيض عرائس الأنوار فى جنات سرور معارف الأسرار، بعد ما جاهدوا فى سلوك الطريق عساكر الهوى لما عرضوا للصد والتعويق، وذبحوا نفوس الهوى بسيوف المخالفة، وطعنوا فرسان الطبع برماح ترك العادات السالفة، وطهروا بماء الدموع الطهور نجاسات الذنوب والعيوب وسائر الشرور، حتى صحت لهم العبادة المفتقرة إلى الطهارة كالصلاة، وداووا قلوبهم من أمراض علل حب الدنيا وسائر الحظوظ والجاه، وأحرقوا أشجار خبثها بنار حزن القلب الأواه، وطيبوها بماء ورد الأوراد، وأحيوا ميتها بذكر الله. واعجباه، كيف نعرف تلك المواهب والأحوال ولانتداوى من الداء العضال الذى بيننا وبينها حال، فنبرأ مثلهم من الأسقام التى أمرضت منا القلوب، ونصبر على مرارة المراهم التى صبروا عليها حتى نشفى مثلهم، وتزول عنا علل العيوب، لقد عجزنا وملنا إلى الهوى وإلف العادة، ولم نخرج عن الرعونات والطباع التى خرج عنها السادة، فلم نتعظ بوعظ ولم ننزجر عن نهى، ولم نأتمر بأمر، وذلك من سوء حظ أنفسنا ولم تساعدنا السعادة وإلا فنحن نعرف مراهم الداء التى تداوى بها السعداء، وفيها قلت فى بعض القصائد منشدا:

فدرياق تقوى مع سفوف رياضة ... ومع غارقون الذكر مغلى عزائم
مراهم أسقام القلوب نوافع ... بها برء معلول وإيقاظ نائم
وأركان بنيان الرياضة عزلة ... وجوع وصمت مع سهاد مداوم
وليس طبيب فى جميع الورى سوى ... طبيب قلوب أو طبيب معالم
فهذا يداوى الناس من داء جهلهم ... وذهنا نأى عنه الذكا غير فاهم
بفتق لرتق فى غوامض مشكل ... ورتق لفتق من طمان مخاصم
عن السنة الغرا يذب مجاهدا ... بأبيض مسلول من العلم صارم
وهذاك يشفى قلب كل معلل ... بداء هوى طبع النفوس الظوالم
فيشتم طيبا فاح من جانب الحمى ... لذلك مزكوم الهوى غير شامم
وينظر نورا من جمال محير ... ويسمع تكليما حلا من منادم
ويطعم من طعم الهوى ما يشوقه ... وليس بمشتاق له غير طاعم

فمن ذاق طعم الحب يشتاق للقا ... ليهنا بعيش للأحبة ناعم
فيه أسفا يا حسرتا يا مصيبتا ... ويا ضيعة الأعمار سوق المواسم
كما لم نكن كالغير أهلا لقربه ... لقد فاتنا كل المنى والمكارم
نموت ولم ننظر جمال جلاله ... ولم ندر طعم الحب مثل البهائم
فلو شاهدت ذاك الجمال عيوننا ... سكرنا وغبنا عن جميع العوالم
وملنا نشاوى من شراب محبة ... وباح بمكتوم الهوى كل كاتم
ونحن حجبنا عن عجائب قدرة ... ونور وأسرار وطيب تنادم
فما العيش إلا ذاك لا عيش عزة ... وليلى ولا سلمى ولا أم سالم
وذلك فضل الله يؤتيه من يشا ... ويرجى لعبد قارع الباب لازم
فيارب وفق واعف وافتح وعافنا ... وصلِّ على المختار من آل هاشم

وقلت فى ذلك المعنى فى أخرى:

فجرد لسيف الصدق بعد تجرد ... لذكر وفكر حب عن كل مشغل
به النفس إن رامت هواها وحاولت ... خلافا ولم ترجع إلى الطاعة اقبل
وداوم ولازم قرع باب مؤملا ... فما خيب المولى رجاء مؤمل
وصابر فما نال العلا غير صابر ... وقل واعظا للنفس عند التململ
مع الصبر إحدى حسنيين مناك أو ... منايا كرام فاصبرى وتحملى
وداو لسقم القلب واعمر خرابه ... بدهن رياضات وثوب معجل
وأحرق بنار الحزن أشجار خبثه ... وفى سيل عين كل أوساخه اغسل
وطيب بود الورد واجعله صالحا ... لسكنى أراض منه طابت وأجبل
فيوحى إلى الأسرار كالنحل ربها ... أن اتخذى منها بيوتا بها احللى
ويوحى لسحب الجود من فيض فضله ... بوابل غيث الغوث من رحمتى اهطل
فيحيى الحياة منه شعابا وأنجدا ... وأرضا ويجرى كل عين ومنهل

وينبت أشجار المعارف موحيا
إليها بزاكى تمرك الطيب احملى

فيزهر أنوارا لوامع برقها
أضاءت لكل الكون علو وأسفل

بمصباح قلب فى زجاجة صدره
بمشكاته من زيت تقواه مشعل

ويثمر خوخ الخوف فى روضة الرضا
وإجاص إخلاص وتين التوكل

وأرطاب حب قد جنتها يد الهوى
وأعناب أشواق بها القلب ممتلى

ورمان إجلال وتفاح هيبة
وموز الحيا مبدى رجاء السفرجل

جنان جنان عارف بمعارف
جنى من جناها كل دان مذلل

فياطرف قلب عش برؤياك طرفة
ويانفسه أحلى نفيس له كلى

وياطيب عيش ناعم من رآك لم
يرى عيش غير عيش منكل

وماذاقك الحاكى ولاشم أو رأى
ولكن بأخبار الصدوق المعدل

طفيلى حال فى زرى فضوله
حكى فضل حال الأوليا بالتطفل

❖ وقلت فى ذلك المعنى فى أخرى:

وعبدك الهوي يمتاز من عبد ربه
لدي شهرة أو عند صدم بلية

بكير البلا يبدو من التبر حسنه
ويبدو نحاس النحس في كل محنة

خلا من حلي قوم كرام تدرعوا
دروع الرضا والصبر في كل شدة

ولاقوا طعان النفس في معرك الهوى
وراحوا وقد أرووا مواضي الأسنة

وساقوا جياد الجد عند اشتياقهم
وأرخوا لها نحو العلا للأعنة

سموا فاجتلوا بيض المعالي عواليا
ببيض العوالي في القصور العلية

مقامات قوم أتعبوا النفس في السرى
فأضحوا ملوك الدهر فوق الأسرة

بذل أنيلوا العز والجهد راحة
وفقر غنى والحزن كل مسرة

وطيب عيش بالطوى ثم بالظما
شراب كئوس حاليات هنية

بجنات وصل في رياض معارف
لهم ذللت منها قطوف تدلت

جنوا من جناها زاكيا لايذوقه | من الخلق إلا كل نفس زكية
تسلت عن الدنيا وماتت عن الهوى | وغسلها في موتها ماء دمعة
وصلت عليها صالحات فعالها | وقد كفنت في بيض أثواب توبة
وشيلت على نعش انتعاش إلى البقا | بقبر خمول شق في أرض غربة
وقومها في البعث باعث عقلها | وحاسبها في كل مثقال ذرة
وألزمها تمشي صراط استقامة | دقيقا كحد السيف إن عنه زلت
هوت جوف نار الهجر والبعد والقلى | وإن ثبتت سارت بجنات وصلة
ونالت مناها والسعادات كلها | فياسعد نفس أدركت ما تمنت
إلهي تفضل بالعطا واكشف الغطا | وكل الخطايا فاغفر ومنّ بجنة
وصلّ على خير الأنام وآله | وأصحابه والحمد لله تمت

❖ قلت: هذه الأقوال أقولها بغير أفعال كما قال بعض الرجال ما يأتى ذكره قريبا وأستغفر الله من هذا الحال، ومن كل حال، وأسأله التوفيق لصالح الأعمال، وحسن الخاتمة عند منتهى الآجال.

**(الحكاية الحادية والخمسون: عن سرىّ رضى الله تعالى عنه)** قال: بينما نحن نسير فى بعض بلاد الشام، إذا قال واحد منا: ههنا عابد، فميلوا بنا إليه، لعل الله يسخره يكلمنا، فملنا إليه، فوجدناه يبكى، فقلنا له: ما يبكى العابد؟ فقال: مالى لاأبكى وقد توعرت الطريق، وقل السالكون فيه وهجرت الأعمال وقل الراغبون فيها، وقلّ الحق ودرس هذا الأمر فلا أراه إلا فى لسان كل بطال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال، قد افترش الرخصة وتمهد التأميل، واعتل بزلل العاصين، ثم صاح صيحة وقال: كيف سكنت قلوبهم إلى روح الدنيا، وانقطعت عن روح ملكوت السماء، ثم جعل يقول: واغماه من فتنة العلماء، واكرباه من حيرة الأدلاء، وجال جولة ثم قال: أين الأبرار من العلماء، بل أين الأخيار من الزهاد؟ ثم بكى وقال: شغلهم والله طول الأمال عن رد الجواب، وعن ذكر الجنة والنار والثواب، والعقاب وطول الحساب، ثم قال: أستغفر الله من شهوة الكلام،

تنحوا عنى، فخليناه يبكى، وقد ملئنا منه غما وهما رضي الله عنه، وأنشد بعضهم:

**وغير تقى يأمر الناس بالتقى　　طبيب يداوى الناس وهو عليل**

وقلت فى هذا المعنى فى ذم نفسى:

**بعلم لا بأعـــمـــال وقـــول　　بلا فـــعل وندب لا انتـــداب**

**أمـــور غـــيـــر فـــعـــال وناه　　فـــعـــول للمناهـى ذو ارتكاب**

❖ وقلت أيضا:

**إلهى لئن لم تعف فـالويل كله　　لعبد مسىء ذى ضـلال وباطل**

**تعلم علمـا ليس فيـه بعـامل　　وكم قـال من قـول وليس بفـاعل**

**فـإن تنتقم من ظالم سـر ظالم　　فعدل أتى من عادل خير عـادل**

**وإن تعف منك العفو فضل أتت به　　سحائب جود جاد بالخصب هاطل**

**على مجدب عطشان لهفان مقفر　　فـقـيـر إلى غـوث بغـيـث ووابل**

**(الحكاية الثانية والخمسون: عن بعضهم)** قال: رأيت عند قبر النبى ﷺ تسعة من الأولياء، فتبعتهم، فالتفت إلى أحدهم وقال لى: أين تمر؟ فقلت: أسير معكم لحبى فيكم، فإنى سمعت عمن زرتموه ﷺ أنه قال: «المرء مع من أحب» فقال أحدهم: إنك لم تقدر على المسير إلى هذا الموضع الذى نقصده، فإنه لايقدر عليه إلا من بلغ سنه أربعين سنة، فقال آخر: دعه لعل الله يرزقه، فسرت معهم والأرض تطوى من تحتنا طيا، والحب يقول للعشاق هيا، وأنشدوا فى المعنى:

**والله مـــا جـــئـــتكم زائرا　　إلا رأيت الأرض تطوى لـيـــه**

**ولا انثنى عـــزمى عن بابكم　　إلا تعـــثـــرت بأذيالـيـــه**

قال: فلم نزل كذلك حتى انتهينا إلى مدينة مبنية بالذهب والفضة، وأشجارها متعانقة، وأنهارها مطردة رائقة، وفواكهها كثيرة فائقة، فدخلنا وأكلنا من ثمرها، وأخذت معى ثلاث تفاحات، فلم يمنعونى من أخذها، فسألتهم عند الانصراف عن المدينة، فقالوا: هذه مدينة الأولياء، إذا أرادوا التنزه ظهرت لهم أينما كانوا، ما دخلها أحد قبل الأربعين، غيرك؛ فلما دخلنا مكة أعطيت

الدامغانى تفاحة، فقذفها، فلامنى أصحابى وقالوا اردد ما أعطيت إلى مكانه، وكنت كلما جعت أكلت من التفاحة وهى لا تتغير، ورجعت إلى أهلى وقد بقيت معى تفاحة واحدة، وهى التى ادخرتها لنفسى، فعانقتنى أختى وقالت: أين الذى أطرفتنا به من سفرك؟ فقلت: وما الذى أطرفكم به وأنا بعيد عن الدنيا وعن الراحة؟ فقالت: أين التفاحة؟ فعميت عليها وقلت: وأى تفاحة؟ قالت ياهسكين والله لقد ادخلونى تلك المدية وأنا بنت عشرين سنة، وأما أنت فلم ترها إلا بعد أن طردوك، وأنا والله جذبت إليها جذبة، وخطبت إليه خطبة، قلت: أى أخت فالبدل الكبير منهم يقول لى: لم يدخلها أحد لم يبلغ أربعين سنة غيرك، قالت: نعم من المريدين، وأما المرادون فيدخلونها ولايرضون بها، ومتى شئت أريتكها، فقلت قد شئت، فقالت: يا مدينة احضرى، فوالله لقد رأيت المدينة بعينها تتدلى إليها وترف عليها، فمدت يدها وقالت: أين تفاحك، قال: فتساقط على من التفاح ماعلانى فضحكت ثم قالت: من عنده من الملك هذا يحتاج إلى تفاحتك؟ قال: فاستحقرت والله نفسى عند ذلك، وما كنت أعلم أن أختى منهم رضى الله تعالى عنها وعنهم. وأنشدوا فى المعنى:

**الشوق ينمو والغرام يزيد ... والسقم يكثم والشفاء بعيد**

**وقديم عهدى ثابت لاينقضى ... أزعمتم أن الغرام جديد**

**لا والغوير وساكنيه ورامة ... وطويلع والبان حين يميد**

**وحياة من عرج اللوا من لعلع ... والرقمتين وما حوته زرود**

**ماحلت عن عهدى ولا خنت الهوى ... وعلى القطيعة صابر وجليد**

**وإذا ترنم طائر فى أيكة ... أبكى أسى ويلذ لى التغريد**

**وأنوح إذ ناح الحمام على اللوا ... شوقا إلى وادى الغضا وأميد**

**يابانة الجرعاء من وادى النقا ... بان الكرى وتزايد التسهيد**

**إلا رحمت مولها حلف الضنا ... كتم الغرام ومقلتاه شهود**

**ويظل فى عرصات نجد مرشدا ... قلبا يراه الوجد فهو فقيد**

**يبكى بنعمان ورملة عالج ... ويحب ساكنة الخبا ويريد**

**يخفى هواه خيفة وتسترا ... عن عاذل والعذل ليس يفيد**

(الحكاية الثالثة والخمسون: عن الشيخ أبى الربيع المالقى رضي الله عنه) قال: سمعت بامرأة من الصالحات فى بعض القرى اشتهر أمرها، وكان دأبنا أن لا نزور امرأة، فدعت الحاجة إلى زيارتها للاطلاع على كرامة قد اشتهرت عنها، وكانت تدعى بالفضة، فنزلنا القرية التى هى بها، فذكر لنا أن عندها شاة تحلب لبنا وعسلا، فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شىء، فمضينا إليها، وسلمنا عليها، ثم قلنا لها: نريد أن نرى هذه البركة التى ذكرت لنا عن هذه الشاة التى عندكم، فأعطتنا الشاة فحلبناها فى القدح، فشربنا لبنا وعسلا؛ فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة، فقالت: نعم كانت لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن لنا شىء، فحضر العيد، فقال لى زوجى وكان رجلا صالحا: نذبح هذه الشاة فى هذا اليوم، فقلت له: لا تفعل فإنه قد رخص لنا فى الترك، والله تعالى يعلم حاجتنا إليها، فاتفق أنه استضاف بنا فى ذلك اليوم ضيف، ولم يكن عندنا قرى، فقلت له: يارجل هذا ضيف، وقد أمرنا الله بإكرامه، فخذ تلك الشاة فاذبحها، قالت: فخفنا أن تبكى عليها صغارنا، فقلت له: أخرجها من البيت إلى وراء الجدار، فاذبحها فلما أراق دمها قفزت شاة على الجدار، فنزلت إلى البيت، فخشيت أن تكون قد انفلتت منه، فخرجت لأنظرها فإذا هو يسلخ الشاة فقلت له: يارجل عجبا، وذكرت له القصة، فقال: لعل الله تعالى أن يكون قد أبدلنا خيرا منها، فكانت تلك تحلب اللبن، وهذه تحلب اللبن والعسل ببركة إكرامنا الضيف، ثم قالت: ياأولادى إن شويهتنا هذه ترعى فى قلوب المريدين، فإذا طابت قلوبهم طاب لبنها، وإن تغيرت تغير لبنها فطيبوا قلوبكم يطب لكم كل شىء طلبتموه رضى الله عنها، قلت: وقد سألنى بعض أهل العلم والأخبار: ماذا تعنى بالمريدين؟ فظهر لى والله أعلم أنها تعنى بالمريدين نفسها وزوجها، ولكن أطلقت لفظا ظاهره العموم مع إرادة التخصيص تسترا وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم، إذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الأنوار والأسرار، ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار؛ والمعنى: لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا، فطيبوا قلوبكم يطب لكم ما عندكم، ولو لم يكن الأمر كذلك بل المراد عموم المريدين، لكان يطيب اللبن من سائر الغنم، ولو خبث قلبهما لما نفعهما طيب قلوب المريدين، وإذا طابا هم لم يضرهما خبث قلوب المريدين، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(الحكاية الرابعة والخمسون: عن بعض أصحاب السرى رضى الله عنه)
قال: كان لسرى تلميذة، ولها ولد عند المعلم، فبعث به المعلم إلى الرحا، فنزل الصبى فى الماء فغرق، فأعلم المعلم سريا بذلك، فقال السرى: قوموا بنا إلى أمه، فمضوا إليها وتكلم السرى معها فى علم الصبر، ثم تكلم فى علم الرضا، فقالت: يا أستاذ وأى شىء تريد بهذا؟ فقال لها: إن ابنك قد غرق، فقالت ابنى؟ فقال نعم، فالتفت: إن الله عز وجل ما فعل هذا، ثم عاد السرى فى كلامه فى الصبر والرضا، فقالت قوموا بنا، فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر، فقالت أين غرق؟ فقالوا هاهنا، فصاحت به: ابنى محمد، فأجابها لبيك يا أماه، فنزلت وأخذت بيده فمضت به إلى منزلها، فالتفت السرى إلى الجنيد وقال: أى شىء هذا؟ قال الجيد رضي الله عنه: أقول قال قل: قال إن المرأة مراعية لما لله عز وجل عليها، وحكم من كان مراعيا لما لله عز وجل عليه أن لايحدث عليه حادثة، حتى يعلمه بذلك، فلما لم تكن حادثة لم يعلمها بذلك، فأنكرت فقالت: إن ربى عز وجل ما فعل هذا رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها.

(الحكاية الخامسة والخمسون عن أبى عامر الواعظ رضي الله عنه) قال: بينا أنا جالس بمسجد رسول الله ﷺ، إذ جاءنى غلام أسود برقعة، فقرأتها فإذا فيها: أسعدك الله يا أخى بمسامرة الفكر، ونعمك بمؤانسة العبرة، وأفردك بحب الخلوة، وأيقظك من الغفلة؛ يا أبا عامر أنا أخ من إخوانك، بلغنى قدومك، فسررت بذلك، واشتقت إلى رؤيتك ومجالستك وسماع محادثتك، وبى من الشوق ما لو كان فوقى لأظلنى، ولو كان تحتى لأقلنى، سألتك بالذى حباك بالبلاغة إلا ما ألحفتنى جناح التوصل بزيارتك والسلام. قال أبو عامر: فقمت مع الرسول حتى أتى بى إلى قباء، فأنزلنى منزلا رحيبا خربا وقال: قف ههنا حتى أستأذن لك، فوقفت، فخرج إلى وقال لى: لج فدخلت فإذا بيت مفرد فى الخربة له باب من جريد النخل، وإذا بشيخ قاعد مستقبل القبلة، تخاله من الوله مكروبا، ومن الخشية محزونا، قد ظهرت فى وجهه أحزانه، وذهبت من البكاء عيناه، ومرضت أجفانه، فسلمت عليه، فرد على السلام، وإذا به أعمى مقعد مسقام، فقال: يا أبا عامر، غسل الله تعالى من أدران الذنوب قلبك، لم يزل قلبى إليك تواقا، وإلى استماع الموعظة منك مشتاقا، وبى جرح نغل قد

أعيا الواعظين دواؤه، وأعجز المتطببين شفاؤه، وقد بلغنى نفع مراهمك للجراح والآلام، فبادر رحمك الله فى إيقاع الترياق، ولو كان مر المذاق، فانى ممن يصبر على ألم الدواء رجاء الشفاء؛ قال أبو عامر: فنظرت إلى منظر بهرنى، وسمعت كلاما أفظعنى، ففكرت طويلا، وتأتى لى من الكلام وسهل من صعوبته ما راق للأفهام، وحصل به للسامع المرام، فقلت: ياشيخ ارم ببصر قلبك فى ملكوت السماء، وأجل سمع معرفتك فى سكان الأرجاء، وانقل حقيقة إيمانك إلى جنة المأوى، فترى ما أعد الله تعالى فيها للأولياء، ثم تشرف على نار لظى، فترى ما أعد الله فيها للأشقياء؛ فشتان ما بين الدارين، ليس الفريقان فى الموت سواء، قال: ياشيخ إن الله تعالى عالم بسريرتك، مطلع على حقيقة ضميرك، شاهدك فى خلوتك بعينه حيث كنت عند استتارك من خلقه ومبارزته، فصاح صيحة كصيحته الأولى ثم قال: من لفقرى، من لفاقتى، من لذنبى، من لخطيئتى؟ أنت لى يامولاى، وإليك منقلبى ومثواى، ثم خر ميتا رحمه الله، فخرجت لى جارية عليها مدرعة من صوف وخمار من صوف قد ذهب السجود بجبهتها وأنفها، وتورمت لطول القيام قدماها واصفر لونها، فقالت: أحسنت والله ياحادى قلوب العارفين، ومثير أشجان غليل المحزونين، لا نسى لك هذا المقام رب العالمين، هذا الشيخ الذى مبتلى بالسقم منذ عشرين سنة: صلى حتى أقعد، وبكى حتى عمى وكان يتمناك على الله تعالى ويقول: حضرت مجلس أبى عامر، فأحيا موات فكرى وطرد وسن نومى، فإن سمعته ثانيا قتلنى، فجزاك الله من واعظ خيرا، ومتعك من حكمته بما أعطاك، ثم أكبت على أبيها تقبل بين عينيه وتبكى وتقول: يا أبتى يا أبتاه ياحليف الحرقة والبكاء، يا أبتى ياأبتاه ياجليس الابتهال والدعاء، يا أبتى يا أبتاه، ياصريع المذكرين والخطباء، يا أبتى يا أبتاه ياقتيل الوعاظ والحكماء، قال أبوعامر: فأجبتها، فقلت: أيتها الباكية الحيرى، والنائحة الثكلى، إن أباك نحبه قد قضى، وورد دار الجزاء، وعاين كل ما عمل وعليه يحصى فى كتاب عند رب لايضل ولاينسى؛ فمحسن فله الزلفى، ومسىء فوارد دار من أساء؛ فصاحت الجارية كصيحة أبيها وجعلت ترشح عرقا، ثم ماتت رحمهما الله تعالى، فصلينا عليهما ودفناهما، وسألت عنهما فقيل لى: هما من ولد الحسين بن

على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين، فمازلت جزعا مما جنيت عليهما حتى رأيتهما فى المنام، وعليهما حلتان خضراوان، فقلت: مرحبا بكما وأهلا وسهلا، فمازلت حذرا مما وعظتكما به، فما صنع الله بكما؟ فقال الشيخ:

| | |
|---|---|
| **أنت شريكى فى الذى نلته** | **مستأهلا ذاك أبا عامر** |
| **وكل من أيقظ ذا غفلة** | **فنصف ما يعطاه للآمر** |
| **من رد عبدا مذنبا كان كمن** | **راقب رب العزة القاهر** |
| **واجتمعا فى دار عدن وفى** | **جوار رب سيد غافر** |

يا أبا عامر وردت على رب كريم راض غير غضبان، فأسكنى الجنان وزوجنى من الحور والحسان فاحرص يا أباعامر أن تكثر من الاستغفار فى كل وقت، وفى الليل عند الأصحار تجاور الرب العزيز الغفار، وأنشد بعضهم:

| | |
|---|---|
| **إذا أمسى وسادى من تراب** | **وبت مجاور الرب الرحيم** |
| **فهنونى أصيحابى وقولوا** | **لك البشرى قدمت على كريم** |

**(الحكاية السادسة والخمسون: عن بهلول ﷺ)** قال: بينما أنا ذات يوم فى بعض شوارع البصرة، وإذا بصبيان يلعبون بالجوز واللوز، وإذا بصبى ينظر إليهم ويبكى، فقلت: هذا صبى يتحسر على ما فى أيدى الصبيان ولاشىء معه فيلعب به، فقلت له: أى بنى ما يبكيك؟ أشترى لك من الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان؟ فرفع بصره إلى وقال: ياقليل العقل ما للعب خلقنا، فقلت: أى بنى فلماذا خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة، قلت: من أين لك ذلك بارك الله تعالى فيك؟ قال: من قوله عز وجل (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون) قلت له: أى بنى إنى أراك حكيما فعظنى وأوجز، فأنشأ يقول:

| | |
|---|---|
| **أرى الدنيا تجهز بانطلاق** | **مشمرة على قدم وساق** |
| **فلا الدنيا بباقية لحى** | **ولا حى على الدنيا بباقى** |
| **كأن الموت والحدثان فيها** | **إلى نفس الفتى فرسا سباق** |
| **فيامغرور بالدنيا رويدا** | **ومنها خذ لنفسك بالوثاق** |

قال بهلول رضى الله تعالى عنه: ثم رمق السماء بعينيه، وأشار إليها بكفيه ودموعه تنحدر على خديه، وأنشأ يقول:

**يامن إليه المبتهل يامن عليه المتكل يامن إذا ماآمل يرجوه لم يخط الأمل**

قال: فلما أتم كلامه، خر مغشيا عليه، فرفعت رأسه إلى حجرى، ونفضت التراب عن وجهه بكمى، فلما أفاق قلت له: أى بنى مانزل بك وأنت صبى صغير لم يكتب عليك ذنب قال: إليك عنى يا بهلول، إنى رأيت والدتى توقد النار بالحطب الكبار فلايتقد لها إلا بالصغار وأنا أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم، فقلت له: أى بنى أراك حكيما فعظنى وأوجز، فأنشأ يقول:

**غفلت وحادى الموت فى أثرى يحدو فإن لم أرح يوما فلابد أن أغدو**

**أنعم جسمى باللباس ولينه وليس لجسمى من لباس البلى بد**

**كأنى به قد مر فى برزخ البلى ومن فوقه ردم ومن تحته لحد**

**وقد ذهبت منى المحاسن وانمحت ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلد**

**أرى العمر قد ولى ولم أدرك المنى وليس معى زاد وفى سفرى بعد**

**وقد كنت جاهرت المهيمن عاصيا وأحدثت أحداثا وليس لها رد**

**وأرخيت خوف الناس سترا من الحيا وما خفت من سرى غدا عنده يبدو**

**بلى خفته لكن وثقت بحلمه وأن ليس يعفو غيره فله الحمد**

**فلو لم يكن شىء سوى الموت والبلى ولم يك من ربى وعيد ولا وعد**

**لكان لنا فى الموت شغل وفى البلى عن اللهو لكن زال عن رأينا الرشد**

**عسى غافر الزلات يغفر زلتى فقد يغفر المولى إذا أذنب العبد**

**أنا عبد سوء خنت مولاى عهده كذلك عبد السوء ليس له عهد**

**فكيف إذا أحرقت بالنار جثتى ونارك لا يقوى لها الحجر الصلد**

**أنا الفرد عند الموت والفرد فى البلى وأبعث فردا فارحم الفرد يافرد**

قال بهلول: فلما فرغ من كلامه وقعت مغشيا على، وانصرف الصبى؛ فلما أفقت نظرت إلى الصبيان فلم أره معهم، فقلت لهم: من يكون ذلك الغلام؟ قالوا وما عرفته؟ قلت لا، قالوا ذاك من أولا الحسين بن على بن أبى طالب

رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، قلت: قد عجبت من أين تكون هذه الثمرة إلا من تلك الشجرة؟ نفعنا الله تعالى به وبآبائه آمين.

**(الحكاية السابعة والخمسون عن بشر الحافى ﷺ)** قال: رأيت رجلا عشية عرفة غلبه الوله وهو يبكى وينتحب انتحابا شديدا، وهو يقول:

| | |
|---|---|
| **سبحان من لو سجدنا بالعيون له** | **على شبا الشوك والمحمى من الإبر** |
| **لم نبلغ العشر من معشار نعمته** | **ولا العشير ولا عشرا من العشر** |

وأنشد أيضا:

| | |
|---|---|
| **كم قد زللت فلم أذكرك فى زللى** | **وأنت ياما لكى بالغيب تذكرنى** |
| **كم أكشف الستر جهلا عند معصيتى** | **وأنت تلطف بى حلما وتسترنى** |

قال: ثم غاب عنى وحجب فلم أره، فسألت عنه، فقيل لى: هو أبو عبيد الخواص أحد الخواص له سبعون سنة ما رفع وجهه إلى السماء، فقيل له فى ذلك، فقال: إنى لأستحى أن أرفع إلى المحسن وجها مسيئا ﷺ، واعجباه من مطيع يتذلل ويستحى مع إحسانه، ومن عاص يتدلل ولايستحى مع عصيانه، اللهم لاتحرمنا النظر إلى وجهك الكريم، وانفعنا ببركة أوليائك الصالحين، واحشرنا معهم فى الدارين آمين.

**(الحكاية الثامنة والخمسون: عن مالك بن دينار ﷺ)** قال: خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام، وإذا بشاب يمشى فى الطريق بلا زاد ولا ماء ولا راحلة، فسلمت عليه فرد على السلام، فقلت: أيها الشاب من أين؟ قال: من عنده، قلت: وإلى أين؟ قال إليه، قلت: وأين الزاد؟ قال عليه، قلت إن الطريق لاتقطع إلا بالماء والزاد، فهل معك شىء؟ قال نعم، قد تزودت عند خروجى بخمسة أحرف، قلت: وما هذه الخمسة أحرف؟ قال: قوله تعالى كهيعص، قلت وما معنى كهيعص، قال: أما الكاف فهو الكافى، وأما الهاء فهو الهادى، وأما الياء فهو المؤوى، وأما العين فهو العالم، وأما الصاد فهو الصادق، فمن كان مصاحبا كافيا وهاديا ومؤويا وعالما وصادقا لايضيع ولايخشى ولايحتاج إلى حمل الزاد والماء؛ قال مالك: فلما سمعت كلام هذا الشاب نزعت قميصى على

أن ألبسه إياه فأبى أن يقبله وقال: أيها الشيخ: العرى خير من قميص الدنيا، حلالها حساب، وحرامها عقاب، وكان إذا جنه الليل رفع وجهه إلى السماء وقال: يا من تسره الطاعات، ولاتضره المعاصى، هب لى ما يسرك، واغفر لى ما لايضرك، فلما أحرم الناس ولبوا، قلت لم لا تلبى، فقال: ياشيخ أخشى أن أقول لبيك، فيقول لا لبيك ولا سعديك، ولا أسمع كلامك، ولا أنظر إليك، ثم مضى فما رأيته إلا فى منى وهو يقول:

| | |
|---|---|
| **إن الحبيب الذى يرضيه سفك دمى** | **دمى حلال له فى الحل والحرم** |
| **والله لو علمت روحى بمن علقت** | **قامت على رأسها فضلا عن القدم** |
| **يا لائمي لاتلمني فى هواه فلو** | **عاينت منه الذى عاينت لم تلم** |
| **يطوف بالبيت قوم لو بجارحة** | **بالله طافوا لأغناهم عن الحرم** |
| **ضحى الحبيب بنفسى يوم عيدهم** | **والناس ضحوا بمثل الشاء والنعم** |
| **للناس حج ولى حج إلى سكنى** | **تهدى الأضاحي وأهدى مهجتى ودمى** |

ثم قال: اللهم إن الناس ذبحوا وتقربوا إليك، وليس لى شىء أتقرب به إليك سوى نفسى، وقد أهديتها إليك فتقبلها منى، ثم شهق شهقة فخر ميتا رحمه الله تعالى، وإذا بقائل يقول: هذا حبيب الله، هذا قتيل الله قتل بسيف الله، فجهزته وواريته، وبت تلك الليلة متفكرا فى أمره فرأيته فى منامى، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: فعل بى كما فعل بشهداء بدر، وزادنى فقلت: لم زادك؟ قال: لأنهم قتلوا بسيوف الكفار، وأنا قتلت بمحبة الجبار ﷻ، ونفعنا به.

**(الحكاية التاسعة والخمسون عن ذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه)** قال: رأيت فى البادية شابا حدثا كأنه سبيكة فضة، قد ولع بجسمه الوله يريد الحج، فصحبته وأوصيته، ذكرت له بعد المسافة، فأنشأ يقول:

| | |
|---|---|
| **بعيد على الكسلان أو ذى ملالة** | **فأما على المشتاق غير بعيد** |

وقيل: لما وقف الشبلى رضى الله تعالى عنه بعرفات لم ينطق بشىء حتى غربت الشمس، فلما جاوز العلمين هملت عيناه بالدموع، وأنشأ يقول:

| | |
|---|---|
| **أروح وقد ختمت على فؤادى** | **بحبك أن يحل به سواكا** |
| **فلو أنى استطعت غمضت طرفى** | **فلم أنظر به حتى أراكا** |
| **وفى الأحباب مختص بوجد** | **وآخر يدعى معه اشتراكا** |
| **إذا انسكبت دموع فى خدود** | **تبين من بكى ممن تباكى** |

❖وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه والناس وقوف بعرفات: ما تقولون؟ لو قصد هؤلاء الوفد بعض الكرماء يطلبون منه دانقا، أكان يردهم؟ قالوا لا، قال: فقال: والله للمغفرة فى جنب كرم الله أهون على الله عز وجل من الدانق فى جنب كرم ذلك الرجل، ووقف الفضيل رضي الله عنه أيضا فى بعض حجاته ولم ينطق بشىء، فلما غربت الشمس قال: واسوأتاه وإن عفوت.

**(الحكاية الستون: عن إبراهيم بن المهلب السائح رضى الله تعالى عنه)**

قال: بينا أنا أطوف، وإذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول: سيدى بحبك إلا رددت على قلبى؟ فقلت لها: ياجارية من أين تعلمين أنه يحبك؟ فقالت: بالعناية القديمة جيش فى طلبى الجيوش وأنفق الأموال، حتى أخرجنى من بلاد الشرك وأدخلنى فى التوحيد. وعرفنى نفسه بعد جهلى إياه، فهل هذا يا إبراهيم إلا لعناية ومحبة، قلت: فكيف حبك له؟ قالت: أعظم شىء وأجله، قلت: وكيف هو؟ قالت: هو أرق من الشراب، وأحلى من الجلاب، ثم ولت وهى تقول:

| | |
|---|---|
| **وذى قلق لايعرف الصبر والعزا** | **له مقلة عبرا أضر بها البكا** |
| **وجسم نحيل من شجى لوعة الهوى** | **فمن ذا يداوى المستهام من الضنا** |
| **ولاسيما والحب صعب مرامه** | **إذا عطفت منه العواطف بالقنا** |

**(الحكاية الحادية والستون: عن بعض الصالحين رضى الله تعالى عنه)**

قال: كانت إلى جنبى عجوز قد أضنتها العبادة، فسألتها أن ترفق بنفسها، فقالت: ياشيخ أما علمت أن رفقى بنفسى غيبنى عن باب المولى، ومن غاب عنه مشتغلا بالدنيا عرض نفسه للمحن والبلوى، وما قدر عملى إذا عملت واجتهدت، فكيف إذا قصرت، ثم قالت: واسوأتاه من حسرة السباق وفجعة

الفراق. فأما حسرة السباق: فإذا قام القائمون من قبورهم ركب الأبرار نجائب الأنوار، وساروا إلى قصور من العز والجلال، ورفعت لهم منازل المحبين، وقدمت بين أيديهم نجائب المقربين، وبقى المسبوق فى جملة المحزونين، فعند ذلك ينقطع فؤاده حسرة وتأسفا، ويذوب ندامة وتلهفا. وأما فجعة الفراق: فعند تمييز الناس بالجمع والإفراق؛ وذلك أن الله سبحانه وتعالى إذا جمع الخلق فى صعيد واحد، أمر ملكا ينادى: أيها المجرمون امتازوا، إن المتقين قد فازوا، وهو قوله تعالى (وامتازوا اليوم أيها المجرمون)، فيميز الرجل من زوجته، والولد من والديه، والحبيب من حبيبه، هذا يحمل مبجلا إلى جنات النعيم، وهذا يساق مسلسلا مغلولا إلى عذاب الجحيم، وقد طال منهم التلفت والوداع، ودموعهم تجرى كالأنهار بفجعة الانقطاع، وأنشدوا فى البين والفراق:

**لو كنت ساعة بيننا ما بيننا ... ورأيت كيف نكرر التوديعا**

**لعلمت أن من الدموع محدثا ... ورأيت من عتب، الحديث دموعا**

قلت: وقد أبدلت هذا البيت الثانى ببيت يناسب فراق الآخرة وحال الباكين فيه فقلت:

**لعلمت أن من الدموع لأنهرا ... تجرى وعاينت الدماء دموعا**

**(الحكاية الثانية والستون: عن مالك بن دينار رضي الله عنه)** قال: رأيت فى بعض الأيام شابا عليه آثار الدعاء ونور الإجابة، ودموعه تتساقط على وجهه فعرفته، وكنت أعهده بالبصرة ذا نعمة، فبكيت لما رأيت من حاله على تلك الصفة، وبكى الآخر لما رآنى وبدأنى بالسلام وقال: يا مالك بالله عليك إلا ذكرتنى فى وقت خلواتك، وسألت الله لى التوبة والمغفرة لعله يرحمنى ويغفر لى، ثم أنشأ يقول:

**وعرض بذكرى حين تسمع زينب ... وقل ليس يخلو ساعة منك باله**

**عساها إذا ما مر ذكرى بسمعها ... تقول فلان عندكم كيف حاله**

قال مالك رضي الله عنه: ثم ولى ودموعه تستبق، فلما دخلت أشهر الحج توجهت إلى مكة، فبينما أنا فى المسجد الحرام إذ رأيت حلقة يجتمع الناس إليها، وإذا بفتى يتضرع وقد قطع على الناس طوافهم بكثرة بكائه، فوقفت عليه أنظر مع الناس إليه، فإذا هو الرجل صاحبى، فسررت به وسلمت عليه، وقلت له الحمد

لله الذى أبدلك بخوفك أمنا، وأعطاك ماتتمنى، قال فأنشد يقول:

**فساروا بلاخوف إلى خيف أمنهم ... فلما أناخوا فى منى بلغوا المنى**
**تمنوا فأعطاهم مناهم وصانهم ... بتويته الخلصا عن الفحش والخنا**
**وسامح عن كل الذنوب التى جرت ... وما اجترح العبد المسىء وماجنى**
**أدار عليهم ساقى القوم خمرة ... فنادوا من الساقى فقال لهم أنا**
**أنا الله فادعونى أنا الله ربكم ... لى المجد والعلياء والملك والسنا**

قال مالك: ثم قلت له: بالله عليك أطلعنى على أمرك كيف كان؟ فقال: ما كان إلا خيرا دعانى بفضله، فأجبته، وأعطانى كل ما منه طلبته، وأنشأ يقول:

**ولما دعانى قلت أهلا ومرحبا ... بوصلك ما أحلى هواك وأعذبا**
**وحقك أنت السؤل والقصد والمنى ... وإن لامنى فيك العذول وأطنبا**
**فقلبى ما اشتاق الأراك لأجله ... ولا أرض نعمان ولا الخيف أو قبا**
**كذاك النقا والبان والجزع واللوا ... بهم إن حدا الحادى وغنى وأطربا**
**وإن عرضوا يوما بسعدى وزينب ... فما اشتقت سعدى لا ولا رمت زينبا**
**لئن ذكرت تلك المنازل سادتى ... فقصدى دون الكل ساكنة الخبا**

قال مالك: ثم عاد إلى طوافه وتركنى ومضى، فلم أره ولم أجد له خبرا.

**(الحكاية الثالثة والستون: عن بعض الصالحين)** قال: حججت سنة من السنين، وكانت سنة كثيرة الحر والسموم، فلما كان ذات يوم وقد توسطنا أرض الحجاز، انقطعت عن الحاج، وغفوت قليلا فلم أشعر إلا وأنا وحدى فى البرية فلاح لى شخص أمامى، فأسرعت إليه فلحقته، وإذا به غلام أمرد لا نبات بعارضيه، كأنه القمر المنير أو الشمس الضاحية، وعليه أثر الدلال والترف، فقالت له: السلام عليك ياغلام، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ياإبراهيم، فعجبت منه كل العجب، ورابنى أمره، فلم أتمالك أن قلت له: ياسبحان الله من أين عرفتنى ولم ترنى قبلها، فقال لى: ياإبراهيم ماجهلت مذ عرفت ولا قطعت مذ وصلت، فقلت له: ما الذى أوقفك فى هذه البرية فى مثل

هذه السنة الكثيرة الحر والقيظ، فأجابني يا إبراهيم ما أنست بسواه ولا رافقت غيره، وأنا منقطع إليه بالكلية مقر له بالعبودية فقلت له من أين المأكول والمشروب؟ فقال: تكفل لى به المحبوب، فقلت: والله إنى خائف عليك لأجل ماذكرت لك، فأجابنى ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب، وأنشأ يقول:

من ذا يخوفنى بالبر أقطعه — إلى المحب وقد قدمت إيمانا
الحب أقلقنى والشوق أزعجنى — ولا يخاف محب الله إنسانا
فلو أجوع فذكر الله يشبعنى — ولا أكون بحمد الله عطشانا
وإن ضعفت فوجد منه يحملنى — من الحجاز إلى أقصى خراسانا
فهل لصغرى تكون اليوم تحقرنى — دع عنك عذلك لى قد كان ما كانا

قال: فقلت له: سألتك بالله يا غلام إلا ما أعلمتنى بحقيقة عمرك، فقال: لقد آليت على بأجل الإيمان عندى، عمرى ثنتا عشرة سنة، ثم قال: يا إبراهيم ما الذى ألجأك إلى ذلك؟ تسألنى عن عمرى؟ فقد أخبرتك بحقيقته، فقلت: والله لقد دهشنى ماسمعت منك، فقال: الحمدلله على ما أولانا من نعمه، وفضلنا على كثير من عبادة المؤمنين، قال: فتعجبت من حسن وجهه، وبهاء طلعته، وحلاوة منطقه، وقلت: سبحان الله الخالق المصور، فأطرق الغلام رأسه إلى الأرض مليا، ثم رفع رأسه إلى السماء ينظرنى شزرا، وأنشأ يقول:

ويحى إذا كان الجحيم جزائى — ماذا يحل ببهجتى وبهائى
يبلى العذاب محاسنى ويشينها — ويطول منى فى الجحيم بكائى
ويقول لى الجبار جل جلاله — يا عبد سوء أنت من أعدائى
بارزتنى وعصيت أمرى جاهلا — أنسيت عهدى ثم يوم لقائى
وترى وجوه الطائعين كأنها — بدر بدا فى ليلة الظلماء
كشف الحجاب فعاينوه فادهشوا — ونسوا نعيمهم وكل رخاء
وكساهم حلل المهابة والرضا — وحبا الوجوه بنظرة وبهاء

ثم قال: يا إبراهيم اعلم أن المنقطع، من قطعه الحبيب، والمواصل من أخذ من الطاعة بنصيب ولكن أنت المنقطع عن الحاج يا إبراهيم، فقلت له نعم، وأنا

أسألك بالله إلا مادعوت لى أن ألحق من سبقنى من أصحابى، قال: فنظرت الغلام قد لمح بطرفه إلى السماء، وتكلم بكلمات حرك بها شفتيه، فعند ذلك لحقنى سنة من النوم وأغمى على، فلم أفق إلا وأنا فى وسط الحاج وزميلى يقول لى: يا إبراهيم احذر أن تقع عن الراحلة، ولم أعرف أصعد الغلام إلى السماء أم نزل فى الأرض، فلما وافينا مكة ودخلت الحرم، إذا أنا بالغلام وهو متعلق بأستار الكعبة، وهو يبكى ويقول:

| | |
|---|---|
| تعلقت بالأستار والبيت زرته | وأنت بما فى القلب والسر أعلم |
| أتيت إليه ماشيا غير راكب | لأنى على صغرى محب متيم |
| هويتك طفلا حيث لا أعرف الهوى | فلا تعذلونى إننى متعلم |
| وإن كان قد حانت إلهى منيتى | لعلى بوصل منك أحظى وأغنم |

قال: فأرخى نفسه ووقع ساجدا وأنا أنظر إليه، فأتيته فحركته، فإذا هو قد قضى نحبه، رَحِمَهُ اللهُ، قال: فتأسفت عليه كل الأسف، ومضيت إلى راحلتى، وأخذت ثوبا واستعنت بمن يساعدنى عليه حتى أواريه، فأتيت إليه فلم أجده، فسألت عنه الحجاج فلم أجد من قال: إنه رآه حيا ولاميتا فعلمت أنه مستور عن أعين الخلق، وزنه لم يره غيرى، فأتيت إلى مكانى وغفوت قليلا، فرأيته فى المنام فى موكب عظيم، وهو فى أولهم، وعليه من النور والحلل ما لاأحسن أن أصفه، فقلت له: ألست صاحبى؟ فقال نعم، فقلت له: ألست مت؟ قال: كان ذلك، فقلت له: والله لقد طلبتك أن أكفنك وأصلى عليك فلم أجدك، فقال: ياإبراهيم اعلم أن الذى من بلدى أخرجنى، وبحبه شوقنى، وعن أهلى غربنى هو كفنى وما أحوجنى، فقلت له: ما الذى فعل بك إلهك بعد ذلك؟ قال: أوقفنى بين يديه، وقال لى ما بغيتك؟ فقلت إلهى وسيدى أنت بغيتى ومناى، فقال لى أنت عبدى حقا حقا، ولك عندى أن لاأحجب عنك ما تريد، فقلت: أريد أن تشفعنى فى القرن الذى أنا فيه، فقال: شفعتك فيه، ثم إنه صافحنى، فاستيقظت بعد المصافحة من منامى وأصبحت وقضيت ما كان على من فرائض الحج ونسكه، ولم يقر قلبى من ذكر الغلام وتأسفى عليه، وسرت فى جملة الحاج، فلم أر أحدا إلا ويقول لى: يا إبراهيم لقد أزعجت الناس من طيب رائحة يدك، وقال بعض المحدثين لهذا الخبر لم تزل رائحة الطيب تخرج من يد

إبراهيم حتى قضى نحبه، رحمة الله عليه.

**(الحكاية الرابعة والستون عن إبراهيم الخواص رضى الله تعالى عنه)**

قال: حججت سنة من السنين، فبينما أنا أمشى مع أصحابى، إذ عارضنى عارض فى سرى يقتضى الخلوة وخروجا عن الطريق الجادة، فأخذت طريقا غير الطريق الذى عليه الناس، فمشيت ثلاثة أيام بلياليهن ما خطر على سرى ذكر طعام ولاشراب ولاحاجة، فانتهيت إلى برية خضراء فيها من كل الثمرات والرياحين، ورأيت فى وسطها بحيرة، فقلت: كأنها الجنة، وبقيت متعجبا؛ فبينما أنا كذلك أتفكر، اذا أنا بنفر قد أقبلوا سيماهم سيما الآدميين، عليهم المرقعات الحسان، والفوط الملاح، فحفوا بى وسلموا على، فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته أين أنا وأنتم؟ ثم وقع بخاطرى بعد سؤالى لهم أنهم من الجن، وأن البقعة بقعة غريبة، فقال قائل منهم: قد جرت بيننا مسئلة واختلفنا فيها، ونحن نفَر من الجن قد سمعنا كلام الله عز وجل من سيدنا محمد ﷺ ليلة العقبة، وسلبتنا نغمة كلامه جميع أمور الدنيا، وقد قيض الله لنا هذه البحيرة فى هذه البرية، قلت وكم بيننا وبين الموضع الذى تركت فيه أصحابى، فتبسم بعضهم وقال: يا أبا إسحاق إن لله عز وجل أسرارا وعجائب، إن الموضع الذى أنت فيه لم يحضره آدمى قبلك إلا شاب من أصحابكم توفى ههنا وذلك قبره، وأشار إلى قبره على شفير البحيرة، حوله روضة ورياحين لم أر مثلها قبل، ثم قال: بينك وبين القوم الذين فارقتهم مسيرة كذا وكذا من شهر، أو قال كذا وكذا من سنة، والله أعلم أيهما ذكر إبراهيم؛ قال: قلت أخبرونى عن الشاب، فقال قائل منهم: بينما نحن قعود على شفير البحيرة نتذاكر المحبة ونتحاور فيها إذا بشخص قد أقبل إلينا وسلم علينا، فرددنا عليه السلام، وقلنا له: من أين أقبل الشاب؟ قال: من مدينة نيسابور، قلنا له: ومتى خرجت منها؟ قال: منذ سبعة أيام، قلنا له: وما الذى أزعجك على الخروج من وطنك؟ قال: سمعت قول الله تعالى (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) قلنا له: فما معنى الإنابة، وما معنى التسليم، وما معنى هذا العذاب؟ فقال: الإنابة: أن يرجع بك منك إليه، قلت: ولم يذكر التسليم، فى الأصل الذى نقلت منه، ولعله أن تسلم نفسك له، وتعلم أنه أولى بك منك، قال: ثم قال والعذاب، وصاح صيحة

عظيمة فمات فواريناه، وهذا قبره رضى الله تعالى عنه، قال إبراهيم: فتعجبت مما وصفوا، ثم دنوت من قبره، فاذا عند رأسه طاقة نرجس كأنها رحى عظيمة، وعلى قبره مكتوب: هذا قبر حبيب الله، قتيل الغيرة، وعلى ورقه مكتوب صفة الإنابة، قال: فقرأت ما على النرجس مكتوب، فسألونى أن أفسره لهم، ففسرته لهم، فوقع فيهم الطرب، فلما أفاقوا وسكنوا قالوا: قد كفينا جواب مسئلتنا، قال: ووقع على النوم، فما انتبهت إلا وأنا قريب من مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها، وإذا فى وطائى طاقة ريحان، فبقيت معى سنة كاملة لم تتغير، فلما كان بعد أيام فقدتها رضى الله تعالى عنه وعنهم.

**(الحكاية الخامسة والستون: عن بعض الصالحين)** قال: خرجت مرة إلى الحج، فنمت ذات ليلة مقمرة، فسمعت صوت شخص ضعيف يقول لى: يا أبا إسحاق قد انتظرتك من الغداة، فدنوت منه، فإذا هو شاب نحيل الجسم، كأنما أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة، منها ما أعرفه ومنها مالا أعرفه، فقلت له: من أين أنت؟ فسمى لى بلده وقال: قد كنت فى عز وثروة، فطالبتنى نفسى بالعزلة، فخرجت هائما إلى البرارى والقفار، وها أنا قد أشرفت على الموت، وسألت الله أن يقيض لى وليا من أوليائه، وأرجو أنك هو، فقلت له: ألك والدان؟ قال نعم وإخوة وأخوات، فقلت: هل اشتقت إليهم أو ذكرتهم؟ قال لا إلا اليوم أردت أن أشم ريحهم فاحتوشتنى السباع والبهائم وبكين معى وحملن إلى هذه الرياحين، قال إبراهيم: فاقبلت حية عظيمة وفى فمها نرجس كثير، فقالت: دع شرك عنه، فإن الله مطلع على أوليائه وأهل طاعته، فغشى على، فما أفقت حتى خرجت روحه ﷺ، ثم وقع على سبات، فانتبهت وأنا على الجادة، فلما قضيت الحج دخلت بلده التى ذكر، فاستقبلتنى امرأة بيدها ركوة ماء مارأيت أشبه بالشاب منها، فلما رأتنى قالت: يا أبا إسحاق كيف رأيت الشاب فإنى فى انتظارك منذ ثلاثة أيام، قال: فذكرت لها القصة إلى أن قلت: قال: أردت أن أشم ريحهم، فصاحت وقالت آه بلغ الشم وخرجت روحها فخرج أتراب لها عليهن المرقعات والفوط، فتولين أمرها رحمة الله تعالى عليهم.

**(الحكاية السادسة والستون)** حكى أنه ركب جماعة من التجار فى البحر متوجهين إلى الحج، فانكسر المركب وضاق وقت الحج، وفيهم إنسان معه

بضاعة بخمسين ألفا، فتركها وتوجه إلى الحج، فقالوا له: لو أقمت فى هذا المكان لعل أن تخرج لك بعض بضاعتك، فقال: والله لو حصلت لى الدنيا كلها ما اخترتها على الحج، ورؤية من يشهده من أولياء الله تعالى بعد أن رأيت منهم مارأيت، قالوا: وما رأيت منهم؟ قال: كنا مرة متوجهين إلى الحج، فأصابنا عطش فى بعض الأيام، وبلغت الشربة كذا وكذا، ودرت فى الركب من أوله إلى آخره فلم يحصل لى ماء لابيع ولاغيره، وبلغ العطش منى الجهد، فتقدمت قليلا وإذا أنا بفقير معه عكاز وركوة، وقد ركز العكاز فى ساقية بركة، والماء ينبع من تحت العكاز، ويجرى فى الساقية إلى البركة، فجئت إلى البركة فشربت وملأت قربتى، ثم أعلمت الركب فاستقوا كلهم منها وتركوها وهى تطفح، قال: فهل يسمح بفوت مشهد يشهده مثل هؤلاء القوم رضى الله تعالى عنهم، ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية السابعة والستون، عن أبى عبد الله الجوهرى ﵁)** قال: كنت سنة فى عرفات، فلما كان فى آخر الليل نمت فرأيت ملكين نزلا من السماء، فقال أحدهما لصاحبه: كم وقف هذه السنة؟ قال له صاحبه: ست مئة ألف، فلم يقبل منهم إلا ستة أنفس، قال: فهممت أن ألطم وجهى وأنوح على نفسى، فقال له الآخر: ما فعل الله تعالى فى الجميع قال: نظر الكريم إليهم بعين الكرم، فوهب لكل واحد منهم مئة ألف وغفر لست مئة ألف بستة أنفس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

**(الحكاية الثامنة والستون: عن على بن الموفق رضى الله تعالى عنه)** قال: جلست يوما فى الحرم وقد حججت ستين حجة، فقلت فى نفسى: إلى متى أتردد فى هذه المسالك والقفار؟ فغلبتنى عيناى، فنمت فاذا أنا بقائل يقول لى: يا ابن الموفق هل تدعو إلى بيتك إلا من تحب، فطوبى لمن أحبه المولى وحمله إلى المقام الأعلى، وأنشأ يقول:

**دعوت إلى الزيارة أهل ودى ... ولم أطلب بها أحدا سواهم**
**فجاءونى إلى بيتى كراما ... فأهلا بالكرام ومن دعاهم**

❖ وروى عن ذى النون المصرى ﵁ أنه قال: رأيت شابا عند الكعبة يكثر

الركوع والسجود، فدنوت منه وقلت له: إنك تكثر الصلاة، فقال: أنتظر الإذن بالانصراف، قال: فرأيت رقعة سقطت عليه فيها: من العزيز الغفور إلى العبد الصادق الشكور، انصرف مغفورا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، رضي الله عنه.

**(الحكاية التاسعة والستون: عن بعض الصالحين)** قال: بينما أنا جالس عند الكعبة إذ جاء شيخ قد شال ثوبه على وجهه، ودخل إلى زمزم فاستقى منها بركوة كانت معه، وشرب فأخذت فضلته، فشربت فاذا هو ماء مخلوط بعسل لم أذق شيئا قط أطيب منه، قال: فالتفت لأنظره فإذا هو قد ذهب، قال: ثم عدت من الغد فجلست عند البئر، وإذا الشيخ قد أقبل وثوبه مسدول على وجهه، ودخل من باب زمزم، واستقى دلوا وشرب، فأخذت فضلته فشربت منها، فاذا لبن ممزوج بسكر، لم أذق شيئا أطيب منه، رضى الله تعالى عنه.

**(الحكاية السبعون: عن سهل بن عبدالله رضي الله عنه)** قال: مخالطة الولى للناس ذل، وتفرده بالله عز، وقلما رأيت وليا لله تعالى إلا منفردا. إن عبد الله بن صالح كان له سابقة وموهبة من الله جزيلة، وكان يفر من الناس من بلد إلى بلد حتى أتى مكة فطال مقامه فيها، فقلت له: لقد طال مقامك بها، قال لى: لم لاأقيم بها ولم أر بلدا ينزل فيه من الرحمة والبركة أكثر من هذا البلد؟ والملائكة تغدو فيها وتروح، وإنى أرى فيه أعاجيب كثيرة، وأرى الملائكة يطوفون بالبيت على صور شتى لايقطعون ذلك، ولو قلت كل ما رأيت لصغرت عنه عقول قوم ليسوا بمؤمنين: فقلت له: أسألك بالله إلا ما أخبرتنى بشىء من ذلك فقال: ما من ولى لله تعالى صحت ولايته إلا وهو يحضر هذا البلد فى كل ليلة جمعة لايتأخر عنه فمقامى هنا لأجل من أراه منهم. ولقد رأيت رجلا يقال له مالك بن القاسم الجيلى. وقد جاء ويده غمرة، فقلت له: إنك قريب عهد بالأكل، فقال لى: أستغفر الله تعالى، فإنى أسبوع لم آكل، ولكن أطعمت والدتى وأسرعت لألحق صلاة الفجر، وبينه وبين الموضع الذى جاء منه تسع مئة فرسخ، فهل أنت مؤمن بذلك؟ قلت: نعم، قال: الحمد لله الذى أرانى مؤمنا، قلت: وقدر تسع مئة فرسخ مئة وسبع عشرة مرحلة، وذلك مسيرة ثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما فى مجرد سير النهار دون الليل، أو بالليل دون النهار، أخبرنى بعضهم أنه يرى حول الكعبة الملائكة والأنبياء والأولياء عليهم السلام،

وأكثر ما يراهم ليلة الجمعة، وكذلك ليلة الإثنين وليلة الخميس، وعدد لى جماعة كثيرة من الأنبياء والأولياء وذكر أنه يرى كل واحد منهم فى موضع معين يجلس فيه حول الكعبة، ويجلس معه أتباعه من أهله وقرابته وأصحابه؛ وذكر أن نبينا ﷺ يجتمع عنده من أولياء الله تعالى خلق لايحصى عددهم إلا الله تعالى، ولم يجتمع على سائر الأنبياء كذلك، وذكر أن إبراهيم وأولاده ﷺ يجتمعون ويجلسون بقرب باب الكعبة بحذاء مقامه المعروف وموسى وجماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بين الركنين اليمانيين، وعيسى وجماعة منهم عليهم الصلاة والسلام فى جهة الحِجر، ورأى فيه قبر إسماعيل عليه الصلاة والسلام وجماعة من الملائكة عليهم الصلاة والسلام عند الحجر الأسود، ورأى سيد الخلق أجمعين المرسل رحمة للعالمين، تاج الأصفياء وخاتم الأنبياء سيدنا محمدا ﷺ وعليهم أجمعين جالسا عند الركن اليمانى مع أهل بيته وأصحابه وأولياء أمته. وذكر أنه رأى إبراهيم وعيسى عليهما الصلاة والسلام أكثر الأنبياء محبة لأمة محمد ﷺ وأكثرهم فرحا بفضلهم وأنسهم بهم، ورأى فى بعض الأنبياء غيرة من فضلهم، وذكر أسرارا كثيرة منها ما ذكره يطول، ومنها ما لاتحمله بعض العقول، قلت: ولاتستبعد الغيرة المذكورة، فقد كان من غيرة موسى عليه الصلاة والسلام وبكائه ليلة المعراج ما كان، والغيرة فى الخير محمودة، وإنما يذم الحسد، وما ذكره عن إبراهيم وعيسى عليهما الصلاة والسلام مناسب لحالهما وكثرة ودهما لهذه الأمة، يعرف ذلك من له الاطلاع على الأخبار والآثار، بل يفهم ذلك من القرآن، والله سبحانه وتعالى أعلم.

**(الحكاية الحادية والسبعون)** حكى أنه حج هشام بن عبد الملك قبل أن يلى الخلافة، فاجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنه، وجاء زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب، رضوان الله عليهم أجمعين، فوقف الناس له وتنحوا عنه، حتى استلم، فقيل لهشام من هذا؟ قال لا أعرفه، فقال الفرزدق: لكنى أعرفه، وأنشد يقول:

| | |
|---|---|
| **هذا ابن خير عباد الله كلهم** | **هذا التقى النقى الطاهر العلم** |
| **هذا الذي تعرف البطحاء وطأته** | **والبيت يعرفه والحل والحرم** |
| **يكاد يمسكه عرفان راحته** | **ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم** |

| | |
|---|---|
| مـا قـال لا قط، إلا في تشـهـده | لولا التـشـهـد كـانت لاؤه نعم |
| إذا رأتـه قـريش قـال قـائلهـا | إلى مكارم هذا ينتـهـى الكرام |
| إن عـد أهل التقى كانوا أئمتهم | أو قيل من خير أهل الأرض؟ قيل هم |
| هذا ابن فـاطمـة إن كانت جـاهله | بجـده أنبـيـاء الله قـد خـتـمـوا |
| وليس قـولك من هذا بضـائره | العرب تعرف من أنكرت والعجم |
| يغضى حياء ويغضى من مهابته | فـلا يُكلم إلا حين يبـتـسـم |

❖ وروى أن زين العـابدين رضى الله تعـالى عنه كـان يصلى فى كل يوم وليلة ألف ركعـة، ولايدع صلوات الليل فى السفر والحضر، وكان إذا توضأ اصـفر لونه، وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فقيل له مالك؟ فقال: أتدرون بين يدى من أقوم، وكان رضى الله عنه إذا هاجت الريح سقط مغشيا عليه، ووقع حريق فى بيت هو فيه وهو ساجد، فجعلوا يقولون له يا ابن رسول الله النار النار فما رفع رأسه حتى طفئت، فقيل له فى ذلك لما رفع رأسه، فقال: ألهتنى عنها النار الأخرى. وكان رضى الله تعالى عنه يقول: اللهم إنى أعوذ بك أن تحسن فى لوامع العيون علانيتى وتقبح سريرتى. وكان رضى الله تعالى عنه يقول: إن قوما عبدوا الله عز وجل رهبة فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وقوما عبدوه شكرا فتلك عبادة الأحرار. وكان رضى الله تعالى عنه لايحب أن يعينه على طهوره أحد، كان يستقى الماء لطهوره، ويخمره قبل أن ينام، فإذا قام من الليل بدأ بالسواك ثم يتوضأ ويأخذ فى صلاته ويقضى ما فاته من ورد النهار بالليل، وإذا مشى لاتجاوز يده فخذه، ولايخطر بيده. وكان رضى الله تعالى عنه يقول: عجبت للمتكبر الفخور الذى كان بالأمس نطفة، ويكون غدا جيفة، وعجبت كل العجب لمن شك فى الله تعالى وهو يرى خلقه؛ وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى؛ وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء. وكان ناس من أهل المدينة يعيشون لايدرون من أين معايشهم، فلما مات فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل، لأنه كان رضى الله تعالى عنه ينفق سرا، ويظن الجاهل به أنه بخيل، فلما مات وجدوه كان ينفق على أهل مئة بيت، وقال ابنه محمد الباقر رضى الله تعالى عنهما: أوصانى أبى، فقال: لاتصحبن خمسة ولاتحادثهم ولاترافقهم

فى طريق: لاتصحبن فاسقا فإنه يبيعك بأكلة فما دونها، قلت يا أبت ومادونها؟ قال يطمع فيها ثم لاينالها. ولاتصحبن البخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه. ولاتصحبن كذابا، فإنه بمنزلة السراب يبعد عنك القريب، ويقرب منك البعيد. ولاتصحبنّ أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وقد قيل: عدو عاقل خير من صديق أحمق. ولاتصحبن قاطع رحم فإنى وجدته ملعونا فى ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى، وروى أنه تكلم رجل فى زين العابدين وافترى عليه، فقال له زين العابدين: إن كنت كما قلت فاستغفر الله تعالى، وإن لم أكن كما قلت فغفر الله تعالى لك، فقام إليه الرجل معتذرا وقبل رأسه وقال: جعلت فداك، لست كما قلت فاستغفر لى، قال:

الله لك، فقال الرجل: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» ولقد أحسن القائل:

| | |
|---|---|
| وما الناس إلا واحدٌ من ثلاثة | شريف ومشروف ومثل مقاوم |
| فأما الذى فوقى فأعرف حقه | وأتبع فيه الحق والحق لازم |
| وأما الذى مثلى فإن زل أو هفا | تفضلت إن الحر بالفضل حاكم |
| وأما الذى دونى فإن قال صنت عن | مقالته عرضى وإن لام لائم |
| سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب | وإن كثرت منه علىَّ الجرائم |

◆ وأقبل خادم لزين العابدين مسرعا بشواء من التنور لضيف عنده، فسقط من يده على بنىّ له صغير، فأصاب رأسه فقتله، فقال زين العابدين رضى الله تعالى عنه: أنت حر لأنك لم تتعمده، وأخذ فى جهاز ابنه، ودخل على محمد بن أسامة بن زيد فى مرضه، فجعل محمد يبكى، فقال له زين العابدين رضى الله تعالى عنه: ما شأنك؟ قال على دين، قال كم هو؟ قال خمسة عشر ألف دينار، فقال هو على، وخرج يوما من المسجد فلقيه رجل فسبه، فثارت إليه العبيد والموالى، فقال لهم زين العابدين: مهلا عن الرجل، ثم أقبل عليه وقال: ماستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل، فألقى عليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول ﷺ، قلت: لايتوهم غر أنهم كانوا أهل دنيا ينفقون منها

الأموال، إنما كانوا أهل سخاء وفتوة وفضل ومروءة وجود مكارم النبوة، كانت تأتيهم الدنيا فيخرجونها فى العاجل وفيهم يصدق قول القائل:

**وهم ينفقون المال فى أول الغنى ... ويستأنفون الصبر فى آخر الصبر**

**إذا نزل الحى الغريب تقارعوا ... عليه فلم يدر المقل من المثرى**

وقال آخر:

**تعود بسط الكف حتى لو انه ... ثناها لقبض لم تطعه أنامله**

**فلو لم يكن فى كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله**

**هو البحر من أى النواحى أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله**

وقال آخر

**كم للمواسم من سفعاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف النطق والبصر**

**ممن يعدك تكفى فقد والده ... كالفرخ فى الوكر لم ينهض ولم يطر**

وقال آخر:

**إن الكريم ليخفى عنك عسرته ... حتى تراه غنيا وهو مجهود**

**والبخيل على أمواله علل ... زرق العيون عليها أوجه سود**

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه لما قال رسول الله ﷺ لحى من الأنصار: من سيدكم يابنى سلمة؟ قالوا: الحر بن قيس على بخل فيه، فقال رسول الله ﷺ: وأى داء أدوأ من البخل، بل سيدكم عمرو بن الجموح، فسمع حسان رضي الله عنه مقالة رسول الله ﷺ، فأنشأ يقول:

**يقول رسول الله والحق قوله ... فقال لنا ماذا تعدون سيدا؟**

**فقلنا له حر بن قيس على الذى ... نبخله فينا وقد نال سوددا**

**فقال وأى الداء أدوا من التى ... رميتم بها حرا وغل بها يدا؟**

**وسوّد عمرو بن الجموح لجوده ... وحق لعمرو ذى الندى أن يسودا**

**إذا جاءه السؤّال أنهب ماله ... وقال خذوه إنه عدة غدا**

**فلو كنت يا حر بن قيس على التى ... على مثلها عمرو لكنت المسودا**

فتبسم رسول الله ﷺ من شعره وقال: «إن من الشعر لحكما، وروى لحكمة» وقال الإمام الحفيل السيد الجليل ابن المبارك رضي الله عنه: سخاء النفس عما فى أيدى الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل.

**(الحكاية الثانية والسبعون)** حكى عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين أنه خرج حاجا، فلما دخل المسجد الحرام نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته، فقيل له: إن الناس ينظرون إليك، فلو رفقت بصوتك قليلا، فقال: ولم لا أبكى لعل الله تعالى ينظر إلى برحمة فأفوز بها عنده غدا؟ ثم طاف بالبيت وصلى خلف المقام ورفع رأسه من السجود، فاذا موضع سجوده مبتل بدموع عينيه. وقال لبعض أصحابه: إنى لمحزون، وإنى لمشتغل القلب، فقيل له: وما حزنك وما شغل قلبك؟ قال: إنه من دخل قلبه صافى خالص دين الله تعالى شغله عما سواه، وما عسى أن تكون الدنيا؟ هل هى إلا مركب ركبته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها، أو أكلة أكلتها، أو كما قال رضى الله تعالى عنه، وقال : إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة، وأكثرهم معونة، إن نسيت ذكروك، وإن ذكرت أعانوك، قوالون بحق الله تعالى، قوامون بأمر الله عز وجل، فانزل الدنيا بمنزلة منزل نزلت به وارتحلت عنه، أو كمال أصبته فى منامك فاستيقظت وليس معك منه شىء، وأنشد:

**ألا إنما الدنيا كأحلام نائم ... وما خير عيش لايكون بدائم**

**تأمل إذا ما نلت بالأمس لذة ... فأفنيتها هل أنت إلا كحالم؟**

وقال رضى الله تعالى عنه: إن الغنى والعز يجولان فى قلب المؤمن، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل استوطناه، قلت: يعنى: وإن لم يجدا فيه توكلا رحلا عنه، وفى معنى ذلك قلت:

**يجول الغنى والعز فى قلب مؤمن ... فإن ألفيا جوف القلوب توكلا**

**أقاما فأمسى العبد بالله ذا غنى ... عزيزا وإن لم يلفياه ترحلا**

وقوله: من دخل قلبه صافى خالص دين الله عز وجل شغله عما سواه، أشار بذلك إلى المحبة، لأن صافى خالص دين الله يستلزم محبة الله حقيقة فى

القلب الذى حل فيه، فحينئذ يشتغل بالمحبوب عما سواه، فلا يسمع ولايبصر إلا بالله، ومنه قول القائل:

◆ حبيب قلبى به سمعى به بصرى ◆

وعليه يدل الحديث: «حبك للشىء يعمى ويصم»، وقال عبد الله بن عطاء رحمه الله: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علما منهم عند محمد بن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهم، وقال بعض أهل اللغة: إنما لقب محمد بن على بن الحسين بالباقر، لتبقره وتوسعه فى العلم، يقال: بقرت الشىء بقرا: أى فتحته ووسعته، وسمى الأسد باقرا، لأنه يبقر بطن فريسته، وقال محمد بن على رضى الله تعالى عنهما: كان لى أخ فى عينى عظيما، وكان الذى عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه.

**(الحكاية الثالثة والسبعون: عن الليث بن سعد رحمه الله)** قال: حججت ماشيا سنة ثلاث عشرة ومئة، فأتيت مكة، فلما صليت العصر رقيت أبا قبيس فإذا برجل جالس وهو يدعو، فقال: يارب يارب حتى انقطع نفسه، ثم قال: يارباه يارباه حتى انقطع نفسه، ثم قال: ياالله ياالله حتى انقطع نفسه، ثم قال: ياحى ياحى حتى انقطع نفسه، ثم قال: ياأرحم الراحمين حتى انقطع نفسه، ثم قال: يارحيم يارحيم حتى انقطع نفسه، ثم قال: ياأرحم الرحمين حتى انقطع نفسه سبع مرات، ثم قال: اللهم إنى أشتهى العنب فأطعمنيه، وإن بردىَّ قد خلقا: يعنى ثوبيه؛ قال الليث: فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنبا، وليس على وجه الأرض يومئذ عنب، وبردين موضوعين، فأراد أن يأكل، فقلت: أنا شريكك، فقال ولم؟ قلت لأنك كنت تدعو وأنا أؤمن، فقال لى: تقدم وكل ولاتخبأ منه شيئا، فتقدمت وأكلت معه شيئا لم آكل قط مثله، وإذا به عنب ليس له عجم، فأكلت حتى شبعت والسلة لم ينقص منها شىء، ثم قال لى: خذ أحب البردين إليك، فقلت له: أما البردان فأنا غنى عنهما، فقال لى توار عنى حتى ألبسهما، فتواريت فاتزر بأحدهما وارتدى بالآخر، ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه، فجعلهما على يده ونزل فاتبعته، حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل فقال: اكسنى كساك الله يا ابن رسول الله حلة من حلل

الجنة، فدفعهما إليه، فلحقت الرجل فقلت له: من هذا؟ قال: جعفر بن محمد، فطلبته لأسمع منه شيئا لأنتفع به، فلم أجده رضي الله عنه، وقال الإمام سفيان الثورى رضي الله عنه: سمعت جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه يقول: لقد عزت السلامة حتى لقد خفى مطلبها، فإن تك فى شىء فيوشك أن تكون فى الخمول، فإن لم توجد فى الخمول، فيوشك أن تكون فى التخلى، وليس كالخمول، فإن لم تكن فى التخلى فيوشك أن تكون فى الصمت، وليس كالتخلى، فإن لم توجد فى الصمت فيوشك أن تكون فى كلام السلف الصالح، والسعيد من وجد نفسه فى خلوة، وروى أنه طلبه الخليفة أبو جعفر المنصور وقد تغيظ عليه وتواعده بالقتل، فلما دخل عليه تهدده وأوعده وقال له: اتخذك أهل العراق إماما، يجبون إليك زكاة أموالهم، وتلحد فى سلطانى وتبغيه الغوائل، قتلنى الله إن لم أقتلك؛ فقال رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين إن سليمان عليه السلام أُعطى فشكر، وإن أيوب عليه السلام ابتلى فصبر، وإن يوسف عليه السلام ظلم فغفر، فذهب غيظ المنصور وشره، وجاء سروره وخيره، فرضى عن جعفر الصادق رضي الله عنه، وأثنى عليه؛ فلما خرج من عنده قيل له: ماذا قلت حين دخلت؟ قال: قلت اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام واكنفنى بكنفك الذى لايرام، واغفر لى، أو قال: وارحمنى بقدرتك على، لاأهلك وأنت رجائى، اللهم إنك أجل وأكبر مما أخاف وأحذر، اللهم بك أدفع فى نحره، وأعوذ بك من شره، وقال رضي الله عنه: حدثنى أبى عن جدى أن رسول الله ﷺ قال: «من أنعم الله عليه بنعمة فليحمد الله، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن أحزنه أمر، فليقل: لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم».

**(الحكاية الرابعة والسبعون: عن شقيق البلخى رضي الله عنه)** قال: خرجت حاجا فى سنة تسع وأربعين ومئة، فنزلت القادسية، فبينما أنا أنظر إلى الناس وزينتهم وكثرتهم، نظرت فتى حسن الوجه فوق ثيابه ثوب صوف مشتملا بشملة وفى رجليه نعلان، وقد جلس منفردا، فقلت فى نفسى: هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كَلاًّ على الناس فى طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنه، فدنوت منه، فلما رآنى مقبلا قال: ياشقيق «اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم» وتركنى ومضى، فقلت فى نفسى: إن هذا لأمر عظيم قد تكلم على ما فى نفسى ونطق باسمى، ما هذا إلا عبد صالح، لألحقنه

ولأسأله أن يحللنى، فأسرعت فى أثره فلم ألحقه، وغاب عن عينى، فلما نزلنا واقصة إذا به يصلى وأعضاؤه تضطرب، ودموعه تجرى، فقلت: هذا صاحبى أمضى إليه وأستحله، فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه، فلما رآنى مقبلا قال: ياشقيق اقرأ (وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) ثم تركنى ومضى، فقلت: إن هذا الفتى لمن الأبدال، قد تكلم على سرى مرتين، فلما نزلنا إلى منى إذا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقى، فسقطت الركوة من يده فى البئر وأنا أنظر إليه، فرأيته قد رمق السماء وسمعته يقول:

**أنت ربي إذا ظمـــئت من الما ء وقـــوتى إذا أردت الطعـــام**

**اللهم** أنت تعلم يا إلهى وسيدى مالى سواها، فلا تعدمنى إياها، قال شقيق رضي الله عنه: فوالله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤه، فمد يده وأخذ الركوة وملأها ماء وتوضأ وصلى أربع ركعات، ثم مال إلى كثيب من رمل، فجعل يقبض بيده ويطرحه فى الركوة ويحركه ويشرب، فأقبلت إليه وسلمت عليه، فرد على السلام، فقلت أطعمنى من فضل الله ما أنعم الله تعالى به عليك فقال: ياشقيق لم تزل نعمة الله تعالى علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربك ثم ناولنى الركوة، فشربت منها، فإذا سويق وسكر، فوالله ما شربت قط ألذ منه ولا أطيب منه ريحا، فشبعت ورويت وأقمت أياما لاأشتهى طعاما ولاشرابا، ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة فى جنب قبة الشراب فى نصف الليل يصلى بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل؛ فلما رأى الفجر جلس فى مصلاه يسبح ثم قام فصلى؛ فلما سلم من صلاة الصبح طاف بالبيت أسبوعا (سبعة أشواط)، وخرج فتبعته، فإذا له حاشية وأموال، وهو على خلاف ما رأيته فى الطريق، ودار به الناس من حوله يسلمون عليه، فقلت لبعض من رأيته بالقرب منه؟ من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين، فقلت: قد عجبن أن تكون هذه العجائب والشواهد إلا لمثل هذا السيد.

**(الحكاية الخامسة والسبعون: عن الشيخ أبى سعيد الخراز رضي الله عنه)** قال: دخلت المسجد الحرام، فرأيت فقيرا عليه خرقتان يسأل شيئا، فقلت فى

نفسي: مثل هذا يكون كَلاً على الناس، فنظر إلى وقال (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه) فاستغفرت فى سرى، فنادانى وقال (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات)، وقال بعضهم: كنت أسير فى البادية مع القافلة، فرأيت امرأة تمشى بين يدى القافلة، فقلت هذه ضعيفة سبقت القافلة لئلا تنقطع، كان معى دريهمات فأخرجتها من جيبى وقلت لها: خذيها فإذا نزلت القافلة فاطلبينى لأجمع لك شيئا تكترين به مركوبا يحملك، فمدت يدها وقبضت شيئا من الهواء، فإذا فى يدها دراهم، فناولتنى إياها وقالت: أنت أخذتها من الجيب ونحن أخذناها من الغيب، رضى الله تعالى عنهما، وسمعت امرأة متعلقة بأستار الكعبة تنشد هذه الأبيات.

**يا حبيب القلوب مالى سواكا ... فارحم اليوم زائرا قد أتاكا**
**عيل صبرى وزاد فيك اشتياقى ... وأبى القلب أن يحب سواكا**
**أنت سؤلي وبغيتى ومرادى ... ليت شعرى متى يكون لقاكا**
**ليس قصدى من الجنان نعيما ... غير أنى أريدها لأراكا**

**(الحكاية السادسة والسبعون: عن الشيخ أبى عبد الرحمن بن خفيف ﷺ)**
قال: دخلت بغداد قاصدا الحج فى رأسى النخوة الصوفية، يعنى حدة الإرادة وشدة المجاهدة واطراح ما سوى الله تعالى، قال: ولم آكل أربعين يوما، ولم أدخل على الجنيد، وخرجت ولم أشرب، وكنت على طهارتى، فرأيت ظبيا فى البرية على رأس بئر وهو يشرب وكنت عطشانا، فلما دنوت من البئر ولى الظبى، وإذا الماء فى أسفل البئر، فمشيت وقلت: ياسيدى مالى عندك محل هذا الظبى، فسمعت قائلا يقول من خلفى: جربناك فلم تصبر، ارجع فخذ الماء إن الظبى جاء بلا رَكوَة ولا حبل، وأنت جئت بالركوة والحبل، فرجعت فإذا البئر ملآنة، فملأت ركوتى، وكنت أشرب منها وأتطهر إلى المدينة، ولم ينفد الماء؛ فلما رجعت من الحج دخلت الجامع، فلما وقع بصر الجنيد على قال: لو صبرت ساعة لنبع الماء من تحت قدميك.

**(الحكاية السابعة والسبعون: عن بعضهم)** أنه كان يمشى فى البرية فإذا هو بفقير يمشى حافى القدمين حاسر الرأس، عليه خرقتان متزر بإحداهما

مرتد بالأخرى، ليس معه زاد ولا ركوة، قال: فقلت فى نفسى: لو كان مع هذا ركوة وحبل إذا أراد الماء توضأ وصلى كان خيرا له، ثم لحقت به وقد اشتدت الهاجرة، فقلت له يافتى: لو جعلت هذه الخرقة التى على كتفك على رأسك، تتقى بها الشمس كان خيرا لك، فسكت ومشى؛ فلما كان بعد ساعة قلت له: أنت حاف ما ترى فى نعلى، تلبسها ساعة وأنا ساعة؟ فقال: أراك كثير الفضول، ألم تكتب الحديث، قلت بلى، قال: فلم تكتب عن النبى ﷺ «من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه» فسكت ومشينا، فعطشت ونحن على ساحل البحر، فالتفت إلى وقال: أنت عطشان؟ فقلت لا، فمشينا ساعة وقد كظنى العطش ثم التفت إلى وقال: أنت عطشان؟ فقلت نعم وما تقدر تعمل معى فى مثل هذا الموضع؟ فأخذ الركوة منى ودخل البحر وغرف الماء وجاءنى به، وقال اشرب، فشربت ماء أعذب من ماء النيل وأصفى لونا، وفيه حشيش، ولله در القائل:

**إذا وردوا الأطلال تاهت بهم عجبا ... وإن لمسوا عودا زها غصنه رطبا**

**وإن وطئوا يوما على ظهر صخرة ... لأنبتت الصماء من وطئهم عشبا**

**وإن وردوا البحر الأجاج لشربة ... لأصبح ماء البحر من ريقهم عذبا**

قال: فقلت فى نفسى: هذا ولى لله تعالى ولكنى أدعه حتى إذا وافينا المنزل سألته الصحبة، فوقف وقال: أيما أحب إليك، تمشى أو أمشى؟ فقلت فى نفسى: إن تقدم فاتنى ولكنى أتقدم أنا وأجلس فى بعض المواضع فاذا جاء سألته صحبة، فقال: يا أبا بكر إن شئت تقدم وأجلس، وإن شئت تأخر فانك لاتصحبنى، ومضى وتركنى، فدخلت المنزل وكان به صديق لى، وعندهم عليل، فقلت لهم: رشوا عليه من هذا الماء، فرشوا عليه، فبرأ باذن الله تعالى، وسألتهم عن الشخص، فقالوا: ما رأيناه رضى الله تعالى عنه ونفع به.

**(الحكاية الثامنة والسبعون: عن الشيخ فتح الموصلى رضي الله عنه)** قال: رأيت فى البادية غلاما لم يبلغ الحلم يمشى ويحرك شفتيه، فسلمت عليه فرد الجواب، فقلت له: إلى أين ياغلام؟ فقال: إلى بيت الله الحرام، قلت له: فبماذا تحرك شفتيك؟ قال بالقرآن، قلت فإنه لم يجر عليك قلم التكليف، قال: رأيت الموت يأخذ من هو أصغر منى سنا، فقلت خطوك قصير وطريقك بعيد، فقال:

إنما على نقل الخطا، وعلى الله الإبلاغ، فقلت: أين الزاد والراحلة؟ فقال: زادى يقينى، وراحلتى رجلاى، قلت: أسألك عن الخبز والماء، فقال ياعماه أرأيت لو دعاك مخلوق إلى منزله أكان يجمل بك أن تحمل معك زادك؟ فقلت لا؟ قال: إن سيدى دعا عباده إلى بيته وأذن لهم فى زيارته، فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم، وإنى استقبحت ذلك، فحفظت الأدب معه، أفتراه يضيعنى؟ فقلت كلا وحاشا، ثم غاب عن عينى فلم أره إلا بمكة، فلما رآنى قال: ياشيخ أنت بعد على ذلك الضعف فى اليقين؟ ثم أنشأ يقول:

مالك العالمين ضامن رزقى ... فلماذا أكلف الخلق رزقى

قد قضى لى بما على ومالى ... مالكى فى قضائه قبل خلقى

صاحب البذل والندى فى يسارى ... ورفيقى فى عسرتى حسن صدقى

فكما لايرد عجزى رزقى ... فكذا لايجر رزقى حذقى

**(الحكاية التاسعة والسبعون: عن بعضهم)** قال: بقيت فى برية الحجاز أياما لم آكل شيئا، فاشتهيت باقلا حارا وخبزا من باب الطاق، فقلت أنا فى البرية، وبينى وبين العراق مسافة بعيدة، فلم أتم خاطرى حتى نادى أعرابى، من بعيد: ياباقلا حار وخبز، فتقدمت إليه وقلت له: عندك باقلا حار؟ قال نعم، وبسط مئزرا كان عليه، وأخرج خبزا وباقلا حارا قال لى: كل، فأكلت، ثم قال كل، فأكلت، ثم قال لى ثالثة كل، فأكلت؛ فلما قال الرابعة قلت: بحق الذى بعثك لى فى هذه البرية إلا ما قلت لى من أنت؟ فقال: الخضر، وغاب عنى فلم أره، سلام الله ورضوانه عليه.

**(الحكاية الثمانون: عن شقيق البلخى رضى الله تعالى عنه)** قال: رأيت فى طريق مكة مقعدا يزحف على الأرض، فقلت له: من أين أقبلت؟ قال: من سمرقند، قلت: وكم لك فى الطريق؟ فذكر أعواما تزيد على العشرة، فرفعت طرفى إليه أنظر متعجبا، فقال لى: ياشقيق مالك تنظر إلى، فقلت متعجبا من ضعف مهجتك وبعد سفرتك! فقال لى: ياشقيق أما بعد سفرتى فالشوق يقربها؛ وأما ضعف مهجتى فمولاى يحملها، ياشقيق أتعجب من عبد ضعيف يحمله المولى اللطيف، وأنشأ يقول:

أزوركم والهوى صعب مسالكه    والشوق يحمل من لامال يسعده

ليس المحب الذى يخشى مهالكه    كلا ولاشدة الأسفار تقعده

**(الحكاية الحادية والثمانون: عن بعض الصالحين)** قال: رأيت فى الطريق غلاما شابا نحيف الجسم دقيق الساقين وهو يبكى ويقول: واشوقاه لمن يرانى ولا أراه، فقلت له من هو؟ فأنشد يقول:

ولى حبيب بلا كيف ولا شبه    ولى مقام بلا ريع ولا خيم

أتيت من دار عشق لا أمثلها    من عند من لم أطق شرحا له بفم

قال: ثم غشى عليه زمانا، فحركناه فوجدناه قد مات، رضي الله عنه، وروى أن الشيخ نجم الدين الأصبهانى رضي الله عنه خرج من جنازة بعض الصالحين بمكة، فلما دفنوه وجلس الملقن يلقنه ضحك الشيخ نجم الدين، وكان من عادته لايضحك، فسأله بعض أصحابه عن ضحكه، فزجره؛ فلما كان بعد ذلك قال: ما ضحكك، فقال: ما ضحكت إلا لأنه لما جلس الملقن على القبر سمعت صاحب القبر يقول: ألا تعجبون من ميت يلقن حيا؟ رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم أجمعين.

**(الحكاية الثانية والثمانون: عن الشيخ المزنى الكبير رضى الله تعالى عنه)** قال: كنت بمكة، فوقع بى انزعاج، فخرجت أريد المدينة؛ فلما وصلت إلى بئر ميمونة رضى الله تعالى عنها إذا بشاب مطروح وهو فى النزع، فقلت: قل لا إله إلا الله، ففتح عينيه وأنشأ يقول:

أنا إن مت فالهوى حشوى قلبى    وبداء الهوى تمت الكرام

ثم مات، قال فغسلته وكفنته وصليت على، فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بى من إرادة السفر، فرجعت إلى مكة رضى الله تعالى عنهما، وقال بعضهم: كان عندنا فتى بمكة عليه أطمار رثة، وكان لايداخلنا ولايجالسنا، فوقعت محبته فى قلبى، ففتح لى بمئتى درهم من وجه حلال، فحملتها إليه ووضعتها على طرف سجادته، وقلت له: أى فتح لى بهذه من وجه حلال، فاصرفها فى بعض حوائجك، فنظر إلى شزرا ثم قال: إنى اشتريت هذه الجلسة مع الله تعالى على الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضياع والمستغلات، تريد أن

تخدعنى عنها بهذه وقام وبدرها وقعدت ألتقطها فما رأيت كعزه حين مر، ولاكذلى حين كنت ألتقطها، رضى الله تعالى عنه.

**(الحكاية الثالثة والثمانون: عن بعضهم)** قال: كنت بالمدينة، فجئت عند القبر الشريف فإذا برجل أعجمى كبير الهامة يودع النبى ﷺ، فتبعته لما خرج، فلما بلغ مسجد ذى الحليفة صلى ولبى، فصليت ولبيت وخرجت خلفه، فالتفت فرآنى وقال: ما تريد؟ فقلت أريد أن أتبعك فأبى، فألححت عليه، فقال إن كان ولابد فلا تضع قدمك إلا على أثر قدمى، فقلت نعم، فمشى فأخذ على غير الطريق، فلما مر هزيع مع الليل إذا بضوء سراج، فالتفت إلى فقال: هذا مسجد عائشة فتقدم أنت أو أتقدم أنا؟ فقلت ما تختار، فتقدم ونمت أنا، حتى إذا كان وقت السحر دخلت مكة فطفت وسعيت، وجئت عند الشيخ أبى بكر الكتانى رضي الله عنه وجماعة من الشيوخ عنده قعود، فسلمت عليهم، فقال لى الكتانى: متى قدمت؟ قلت الساعة، قال من أين؟ قلت من المدينة، قال كم لك عنها؟ قلت البارحة، فنظر بعضهم إلى بعض، فقال لى الكتانى: مع من جئت؟ قلت مع رجل من حاله وقصته كذا وكذا، قال ذاك أبو جعفر الدامغانى وهذا فى حاله قليل، ثم قال: قوموا فاطلبوه، ثم قال لى: ياولدى قد علمت أن هذا ليس حالك، ثم قال: كيف كنت تحس بالأرض تحت قدميك؟ قلت مثل الموج إذا دخل تحت السفينة، رضي الله عنه ونفع به آمين.

**(الحكاية الرابعة والثمانون: عن سفيان بن إبراهيم رحمه الله تعالى)** قال: لقيت إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه بمكة شرفها الله تعالى فى سوق الليل عند مولد النبى ﷺ وهو يبكى، فألجأته إلى ناحية من الطريق، قال: فسلمت عليه وصليت عنده وقلت له: ما هذا البكاء يا أبا إسحاق؟ فقال خير، فعاودته مرة ثانية وثالثة؛ فلما أطلت عليه السؤال قال لى ياسفيان إن أنا أخبرتك بخبر تبوح به أم تستر على؟ فقلت له يا أخى قل ما شئت، قال اشتهت نفسى سكباجا منذ ثلاثين سنة وأنا أمنعها جهدى؛ فلما كان البارحة غلبنى النوم، وإذا أنا بشاب من أحسن الناس وجها، وبيده قدح أخضر، يعلو منه البخار ورائحة السكباج، فأجمعت همتى عنه، فقرب منى وقال: يا إبراهيم كل، فقلت ما آكل شيئا تركته لله عز وجل فقال: لى: ولا إن اطعمك الله تعالى؟ قال فما

كان لى والله جواب إلا البكاء، فقال لى: كل يرحمك الله، فقلت له: قد أمرنا أن لانطرح فى وعائنا إلا ما نعلم، فقال لى: كل عافاك الله، فإنما ناولنى هذا رضوان وقال لى: يا خضر اذهب بهذا الطعام فأطعمه لنفس إبراهيم بن أدهم فقد رحمها الله تعالى على طول صبرها على ما يحملها من منعها شهواتها، ثم قال: فالله عز وجل يطعمها وأنت تمنعها، يا إبراهيم إنى سمعت الملائكة يقولون: من أعطى فلم يأخذ طلب ولم يعط، فقلت: إن كان كذلك فها أنا بين يديك لم أخل بالعهد مع الله تعالى، وإذا بفتى آخر قد ناوله شيئا وقال: يا خضر لقمه، فلم يزل يطعمنى بيده، فانتبهت وحلاوة ذلك فى فمى ولون الزعفران فى شفتى، فدخلت زمزم فغسلت فمى فلا الطعم ذهب ولا أثر الزعفران، وقال سفيان: قلت له: فأرنى فإذا أثره لم يذهب، فقلت: يا من يطعم مناع الشهوات إذا صححوا المنع لأنفسهم، يامن ألزم قلوب أوليائه التصحيح، يا من سقى قلوبهم من شراب محبته، أترى لسفيان عندك ذلك؟ قال: ثم أخذت يد إبراهيم ورفعتها إلى السماء وقلت: اللهم بقدر هه الكف وقدر صاحبها وحرمته عندك، وبالجود الذى وجده منك، ياالله، جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك برحمتك ياأرحم الراحمين، وإن لم يستحق ذلك منك يارب العالمين.

**(الحكاية الخامسة والثمانون)** حكى عن إبراهيم بن أدهم أيضا رضي الله عنه أنه حج إلى بيت الله الحرام، فبينما هو فى الطواف وإذا بشاب حسن الوجه، قد أعجب الناس حسنه وجماله، فصار إبراهيم ينظر إليه ويبكى، فقال بعض أصحابه: «إنا لله وإنا إليه راجعون» غفلة دخلت على الشيخ بلاشك، ثم قال: ياسيدى ما هذا النظر الذى يخالطه البكاء؟ فقال له إبراهيم: ياأخى إننى عقدت مع الله تعالى عقدا لاأقدر أفسخه، وإلا كنت أدنى هذا الفتى منى وأسلم عليه، فإنه ولدى وقرة عينى، تركته صغيرا وخرجت فارا إلى الله تعالى، وهاهو قد كبر كما ترى، وإنى لأستحى من الله تعالى أن أعود لشىء خرجت عنه، وتركته له عز وجل، وأنشد:

| | |
|---|---|
| **ولا عرضت لى نظرة مذ عرفته** | **مدى الدهر إلا كان لى حيث أنظر** |
| **أغار على طرفى له فكأننى** | **إذا رام طرفى غيره لست أبصر** |
| **أيام ذخرى وسؤلى وعدتى** | **ودادك فى قلبى إلى يوم أحشر** |

ثم قال لى: امض وسلم عليه لعلى أتسلى بسلامك عليه،.وأبرد نارا على كبدى، فأتيت الفتى وقلت له: بارك الله لأبيك فيك، فقال ياعم وأين أبى، إن أبى قد خرج فارا إلى الله تعالى ليتنى أراه ولو مرة واحدة وتخرج نفسى عند ذلك، هيهات هيات، وخنقته العبرة وقال: والله أود لو أنى رأيته وأموت فى مكانى، ثم بكى وأنشد يقول:

**لقـد حكم الزمـان على حـتى — برانى فى هواك كـمـا ترانى**

**حـبـيـبى أن بعـدت فـإن قلبى — على مـر الزمـان إليك دانى**

**وإن بعـدت ديارك عن ديارى — فشخصك ليس يبرح عن عيانى**

**لقـد أسكنت حبك فى فـؤادى — مكانا ليس يعـرفـه جنانى**

**كأنك قد ختمت على ضميرى — فـغـيـرك لا يمر على لسـانى**

قال: ثم رجعت إلى إبراهيم وهو ساجد فى المقام، وقد بل الحصى بدموعه وهو يتضرع إلى الله تعالى ويبكى ويقول:

**هجـرت الخلق طرا فى هـواكـا — وأيتـمـت العـيـال لكى أراك**

**فلو قطعـتنى فى الحب أربا — لما سكن الفـؤاد إلى سـواكـا**

قال: فقلت له: ادع له، فقال: حجبه الله عن معاصيه، وأعانه على مايرضيه

**(الحكاية السادسة والثمانون: عن الشيخ أبى بكر الدقاق رضي الله عنه)** قال: بقيت بمكة عشرين سنة، وكنت أشتهى اللبن، فغلبتنى نفسى، فخرجت إلى عسفان، فاستضفت حيا من أحياء العرب، فوقعت عينى على جارية حسناء أخذت بقلبى، فقالت: ياشيخ لو كنت صادقا لذهبت عنك شهوة اللبن، فرجعت إلى مكة، وطفت بالبيت، فرأيت فى منامى يوسف الصديق ﷺ، فقلت له: يانبى الله أقر الله عينك بسلامتك من زليخا، فقال لى: يامبارك بل أنت أقر الله عينك بسلامتك من العسفانية، ثم تلا يوسف ﷺ **(ولمن خاف مقام ربه جنتان)** بصوت رخيم، أنشدوا:

**وأنت إذا أرسلت طرفك رائدا — لقلبك يومـا أتعـبـتك المناظر**

**رأيت الذى لا كله أنت قـادر — عليه ولا عن بعضه أنت صابر**

وقال بعضهم: لايمكن الخروج من النفس بالنفس وإنما يمكن الخروج عن النفس بالله تعالى وقال: استرح مع الله تعالى، ولاتسترح عن الله، فإن من استراح مع الله نجا، ومن استراح عن الله هلك، والاستراحة مع الله تعالى تروح القلب بذكره، والاستراحة عن الله تعالى مداومة الغفلة ❖ وقال الشيخ أبو عبدالله بن محمد بن على الترمذى الحكيم ﷺ: ذكر الله تعالى يرطب القلب ويلينه، فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوات، فيقسو وييبس، وامتنعت الأعضاء من الطاعة، فإذا مددتها انكسرت كالشجرة إذا يبست لاتصلح إلا للقطع، وتصير وقودا للنار، أعادنا الله الكريم منها، وقال الشيخ أبو عبدالله محمد بن الفضل رضى الله تعالى عنه: العجب ممن يقطع الأودية والمفاوز والقفار ليصل إلى بيته وحرمه، لأن فيه آثار أنبيائه؛ كيف لايقطع نفسه وهواه حتى يصل إلى قلبه، فإن فيه آثار مولاه، وقال الشيخ أبوتراب النخشبى رضى الله تعالى عنه: من شغل مشغولا بالله عن الله أدركه المقت فى الوقت، أو كما قال: نعوذ بوجهه الكريم من مقته وعذابه الأليم.

**(الحكاية السابعة والثمانون: عن بعضهم)** أنه سافر للحج على قدم التجرد، وعاهد الله سبحانه أن لايسأل أحدا شيئا، فلما كان فى بعض الطريق مكث مدة لايفتح عليه بشىء فعجز عن المشى ثم قال فى نفسه: هذا حال ضرورة تؤدى إلى تهلكة بسبب الضعف المؤدى إلى الانقطاع، وقد نهى الله عن الإلقاء إلى التهلكة، ثم عزم على السؤال فلما هم بذلك انبعث من باطنه خاطر رده عن ذلك العزم، ثم قال أموت ولاأنقض عهداً بينى وبين الله تعالى، فمرت القافلة وانقطع واستقبل القبلة مضطجعا ينتظر الموت، فبينما هو كذلك، إذا بفارس قائم على رأسه، معه إداوة فيها ماء، فسقاه وأزال ما به من الضرورة وقال له: تريد القافلة؟ فقال: وأين منى القافلة؟ فقال: قم وسار معه خطوات، ثم قال: قف ههنا والقافلة تأتيك، فوقف وإذا بالقافلة مقبلة من خلفه، قلت: وسيأتى الجواب فى خاتمة الكتاب إن شاء الله تعالى عن إنكار من أنكر هذه الحكاية وأشباهها.

**(الحكاية الثامنة والثمانون: عن شاب كان يطوف بالكعبة)** حكى أنه كان شاب يطوف بالكعبة، ويشتغل بالصلاة على النبى ﷺ، فقيل له: هل عندك فى

هذا شيء؟ قال نعم، خرجت أنا وأبى حاجين، فمرض أبى فى بعض المنازل، ومات واسود وجهه وازرقت عيناه وانتفخ بطنه، فبكيت وقلت: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، مات أبى فى أرض غربة هذه الموتة؛ فلما كان الليل غلبنى النوم، فرأيت النبى ﷺ وعليه ثياب بيض، ورائحة طيبة عطرة، فدنا من أبى ومسح على وجهه، فصار أشد بياضا من اللبن، ثم مسح على بطنه فعاد كما كان، ثم أراد أن ينصرف، فقمت إليه وأمسكت بردائه وقلت: ياسيدى بالذى أرسلك إلى أبى رحمة فى أرض غربة من أنت؟ فقال: أو ما تعرفنى؟ أنا محمد رسول الله، كان أبوك هذا كثير المعاصى والذنوب، غير أنه كان يكثر الصلاة على؛ فلما نزل به ما نزل استغاث بى فأغثته، أنا غياث لمن يكثر الصلاة علىَّ فى دار الدنيا، قلت: وفى مدحه ﷺ خطرت لى هذه الأبيات عند كتب هذه الحكاية فى الشفاعة:

**عليك صلاة الله يا ملجأ الورى ... إذا أقبلت يوم الحساب جهنم**
**وراموا شفيعا يستغاث بجاهه ... له شرف العلياء رحب مكرم**
**وقالوا لأهل العزم فى الرسل من لها ... فليس سواكم يا أولى العزم يعزم**
**فمنها خليل والكليم تأخرا ... وعيسى وقبل القوم نوح وآدم**
**فغير الكرام الرسل عنها تأخروا ... أتيت إليها بالندا تتقدم**
**أغثت جميع الخلق إذ كنت رحمة ... بعثت لكل العالمين ليُرحموا**
**فأنت الذى فى الحشر تحت لوائه ... جميع البرايا للأنام مقدم**

**(الحكاية التاسعة والثمانون: عن أبى الحسن السراج)** قال: خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام، فبينما أنا أطوف، وإذا بامرأة قد أضاء حسن وجهها، فقلت: والله ما رأيت إلى اليوم قط نضارة وحسنا مثل هذه المرأة، وما ذاك إلا لقلة الهم والحزن، فسمعت ذلك القول منى فقالت: كيف قلت هذا يارجل؟ والله إنى لوثيقة بالأحزان، ومكلومة الفؤاد بالهموم والأشجان، ما يشركنى فيها أحد، فقلت: وكيف ذاك؟ فقالت: ذبح زوجى شاة ضحينا بها، ولى ولدان صغيران يلعبان، وعلى ثديى طفل يرضع، فقمت لأصنع لهم طعاما إذ قال ابنى الكبير للصغير ألا أريك كيف صنع أبى بالشاة؟ قال بلى، فأضجعه

وذبحه وخرج هاربا نحو الجبل، فأكله الذئب، فانطلق أبوه فى أثره يطلبه فأدركه العطش فمات، فوضعت الطفل وخرجت إلى الباب أنظر ما فعل أبوهم، فدب الطفل إلى البرمة وهى على النار فوضع يده فيها فصبها على نفسه وهى تغلى، فانتثر لحمه عن عظمه، فبلغ ذلك ابنة لى كانت عند وجها فرمت بنفسها إلى الأرض فوافقت أجلها، فأفردنى الدهر من بينهم، فقلت لها: كيف صبرك على هذه المصائب العظيمة؟ فقالت: ما من أحد ميز بين الصبر والجزع إلا وجد بينهما منهاجا متفاوتا، أما الصبر بحسن العلانية فمحمود العاقبة. وأما الجزع فصاحبه غير معوض، ثم أعرضت عنى وهى تنشد:

**صبرت وكان الصبر غير معول ... وهل جزع يجدى على فأجزع**

**صبرت على من لو تحمل بعضه ... جبال شرود أصبحت تتصدع**

**ملكت دموع العين حتى رددتها ... إلى ناظرى فالعين فى القلب تدمع**

**(الحكاية التسعون: عن إبراهيم الخواص رضى الله تعالى عنه)** قال: عطشت فى بعض أسفارى وسقطت من العطش، فإذا أنا بماء رش على وجهى، ففتحت عينى فإذا برجل حسن الوجه راكب على دابة شهباء، فسقانى الماء وقال: كن رفيقى، فما لبثت إلا يسيرا حتى قال لى: ما ترى؟ فقلت: أرى المدينة، فقال: انزل فاقرأ على رسول الله ﷺ السلام وقل له: أخوك الخضر يقرئك السلام، وقال الشيخ أبو الخير الأقطع رضى الله تعالى عنه: قدمت رسول الله ﷺ فأقمت خمسة أيام ماذقت ذواقا، فتقدمت إلى القبر الشريف وسلمت على النبى ﷺ، وعلى أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وقلت: يارسول الله أنا ضيفك الليلة، وتنحيت ونمت خلف المنبر، فرأيته ﷺ فى المنام وأبو بكر رضى الله تعالى عنه عن يمينه وعمر رضى الله تعالى عنه عن شماله، وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه بين يديه، فحركنى على رضى الله تعالى عنه وقال لى: قم فقد جاء رسول الله ﷺ، فقمت إليه وقبلت بين عينيه، فدفع إلى رغيفا فأكلت نصفه، وانتبهت وفى يدى والله نصفه، وأنشد بعضهم:

**أحن إلى نوح الحمام إذ غنى ... وأشتاق للوادى وأصبو إلى المغنى**

**ويعجبنى مر النسيم لأنه ... يحدث عن نجد حديثا له معنى**

ويخــبــــر عن زوار ليلى بأنهم رأوا عند بانات النقا وجهها الأسنى
بعيشك إن جئت الخيام فقف بها وقل لمليح الحى إنى به مـضنى
وعـــرض بذكـــرى عنده فلعله يرق لمشـــتـــاق إلى ربعـــه حنا
متى بقـبـا تقضى منيـة عـاشق ويدفن فى سلع ويمسى له سكنى
تملك قلبى حب من سكن الحمى فـــقلبى يهـــواه وعـــقلى بـه جنا
تكامل مـــعناه فـــأصـــبح فـــاتنا ألا ياله بدرا حوى الحسن والحسنى
عليـــه صـــلاة الله مـــا لاح بارق وما ناح طير فى الغصون وما غنى

**(الحكاية الحادية والتسعون: عن أبى جعفـر الصفار رضي الله عنه)** قال: تهت فى البادية أياما، فعطشت مدة وضعفت، فرأيت رجلا نحيفا فاتحا فاه، ينظر إلى السماء فقلت له: ما هذه الوقفة؟ فقال مالك: والدخول بين المولى والعبيد، ثم أشار بيده وقال: هذه الطريق، فسرت نحو إشارته، فما مشيت إلا قليلا حتى رأيت رغيفين على أحدهما قطعة لحم حار، وهناك كوز فيه ماء، فأكلت حتى شبعت، وشربت حتى رويت، ثم رجعت إليه وقلت: ما التصوف؟ فتبسم ثم قال: لائح لاح فاصطلم فاستباح، يعنى كشفا يرد على الأسرار فيخطف القلب، ويستبيح منه كل ما كان له من مال وغيره، حتى لايؤثر لنفسه شيئا، والاصطلام: محل القهر ونعت الحيرة، وصفة الدهشة رضي الله عنه قلت: وإلى هذا الاصطلام المذكور أشار الشيخ أبو الغيث اليمنى المشهور رضي الله عنه بقوله: أهل الحضرة على أربعة أقسام: رجل خوطب فصار كله أذنا، ورجل أشهد فصار كله عينا، ورجل مصطلم تحت أنوار التجلى، والرابع لسان حال الشفاعة وهو أكمل.

**(الحكاية الثانية والتسعون: عن على بن الموفق رضي الله عنه)** قال: حججت سنة من السنين فى محمل، فرأيت رجالا يمشون، فأحببت المشى معهم، فنزلت وأركبت واحدا فى محملى ومشيت معهم، فتقدمنا إلى البريد، وعدلنا عن الطريق فنمنا، فرأيت فى منامى جوارى معهن طشوت ذهب وأباريق فضة يغسلن أرجل المشاة، فبقيت أنا، فقالت إحداهن لصواحبها، أليس هذا منهم؟ قلت هذا له محمل، فقالت: بلى هو منهم، لأنه أحب المشى معهم، فغسلن رجلى فذهب عنى كل تعب كنت أجده.

(الحكاية الثالثة والتسعون: عن على بن الموفق أيضا رضي الله عنه) قال: حججت نيفا وخمسين حجة وجعلت ثوابها للنبى ﷺ ولأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم ولأبوى، وبقيت حجة، فنظرت إلى أهل الموقف بعرفات وضجيج أصواتهم، فقلت: اللهم إن كان فى هؤلاء من لاتقبل حجته فقد وهبت له هذه الحجة ليكون ثوابها له، فبت تلك الليلة بالمزدلفة، فرأيت ربى عز وجل فى المنام، فقال لى ياعلى بن الموفق، على تتسخى؟ قد غفرت لأهل الموقف ومثلهم وأضعاف ذلك، وشفعت كل رجل منهم فى أهل بيته وخاصته وجيرانه، وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة.

(الحكاية الرابعة والتسعون: عن ذى النون المصرى رضي الله عنه) قال: ركبنا مرة فى مركب، وركب معنا شاب صبيح وجهه يشرق؛ فلما توسطنا فقد صاحب المركب كيسا فيه مال، ففتش كل من فى المركب؛ فلما وصلوا إلى الشاب ليفتشوه، وثب وثبة من المركب حتى جلس على أمواج البحر، وقام له الموج على مثال السرير، ونحن ننظر إليه من المركب وقال: يامولاى إن هؤلاد اتهمونى، وأنا أقسم عليك ياحبيب قلبى أن تأمر كل دابة فى هذا المكان أن تخرج رأسها وفى أفواهها جواهر. قال ذو النون رضي الله عنه: فما تم كلامه حتى رأينا دواب البحر أمام المركب قد أخرجت رءوسها، وفى فم كل واحدة منهن جوهرة تتلألأ وتلمع، ثم وثب الشاب من الموج إلى البحر وجعل يتبختر على متن الماء ويقول (إياك نعبد وإياك نستعين) حتى غاب عن بصرى، قال: فحملنى هذا على السياحة، وذكرت قول النبى ﷺ: «لايزال فى أمتى ثلاثون قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن ﷺ، كلما مات واحد بدل الله تعالى مكانه واحدا».

(الحكاية الخامسة والتسعون: عن إبراهيم الخواص رضي الله عنه) قال: دخلت البادية فأصابتنى شدة، فكابدتها وصابرتها؛ فلما دخلت مكة داخلنى شىء من الإعجاب، فنادتنى عجوز من الطواف: ياإبراهيم كنت معك فى البادية فلم أكلمك لأنى لم أرد أن أشغل سرك عنه، أخرج هذا الوسواس عنك، وقال الشيخ أبو الحسين المزين رضي الله عنه: دخلت البادية على التجريد حافيا حاسرا، فخطر ببالى أنه ما دخل البادية فى هذه السنة أحد أشد تجريدا منى، فجذبنى إنسان من ورائى، وقال: يا حجام كم تحدث نفسك بالأباطيل، وأنشدوا:

نظرت فى الراحة الكبرى فلم أرها | تنال إلا على جنس من التعب
والجد منها بعيد فى تطلبها | فكيف تدرك بالتقصير واللعب

❖ وقال بعضهم: هجر النفس: مواصلة الحق، ومواصلة النفس: هجر الحق. وقيل: الهجر نيران، والوصل جنان، وأنشدوا:

والهجر لو سكن الجنان تحولت | نعم الجنان على العبيد جحيما
والوصل لو سكن الجحيم تحولت | نقم الجحيم على العباد نعيما

❖ وقال بعضهم: إن الله تعالى وهب لكل عبد من معرفته مقدارا وجملة على مقدار ما وهب له من المعرفة لتكون معرفته عونا على حمل بلائه.

**(الحكاية السادسة والتسعون: عن بعض الصالحين رضى الله تعالى عنهم)** قال: رأيت سمنون فى الطواف وهو يتمايل، فقبضت على يده وقلت: له: ياشيخ بموقفك بين يديه إلا أخبرتنى بالأمر الذى أوصلك إليه؛ فلما سمع ذلك بذكر الموقف بين يديه، سقط مغشيا عليه فلما أفاق أنشد:

ومكتئب لج السقام بجسمه | كذا قلبه بين القلوب سقيم
يحق له لو مات خوفا ولوعة | فموقفه يوم الحساب عظيم

ثم قال: يا أخى أخذت نفسى بخمس خصال أحكمتها. فأما الخصلة الأولى: أمتُّ منى ما كان حيا، وهو هوى النفس؛ وأحييت منى ما كان ميتا وهو القلب. وأما الثانية: فإنى أحضرت ما كان عنى غائبا، وهو حظى من الدار الآخرة، وغيبت عنى ما كان عندى حاضرا وهو نصيبى من الدنيا، وأما الثالثة: فإنى أبقيت ما كان فانيا عندى وهو التقى، وأفنيت ما كان باقيا عندى وهو الهوى، وأما الرابعة: فإنى أنست بالأمر الذى منه تستوحشون، وفررت من الأمر الذى إليه تسكنون، ثم ولى عنى وهو يقول:

روحى إليك بكلها قد أقبلت | لو كان فيك هلاكها ما أقلعت
تبكى عليك تخوفا وتلهفا | حتى يقال من البكاء تقطعت
فانظر إليها نظرة بتعطف | فلطالما متعتها فتمتعت

(**الحكاية السابعة والتسعون: عن الشيخ أبى الربيع** ﷺ) قال: كنا جماعة من الفقراء بمكة، وكان فيهم رجال لهم سياحات وأحوال عهدوها من أنفسهم، وكنت قد وقف منى بحثى عن نفسى، على أنى لم أجد لى عملا صالحا، فتفكرت فى نفسى، هل لى حال أنتظره فى المستقبل يرد علىّ، فوجدتنى فقيرا منه، فقلت: من العجز انتظار مالم يكن، فتعلقت بفعل ما يلزمنى فى الوقت، فوجدت أنه ليس عمل صالح أفضل من الطواف، فكنت أكثر منه، فكان بعضهم يقول لى: إلى متى تدور كحمار ساقية، أفى كل هذا العمل أنت واجد قلبك؟ قلت لا، ولا أعرف لى قلبا أجده، ولا أعرف لى مكانا فأطلبه، ولكنى سمعت قوله تعالى (**وليطَّوَّفوا بالبيت العتيق**) فأنا أعمل على ظاهر من الأمر.

(**الحكاية الثامنة والتسعون: عن الشيخ أبى يعقوب البصرى**) روى عن الشيخ أبى يعقوب البصرى رضى الله تعالى عنه أنه قال: جعت مرة فى الحرم عشرة أيام، فوجدت ضعفا، فجذبتنى نفسى أن أخرج إلى الوادى لعلى أجد شيئا أسكن به جوعى، فخرجت فوجدت سلجمة مطروحة متغيرة، فأخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة، وكأن قائلا يقول لى: جعت عشرة أيام، فآخرتك يكون حظك سلجمة مطروحة متغيرة، فرميت بها ودخلت المسجد، فقعدت فإذا برجل جاء فجلس بين يدى، ووضع قمطره، وقال: هذه لك صرة فيها خمس مئة دينار، فقلت له: كيف خصصتنى بها؟ فقال: اعلم أنا كنا فى البحر منذ عشرة أيام، فأشرفت السفينة على الغرق، فنذر كل واحد منا نذرا: إن خلصنا الله تعالى أن يتصدق بشىء، ونذرت أنا إن خلصنى الله تعالى أن أتصدق بهذه الخمس مئة الدينار على أول من يقع عليه بصرى من المجاورين، وأنت أول من لقيته، فقلت: افتحها، ففتحها فإذا فيها كعك سميذ مصرى ولوز مقشر وسكر كعاب، فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا، وقلت: رد الباقى إلى صبيانك هدية منى إليهم، وقد قبلتها، ثم قلت فى نفسى: رزقك يا نفس سير إليك منذ عشرة أيام وأنت تطلبينه من الوادى، وأنشدوا:

**لقد علمت وما الإسراف من خلقى ... أن الذى هو رزقى سوف يأتينى**

**أسعى إليه فيعيينى تطلبه ... ولو قعدت أتانى لايعيينى**

**(الحكاية التاسعة والتسعون: عن بنان الحمال رضى الله تعالى عنه)**

قال: كنت فى طريق مكة أجىء من مصر ومعى زاد، فجاءتنى امرأة وقالت: يابنان أنت حمال تحمل على ظهرك وتتوهم أنه لايرزقك، قال: فرميت بزادى ثم أتى على ثلاثة أيام لم آكل، فوجدت خلخالا فى الطريق، فقلت فى نفسى: أحمله حتى يأتى صاحبه، فربما يعطينى شيئا، فإذا بتلك المرأة، فقالت: أنت تاجر تقول: يجىء صاحبه، فآخذ منه شيئا، ثم رمت إلى شيئا من الدراهم، وقالت: أنفقها، فاكتفيت بها إلى قريب من مصر، وأنشدوا:

كم من قوى قوى فى تقلبه ... مهذب الرأى عنه الرزق منحرف

وكم ضعيف ضعيف فى تقلبه ... كأنه من خليج البحر يغترف

هذا دليل على أن الإله له ... فى الخلق سر خفى ليس ينكشف

**(الحكاية المئة: عن الشيخ أبى بكر الكتانى ﷺ)** قال: جرت مسألة بمكة أيام الموسم فى المحبة، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد رضى الله تعالى عنه أصغرهم، فقالوا له: هات ما عندك ياعراقى، فأطرق رأسه وذرفت عيناه ثم قال: المحب عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، قد أحرق قلبه أنوار هيبته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فمن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله، فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا من مزيد، جبرك الله ياتاج العارفين، وأنشد بعضهم فى المحبة.

إذا فرقت بين المحبين سلوة ... فحبك لى حتى أموت قرين

سأصفيك ودى إن حييت وإن أمت ... هواك لعظمى فى التراب يبين

**(الحكاية الأولى بعد المئة: عن الضحاك بن مزاحم رضى الله تعالى عنه)**

قال: خرجت فى ليلة جمعة أريد المسجد الجامع فى الكوفة، وكانت ليلة زاهرة مقمرة، فإذا أنا بشاب فى بعض رحاب المسجد ساجد وهو يجود بالبكاء، فلم أشك أنه ولى من أولياء الله تعالى، فقربت منه لأسمع ما يقول، فإذا هو يقول:

عليك يا ذا الجلال معتمدى ... طوبى لمن كنت أنت مـعناه

طوبى لمن بات خائفا وجلا ... يشكو إلى ذى الجلال بلواه

ومــــا بـه علـة ولا ســــقـم أكــــثـــر من حــــبــــه لمولاه

إذا خـلا فـى الظلام مـبـتـهـلا أجـــــابـه الله ثم لبـــــاه

قـال: فلم يزل يكرر، عليك يـا ذا الجلال معتمدي، وهو يبكي، وأنا أبكي رحـمـة لبكائه، ثم ذكر كلاما معناه أنه رأى نورا وسمع قائلا يقول:

لبـيـك عـبـدي فـأنت فـي كنفـي وكل مـــا قلت قـــد ســـمـــعنـاه

صـــوتك تشـتـاقـــه مـــلائكتـي وذنبك الآن قـــد غـــفـــرنـاه

❖قلت: لعل هذه الرؤية والسماع المذكورين وقعا فى حال النوم أو فى حال وغيبـة، والله أعلم، قـال: فسلمت عليه، فرد على السـلام، فقلت له: بارك الله لك فى ليلتك وبارك فـيك من أنت يرحـمك الله، قـال: أنا راشـد بن سليـمـان، فعرفته بما كنت سمعت من أمره وخبره وكنت أتمنى لقياه، فلم أقدر على ذلك حتى يسـر الله تعالى، فقلت لـه: هل لك فى صحبتي؟ فقال: هيهات وهل يأنس بالمخلوقين من تلذذ بمناجاة رب العـالمين، أمـا والله لو خرج على أهـل عصـرنا هذا أحد من المشايخ أصحاب النيات الصحيحة لقال هؤلاء أحزاب لايؤمنون بيـوم الحسـاب، قـال: ثم غـاب عن بصـري، فلم أدر أفى السـمـاء صـعـد أم فى الأرض نزل، فـأشفقت على مفـارقته، ثم سـألت الله تعالى أن يجمع بيني وبينه قبل الموت؛ فلما كان فى بعض الأعوام خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام، فإذا أنا به فى ظل الكعبة، ونفر يقرأون عليه سورة الأنعام، فلما نظرنى تبسم وقال: هذا لطف العلمـاء، وذاك تواضع الأوليـاء، ثم قـام إلى وعـانقنى وصـافـحنى، وقال: هل سـألت الله تعالى أن يجمع بيننا قبل الموت؟ فقلت نعم، فقال الحمد لله رب العـالمين على ذلك، فقلت له رحـمك الله، أخبرنى عمـا رأيت تلك الليلة وسمعت، فشهق شهقة ظننت أنه قد انفتق حجاب قلبه، وخر مغشيا عليه، ونفر الرهط الذين كانوا يقـرأون عليه، فلما أفاق قال: يا أخي هـل يغيب عنك ما لله تعالى فى قلوب أهل محبته من المهابة عن تفسير تلك الإجابة، فقلت له: فما هؤلاء النفـر الذين كـانوا حـواليك؟ قـال: أولئك نفـر من الجن لهم على حـرمـة لقديم صحبة، فهم يقرءون على القرآن، ويحجـون معى فى كل عـام، ثم ودعنى وقـال: يا أخى جـمع الله بينى وبينك فى الجنة حيث لافـرقـة ولاتعب ولاحـزن

ولانصب، ثم غاب عن عينى فلم أره رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الثانية بعد المئة عن أحد العباد)** حكى أن عابدا من عباد الحرم كان يأتيه رجل كل ليلة بقرصين يفطر عليهما، ولايشتغل بغير الله عز وجل، فقالت له نفسه يوما: سكنت فى القوت إلى هذا المخلوق، ونسيت رازق المخلوقين، ما هذه الغفلة؟ فلما أتاه الرجل بالقرصين ردهما عليه، فانصرف عنه وبقى الفقير ثلاثة أيام لم يفتح عليه بشىء من القوت فشكا ذلك إلى ربه سبحانه وتعالى، فرأى تلك الليلة فى النوم وأنه واقف بين يدى الله تعالى، فقال له: ياعبدى ولم رددت ما أرسلت به إليك مع عبدى؟ فقال: يارب لما وقع فى نفسى من السكون إلى غيرك، فقال: ياعبدى فمن أرسله إليك؟ قال أنت يارب، قال فأنت تأخذه ممن قال منك، قال فخذ ولاتعد، ثم رأى الرجل المتصدق كأنه واقف بين يدى الله سبحانه وتعالى، فقال له: عبدى لمن منعت عبدى قوته؟ قال يارب قد علمت ذلك، فقال: ياعبدى أنت لمن تعطى، قال: لك يارب، قال فأجر الفقير على عادته، وابق على عادتك وثوابك الجنة، رضى الله تعالى عنهما، وفى هذا المعنى قلت فى: بعض القصائد.

فكل جميل أو جمال فجوده وصنعته عن حكمة ذات إتقان

فلا نعمة إلا ومن عنده أتت إليك وإن جاءتك من عند إنسان

**(الحكاية الثالثة بعد المئة: عن أحمد بن أبى الحوارى ﷺ)** قال: كنت مع أبى سليمان الدارانى ﷺ فى طريق مكة، فسقطت منى السطيحة، فأخبرت أبا سليمان بذلك، فقال: ياراد الضالة اردد علينا الضالة، فلم ألبث حتى أتى رجل يقول: من سقطت منه سطيحة، فنظرتها فإذا هى سطيحتى، فأخذتها، فقال أبو سليمان: حسبت أن يتركنا بلا ماء يا أحمد، فمشينا قليلا، وكان برد شديد وعلينا الفراء، فرأينا رجلا عليه طمران رثان وهو يترشح من العرق، فقال له أبو سليمان: نواسيك ببعض ما علينا، فقال: الحر والبرد خلقان من خلق الله تعالى إن أمرهما غشيانى، وإن أمرهما تركانى، وأنا أسير فى هذه البادية منذ ثلاثين سنة ما ارتعدت ولاانتفضت يلبسنى فيحا من محبته فى الشتاء، ويلبسنى فى الصيف مذاق برد محبته، ياداراني تشير إلى

ثوب وتدع الزهد تجد البرد، يادارانى تبكى وتصيح وتستريح إلى الترويح؟ فمضى أبوسليمان رضى الله تعالى عنه وقال: لم يعرفنى غيره، قيل فى هذه الحكاية ما معناه: أنه لما حقق الله سبحانه يقين أبى سليمان فى رد السطيحة، صانه عن الحجب بما أراه تعالى من حال هذا الرجل حتى صغر فى عينه حال نفسه، وتلك سنة الله تعالى فى أوليائه يصونهم عن ملاحظة الأعمال، ويصغر فى أعينهم ما يصفو لهم من الأحوال، رضى الله تعالى عنهم، ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية الرابعة بعد المائة عن بعضهم)** قال: رأيت فى الطواف كهلا قد أجهدته العبادة وبيده عصا وهو يطوف معتمدا عليها، فسألته عن بلده، فقال خراسان، ثم قال لى: فى كم تقطعون هذه الطريق؟ قلت فى شهرين أو ثلاثة، فقال: أفلا تحجون فى كل عام؟ فقلت له: وكم بينكم وبين هذا البيت؟ قال مسيرة خمس سنين، فقلت والله إن هذا لهو الفضل المبين والمحبة الصادقة، فضحك وأنشأ يقول:

**زر من هويت وإن شطت بك الدار ... وحال من دونه حجب وأستار**

**لا يمنعنك بعد عن زيارته ... إن المحب لمن يهواه زوار**

**(الحكاية الخامسة بعد المائة: عن بعضهم)** قال: رأيت فتى فى طريق مكة يتبختر فى مشيته كأنه فى صحن داره، فقلت له: ما هذه المشية يافتى، فقال: هذه مشية الفتيان خدام الرحمن، وأنشد:

**أتيه بك افتخارا غير أنى ... أذوب من المهابة عند ذكرك**

**ولو انى قدرت لتهت شوقا ... وإجلالا لأجل عظيم قدرك**

فقلت له: وأين زادك وراحلتك؟ فنظر إلى منكرا لقولى ثم قال: يا هذا أرأيت عبدا ضعيفا قاصدا مولى كريما حمل إلى بيته طعاما وشرابا لو فعل ذلك لأمر الخدام بطرده عن بابه إن المولى جلت قدرته لما دعانى إلى القصد إليه، رزقنى من التوكل عليه، ثم غاب عنى فما رأيته بعد، رضى الله تعالى عنه.

**(الحكاية السادسة بعد المائة: عن بعضهم)** قال: كنت بمكة، فرأيت فقيرا يطوف بالبيت، فأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها؛ فلما كان فى اليوم الثانى

والثالث كان يفعل ذلك، فطاف فى يوم من الأيام، ونظر فى الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا، فأخرجت الرقعة من جيبه فإذا فيها مكتوب: **(واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا)**، رضى الله تعالى عنه، ونفع به.

وحكى عن أبى العباس الخضر رضوان الله تعالى عليه، أنه سأله بعض الأبدال: هل رأيت وليا لله تعالى أرفع منك درجة؟ قال نعم، دخلت مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، فرأيت عبدالرزاق وحوله جماعة يستمعون الحديث، وفى زاوية المسجد فتى جالس واضع رأسه على ركبتيه، فقلت له: أيها الشاب أما ترى الجماعة يسمعون أحاديث الرسول ﷺ من عبد الرزاق، فهلا سمعت معهم، فلم يرفع رأسه إلى ولا اكترث بى ولكن قال: هناك من يسمع من عبد الرزاق، وهنا من يسمع من الرزاق لامن عبده، قال الخضر: فقلت: إن كان ماتقول حقا فمن أنا؟ فرفع رأسه إلى وقال: إن كانت الفراسة حقا، فأنت الخضر، فعلمت أن لله تبارك وتعالى أولياء لاأعرفهم، لعلو رتبتهم رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية السابعة بعد المئة: عن بعضهم)** قال: كنا فى المدينة نتكلم فى بعض الأوقات فى آيات الله تعالى المنعم بها على عباده من أوليائه وأهل وده وقربه من أصفيائه، وكان رجل ضرير بالقرب منا يسمع مانقول، فتقدم إلينا وقال: أنست بكلامكم، اعلموا أنه كان لى عيال وأطفال، فخرجت إلى البقيع أحتطب، فرأيت شابا عليه قميص من كتان، ونعله فى أصبعه، فتوهمت أنه تائه، فقصدت أن أسلبه ثوبه، فقلت له: انزع ما عليك، فقال لى مر فى حفظ الله تعالى، فقلت له الثانية والثالثة، فقال: ولابد، قلت ولابد، فأشار بأصبعيه إلى عينى فسقطتا، فقلت له بالله عليك من أنت؟ فقال: أنا إبراهيم الخواص، رضى الله تعالى عنه، قلت: وإنما دعا إبراهيم الخواص رضى الله تعالى عنه على اللص بالعمى، ودعا إبراهيم بن أدهم للذى ضربه بالجنة، لأن الخواص أشهد من اللص أنه لايتوب إلا بعد العمى، فرأى العقوبة أصلح له؛ وابن أدهم لم يشهد توبة الضارب له فى عقوبته، فتفضل عليه بالدعاء له فتوة منه وكرما، فحصلت البركة والخير بدعائه للضارب، فأتاه مستغفرا معتذرا، فقال له إبراهيم: الرأس الذى يحتاج إلى الاعتذار تركته ببلخ، يعنى أن نخوة الشرف

وكبر الرياسة كان فى رأسى حين كنت أجول فى ميدان الخيلاء والاستكبار على فرس حب الجاه وزينة الدنيا فى بلخ، والآن قد خرج ذلك من رأسى، واستبدلت بالخيلاء والاستكبار تواضع المسكنة والانكسار، وخلعت خلعة الحمقى المنسوجة من غزل الغرور والعطب، وحلية السفهاء المصنوعة من نحاس النحاسة والتيه والطرب، ولبست خلعة الشرف الأبدى المنسوجة من غزل الزهد وورع أهل التحقيق، وخضوع العبودية والافتقار بمغزل التوفيق، وتحليت بحلية الأولياء المصوغة من جواهر المعارف ويواقيت الأدب، وفيروزج محاسن أهل الطريق، وسقيت براح المحبة على بساط مشاهدة الحبيب، فلا أبالى بجفاء جندى وأنا من الملك قريب، إذا حصل من ليل قبول وإقبال، وأنزل المحب فى موضع عال، وشاهد حسن جمال غال، فليس يحزن إذا نبحه كل من كلاب الحى أو عليه صال، وفى ذلك قلت نائبا عن لسان الحال:

**إذا ما كلاب الحى فينا تتابحت — أناسا ومن ليلى قبول وإقبال**

**برؤيا الجمال الغال منها لنا المنى — ومنها لنا فى المنزل العالى إنزال**

**(الحكاية الثامنة بعد المئة عن بعض الثقاة)** قال المؤلف كان الله له: أخبرنى بعض الثقات من أهل اليمن أنه خرج للحج مع بعض الصالحين من أهل بلده، فلما بلغوا جدة أكتروا جمالا يركبونها إلى مكة، وساروا مع القافلة، فعرض لهم بعض أولاد سلاطين مكة، وأخذ الجباية من تلك القافلة حتى لم يبق إلا نحن فطالبنا بالجباية ولزم جمالنا، فقال له الشيخ الصالح: أطلق الجمال فأبى، ثم كرر عليه مرارا وهو يأبى ويزداد غيظا، ثم قال: وحق رأس أبى ما أطلقكم إلا بكذا وكذا، وذكر شيئا كثيرا، فقال له الشيخ: وحق مولاى ما نعطيك شيئا، ثم قال الشيخ: سيروا، قال فسرنا وبقى ذلك الجابى على فرسه لايقدر يتحرك، فأرسل نحو الشيخ بعض غلمانه يسأله العفو عنه ويطلقه مما أصابه من العقوبة، فأجابه الشيخ إلى ذلك، فانطلق حينئذ ومشى به الفرس بعد أن كان لايستطيع المشى، رضى الله تعالى عنه وعن جميع الصالحين، ونفعنا بهم وببركاتهم آمين.

**(الحكاية التاسعة بعد المئة عن بشر الحافى)** حكى عن بشر الحافى رضي الله عنه أنه جاءه نفر فسلموا عليه، فقال من أنتم؟ قالوا نحن من الشام، جئنا

نسلم عليك ونريد الحج، فقال: شكرا لله تعالى ولكم، قالوا: تخرج معنا لنحج فى صحبتك فأبى، فألحوا عليه، فقال إذا عزمتم على ذلك فيكون على ثلاثة شروط: أن لانحمل معنا شيئا، ولانسأل أحدا شيئا، وإن أعطينا لانقبل شيئا، فقالوا: أما لانحمل ولانسأل فنعم، وأما إن أعطينا لانقبل فلانستطيع ذلك، فقال: كأنكم خرجتم من بيوتكم متوكلين على مزاود الحجاج، لامتوكلين على الله تعالى، دعونى وحدى وروحوا إلى أشغالكم، ثم قال: أحسن الفقراء ثلاثة: فقير لايسأل، وإن أعطى لايقبل، فذلك من الروحانيين، أو قال مع الروحانيين. وفقير لايسأل، وإن أعطى قبل، فذلك يوضع له موائد فى حضرة القدس، وفقير يسأل، وإن أعطى قبل قدر الكفاية، فكفارته صدقه، وحكى أنه أتى أيضا إلى بسر رضي الله عنه جماعة من الصوفية، عليهم المرقعات فقال: ياقوم اتقوا الله ودعوا هذا اللباس، فإنكم تعرفون به، فسكتوا إلا شابا منهم فإنه قال: والله لنلبسنها ثم لنلبسنها حتى يكون الدين كله لله، فقال: أحسنت ياشاب مثلك يصلح له أن يلبسها رضى الله تعالى عنه.

**(الحكاية العاشرة بعد المئة عن بعضهم)** قال: رأيت فقيرا ورد على بئر ماء فى البادية فأدلى ركوته فيها، فانقطع حبله ووقعت الركوة فيها، فأقام زمانا وقال: وعزتك لاأبرح إلا بركوتى، أو تأذن لى بالانصرف عنها، قال: فرأيت ظبية عطشانة جاءت إلى البئر ونظرت فيها، ففاض الماء وطفح على البئر، وإذا بركوته على فم البئر، فأخذها وبكى وقال: إلهى ما كان لى عندك محل ظبية؟ فهتف به هاتف يقول: يامسكين جئت بالركوة والحبل، وجاءت الظبية ذاهبة عن الأسباب لتوكلها علينا، قال بعضهم: سقى الله الظبية المذكورة ببركة وقفة الفقير على باب انبساطه مع مولاه، وأقسم أنه لايبرح إلا بركوته، فأبر الله قسمه بصورة ورود الظبية تهذيبا لأخلاق أوليائه، واهتماما بترك الأسباب، واعتناء بالمسبب الوهاب عز وجل.

**(الحكاية الحادية عشرة بعد المئة عن الشيخ أبى الخير الأقطع)** روى أنه سئل الشيخ أبو الخير الأقطع رضي الله عنه عن عجائب الأحوال فقال: أعجب ما رأيت، أنه أدخل عبد أسود رأسه فى مرقعته فى جامع طرسوس، وخطر بباله الحرم وزيارة الكعبة، فأخرج رأسه وهو فى الحرم وقال عبد الواحد بن زيد

لأبى عاصم البصرى رضى الله تعالى عنهما: كيف صنعت حين طلبك الحجاج؟ قال: كنت فى غرفتى فدقوا على الباب ودخلوا، فدفعت بى دفعة، فإذا أنا على أبى قبيس بمكة، فقال له عبدالواحد: من أين كنت تأكل؟ قال: كانت تأتى إلى عجوز وقت إفطارى بالرغيفين اللذين كنت آكلهما بالبصرة، فقال عبد الواحد: تلك الدنيا أمرها الله تعالى أن تخدم أبا عاصم، رضي الله عنه.

**(الحكاية الثانية عشرة بعد المئة عن بعضهم)** قال بعضهم: كنا عند الشيخ أبى محمد الحريرى رضي الله عنه فقال: هل منكم من إذا أراد الحق سبحانه وتعالى أن يحدث فى المملكة حدثا أعلمه قبل أن يبديه؟ قلنا لا، قال: ابكوا على قلوب لاتجد من الله تعالى شيئا، وقيل: اعتل بعضهم فحمل إليه دواء فى قدح، فأخذه ثم قال: وقع اليوم فى المملكة حدث لاآكل ولاأشرب حتى أعلم ما هو؟ فورد الخبر بعد أيام أن القرمطى دخل مكة فى ذلك اليوم وقتل بها مقتلة عظيمة؛ فلما ذكرت هذه الحكاية لابن الكاتب قال: هذا عجب، فقال له الشيخ أبو عثمان المغربى رضي الله عنه: ليس هذا بعجب، فقال أبو على بن الكاتب: فأيش خبر مكة اليوم؟ فقال: هو ذا يتحارب الطلحيون وبنو الحين، ويقدم الطلحيون عبدا أسود، عليه عمامة حمراء، وعلى مكة اليوم غمامة على مقدار الحرم، فكتب ابن الكاتب إلى مكة، فكان كما ذكر أبو عثمان رضي الله عنه، ونفعنا به.

**(الحكاية الثالثة عشرة بعد المئة: عن أبى جعفر الحداد أستاذ الجنيد رضى الله تعالى عنهما)** قال: كنت بمكة، فطال شعرى ولم يكن معى قطعة، فتقدمت إلى مزين توسمت فيه الخير، وقلت تأخذ شعرى لله تعالى، فقال نعم وكرامة، وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا، فصرفه وأجلسنى وحلق شعرى، ثم دفع إلى قرطاسا فيه دراهم وقال: تستعين بهذه على بعض حوائجك، فأخذتها وعقدت أن أدفع إليه أول شىء يفتح به على، قال: فدخلت المسجد فاستقبلنى بعض إخوانى وقال لى: جاء بعض إخوانك بصرة من البصرة فيها ثلاث مئة دينار جعلها لك فى سبيل الله، فأخذت الصرة وحملتها إلى المزين، وقلت: هذه ثلاث مئة دينار تصرفها لى بعض أمورك، فقال: ألا تستحى ياشيخ، تقول لى احلق شعرى لله ثم آخذ عليه شيئا؟ انصرف عافاك الله تعالى، رضى الله تعالى عنهما.

**(الحكاية الرابعة عشرة بعد المئة: عن الشيخ الشبلى رضى الله تعالى عنه)** قال: قال خاطرى يوما: أنت بخيل، فقلت: ما أنا ببخيل، فقال بل أنت بخيل، فنويت أن أول شىء يفتح به على أعطيه أول فقير ألقاه، فما تم هذا الخاطر حتى دخل على فلان سماه بخمسين دينارا، فأخذتها وخرجت، فأول من لقيت فقير ضرير، أو قال أكمه بين يديه مزين يحلق له شعره، فناولته ذلك، فقال: أعطها المزين، فقلت إنها دنانير، فرفع رأسه إلى وقال: ما قلنا لك إنك بخيل، فناولتها المزين، فقال: منذ قعد بين يدى هذا الفقير عقدت مع الله تعالى عقدا أنى لا آخذ على حلاقته شيئا، قال: فأخذتها وذهبت بها إلى البحر ورميت بها فيه، وقلت: فعل الله تعالى بك وفعل، ما أحبك أحد إلا أذله الله تعالى، رضى الله تعالى عن الثلاثة ونفعنا بهم آمين، قلت: وسيأتى الجواب فى خاتمة الكتاب إن شاء الله تعالى عن إنكار من أنكر هذه الحكاية.

**(الحكاية الخامسة عشرة بعد المئة: عن إبراهيم الخواص ﷺ)** قال: دخلت البادية مرة فرأيت نصرانيا على وسطه زنار، فسألنى الصحبة، فمشينا سبعة أيام ثم قال لى: ياراهب الحنيفية هات ما عندك من الانبساط، فقد جعنا، فقلت: إلهى لاتفضحنى مع هذا الكافر، فرأيت طبقا عليه خبز وشواء ورطب وكوز ماء، فأكلنا وشربنا، ومشينا سبعة أيام، ثم بادرت وقلت: ياراهب النصرانية هات ما عندك، فقد انتهت النوبة إليك، فاتكأ على عصاه ودعا، وإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقى، قال: فتحيرت وتغيرت وأبيت أن آكل، فألح على فلم أجبه، فقال: كل فانى أبشرك ببشارتين: إحداهما أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ﷺ، وحل الزنار، والأخرى قلت: اللهم إن كان لهذا العبد حظ عندك، فافتح علينا قال: فأكلنا وشربنا ومشينا وحججنا وأقمنا سنة، ومات رحمه الله تعالى ودفن بالبطحاء، رضى الله تعالى عنه، وقال الخواص ﷺ: دواء القلب فى خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وقيام الليل، وخلاء الباطن، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين ﷺ.

**(الحكاية السادسة عشرة بعد المئة عن حذيفة المرعشى)** روى أنه قيل لحذيفة المرعشى رحمه الله تعالى: ما أعجب ما رأيت من إبراهيم بن أدهم

رضى الله عنه قال: بقينا فى طريق مكة لم نجد طعاما، ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب، فنظر إلى إبراهيم بن أدهم وقال: ياحذيفة أرى بك الجوع، فقلت هو ما رأى الشيخ، فقال: على بدواة وقرطاس، فجئت به فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أنت المقصود بكل حال، والمشار إليه بكل معنى.

**أنا حامد أنا شاكر أن ذاكر … أنا جائع أنا قانع أنا عارى**

**هى ستة وأنا الضمين بنصفها … فكن الضمين لنصفه ياباري**

**مدحى لغيرك لهب نار خضتها … فأجر عبيدك من دخول النار**

ثم دفع إلى الرقعة وقال: اخرج ولاتعلق قلبك إلا بالله تعالى، وادفع الرقعة إلى من يلقاك، قال: فخرجت، فأول من لقينى رجل على بغلة، فناولته الرقعة، فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال: ما فعل صاحب هذه الرقعة؟ فقلت فى المسجد الفلانى، فدفع إلى صرة فيها ستة مئة دينار، ثم لقيت رجلا آخر فقلت له: من صاحب هذه البغلة؟ قال نصرانى، فجئت إلى إبراهيم بن أدهم فأخبرته بالقصة، فقال لاتمسها فإنه يجئ الساعة؛ فلما كان بعد ساعة جاء النصرانى وأكب على إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه، وأسلم، ولله در القائل:

**يكون أجاجا دونكم فإذا انتهى … إليكم تلقى طيبكم فيطيب**

**(الحكاية السابعة عشرة بعد المئة: عن الشيخ أبى حمزة الخراسانى رضى الله تعالى عنه)** قال: حججت سنة من السنين، فبينما أنا أمشى إذ وقعت فى بئر، فنازعتنى نفسى أن أستغيث، فقلت لا والله لاأستغيث، فما استتم هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان، فقال أحدهما للآخر: تعالى حتى نسد رأس هذه البئر لئلا يقع فيها أحد، فأتوا بقصب وبارية وسدوا رأس البئر فطمسوه، فهممت أن أصيح، ثم قلت فى نفسى: والله لاأصيح، أدعو من هو أقرب منهما وسكت؛ فبينما أنا بعد ساعة إذا بشىء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله، وكأنه يقول تعلق بى فى همهمة منه كنت أعرف منه ذلك، فتعلقت به فأخرجنى، فإذا هو سبع، فمر وهتف بى هاتف: يا أبا حمزة أليس هذا أحسن، نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وأنا أقول:

نهانى حيائى منك أن أكشف الغطا وأغنيتنى بالفهم منك عن الكشف

تلطفت فى أمرى فأبديت شاهدى إلي غائبى واللطف يدرك باللطف

تراءيت لى بالغيب حتى كأنما تبشرنى بالغيب أنك فى الكف

أرانى وبى من هيبتى لك وحشة فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف

وتحيى محبا أنت فى الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف

قلت: وسيأتى الجواب فى الخاتمة عن إنكار من أنكر هذه الحكاية وأشباهها إن شاء الله تعالى.

**(الحكاية الثامنة عشرة بعد المئة عن ابراهيم بن أدهم)** روى أن إبراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه كان يعمل فى الحصاد ويحفظ البساتين، فجاء يوما جندى وطلب منه أن يعطيه شيئا من الفواكه، فأبى أن يعطيه، فجذب الجندى سوطه وضرب رأسه، فطأطأ له إبراهيم رأسه وقال: اضرب رأسا طالما عصى الله عز وجل؛ فلما عرفه الجندى اعتذر إليه، فقال إبراهيم: إن الرأس الذى يحتاج إلى الاعتذار تركته ببلخ، وقال رضى الله تعالى عنه لرجل وهو فى الطواف: اعلم أنك لاتنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات: أولاها تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة. والثانية تغلق باب العز وتفتح باب الذل. والثالثة تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد. والرابعة تغلق باب النوم وتفتح باب السهر، والخامسة تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر. والسادسة تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت، وأنشدوا:

إن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما عرفوا أنها ليست لحى وطنا

جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

**(الحكاية التاسعة عشرة بعد المئة: عن عبد الله بن المبارك رضى الله تعالى عنه)** قال: كنت بمكة وقد لحق الناس قحط، واستمر إمساك المطر عنهم، فخرج الناس يستسقون فى المسجد الحرام؛ ولم يبق أحد من الصغار

والكبار، وكنت فى الناس مما يلى باب بنى شيبة، وإذا بعبد أسود قد أقبل، وعليه قطعتا خيش قد تردى إحداهما، وألقى الأخرى عل عاتقه، فانتهى إلى موضع خفى بحذائى، فسمعته يقول: إلهى قد أخلقت الوجوه كثرة الذنوب، ومساوى الأعمال، وقد منعتنا غيث السماء لتؤدب الخليقة بذلك. فأسألك ياحليما ذا أناة، يا من لايعرف عباده منه إلا الجميل، أن تسقيهم الساعة، فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى استوت السماء بالغمام، وأقبل المطر من كل مكان، وجلس مكانه يسبح، وأخذت أبكى، فلما قام اتبعته حتى عرفت موضعه، فجئت إلى الفضيل بن غياض رضي الله عنه فقال: مالى أراك كئيبا؟ قلت: سبقنا إليه غيرنا، فتولاه دوننا، قال وما ذاك؟ فقصصت عليه القصة، فصاح وسكت وقال: ويحك يا ابن المبارك خذنى إليه، فقلت: قد ضاق الوقت وسأبحث عن شأنه؛ فلما كان من الغد صليت الغداة وخرجت أريد الموضع، فإذا بشيخ على الباب قد بسط له وهو جالس؛ فلما رآنى عرفنى وقال: مرحبا بك يا أبا عبد الرحمن ماحاجتك فقلت له: احتجت إلى غلام أسود، فقال نعم عندى عدة، فاختر أيهم شئت، وصاح ياغلام فخرج غلام جلد، فقال: هذا محمود العاقبة أرضاه لك، فقلت: ليس هذا حاجتى، فمازال يخرج لى واحدا بعد واحد حتى أخرج لى الغلام المذكور، فلما بصرت به بدرت له عيناى بالنظر، فقال هذا هو؟ قلت نعم، قال: ليس لى إلى بيعه من سبيل قلت ولم؟ قال: قد تبركت بموضعه فى هذا الدار، وذلك أنه لايرزؤنى شيئا؟ قلت ومن أين طعامه؟ قال يكتسب من فتل الشريط نصف دانق أو أقل أو أكثر فهو قوته، فإذا باعه فى يومه وإلا طوى ذلك اليوم، وأخبرنى الغلمان عنه أنه لاينام الليل الطويل، ولايختلط بأحد منهم، وهو مهتم بنفسه وقد أحبه قلبى، فقلت: أنصرف إلى سفيان الثورى وإلى فضيل بن عياض بغير قضاء حاجة؟ فقال: إن ممشاك عندى كبير، خذه بما شئت، فاشتريته وأخذت به نحو دار الفضيل، فمشيت ساعة، ثم قال لى: يامولاى، قلت لبيك، فقال: لاتقل لى لبيك، فان العبد أولى بأن يلبى مولاه، قلت ما حاجتك يا حبيبى؟ قال: أنا ضعيف البدن لاأطيق الخدمة، وقد كان لك فى غيرى سعة، وقد أخرج إليك من هو أجلد منى، فقال: لايرانى الله تعالى أستخدمك، ولكن أشترى لك منزلا وأزوجك وأخدمك

أنا بنفسى، فبكى بكاء كثيرا، فقلت مايبكيك؟ فقال: أنت لم تفعل بى هذا إلا وقد رأيت بعض متصلاتى بالله تبارك وتعالى، وإلا فلم اخترتنى من بين أولئك الغلمان؟ فقلت له: ليس بى حاجة إلى هذا، فقال: سألتك بالله إلا أخبرتنى؟ فقلت: بإجابه دعوتك، فقال لى: أحسبك إن شاء الله تعالى رجلا صالحا، إن لله عز وجل خيرة من خلقه لايكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده، ولايظهر عليهم إلا لمن ارتضى من خلقه، ثم قال: ترى أن تقف على قليلا، فإنه قد بقيت على ركعات من البارحة، قلت: هذا منزل فضيل قريب، قال لا، ههنا أحب إلى أمر الله عز وجل لايؤخر؛ فدخل المسجد فمازال يصلى حتى أتى على ماأراد، ثم التفت إلى وقال: يا أبا عبد الرحمن هل من حاجة؟ قلت لم؟ قال إنى أريد الانصراف، قلت إلى أين؟ قال إلى الآخرة، فقلت لاتفعل دعنى أسر بك فقال: إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بينى وبينه، فأما إذا اطلعت عليها فسيطلع عليها غيرك، ولاحاجة لى فى ذلك، ثم خر لوجهه فجعل يقول: إلهى اقبضنى الساعة الساعة فدنوت منه فإذا هو قد مات، فوالله ماذكرته قط إلا طال حزنى، وصغرت الدنيا فى عينى، رضي الله عنه، ونفعنا به، قلت: وفى أمثاله أقول:

**عبيد لمولاهم تعالى وغيرهم ... عبيد الهوى بين الفريقين كالثرى**

**وعلو الثريا في ارتفاع مقامهم ... بهم يدفع الله البلايا عن الورى**

**(الحكاية العشرون بعد المئة: عن محمد بن الحسين البغدادى رضي الله عنه)**

قال: حججت فى بعض السنين، فبينما أنا أدور فى شوارع مكة، إذا أنا بشيخ قابض على يد جارية متغير لونها، نحيل جسمها، وعلى وجهها نور ساطع، وضياء لامع، وهو ينادى: هلى من طالب؟ هل من راغب؟ هل من زائد على عشرين دينارا وأنا برىء من كل عيب، قال: فدنوت منه وقلت له: الثمن قد عرفناه، فما العيب؟ قال: أعلن أنها جارية مهيومة مهمومة، قائمة ليلها، صائمة نهارها، لاتأكل طعاما ولاتشرب شرابا، قد ألفت الانفراد والوحدة فى كل أرض وبلدة، فلما سمعت كلامه أحب قلبى الجارية، فاشتريتها بالثمن المذكور، ورحت بها إلى منزلى، فرأيت الجارية مطرقة إلى الأرض، ثم رفعت رأسها إلى وقال: يامولاى الصغير من أين أنت يرحمك الله؟ قلت: من العراق؟ قالت من أى العراق من البصرة أم من الكوفة؟ فقلت لامن البصرة ولا من

الكوفة، فقالت: لعلك من مدينة السلام بغداد، قلت نعم، قالت بخ بخ (كلمة تعجب) مدينة الزهاد والعباد، قال: فتعجبت وقلت: جارية ينادى عليها من حجرة إلى حجرة، من أين لها معرفة بالزهاد والعباد؟ ثم أقبلت عليها شبه الملاعب لها وقلت لها: ومن تعرفين منهم؟ قالت: أعرف مالك بن دينار، وبشرا الحافى، وصالحا المرى، وأبا حاتم السجستانى، ومعروفا الكرخى، ومحمد بن الحسين البغدادى، ورابعة العدوية، وشعوانة، وميمونة، فأقبلت عليها وقلت لها: من أين لك معرفة هؤلاء؟ قالت يافتى كيف لاأعرفهم وهم والله أطباء القلوب، ومن يدل المحب على المحبوب، ثم أنشأت تقول:

قوم همومهم بالله قد علقت     فما لهم همم تسمو إلى أحد

فمطلب القوم مولاهم وسيدهم     يا حسن مطلبهم للواحد الصمد

ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف     من المطاعم واللذات والولد

ولا لباس لثوب فائق أنق     ولا التزايد فى الأموال والعدد

قال: فقلت لها ياجارية، أنا محمد بن الحسين، قالت: لقد سألت الله تعالى أن يجمع بينى وبينك يا أبا عبدالله، مافعل حسن صوتك الذى كنت تحيى به قلوب المريدين، وتبكى به عيون السامعين؟ فقلت: باق على حاله، قالت: فبالله عليك أسمعنى شيئا من القرآن، فقرأت بسم الله الرحمن الرحيم، فصرخت صرخة عظيمة وغشى عليها، فرششت على وجهها الماء، فأفاقت ثم قالت: يا أبا عبد الله هذا اسمه، فكيف لو عرفته وفى الجنان رأيته، اقرأ يرحمك الله فقرأت (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) فقالت: يا أبا عبد الله ما عبدنا وثنا ولاقبلنا صنما، اقرأ يرحمك الله، فقرأت: (إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه، بئس الشراب وساءت مرتفقا) فقالت: يا أبا عبد الله لقد ألزمت نفسك القنوط، روح قلبك بين الرجاء والخوف، اقرأ يرحمك الله، فقرأت (وجوه يومئذ مسفرة، ضاحكة مستبشرة) وقرأت أيضا (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فقالت: واشوقاه إلى لقائه يوم يتجلى لأوليائه، اقرأ يرحمك الله، فقرأت (يطوف عليهم ولدان

مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين، لايصدَّعون عنها ولاينزفون إلى قوله - لأصحاب اليمين) فقالت: يا أبا عبد الله أراك قد خطبت الحور العين، فهل بذلت من مهورهن شيئا؟ فقلت دلينى ياجارية فإنى مفلس، فقالت: عليك بقيام الليل وصيام النهار، وحب الفقراء والمساكين، ثم أنشأت تقول:

يا خاطب الحوراء فى خدرها ... وطالبا ذاك على قدرها

انهض بجد لا تكن وانيا ... وجاهد النفس على صبرها

وقم إذا الليل بدا شطره ... وصم نهارا فهو من مهرها

فلو رأيت عيناك إقبالها ... وقد بدت رمانتا صدرها

وهى تماشى بين أترابها ... وعقدها يشرق فى نحرها

لهان فى عينيك هذا الذى ... تراه فى دنياك من زهرها

قال: ثم غشى عليها، فرششت على وجهها الماء، فأفاقت ثم أنشأت تقول:

إلهى لا تعذبنى فإنى ... مقر بالذى قد كان منى

فكم من زلة لى فى الخطايا ... غفرت وأنت ذو فضل ومَنّ

يظن الناس بى خيرا وإنى ... لشر الناس إن لم تعف عنى

ومالى حيلة إلا رجائى ... لعفوك إن عفوت وحسن ظنى

قال: ثم غشى عليها، فدنوت منها فإذا هى قد ماتت رحمة الله تعالى عليها، فاغتممت لذلك غما شديدا، وخرجت إلى السوق لآخذ فى جهازها، فلما رجعت إذا هى قد كفنت وحنطت وعليها حلتان خضراوان من حلل الجنة، مكتوب بالنور على الكفن سطران: السطر الأول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، والسطر الثانى: (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) قال: فحملتها أنا وأصحابى وصلينا عليها ودفناها، فصليت ركعتين ونمت، فرأيت الجارية فى الجنة، وعليها الحلل، وهى فى مزج من زعفران أفيح، عليها حلل السندس والإستبرق، وعلى رأسها إكليل مرصع بالدر والجوهر، وفى رجليها نعلان من الياقوت الأحمر يفوح منهما رائحة المسك والعنبر، ووجهها أضوأ من الشمس

والقمر، فقلت لها: مهلا ياجارية ما الذى أبلغك هذه المنزلة؟ قالت: حب الفقراء والمساكين، وكثرة الاستغفار ونقل الأذى عن طريق المسلمين، ثم أنشأت تقول:

طوبى لمن سهرت فى الليل عيناه … وبات ذات قلق فى حب مولاه

وناح يوما على تفريطه وبكى … خوفا لما قد جناه من خطاياه

وقام يرعى نجوم الليل منفردا … خوف الوعيد وعين الله ترعاه

**(الحكاية الحادية والعشرون بعد المئة: عن بعض أهل العلم)** قال: كانت تختلف إلىَّ فى بعض الأحيان جارية لها وضاءة وعليها حياء، تسألنى عن شرائع الإسلام وأمور الدين، فأجيبها والطف بها، وكان حالها يميل إلى التستر والكتمان، وكان يعجبنى سمتها وحسن حالها؛ فبينما أنا بعد مدة مار بالسوق، إذ رأيت الجارية وقد قبض على يدها إنسان وهو ينادى عليها: من يشترى الجارية بعيبها؟ فقلت لها: ألست التى كنت تسألينى عن أمور الدين وشرائع الإسلام فأطرقت رأسها وأشارت به نعم، فقلت له: خل يدك عنها، فقال: ياسيدى لاأقدر فإن سيدها مجوسى وقد أغضبته؛ فبينما أنا أتكلم معه إذا بسيدها قد أقبل، فتقدمت إليه وقلت له: صف لى صفة جاريتك، واذكر لى ما الذى تكرهه منها، قال: أخبر الشيخ أن الأبعد مجوسى يعبد النار والنور، وقد كنت استحسنت هذه الجارية لما رأيت من عقلها وجمالها، فاشتريتها بثمن جزيل، وكنت أراها كثيرة العبادة والتعظيم لمعبودنا، محبة طائعة لآلهتنا، حتى كانت ليلة من الليالى مر بنا رجل من أهل ملتكم، وقرأ شيئا من كتابكم، فما هو إلا أن سمعت ماقرأه فصاحت صيحة عظيمة، فدهشنا، وأنشدت:

طرق السمع يا أهيل المصلى … خبر منكم فزاد اشتياقى

محكم النقل قد روته ثقات … مسند بالرواة والاتفاق

عندما شمت بارقا من حلاكم … حن قلبى إلى لذيذ التلاقى

وكتمت الوشاة ما بى من الوجد … ومن لوعتى وحر احتراقى

أنا أفنى بكم وتبلى عظامى … ورسيس الغرام فى القلب باقى

قال: فدهشنا وهى باهتة نسألها، فلا ترد جوابا، إلا أنها هجرتنا وتركت عبادة

آلهتنا وأبت أن تأكل طعامنا، وإذا جن عليها الليل صلت إلى قبلتكم، وكم نهيناها فلم تنته، وقد أذهبت نضارتها وغيرت حالها، ولم يحصل لنا بها انتفاع، ولم نستطع أن نردها عما هى عليه، وقد عزمت على بيعها قال: فقلت لها: الأمر كذلك؟ فأشارت برأسها نعم، فقلت فى نفسى: إنما عابها من جهله، فأنشدت:

**يعيبون ما لو أنهم فطنوا به     لكانوا أشد الناس حبا لما عابوا**

فقلت لها: أى آية قُرئت عليك؟ قالت قول ربكم تبارك وتعالى (ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين ولاتجعلوا من الله إلها آخر إنى لكم منه نذير مبين) قالت: فمنذ سمعت هذه عدمت صبرى وظهر بى ما ترى من أمرى، وأنشدت:

**ما بين منعرج اللوى والوادى     يا صاحبى ضحى عدمت فؤادى**

**ورجعت ذا وله وكم من عاشق     مقتول عشق ماله من فادى**

**يا أهل نجد ارحموا ذا لوعة     ما بين أطناب الخيام ينادى**

**ولهان لايصغى لعذل عواذل     ظمآن من ماء التوصل صادى**

**ما هب لى منكم نسيم مخبر     بالوصل فيه منائح الإسعاد**

**إلا سعيت مبادرا للقائكم     ومنعت عينى من لذيذ رقادى**

**وإذا نطقت بذكر غزلان النقا     أو زينب أو علوة وسعاد**

**فلأنتم قصدى وغاية مطلبى     ولأنتم دون الجميع مرادى**

**لاشىء يشبهكم تعالى ذكركم     عن قول ذى زيغ وذى إلحاد**

قال: فقلت لها: لو أسمعتك تمام الآيات؟ فقالت: إن كنت تحسنها فاقرأها، فقرأت عليها حتى انتهيت إلى قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) فقالت: أحسنت حسبك ما ضمنه الإله المعبود، ثم قلت لسيدها: هل لك أن تقبض ثمنها منى؟ فقال: إن ثمنها جزيل ولى ابن عم قد تعلق بها وقصدنى فيها، يروم أن ترجع عما هى عليه من الخاطر الذى قد اعتراها، وهو مجوسى من أهل الملة، قال: فبينما هو يخاطبنى إذ قد أقبل ابن عمه،

فقال: أنا أردها عما هى عليه، فدفعها إليه؛ فلما كان بعد مدة رأيت سيدها المجوسى الذى ذهب بها يصلى معنا فى المسجد، فقلت له: ألست سيد الجارية؟ قال بلى، قلت: كيف كان الخبر قال: خير خبر، مضيت بالجارية إلى منزلى وخرجت لحاجة، فلما رجعت وجدتها قد نصبت كرسيا وجلست عليه، وجعلت تذكر الله تعالى وتوحده، وتحذر أهلى وتنهاهم عن عبادة النار وتصف الجنة، فخشيت أن تفسد علينا ديننا، فقلت: أخذت هذه الجارية طمعا أن أفسد عليها دينها، فإذا هى تفسد علينا ديننا، وقصصت قصتها على صاحب لى، وقلت له: ما تشير على أن أفعل؟ قال: أودعها مالا وخذه من ورائها، واطلبه منها لتثبت لك عليها الحجة ثم اضربها، قال: فأودعتها كيسا فيه خمس مئة دينار، فاشتغلت على عادتها فى عبادتها فأخذت الكيس وهى لاتشعر وطلبته منها، فوثبت إلى الموضع الذى وضعته فيه، وإذا بالكيس فى موضعه، فناولتنى إياه، فتعجبت من ذلك وقلت فى نفسى: أنا أخذت الكيس وها آخر، فلاشك بعد العيان، هذا يدل على قدرة إلهها الذى تعبده، فآمنت بإلهها وأسلمت أنا وصاحبى وأهلى كلهم، وأطلقت سبيلها كما اختارت، رضى الله تعالى عنها ونفع بها، ومازالت تكتم الغرام حتى أظهر الله تعالى حالها للأنام، كما أنشد لسان حالها:

**كتمت الوشاة غرامى بكم وحبكم فى حشى أضلعى وموهت عنكم بوادى النقا**

**وسكان رامة والأجرع ولولاكم ما ذكرت اللوى ولا حن قلبى إلى لعلع**

**(الحكاية الثانية والعشرون بعد المئة: عن سرى السقطى رحمه الله)** قال: سهرت ليلة من الليالى وقلقت قلقا شديدا، فلم أطق الغمض مع ما حرمته من التهجد، فلما صليت صلاة الصبح خرجت لايقر لى قرار، فوقفت فى الجامع أستمع بعض القصاص لعلى أجد لقلبى راحة، فوجدت قلبى لايزداد إلا قساوة، فمضيت ووقفت ببعض الوعاظ، فوجدت قلبى لا يزداد إلا قساوة، فقلت: امضى إلى بعض أطباء القلوب، ومن يدل المحب على المحبوب، فمضيت، فوجدت قلبى لايزداد إلا قساوة، فقلت أمضى إلى أهل الشرط أعتبر من يعاقب فى الدنيا، فمضيت فوجدت قلبى لا يزداد إلا قساوة، فقلت أمضى إلى

المارستان لعلى أتروع وأنزجر بمن ابتلى؛ فلما ولجت المارستان وجدت قلبى قد انفسح، وصدرى قد انشرح، وإذا أنا بجارية من أنضر الناس وجها، عليها أطمار حسنة رفيعة، وشممت منها رائحة عطرية عفيفة المنظر وسيمة الخطر، وهى مقيدة الرجلين، مغلولة اليدين؛ فلما رأتنى تغرغرت عيناها بالدموع، وأنشأت تقول:

**أعيذك أن تغل يدى بغير جريمة    سبقت تغل يدى إلى عنقى**

**وما خانت وما سرقت وبين جوانحى    كبد أحس بها قد احترقت**

**وحقك يا منى قلبى    يمينا برة صدقت**

**فلو قطعتها قطعا    وحقك عنك ما رجعت**

قال السرى رضي الله عنه: فلما سمعت كلامها قلت لصاحب المارستان: ما هذه؟

قال: مملوكة اختل عقلها، فحبسها مولاها لعلها تنصلح، فلما سمعت كلام القيم اغرورقت عيناها بالدموع، ثم جعلت تقول:

**معشر الناس ما جننت ولكن    أنا سكرانة وقلبى صاحى**

**أغللتم يدى ولم آت ذنبا    غير جهدى فى حبه وافتضاحى**

**أنا مفتونة بحب حبيب    لست أبغى عن بابه من براح**

**فصلاحى الذى زعمتم فسادى    وفسادى الذى زعمتم صلاحى**

**ما على من أحب مولى الموالى    وارتضاه لنفسه من جناح**

قال رضي الله عنه: فسمعت كلاما أقلقنى وأشجانى وأحرقنى وأبكانى؛ فلما رأت دموعى قالت: يا سرى هذا بكاؤك على صفته، فكيف لو عرفته حق معرفته؟ ثم أغمى عليها ساعة، فلما أفاقت جعلت تقول:

**ألبستنى ثوب وصل طاب لبسه    فأنت مولى الورى حقا ومولائى**

**كانت بقلبى أهواء مفرقة    فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى**

**من غص داوى بشرب الماء غصته    فكيف يصنع من قد غص بالماء**

**قلبى حزين على ما فات من زللى    والنفس فى جسدى من أعظم الداء**

والشوق فى خاطرى منى وفى كبد ... والحب منى مصون فى سويدائى
إليك منك قصدت الباب معتذرا ... وأنت تعلم ما ضمته أحشائى

فقلت لها: يا جارية، قالت لبيك يا سرى، قلت من أين عرفتينى؟ قالت ما جهلت مذ عرفت ولا فترت مذ خدمت، ولا انقطعت مذ وصلت، وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضا، قلت أسمعك تذكرين المحبة، فلمن تحبين؟ قالت لمن تعرف إلينا بنعمائه، وجلب علينا بجزيل عطائه، فهو قريب إلى القلوب محب لطلب المحبوب، سميع عليم، بديع حكيم، جواد كريم، غفور رحيم، فقلت لها: من حبسك ههنا؟ فقالت: يا سرى حاسدون تعاونوا وتعاقدوا وتراسلوا ثم شهقت شهقة حتى ظننت أنها قد فارقت الحياة، ثم أفاقت وأنشأت تقول:

قلبى أراه إلى الأحباب مرتاحا ... سكران من حب الراح بالهوى باحا
يا عين جودى بدمع خوف هجرهم ... فرب دمع أتى للغير مفتاحا
ورب عين رآها الله باكية ... بالخوف منه تنال الروح والراحا
لله عبد جنى ذنبا فأحزنه ... فبات يبكى ويذرى الدمع سفاحا
مستوحش خائف مستيقن فطن ... كأن فى قلبه للنور مصباحا

قال السرى رضي الله عنه: فقلت لقيم المارستان: أطلقها، ففعل، فقلت اذهبى حيث شئت، قالت يا سرى إلى أين أذهب ومالى عنه مذهب، إن حبيب قلبى قد ملكنى لبعض مماليكه، فإن رضى مالكى ذهبت وإلا صبرت واحتسبت، فقلت: هذه والله أعقل منى، فبينما هى تخاطبنى، إذدخل مولاها، فقال للقيم أين تحفة؟ قال هى داخل وعندها سرى السقطى رضي الله عنه، قال ففرح ودخل وسلم علىّ ورحب بى وعظمنى، فقلت له: هى أولى بالتعظيم منى، فما الذى تكره منها؟ فقال: أمور كثيرة، لا تأكل ولا تشرب، ذاهلة العقل مدهوشة اللب، ولا تنام ولا تدعنا ننام، كثيرة الفكر، سريعة العبرة، ذات زفرة وحنين، وبكاء وأنين، وهى بضاعتى اشتريتها بكل مالى بعشرين ألف درهم، وأملت أن أربح فيها مثل ثمنها لحسن صنعتها، قال: قلت وما صنعتها؟ قال مطربة، قلت ومنذ كم كان بها هذا الداء؟ قال منذ سنة، قلت وما كان بدؤه؟ قال بينما العود فى حجرها

وهى تغنى وتقول:

**وحقك لا نقضت الدهر عهدا ولا كدرت بعد الصفو ودا**

**ملأت جوانحى والقلب وجدا فكيف ألذ أو أسلو وأهدا**

**فيا من ليس لى مولى سواه تراك تركتنى فى الناس عبدا**

ثم كسرت العود وقامت وبكت وانتحبت، فاتهمتها بمحبة إنسان، فكشفت عن ذلك فلم أجد له أثرا، فقلت لها: أهكذا كان الحديث؟ فأجابتنى بلسان طلق، وقلب محترق، وهى تقول:

**خاطبنى الحق من جنانى فكان وعظى على لسانى قربنى منه بعد بعد**

**وخصنى الله واصطفانى أجبت لما دعيت طوعا ملبيا للذى دعانى**

**وخفت مما جنيت قدما فوقع الحب بالأمانى**

قال السرى السقطى رضي الله عنه: فقلت له على الثمن وأزيدك، فصاح وقال: وافقراه من أين لك ثمن هذه الجارية وأنت رجل فقير؟ فقلت له: لا تعجل علىّ تكون فى المارستان حتى آتى بثمنها، ثم ذهبت باكى العين حزين القلب، والله ما عندى من ثمنها درهم، وبقيت طول الليل أتضرع وأبكى، وأدعو الله عز وجل، فلم أطعم غمضا وأقول: يا رب إنك تعلم سرى وجهرى، وقد عولت على فضلك فلا تفضحنى عند مالكها، فبينما أنا فى المحراب وإذا بقارع يقرع الباب، فقلت من بالباب؟ فقال حبيب من الأحباب جاء فى سبب من الأسباب بأمر الملك الوهاب، ففتحت الباب، وإذا برجل معه أربعة غلمان وشمعة، فقال لى يا أستاذ أتأذن لى فى الدخول؟ فقلت ادخل، فدخل فقلت له: من أنت؟ فقال أحمد بن المثنى، قد أعطانى من إذا أعطى لا يبخل بالعطاء، كنت الليلة نائماً، فهتف بى هاتف يقول لى: احمل خمس بدرات إلى السرى تطيب بها نفسه، ويشترى بها تحفة، فإن لنا بها عناية، فسجدت شكراً لله على ما أولانى من نعمة، وجلست أتوقع الفجر، فلما صليت الصبح خرجت وأخذت بيد أحمد ومضيت به إلى المارستان، فإذا الموكل بها يلتفت يمينا وشمالا؛ فلما رآنى قال: مرحبا ادخل، فإن لها عند الله تعالى عناية، هتف بى البارحة هاتف وهو يقول:

**إنها منا ببال ليس تخلو من نوال قربت ثم ترقت وعلت فى كل حال**

قال السرى رضي الله عنه: فلما رأتنا تحفة تغرغرت عيناها بالدموع، وقالت: شهرتنى بين المخلوقين، ثم أنشأت تقول:

**قد تصبرت إلى أن عيل فى حبك صبرى ضاق من قيدى وغلى**

**وامتهانى فيك صدرى ليس يخفى عنك أمرى يا منى سؤلى وذخرى**

قال: فبينما نحن جلوس، إذ دخل مولاها وهو باكى العين حزين القلب متغير اللون، فقلت له: لا تبك فقد جئناك بما وزنت وربح خمسة آلاف، فقال لا والله، فقلت ربح عشرة آلاف، فقال لا والله، فقلت وربح المثل، فقال لو أعطيتنى الدنيا ما قبلت، هى حرة لوجه الله تعالى، فقلت له ما القصة؟ فقال: يا أستاذ وبخت البارحة، أشهدك أنى قد خرجت من جميع مالى هارباً إلى الله تعالى، اللهم كن لى فى السعة كفيلا، وبالرزق حميلا، فالتفت إلى ابن المثنى فرأيته يبكى، فقلت له: وما يبكيك؟ فقال: كأن الحق ما رضينى لما ندبنى إليه أشهدك أنى قد تصدقت بجميع مالى لوجه الله تعالى، فقلت: ما أعظم بركة تحفة على الجميع، فقامت تحفة، فنزعت ما كان عليها، ولبست مدرعة من شعر وخرجت وهى تبكى، فقلنا لها: قد أطلقك الله تعالى فما يبكيك؟ فأنشأت تقول:

**هربت منه إليه بكيت منه عليه وحقه هو مولى**

**لازلت بين يديه حتى أنال وأحظى بما رجوت لديه**

قال: ثم خرجنا من الباب، فلما صرنا فى بعض الطريق طلبناها فلم نجدها، ومات ابن المثنى فى الطريق، ودخلت أنا ومولاها مكة، فبينما نحن فى الطواف إذسمعت كلام مجروح من كبد مقروح وهو يقول:

**محب الله فى الدنيا سقيم تطاول سقمه فدواه داه سقاه من محبته بكأس**

**فأرواه المهيمن إذ سقاه فهام بحبه وسما إليه فليس يريد محبوبا سواه**

**كذاك من ادعى شوقا إليه يهيم بحبه حتى يراه**

فتقدمت إليها، فلما رأتنى قالت يا سرى، قلت لبيك من أنت يرحمك الله؟ قالت: لا إله إلا الله، وقع التناكر بعد المعرفة، أنا تحفة فإذا هى كالخيال،

فقلت يا تحفة ما الذى أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق، فقالت: آنسنى بقربه وأوحشنى من غيره، فقلت لها مات ابن المثنى؛ فقالت: رحمه الله تعالى لقد أعطاه مولاه من الكرامات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، وهو بجوارى فى الجنة فقلت: جاء مولاك الذى أعتقك معى، فدعت بدعاء خفى، فلم يكن بأسرع ما عاينتها تلقاء الكعبة ميتة، فلما نظرها سيدها لم يتمالك أن سقط على وجهه، فحركته فإذا هو قد قضى نحبه، فأخذت فى جهازهما ودفنتهما رحمة الله تعالى عليهما.

**(الحكاية الثالثة والعشرون بعد المئة: عن أبى هاشم المذكور رحمه الله تعالى)** قال: أردت البصرة، فجئت إلى سفينة أكتريها، وفيها رجل ومعه جارية، فقال الرجل: ليس ههنا موضع لك، فسألته الجارية أن يحملنى؛ ففعل، فلما سرنا دعا الرجل بالغداء، فوضع فقال: ادعوا ذلك المسكين ليتغدى معنا، فجئت على أنى مسكين، فلما تغدينا قال: يا جارية هات شرابك، فشرب وأمرها أن تسقينى، فقلت: يرحمك الله إن للضيف حقا، فتركنى، فلما دب فيه النبيذ، قال: يا جارية هات عودك، وهات ما عندك، فأخذت العود، فغنت وقالت:

**وكنا كغصنى بانة ليس واحد ... يزول على الحالات عن رأى واحد**

**تبدل بى خلا فخالت غيره ... وخليته لما أراد تباعدى**

**فلو أن كفى لم تردنى أبنتها ... فلم يصحبنها بعد ذلك ساعدى**

**ألا قبح الرحمن كل مماذق ... يكون أخا فى الخصب لا فى الشدائد**

فالتفت إلى الرجل وقال: أتحسن مثل هذا؟ فقلت: أحسن خيرا منه، فقرأت (إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت، وإذا الجبال سيرت، وإذا العشار عطلت) فجعل الشيخ يبكى، فلما انتهيت إلى قوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال يا جارية اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى، وألقى ما معه من الشراب فى الماء وكسر العود، ثم عاد إلى فاعتنقنى وقال: يا أخى أترى أن الله يقبل توبتى؟ فقلت إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وواخيته فى الله، واصطحبنا بعد ذلك أربعين سنة حتى مات، فرأيته فى المنام فقلت له: إلى ماذا صرت؟ فقال إلى جنة المأوى، فقلت بماذا؟ قال بقراءتك علىّ (وإذا

الصحف نشرت) وأنشدوا:

**بادر إلى التوبة الخلصاء مجتهدا    والموت ويحك لم يمدد إليك يدا**

**فإنما المرء فى الدنيا على خطر    إن لم يكن ميتا فى اليوم مات غدا**

**(الحكاية الرابعة والعشرون بعد المئة: عن إسماعيل بن عبدالله الخزاعى رحمه الله تعالى)** قال: قدم رجل من المهالبة من البصرة أيام البرامكة فى حوائج له، فلما فرغ منها انحدر إلى البصرة ومعه غلام له وجارية، فلما صار فى دجلة إذا بفتى على ساحل دجلة عليه جبة صوف وبيده عكازة ومرود، فسأل الملاح أن يحمله إلى البصرة ويأخذ منه الكراء، فأشرف المهلبى، فلما رآه رق له وقال للملاح: قرب واحمله معك على الطلل، فحمله، فلما كان وقت الغداء دعا بالسفرة وقال للملاح: قل للفتى يأتى يتغدى معنا، فأبى أن يأتى إليه، فلم يزل يطلب إليه حتى أتى فأكلوا، حتى إذا فرغوا ذهب الفتى ليقوم، فمنعه الرجل، ثم دعا بالشراب فشرب قدحا، ثم سقى الجارية قدحا، ثن عرض على الفتى فأبى، فسقى الجارية وقال: هات ما عندك، فأخرجت عودا لها فى غشاء، فهيأته وأصلحته، ثم غنت فقال: يا فتى تحسن مثل هذا؟ قال أحسن ما هو أحسن من هذا، فافتتح الفتى وقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم (**قل متاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى، ولا تظلمون فتيلا. أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة**) وكان الفتى حسن الصوت، فرمى الرجل بالقدح فى الماء وقال: أشهد أن هذا أحسن مما سمعت، فهل غير هذا؟ قال نعم (**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه، بئس الشراب وساءت مرتفقا**) فوقع فى قلبه موقعا، فرمى ظرف الشراب بما فيه فى الماء وكسر العود، ثم قال: يا فتى أههنا فرج؟ قال نعم (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم) فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه، فنظروا فإذا هو قد فارق الدنيا رحمه الله تعالى وكان رجلا معروفا، فحمل إلى منزله واجتمع الناس، فما رأيت جنازة أكثر جماعة من جنازته رحمه الله تعالى * قال: وبلغنى أن الجارية المغنية تدرعت الشعر فوق الصوف، وجعلت تصوم النهار وتقوم الليل،

فمكثت أربعين يوما، ثم مرت بهذه الآية فى بعض الليالى (**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه، بئس الشراب وساءت مرتفقا**) فلما كان الصبح وجدوها ميتة، رحمها الله تعالى.

(**الحكاية الخامسة والعشرون بعد المئة: عن بعضهم**) قال: كنا نمشى على شاطىء الأَبُلَّة فى الليل والقمر طالع، فمررنا بقصر جندى وفيه جارية تضرب بالعود، وإلى جانب القصر فقير عليه خرقتان، فسمع الفقير الجارية، وهى تغنى وتقول:

**فى سبيل الله ود كان منى لك يبذل كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل**

فصاح الفقير فقال: أعيديه يا جارية بحق مولاك الكبير، فهذا حالى مع الله تعالى، فنظر صاحب الجارية إلى الفقير فقال لها اتركى العود واقبلى عليه فإنه صوفى، فجعلت تقول البيتين وترددهما والفقير يقول: هذا حالى مع الله تعالى، والجارية تقول وتردد إلى أن صاح الفقير صيحة وخر مغشياً عليه، قال: فحركناه فإذا هو ميت، رحمه الله، فنزل صاحب القصر فأدخله القصر، فاغتممنا عليه وقلنا: هذا يكفنه بكفن غير طيب، فصعد صاحب القصر، وكسر كل ما كان بين يديه، فقلنا: ما بعد هذا إلا خيرا، فمضينا إلى الأبلة وأعلمنا الناس؛ فلما أصبحنا رجعنا إلى القصر، وإذا الناس مقبلون من كل وجه إلى الجنازة، فكأنما نودى فى البصرة حتى خرج القضاة والعدول وغيرهم، والجندى يمشى خلف الجنازة حافيا حاسر الرأس حتى دفن؛ فلما هم الناس بالانصراف قال الجندى للقاضى والشهود: اشهدوا أن كل جارية لى حرة لوجه الله تعالى، وكل ضياعى وعقارى حبس فى سبيل الله، وفى صندوقى أربعة آلاف دينار هى فى سبيل الله عز وجل، ثم نزع الثوب الذى كان عليه، فرمى به وبقى فى سراويله، فأعطى ثوبين اتزر بواحد واتشح بالآخر، وهام على وجهه، فكان بكاء الناس عليه أكثر من بكائهم على الميت * وقال بعضهم: رأيت فى تيه بنى إسرائيل رجلا قد أنحلته العبادة حتى صار كالشن البالى، فقلت له: ما الذى بلغ بك إلى هذه الحالة؟ فنظر إلىّ متعجبا من سؤالى، فقال: يا هذا ثقل الأوزار، وخوف النار، والحياء من الملك الجبار * قال بعضهم فى ذلك:

لما ذكرت عذاب النار أزعجنى ذاك التذكر عن أهلى وأوطانى

وصرت فى القفر أرعى الوحش منفردا كما ترانى على وجدى وأحزانى

وذا قليل لمثلى بعد جرأته فما عصى الله عبد مثل عصيانى

نادوا علىّ وقولوا فى مجالسكم هذا المسىء وهذا المجرم الجانى

فما ارعويت ولا قصرت من زللى ولا غسلت بماء الدمع أجفانى

**(الحكاية السادسة والعشرون بعد المئة: عن عبد الله بن الأحنف رحمه الله تعالى)** قال: خرجت من مصر أريد الرملة لزيادة الروذبارى رضي الله عنه، فرآنى عيسى بن يونس المصرى رحمه الله تعالى، فقال لى: هل أدلك؟ قلت نعم، فقال عليك بصور، فإن فيها شيخا وشابا قد اجتمعا على حال المراقبة، فلو نظرت إليهما نظرة لأغنتك باقى عمرك، قال: فدخلت عليهما وأنا جائع عطشان وليس على ما يسترنى من الشمس، فوجدتهما مستقبلين القبلة، فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلمانى، فقلت: أقسمت عليكما بالله إلا ما كلمتمانى، فرفع الشيخ رأسه وقال: يا ابن الأحنف ما أقل شغلك حتى تفرغت إلينا، ثم أطرق، فأقمت عندهما ثلاثة أيام بلياليهن لم نأكل فيها ولم نشرب؛ فلما كان عشية اليوم الثالث قلت فى نفسى: لابد من سؤالهما فى وصية أنتفع بها باقى عمرى، فرفع الشاب رأسه وقال: عليك بصحبة من يذكرك الله تعالى بنظره، ويعظك بلسان فعله لا بلسان قوله، ثم التفت فلم أرهما رضى الله تعالى عنهما ونفع بهما، وأنشد لسان الحال:

**شدوا المطايا قبيل الصبح وارتحلوا وخلفونى على الأطلال أبكيها**

**(الحكاية السابعة والعشرون بعد المائة: عن أبى القاسم الجنيد رضي الله عنه)** قال: رأيت إبليس فى المنام نعوذ بالله منه وهو عريان، فقلت له: أما تستحى من الناس؟ فقال: أهؤلاء عندك من الناس؟ قلت نعم، قال: لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم تلاعب الصبيان بالكرة، ولكن الناس غير هؤلاء، قلت من هم؟ قال قوم فى مسجد الشونيزية قد أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى، كلما هممت بهم أشاروا لله تعالى، فأكاد أحترق. قال الجنيد رضي الله عنه: فلما استيقظت من النوم

أتيت ذلك المسجد، فإذا أنا بثلاثة رجال قد جعلوا رءوسهم فى مرقعاتهم، فلما أحسوا بى أخرج واحد منهم رأسه وقال: يا أبا القاسم، لا يغرنك حديث إبليس الخبيث لعنه الله، ثم رد رأسه رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم.

(**الحكاية الثامنة والعشرون بعد المئة: عن الجنيد أيضاً ﷺ**) قال: كنت جالسا فى مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلى عليها، وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة، فرأيت فقيرا عليه أثر النسك، فقلت فى نفسى: لو عمل هذا عملا يصون به نفسه عن سؤال الناس كان أجمل؛ فلما انصرفت إلى منزلى، وكان لى شىء من الورد فى الليل من البكاء والصلاة وغير ذلك، فثقل على جميع أورادى، فسهرتُ وأنا قاعد، وغلبتنى عينى فنمت فرأيت ذلك الفقير جاءوا به على خوان ممدود، وقالوا لى كل لحمه فقد اغتبته، وكشف لى عن الحال، فقلت ما اغتبته، إنما قلت فى نفسى شيئا، فقيل لى ما أنت ممن نرضى منك بمثله، اذهب فاستحله، فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيته فى موضع يلتقط من الماء أوراقا مما يتساقط من غسل البقل، فسلمت عليه، فقال: هل تعود يا أبا القاسم؟ فقلت لا، فقال: غفر الله لنا ولك، رضى الله تعالى عنهم، ونفعنا بهم آمين.

(**الحكاية التاسعة والعشرون بعد المئة: عن إبراهيم الخواص ﷺ**) قال: كنت فى جبل لكام، فرأيت رمانا فاشتهيته، فدنوت منه وأخذت منه واحدة، فشققته فوجدته حامضا، فمضيت وتركت الرمان، فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير، فقلت السلام عليك، فقال وعليك السلام يا إبراهيم، قلت كيف عرفتنى؟ فقال من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شىء، قلت له: أرى لك مع الله حالا، فلو سألته أن يقيك ويحمبك من هذه الزنابير، فقال: وأرى لك مع الله تعالى حالا، فلو سألته أن يقيك ويحميك من شهوة الرمان، فإن لدغ شهوة الرمان يجد الإنسان ألمه فى الآخرة، ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا، قال إبراهيم: فتركته ومشيت، وأنشد فى ذلك:

**نون الهوان من الهوى مسروقة ... فأسير كل هوى أسير هوان**

* قلت: قوله: من عرف الله لا يخفى عليه شىء، أى شىء توجه إليه أو قصده أو تعلق به أو أطلعه الله تعالى عليه أو نحو ذلك من تخصيص اللفظ

العام الواقع فى الكلام الفصيح، إذ لا يمكن حمل لفظه على العموم، وقد قال الشيوخ العارفون المحققون، رضى الله تعالى عنهم: يجوز أن يعرف العارف بالله تعالى الأشياء من حيث الجملة لا من حيث التفصيل.

**(الحكاية الثلاثون بعد المئة: عن إبراهيم الخواص رضي الله عنه)** قال: كنت ببغداد وهناك جماعة من الفقراء، فأقبل شاب ظريف طيب الرائحة حسن الخلقة، حسن الوجه، فقلت لأصحابنا: يقع لى أنه يهودى، فكره الأصحاب قولى، فخرجت وخرج الشاب، ثم رجع إليهم وقال إيش، قال الشيخ: فاحتشموه، فألح عليهم، فقالوا: قال الشيخ إنك يهودى، قال إبراهيم فجاءنى وأكب على يدى وأسلم، فقيل له فى ذلك؟ فقال: نجد فى كتبنا أن الصديق لا تخطىء فراسته، فقلت فى نفسى امتحن المسلمين فتأملتهم، فقلت: إن كان فيهم صديق ففى هذه الطائفة يوجد لأنهم يقولون بترك ما سوى الله، فلما اطلع هذا الشيخ على فتفرس فى علمت أنه صديق، وصار الشاب من كبار الصوفية، رضي الله عنه.

**(الحكاية الحادية والثلاثون بعد المئة: عن أبى العباس بن مسروق رضي الله عنه)** قال: قدم علينا شيخ وكان يتكلم علينا فى هذا الشأن بكلام حسن عذب بالخاطر الجيد، ويقول لنا كل ما وقع لكم فى خاطركم، فقولوا لى، فوقع في خاطرى أنه يهودى، وكان الخاطر يقوى على ذلك ولا يزول، فذكرت ذلك للجريرى، فكبر ذلك عليه، فقلت لابد أن أخبر الرجل بذلك، فقلت له: أما أنت فقلت لنا ما وقعكم فى خواطركم فقولوا لى، وقد وقع فى خاطرى أنك يهودى، فأطرق رأسه ساعة ثم رفعه وقال: صدقت، أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وقال: قد مارست جميع المذاهب وكنت أقول: إن كان مع قوم شىء من الصدق فهو مع هؤلاء، فداخلتكم لأختبركم، فوجدتكم على الحق، فحسن إسلامه رحمه الله تعالى.

**(الحكاية الثانية والثلاثون بعد المئة: عن أبى القاسم الجنيد رضي الله عنه)** قال: كان السرى يقول لى: تكلم على الناس وكان فى قلبى حشمة من الكلام على الناس، وكنت أتهم نفسى فى استحقاق ذلك حياء، فرأيت النبى ﷺ فى المنام فى ليلة جمعة، فقال لى: تكلم على الناس، فانتبهت وأتيت باب السرى قبل أن أصبح، فدققت عليه الباب فقال لى لم تصدقنا حتى قيل لك ذلك، فقعد

للناس فى الجامع بالغداة، فانتشر فى الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس، فوقف عليه غلام نصرانى متنكر وقال: أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تبارك وتعالى»؟ فأطرق الجنيد رأسه ثم رفعه، فقال: أسلم، فقد حان وقت إسلامك، فأسلم الغلام وقطع الزنار وتاب الله عليه، اللهم تب علينا يا كريم.

**(الحكاية الثالثة والثلاثون بعد المئة عن الشبلى)** حكى عن الشبلى رضي الله عنه، أنه خرج ذات يوم على أصحابه، وكانوا أربعين رجلا، فقال لهم: يا قوم إن الله تبارك وتعالى قد تكفل بأرزاق العباد، فقال عز من قائل **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه)** فتوكلوا على الله عز وجل وتوجهوا إليه ولا تتوجهوا إلى سواه، ثم تركهم ومضى، فأقاموا ثلاثة أيام لم يفتح عليهم بشىء؛ فلما كان فى اليوم الرابع دخل عليهم الشيخ، فقال يا قوم، إن الله تبارك وتعالى قد أباح السبب للعباد، فقال: عز من قائل **(هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه)** فانظروا إلى أصدقكم نية، فليخرج عسى أن يأتيكم بشىء من القوت، فاختاروا واحداً منهم فقيرا، فخرج يمشى فى جانبى بغداد، فلم يفتح له بشىء من القوت، فأخذه الجوع وأعياه المشى، فجلس عند دكان طبيب نصرانى، عليه من الناس خلق كثير، وهو يصف لهم الأدوية، فنظر إلى الفقير فقال: ما بك وما علتك؟ فكره أن يشكو الجوع إلى نصرانى، فمد يده فجسها، فقال: علتك هذه أنا أعرفها وأعرف دواءها، ثم التفت إلى غلامه فقال له: امض إلى السوق فائتنى برطل خبز ورطل شواء ورطل حلواء، فمضى الغلام إلى السوق وأتاه بذلك، فأخذه النصرانى وناوله الفقير، وقال له: هذا دواء مرضك عندى، فقال له الفقير: إن كنت صادقا فى حكمتك فهذه العلة بأربعين رجلا، فقال النصرانى لغلامه: ارجع إلى السوق مسرعا وائتنى بأربعين رطلا مثلما أتيتنى به، فأسرع الغلام فأتى بذلك جميعه، فأعطاه الفقير وأمر حمالا أن يحمله معه إلى موضعه، وقال للفقير: اذهب به إلى الفقراء الأربعين الذين ذكرت، فذهب الفقير والحمال معه إلى أن وصل إلى أصحابه، والنصرانى يتبعه من بعيد ليختبر صدقه؛ فلما دخل الدويرة التى فيها أصحابه، وقف

النصرانى خلف طاق خارج الباب فوضع الطعام ونادوا الشيخ أبا بكر الشبلى وقدموا الطعام بين يديه، فشال الشيخ يده عنه وقال يا فقراء سر عجيب فى هذا الطعام، ثم أقبل على الفقير الذى أتى بالطعام وقال: أخبرنى عن قصة هذا الطعام، فحكى له القصة بكمالها، فقال لهم الشبلى: أترضون أن تأكلوا طعام نصرانى وصلكم به ولم تكافئوه، فقالوا يا سيدنا وما مكافأته؟ قال: تدعون له قبل أن تأكلوا طعامه، فدعوا له وهو يسمع؛ فلما رأى النصرانى إمساكهم عن الطعام مع حاجتهم إليه وسمع ما قال لهم الشيخ، قرع الباب، ففتحوا له، فدخل وقطع زناره وقال: يا شيخ مد يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، فأسلم وحسن إسلام النصرانى وصار من جملة أصحاب الشبلى رضى الله تعالى عنهم.

(**الحكاية الرابعة والثلاثون بعد المئة عن الشبلى أيضاً**) حكى عن الشبلى أيضاً رضي الله عنه أنه اعتل فحمل إلى المارستان، وكتب على بن عيسى الوزير إلى الخليفة فى ذلك، فأرسل الخليفة إليه مقدم الأطباء، وكان نصرانيا ليداويه، فما أنجحت مداواته، فقال الطبيب للشبلى: والله لو علمت أن مداواتك فى قطعة لحم من جسدى ما عسر علىّ ذلك، فقال الشبلى رضي الله عنه: دوائى فى دون ذلك، فقال الطبيب وما هو؟ قال: تقطع الزنار، فقال الطبيب: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، فأخبر الخليفة بذلك فبكى وقال: أنفذنا طبيبا إلى مريض، وما علمنا أنا أنفذنا مريضا إلى طبيب، قلت هذا هو الطبيب، وحكمته هى الحكمة التى بها العلل تزول، وفيه وفى أمثاله أقول:

**إذا ما طبيب الجسم أصبح قلبه ... عليلا فمن ذا للطبيب طبيب**

**فقل هم أولو العلم اللدنى وحكمة ... إلهية تشفى بتلك قلوب**

(**الحكاية الخامسة والثلاثون بعد المئة عن إبراهيم الخواص**) حكى عن إبراهيم الخواص رضي الله عنه كان إذا أراد سفرا لم يعلم ولم يذكره، وإنما يأخذ ركوته ويمشى، قال حامد الأسود: فبينما نحن معه فى مسجد، إذ تناول ركوته ومشى فاتبعته، فلما وافينا القادسية قال لى حامد: إلى أين؟ قلت يا سيدى خرجت لخروجك، قال: إنى أريد مكة إن شاء الله تعالى، قلت: وأنا أريد مكة إن شاء

الله تعالى؛ فلما كان بعد ثلاثة أيام إذا بشاب قد انضم إلينا، فمشى معنا يوما وليلة لا يسجد لله عز وجل سجدة، فعرفت إبراهيم وقلت: إن هذا الغلام لا يصلى، فجلس وقال له: يا غلام مالك لا تصلى، والصلاة أوجب عليك من الحج؟ فقال يا شيخ ما على الصلاة، قال: ألست بمسلم؟ قال لا، قال فأى شيء أنت؟ قال نصرانى، ولكن إشارتى فى النصرانية إلى التوكل، وادعت نفسى أنها قد أحكمت حال التوكل فلم أصدقها فيما ادعت حتى أخرجتها إلى هذه الفلاة التى ليس فيها موجود غير المعبود، أثير ساكنى، وأمتحن خاطرى فقام إبراهيم ومشى وقال: دعه يكون معك، فلم يزل يسيرنا حتى وافينا بطن مر، فقام إبراهيم فنزع خلقانه فطهرها بالماء، ثم جلس فقال له ما اسمك؟ فقال عبد المسيح، فقال يا عبد المسيح هذا دهليز مكة، يعنى الحرم، وقد حرم الله تعالى على أمثالك الدخول إليه، فقال: «إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام» والذى أردت أن تستكشف به نفسك قد بان لك، فاحذر أن تدخل مكة، فإذا رأيناك بها أنكرنا عليك، قال حامد: فتركناه ودخلنا مكة، وخرجنا إلى الموقف، فبينما نحن جلوس بعرفات، إذا به قد أقبل عليه ثوبان وهو محرم يتصفح الوجوه حتى وقف علينا، فأكب على إبراهيم يقبل رأسه، فقال له: ما وراءك يا عبد المسيح؟ فقال: أهيهات أنا اليوم عبد لمن المسيح عبد له، فقال إبراهيم حدثنى حديثك، قال: لما سافرتم وتركتمونى، جلست مكانى حتى أقبلت قافلة الحاج، فقمت وتنكرت فى زى المسلمين كأنى محرم، فساعة وقعت عينى على الكعبة اضمحل عنى كل دين سوى دين الإسلام، فأسلمت واغتسلت وأحرمت، وها أنا أطلبك يومى، فالتفت إلىّ إبراهيم وقال: يا حامد انظر بركة الصدق فى النصرانية كيف هداه إلى الإسلام، ثم صحبناه حتى مات بين الفقراء رحمة الله عليه * وفى الصوفية الصادقين قلت هذه الأبيات:

**سلام على السادات من كل صادق ... له مسرح فى معرك ومراح**
**صفا ثم صوفى فهو صوفى مخيم ... على باب سعدى ليس عنه براح**
**تلافى طعان النفس فى نيل وصلها ... ومن دونها بيض حمت ورماح**
**على حد سيف الصدق يسعون للعلا ... لتجلى لهم بيض هناك صباح**
**سقتهم حميا الوصل من كرم حسنها ... إذا شمها أهل الصبابة صاحوا**
**وناحوا وساحوا ثم فاحوا بنشرها ... عبير ومكتوم المحبة باحوا**

(**الحكاية السادسة والثلاثون بعد المئة: عن أبى عبد الله بن خفيف** ﷺ) قال: كنت مدة مديدة أسيح على وجه الأرض للالتقاء بالبدلاء، فسئمت من السياحة والسفر، فرجعت إلى بلد إصطخر فارس، فدخلت دويرة الصوفية، فرأيت جماعة من المشايخ، وبين أيديهم مأكول، وهم تسعة نفر، منهم الحسن بن أبى سعد وأبو الأزهر بن حيان وجماعة، فوقفت ساعة فتوضأت، فلما فرغت وسعوا لى، فقعدت معهم وتناولت مما كانوا يأكلون ثم تفرقنا، فرقدت رقدة، فرأيت النبى ﷺ فى المنام يقول لى: يا ابن خفيف من كنت تطلبهم وترجو مجالستهم هم هؤلاء فى هذا البلد وأنت منهم، فطالبتنى نفسى أن أخبر القوم بما رأيت، فملانى منهم وقار وهيبة، فلم ألبث ساعة من النهار حتى قابلنى الشيخ أبو الحسن بن أبى سعد، وقال لى: يا أبا عبد الله أخبرهم بما رأيت فى المنام، فأخبرتهم، فتفرقوا فى البلدان حين فشا الخبر رضى الله تعالى عنهم وعن سائر الصالحين آمين.

(**الحكاية السابعة والثلاثون بعد المئة: عن بعضهم**) قال: سافرت شرقا وغربا طمعا أن اكتحل بالأبدال، نوافيت ساحل البصرة عشاء فتيامنت من الطريق، وقربت من الساحل لأكون قريبا من الماء، فرأيت عشرة نفر قعودا على السجادات لم أر معهم الركى والآلات التى تكون مع الصوفية، فقاموا كلهم واستقبلونى وعانقونى، ثم جلسوا كلهم مطرقين لا ينظر بعضهم إلى بعض إلى وقت غروب الشمس، فقام واحد من الجماعة ودخل البحر، ولم أعلم كيف كان حاله، غير أنه أتى بإحدى عشرة سمكة مشوية، ولم أر نارا ولا حطبا، فقام واحد منهم، فطرح عند كل واحد سمكة، وتفرد هو بسمكة أعظمها، وتفرقوا عن المجلس، واشتغل كل واحد منهم بحاله، ولم يتفرغ أحد لأحد؛ فلما دنا الصبح أذن المؤذن وصلوا الصبح جماعة وأخذوا سجاداتهم، فدخلوا البحر ومشوا فى البحر على الماء، فأراد خادمهم الذى طرح السمك بين أيديهم وتخصص بالكبيرة أن يسير معهم ويمشى على الماء، فغاص فى البحر، فالتفتوا إليه وقالوا: يا فلان من خاننا فليس منا، وكنت أنظر إليهم من بعيدوأتحسر على فراقهم، وأخذت الركوة ومشيت، وتركت ذلك الخادم فى موضعه، رضى الله تعالى عنهم.

(الحكاية الثامنة والثلاثون بعد المئة: عن الشيخ عبد الله بن عبيد العباداني ﷺ) قال: كنت فى مسجد عبادان بعد صلاة العشاء الآخرة، وفى الصف الأول ثلاثة نفر قد صلوا معنا ثم خرجوا نحو البحر، فوقع لى أنهم أولياء، فتبعتهم، فلما وصلوا إلى البحر امتد لهم فيه مثل الشراك من فضة، فمروا عليه، فوضعت رجلى عليه لأتبعهم فغاصت فى الماء فقعدت أبكى ومضوا، وانصرفت إلى المسجد؛ فلما كان وقت الصبح إذا بهم فى الصف الأول، فجلسوا فى المسجد إلى أن صلوا العشاء الآخرة، ثم خرجوا نحو البحر، فامتد لهم فيه مثل الشراك من فضة، فمروا عليه، فوضعت رجلى على الماء فغاصت فى الماء، فقعدت أبكى ومضوا وانصرفت إلى المسجد؛ فلما كان من اليوم الثالث إذا بهم فى المسجد فى الصف الأول، فقلت فى نفسى: يا نفس منك أتيت، لو كان فيك خير لمررت معهم، وعلم الله تعالى منى الصدق، فخرجوا فى الوقت الذى يخرجون فيه كل ليلة، فامتد لهم فيه مثل الشراك من فضة، فمروا عليه، فوضعت رجلى على الماء، فمررت معهم وأخذ واحداً منهم بيدى، فإذا هم سبعة أنفس، كل ثلاث ليال ينزل عليهم سبع سمكات، وكانت تلك الليلة الثالثة، فإذا مائدة عليها ثمان سمكات، فقعدت معهم آكل، فقلت لواحد منهم: لو كان لنا ملح؟ فقال لى أواه أنت منهم، بلى لست منهم، فأخذ بيدى فإذا أنا فى المشرعة، وما رأيتهم بعد ذلك، وأنا أسأل الله حسن التوفيق رضى الله تعالى عنهم ونفع بهم آمين.

(الحكاية التاسعة والثلاثون بعد المئة: عن عبد الواحد بن زيد ﷺ) قال: اشتريت غلاما للخدمة؛ فلما جن الليل طلبته فى دارى، فلم أجده والأبواب مغلقة على حالها فلما أصبحت جاء وأعطانى درهما منقوشا عليه سورة الإخلاص، فقلت له: من أين لك هذا؟ فقال: يا سيدى لك عندى كل يوم درهم مثل هذا، على أنك لا تطلبنى فى الليل، فكان يغيب كل ليلة، ويأتى فى الصبح بمثل ذلك؛ فلما كان فى بعض الأيام جاء إلى جيرانى وقالوا يا عبد الواحد بع غلامك فإنه نباش القبور، فغمنى ذلك وقلت لهم: ارجعوا فأنا أحفظه فى هذه الليلة، فلما كان بعد صلاة العشاء قام ليخرج، فأشار إلى الباب المغلق، فانفتح ثم أشار إليه، فانغلق، وقصد إلى الباب الثانى ففعل مثل

ذلك، ثم قصد إلى الباب الثالث ففعل مثل ذلك وأنا أنظر إليه، فخرج فتبعته ومشيت وراءه حتى بلغ إلى أرض ملساء، فنزع ثيابه ولبس مسحا، وصلى إلى الفجر ورفع رأسه إلى السماء وقال: يا سيدى الكبير هات أجرة سيدى الصغير، فوقع عليه درهم من السماء، فأخذه وتركه فى جيبه، فتحيرت فى أمره ودهشت بحاله، وقمت وتوضأت وصليت ركعتين واستغفرت الله تعالى مما خطر ببالى، ونويت أن أعتقه، ثم إنى طلبته فلم إجده، فانصرفت حزينا وما كنت أعرف تلك الأرض، فإذا أنا بفارس على فرس أشهب، فقال لى يا عبد الواحد، ما قعودك ههنا؟ قلت من شأن كذا وكذا، فقال أتدرى كم بينك وبين بلدك؟ قلت لا، قال مسيرة سنتين للراكب المسرع، فلا تبرح من هذا المكان حتى يرجع إليك عبدك، فإنه يأتيك فى هذه الليلة؛ قال فلما جن الليل، إذا به قد أقبل ومعه طوفرية عليها من كل الطعام، قال لى كل يا سيدى ولا تعد إلى مثلها، فأكلت، وقام فصلى إلى الفجر، ثم أخذ بيدى فتكلم بكلام لم أفهمه وخطا معى خطوات وإذا أنا واقف على باب دارى، فقال يا سيدى أليس قد نويت أن تعتقنى؟ قلت وهو كذلك، قال فأعتقنى وخذ ثمنى وأنت مأجور، ثم أخذ حجرا من الأرض وأعطانيه، فإذا هى قطعة ذهب، ومضى الغلام وبقيت متحسرا على فراقى له، ثم اجتمعت بجيرانى، فقالوا ما فعلت بالنباش؟ قلت ذاك نباش النور لا نباش القبور، ثم حدثتهم بما شاهدته منه من الكرامات، فبكوا وتابوا مما خطر ببالهم، رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم.

**(الحكاية الأربعون بعد المئة: عن إبراهيم الخواص رضي الله عنه)** قال: رأيت بالبصرة مملوكا فى السوق ينادى عليه: من يشترى هذا الغلام بعيوبه، وهى ثلاث خصال: لا ينام الليل، ولا يأكل بالنهار، ولا يتكلم إلا بما لابد منه، قال إبراهيم: فقلت للغلام أراك عارفا به، قال إبراهيم لو عرفته ما اشتغلت بغيره، قال فعلمت أنه من العارفين، فقلت للبائع: بكم هذا الغلام؟ فقال بما أردت فإنه مجنون، فأعطيته ثمنه وقلت فى نفسى: يا رب إنى قد أعتقته لوجهك الكريم، فالتفت إلىّ وقال: يا إبراهيم إن كنت قد أعتقتنى فى الدنيا من الرق فقد أعتقك الله فى الآخرة من النار، ثم غاب عنى فلم أره رضي الله عنه.

**(الحكاية الحادية والأربعون بعد المئة: عن بعض الصالحين)** أنه قال: اشتريت عبدا فقلت له ما اسمك؟ فقال يا مولاى ما سميتنى، فقلت له ما الذى

تعمل؟ قال يا مولاى ما به أمرتنى، فقلت له ما الذى تأكل؟ فقال يا مولاى ما أطعمتنى؟ فقلت له فما لك إرادة فى شىء؟ فقال: وأى إرادة تكون للعبد مع مولاه؟ قال: فأبكانى وذكرنى حالى مع مولاى، فقلت له: يا هذا لقد أدبتنى مع سيدى، فأنشأ يقول:

**لو تم لى كونى لعبدك خادما ... ما كنت أطلب فوق ذاك نعيما**

**فارحم بفضلك ذلتى وتحيرى ... فكذا عرفتك محسنا ورحيما**

(**الحكاية الثانية والأربعون بعد المئة عن بعضهم**) حكى عن بعضهم أنه دعى إلى دار مرار كثيرة ساعة واحدة، كلما وصل إلى الباب رده الداعى وهو طيب بذلك لم يظهر منه انزعاج، فتعجب الداعى من حلمه وصبره، واستعظم ذلك منه، فقال له: لا تستعظم منى صفة هى صفة الكلاب، فإنه كلما دعى أجاب، وإن طرد ذهب، وإنما فعل ذلك به اختبارا له رضي الله عنه * وعن الحسن البصرى رضي الله عنه قال: فى الكلب عشر خصال ينبغى لكل مؤمن أن تكون فيه: الأولى أن يكون جائعاً، فإنها من آداب الصالحين. والثانية أن لا يكون له مكان معروف، وذلك من علامات المتوكلين، والثالثة أن لا ينام من الليل إلا قليلاً وذلك من صفات المحبين، والرابعة إذا مات لا يكون له ميراث، وذلك من صفات الزاهدين. والخامسة أن لا يترك صاحبه وإن جفاه وضربه، وذلك من علامات المريدين الصادقين. والسادسة أن يرضى من الأرض بأدنى موضع، وذلك من علامات المتواضعين. والسابعة إذا تغلب على مكانه تركه وانصرف إلى غيره، وذلك من علامات الراضين. والثامنة إذا ضرب وطرد وطرح له كسرة أجاب ولم يحقد على ما مضى، وذلك من علامات الخاشعين. والتاسعة إذا حضر الأكل جلس بعيدا ينظر، وذلك من علامات المساكين. والعاشرة أنه إذا ارتحل عن مكان لا يلتفت إليه، وهذه من علامات المحزونين.

(**الحكاية الثالثة والأربعون بعد المئة: عن بعضهم**) قال: كنا جماعة فى بعض البلاد، فخرجنا إلى باب البلد فى بعض الأيام، فتبعنا كلب من البلد؛ فلما بلغنا الباب إذا نحن بدابة ميتة؛ فلما نظر الكلب إليها رجع إلى البلد، ثم

عاد بعد ساعة ومعه نحو من عشرين كلبا، فجاءت إلى الميتة وأكلت منها، وذلك الكلب قائم ينظر من بعيد إلى أن فرغت الكلاب من الأكل وقضت وطرها وصدرت، فورد وأكل مما بقى من سؤرها من الطعام، وما بقى عليها ثم انصرف.

**(الحكاية الرابعة والأربعون بعد المئة)** حكى عن بعضهم أنه رأى كلابا فى كهف فى بعض الجبال مقيمة فيه، لا تخرج منه ولا تدخل البلد إلا يوماً واحداً فى الأسبوع تدخل فتأكل من المزابل ثم تعود إلى الجبل ولاتزال فيه إلى مثل ذلك اليوم، ثم تدخل البلد وتأكل من المزابل، ثم تخرج إلى مكانها، وهكذا دأبها، فأقام معها مدة يخرج معها يوم خروجها إلى البلد، ويأكل معها من المزابل مما يحصل له أكله، ثم يعود معها إلى الجبل فحصل له بتلك الكلاب رياضة وآداب * وقال بعض الصالحين: وقد جاز عليه قوم معهم كلاب الصيد، فنبحتها كلاب الدرب، فقال: سبحان الله، كأن هذه حادثت هذه، فقالت هذه الأهلية لكلاب الصيد يا مساكين رغبتن فى نعيم الملوك فسخروكن، ولو قنعتن بالمنبوذ مثلنا كنتن مخليات، فقالت لها كلاب الصيد: خفى عليكن حالنا نحن لما رأوا فينا آلة الخدمة حبسونا للخدمة، وقاموا لنا بالكفاية، فقالت الأهلية: فالواحد منكن إذا كبر خلى وصار معنا، قالت كلاب الصيد لأنه قصر فيما يجب عليه، وكل من قصر فيما يجب عليه طرد. اللهم لا تطردنا عن بابك، ولا تعاقبنا بسخطك وعذابك.

**(الحكاية الخامسة والأربعون بعد المئة)** روى أن أويسا القرنى رضي الله عنه كان يقتات من المزابل ويكتسى منها، فنبحه يوما كلب على مزيلة، فقال له أويس: كل مما يليك وأنا آكل مما يلينى ولا تنبحنى، فان جزت على الصراط فأنا خير منك، وإلا فأنت خير منى وكان أهله يقولون هو مجنون، وأقاربه يستخفون به ويستهزءون، والصغار به يتولعون، وبالحجارة له يرجمون، وفيه أقول:

**سقى الله قوما من شراب وداده ... فهاموا به من بين باد وحاضر**

**يظنهم الجهال جنوا وما بهم ... جنون سوى حب على القوم ظاهر**

**سقوا بكؤوس الحب راحا من الهوى ... فراحوا سكارى بالحبيب المسامر**

يناجون فى ظلمة الليل عندما به قد خلوا منهم أويس بن عامر
شهير يمانى حوى المجد والعلا لنا فيه عالى الفخر عند التفاخر

وفى الحديث عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يحب من خلقه الأتقياء الأصفياء الأخفياء الأبرياء الشعثة رءوسهم، المغبرة وجوههم، الخمصة بطونهم، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم؟ وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، قلنا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم، قال ذلك أويس القرنى، قالوا يا رسول الله وما أويس القرنى؟ قال أشهل ذو صهوبة، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، آدم شديد الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره، رام ببصره إلى موضع سجوده، واضع يمينه على شماله، يبكى على نفسه، ذو طمرين لا يؤبه له، متزر بإزار صوف ورداء صوف، مجهول فى أهل الأرض معروف فى أهل السماء، لو أقسم على الله تعالى لأبره، ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد: ادخلوا الجنة، وقيل لأويس: «قف فاشفع، فيشفعه الله عز وجل فى مثل عدد ربيعة ومضر، يا عمر ويا على إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما يغفر الله تعالى لكما» قال: فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه، فلما كان فى آخر السنة التى انتقل فيها عمر رضي الله عنه قام على جبل أبى قبيس، فنادى بأعلى صوته: يا أهل اليمن أفيكم أويس؟ فقام شيخ كبير طويل اللحية، فقال: إنا لا ندرى ما أويس، ولكن ابن أخ لى يقال له أويس، وهو أخمل ذكرا وأقل مالا وأهون أمرا من أن نرفعه إليك، وإنه ليرعى إبلنا، حقير بين أظهرنا، فعمى عليه عمر كأنه يريده وقال: أين ابن أخيك هذا بحرمنا هو؟ قال نعم، قال وأين يصاب؟ قال بأراك عرفات؛ قال: فركب عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما مسرعين إلى عرفات، فإذا هو قائم يصلى إلى شجرة والإبل حوله ترعى، فشدا حماريهما ثم أقبلا إليه فقالا: السلام عليك ورحمة الله، فخفف أويس رضي الله عنه من الصلاة، ثم رد السلام عليهما، فقالا من الرجل؟ قال راعى إبل وأجير قوم، قالا لسنا نسألك عن الرعاية ولا عن الإجارة، ما اسمك؟ قال عبد الله، قالا قد علمنا أن أهل السموات والأرض جميعا عبيد الله، فما اسمك

الذى سميتك به أمك؟ قال يا هذان ما تريدان إلىّ؟ قالا وصف لنا رسول الله ﷺ أويسا القرنى، فقد عرفنا الصهوبة والشهولة، وأخبرنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء، فأوضحها لنا، فإن كانت بك فأنت هو، فأوضح منكبه فإذا اللمعة، فابتدراه يقبلانه وقالا: نشهد أنك أويس القرنى، فاستغفر لنا يغفر الله لك، فقال: ما أخص باستغفارى نفسى، ولا أحدا من ولد آدم، ولكنه فى البر والبحر من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من هو مستجاب الدعوة، فقالا لابد من ذلك، فقال: يا هذان قد شهد الله لكما حالى، وعرفكما أمرى، فمن أنتما؟ فقال على رضي الله عنه: أما هذا فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأما أنا فعلى بن أبى طالب، فاستوى أويس قائماً وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وأنت يا ابن أبى طالب، فجزاكما الله تعالى عن هذه الأمة خيراً، فقالا: وأنت، فجزاك الله عن نفسك خيراً، فقال له عمر: مكانك رحمك الله حتى أدخل مكة، فآتيك بنفقة من عطائى وفضل كسوة من ثيابى، هذا المكان ميعاد بينى وبينك، فقال: يا أمير المؤمنين لا ميعاد بينى وبينك لا أراك بعد اليوم، فعرفنى ما أصنع بالنفقة وما أصنع بالكسوة، أما ترى علىّ إزارا من صوف ورداء من صوف متى ترانى أخرقهما، أما ترى أن نعلى مخصوفتان، متى ترانى أبليهما، أما ترى أنى قد أخذت من رعايتى أربعة دراهم، متى ترانى آكلها يا أمير المؤمنين، إن بين يدى ويديك عقبة كئودا لا يجاوزها إلا كل ضامر مخف مهزول، فأخف يرحمك الله؛ فلما سمع ذلك عمر ضرب بدرته الأرض ثم نادى بأعلى صوته: ألا ليت عمر لم تلده أمه، يا ليتها كانت عقيما لم تعالج حملها، ألا من يأخذها بما فيها ولها، يعنى الخلافة، ثم قال: يا أمير المؤمنين خذ أنت ههنا حتى آخذ أنا ههنا، فولى عمر ناحية مكة، وساق أويس إبله فوافى القوم، فأعطاهم إبلهم، وخلى الرعاية وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل * وفى صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرئ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل، ثم ساق الحديث إلى أن ذكر اجتماع عمر وعلى به رضى الله تعالى عنهما؛

وقوله له: فاستغفر لى فاستغفر له، فقال له عمر : أين تريد؟ قال الكوفة، قال ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال أكون فى غبراء الناس أحب إلىّ» وهذا بعض الحديث * وفى رواية لمسلم عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم». وقول أويس: غبراء الناس بفتح الغين المعجمة وإسكان الباء الموحدة وبالمد، وهم فقراؤهم وصعاليكهم ومن لا يعرف عينه من أخلاطهم.
قلت: وقوله ﷺ: «إن أويسا خير التابعين» صريح بأنه خيرهم مطلقا، ودليل على أن النفع اللازم قد يكون أفضل من المتعدى، وأن علماء الباطن العارفين بالله تعالى أفضل من المتعدى، وأن علماء الباطن العارفين بالله تعالى أفضل من علماء الظاهر العارفين بأحكام الله سبحانه * وروى عن علقمة بن مرثد رضي الله عنه قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم أويس القرنى رضي الله عنه، ظن أهله أنه مجنون، فبنوا له بيتا على باب دارهم، فكانت تأتى عليه السنة والسنون لا يرون له وجها، وكان طعامه مما يلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه لإفطاره؛ فلما ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بالموسم: أيها الناس قوموا، فقاموا، فقال اجلسوا إلا من كان من قرن فجلسوا، فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا، فقال اجلسوا إلا من كان من اليمن فجلسوا، إلا رجلا، وكان عم أويس، فقال له عمر: أقرنى أنت؟ قال نعم، قال أفتعرف أويسا؟ قال وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما فينا أحمق ولا أجن ولا أحوج منه، فبكى عمر ثم قال: بك لا به، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة بشفاعته مثل ربيعة ومضر» * وروى عن عمار ابن يوسف الضبى قال: قال رجل لأويس القرنى: كيف أصبحت أو كيف أمسيت؟ فقال أصبحت أحب الله وأمسيت أحمد الله، وما تسأل عن حال رجل إذا أصبح ظن أنه لا يمسى، وإذا أمسى ظن أنه لا يصبح، إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحا، وإن حق الله تعالى فى مال المسلم لم يدع له فى ماله فضة ولا ذهبا، وإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يدع لمؤمن صديقا، نأمرهم بالمعروف يشتمون أعراضنا، ويجدون على ذلك أعوانا من الفاسقين، حتى والله لقد رمونى بالعظائم وايم الله لا ادع أن أقوم لله فيهم بحقه، ثم أخذ الطريق، يعنى مشى وخلانى؟ وروى عن هرم

ابن حيان رضي الله عنه قال: بلغنى حديث أويس، فقدمت الكوفة، فلم يكن لى هم إلا طلبه حتى سقطت عليه جالسا على شاطىء الفرات نصف النهار يتوضأ، فعرفته بالنعت الذى نعت لى، فإذا رجل نحيل شديد الأدمة، أشعث محلوق الرأس، مهيب المنظر، فسلمت عليه، فرد علىّ السلام، ونظر إلىّ ومددت يدى إليه لأصافحه، فأبى أن يصافحنى * قلت: وفى انقباض أويس رضي الله عنه وما كان فيه من رثاثة الحال والتوحش والانعزال، وما نسب إليه الجهال من الجنون والاختلال وما كان فيه من التقشف والابتذال وغير ذلك من سائر الأحوال، أظهر دليل لمن نحا ذلك النحو من الفقراء الصادقين، ولا مبالاة بإنكار من ينكر عليهم، ويزعم أن ذلك خلاف السنة، ولم يدر أن السنة العظمى هى ترك الدنيا، والإعراض عن الورى، والإقبال على المولى، وترك العلائق كلها سوى الله عز وجل. قال هرم بن حيان: فقلت رحمك الله يا أويس وغفر لك، كيف أنت؟ ثم خنقتنى العبرة من حبى إياه ورقتى عليه، لما رأيت من حاله حتى بكى وبكيت، فقال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنا يا أخى؟ من دلك علىّ؟ قلت الله، قال لا إله إلا الله (سبحان ربنا، إن كان وعد ربنا لمفعولا) فقلت: ومن أين عرفت اسمى واسم أبى وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتنى؟ قال نبأنى العليم الخبير، عرفت روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك، إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا، ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا، وإن نأت بهم الدار، وتفرقت بهم المنازل، قلت حدثنى رحمك الله عن رسول الله ﷺ، قال: إنى لم أدرك رسول الله ﷺ، ولم يكن لى معه صحبة، بأبى وأمى رسول الله ﷺ، ولكنى قد رأيت رجالاً رأوه، ولست أحب أن أفتح على نفسى هذا الباب أن أكون محدثاً أو قاضياً أو مفتياً، فى نفسى شغل عن الناس، فقلت: أى أخى اقرأ علىّ آيات من كتاب الله تعالى أسمعها منك، وأوصنى بوصية أحفظها عنك، فإنى أحبك فى الله فأخذ بيدى وقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، قال ربى وأحق القول قول ربى، وأصدق الحديث حديث ربى، ثم قرأ (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين، ما خلقناهما إلا بالحق) إلى قوله (العزيز الرحيم) فشهق شهقة وأنا أحسبه قد غشى عليه، ثم قال: يا ابن حيان مات أبوك حيان ويوشك أن تموت أنت، فإما إلى الجنة وإما

إلى النار، ومات أبوك آدم وماتت أمك حواء، يا ابن حيان مات نوح نبى الله، ومات إبراهيم خليل، ومات موسى نجى الله، ومات داود خليفة الرحمن، ومات محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء، ومات أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ، ومات أخى وصديقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقلت له: يرحمك الله تعالى إن عمر رضي الله عنه لم يمت، قال بلى، قد نعاه الناس ونعاه إلىّ ربى تبارك وتعالى، ونعى إلى نفسى، وأنا وأنت فى الموتى، ثم صلى على النبى ﷺ، ودعا بدعوات خفاف، ثم قال: هذه وصيتى إليك، كتاب الله ونعى المرسلين، ونعى صالحى المؤمنين؛ فعليك بذكر الموت، ولا يفارقن قلبك طرفة عين ما بقيت، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم، وانصح للأمة جميعاً، وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم، فتدخل النار، ادع لى ولنفسك، ثم قال: اللهم إن هذا زعم أنه يحبنى فيك وزارنى من أجلك، فعرفنى وجهه فى الجنة، وأدخله علىّ دارك دار السلام، واحفظه فى الدنيا مادام حيا، وأرضه من الدنيا باليسير، واجعله لما أعطيته من نعمك من الشاكرين، واجزه عنى خيرا، ثم قال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا أراك وترانى، واذكرنى وادع لى، فإنى سأدعو لك وأذكرك إن شاء الله تعالى، فانطلق أنت ههنا حتى آخذ أنا ههنا، فحرصت أن أمشى معه ساعة فأبى علىّ ففارقته، فجعلت أبكى وهو يبكى وأنظر إليه حتى دخل بعض السكك، ثم سألت عنه بعد ذلك وطلبته فلم أجد أحداً يخبرنى عنه بشىء، وما أتت علىّ جمعة إلا وأنا أراه فى المنام مرة أو مرتين * قلت: وإنما قال أويس رضي الله عنه: ومات محمد ﷺ، ولم يقل رسول الله ﷺ كما قال فى الأنبياء قبله، لأن فضله معروف، والمعروف بكمال الشرف والسؤدد لا يحتاج أن يمدح ويمجد، ألا ترى أن أصحابنا إذا ذكروا الإمام الشافعى رضي الله عنه قالوا: قال الشافعى، وإذا ذكروا بعض أصحابه قد يذكرون فضله فيقولون: قال الإمام الحفيل السيد الجليل أو نحو ذلك، وكذلك قد يمدح بعض الأمراء عند ذكره تعريفا بفضله، ولا يفعل ذلك بالسلطان، لأن الشىء إذا اشتهر بكمال الفضل أو الشرف، لا يحتاج إلى أن يمدح ويعرف، لأنه إذا مدح يحتاج إلى مدح كثير، وربما وقع فى مدحه تقصير، فكانت شهرة قدره مغنية عن ذكره؛ وقوله رضي الله عنه: ونعى المرسلين، ونعى صالحى المؤمنين، يعنى ذكر موتهم * وروى عن أصبغ

رحمه الله تعالى قال: كان أويس رضي الله عنه إذا أمسى يقول: هذه الليلة ليلة الركوع، فيركع حتى يصبح، وكان يقول: هذه الليلة ليلة السجود، فيسجد حتى يصبح، وكان إذا أمسى تصدق بما فى بيته من الفضل من الطعام والشراب، ثم يقول: اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذنى به، ومن مات عاريا فلا تؤاخذنى به * وروى عن نصر بن إسماعيل رحمه الله تعالى قال: كان أويس رضي الله عنه يلتقط الكسر من المزابل فيغسلها ويتصدق ببعضها، ويأكل بعضها ويقول: اللهم إنى أبرأ إليك من كل كبد جائع * وروى عن عبد الله بن سلمة قال: غزونا أذربيجان فى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأويس القرنى معنا، فلما رجعنا مرض فحملناه، فلم يستمسك فمات؛ فنزلناه فإذا قبر محفور وماء مسكوب، وكفن وحنوط، فغسلناه وكفناه وصلينا عليه، ودفناه ومشينا، فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا إلى القبر، فإذا لا قبر ولا أثر * وروى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى رحمه الله تعالى قال: نادى مناد يوم صفين أفى القوم أويس القرنى؟ فوجد فى القتلى من أصحاب على رضى الله تعالى عنهم أجمعين، والله تعالى أعلم.

**(الحكاية السادسة والأربعون بعد المئة: عن الربيع بن خيثم رضي الله عنه)** حكى أن الربيع بن خيثم رضي الله عنه قيل له فى منامه: إن ميمونة السوداء زوجتك فى الجنة، فلما أصبح سأل عنها، فدل عليها فإذا هى ترعى غنماً، فقال لأقيمن عندها أنظر عملها، فأقام عندها فرآها لا تزيد على الفريضة، فإذا أمست جاءت إلى عنز لها، فحلبت ثم شربت ثم حلبت ثم سقته إياه، فقال لها فى اليوم الثالث: يا هذه لم لا تسقينى من غير هذه العنز قالت يا عبد الله إنها ليست لى، قال فلم تسقينى من هذه؟ قالت إن هذه منحتها أشرب من لبنها وأسقى من شئت، فقال: يا هذه ليس لك من العمل أكثر مما أرى، قالت لا إلا أنى ما أصبحت ولا أمسيت على حال قط فتمنيت سواها رضا بما قسم الله تعالى لى، فقال يا هذه أعلمت أنى رأيت فى المنام أنك زوجتى فى الجنة، قالت فأنت الربيع بن خيثم؟ قال نعم، فقيل للراوى: كيف علمت هذا؟ قال لعلها رأت فى منامها مثل ما رأى * قلت: ما قاله الراوى صحيح لأنه يحتمل، ولكن لا ينحصر ذلك فى المنام بل يجوز أن يكون كشف لها فى اليقظة بأن قيل لها ذلك، فسمعت أو شهدت، فرأت فى حال سكر الأحوال الواردة عليهم المشهورة

عنهم * وقد أخبرنى بعضهم أنه قيل له فى اليقظة زوجتك فى الجنة فلانة من الصالحات المشهورات، رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية السابعة والأربعون بعد المئة: عن الشيخ أبى محمد الحريرى)** قال: حضر باب دارى بَازٌ أشهب فلم أصده، ومكثت أربعين سنة أنصب حبالى عليه لعلى أظفر به أو بمثله، فما ظفرت، فقيل: وما ذاك البازى الأشهب؟ قال رجل دخل علينا الرباط بعد صلاة العصر شاب مصفر اللون أشعث الشعر حاسر الرأس حافى القدمين، فجدد الوضوء وصلى، ثم جلس ووضع رأسه فى جيبه إلى المغرب؛ فلما صلى معنا المغرب جلس كذلك وإذا رسول الخليفة يستدعينا فى دعوة، فقمت إلى الشاب وقلت له: هل لك أن ترافقنا إلى دار الخليفة؟ فرفع رأسه وقال: ليس لى قلب إلى دار الخليفة، ولكن أشتهى عصيدة حارة، فاطرحت قوله حيث لم يوافق الجماعة، والتمس شهوته، وقلت فى نفسى هذا قريب عهد بالطريقة لم يتأدب بعد، ومضيت إلى دار الخليفة فأكلنا وسمعنا وتفرقنا آخر الليل، فلما دخلت الرباط رأيت الشاب على تلك الحالة، فجلست على سجادتى ساعة، فلهجت عيناى فى النوم، وإذا جماعة وقائل يقول: هذا رسول الله ﷺ والأنبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام، فدنوت إليه لأسلم عليه، فولى بوجهه عنى معرضا، فكررت عليه وهو يعرض عنى ولا يلتفت ولا يجيب، فخفت من ذلك، فقلت يا رسول الله، ما الذى أذنبت حتى تعرض عنى بوجهك، فقال رسول الله ﷺ: فقير من أمتى اشتهى عليك شهوة فتهاونت به، فاستيقظت مرعوبا، وقمت نحو الفقير فلم أجده، وسمعت صوت الباب فخرجت فى طلبه، فإذا به قد خرج، فناديته يا فتى اصبر حتى تحضر شهوتك التى طلبتها، فالتفت إلىّ وقال: إذا اشتهى عليك فقير شهوة لا توصلها إليه حتى يستشفع إليك بمئة ألف نبى وأربعة وعشرين ألف نبى، فلا حاجة به إليها، ثم تركنى ومضى، رضي الله عنه ونفع به آمين، وأنشد:

**طلبت الغنى من صاحبى فأجابنى … إن الفقير إلى الغنى بغيض**

**(الحكاية الثامنة والأربعون بعد المئة: عن سرى السقطى رضي الله عنه)** قال: قعدت يوماً أتكلم بجامع المدينة، فوقف على شاب حسن الشباب، فاخر الثياب

ومعه أصحابه، فوعظت، فسمعنى أقول فى وعظى: عجباً لضعيف كيف يعصى قوياً، فتغير لونه وانصرف؛ فلما كان من الغد جلست فى مجلسى، وإذا به قد أقبل فسلم وصلى ركعتين وقال: يا سرى سمعتك بالأمس تقول: عجباً لضعيف كيف يعصى قويا، فما معناه؟ فقلت: لا أقوى من المولى، ولا أضعف من العبد وهو يعصيه، فنهض فخرج، ثم أقبل من الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد وقال: يا سرى كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقلت: إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل، وإن أردت الله عز وجل فاترك كل شىء سواه تصل إليه، ولا تسكن إلا المساجد والخراب والمقابر، فقام وهو يقول: والله لا سلكت إلا أصعب الطرق، وولى خارجاً، فلما كان بعد أيام أقبل إلىّ غلمان كثيرة، فقالوا ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب؟ فقلت لا أعرفه إلا أن رجلاً جاءنى من صفته كذا وكذا، فجرى لى معه كذا وكذا ولا أعلم حاله، فقالوا بالله عليك متى عرفت حاله فعرفناه، ودلنا على داره، فبقيت سنة لا أعرف له خبرا، فبينما أنا ذات ليلة بعد العشاء الآخرة جالس فى بيتى، وإذا بطارق يطرق الباب، فأذنت له بالدخول، فإذا أنا بالفتى عليه قطعة من كسائى فى وسطه، وأخرى على عاتقه، وبيده زنبيل فيه نوى، فقبل بين عينى وقال: يا سرى أعتقك الله من النار كما أعتقنى من رق الدنيا، فنظرت فأومأت إلى صاحبى أن امض إلى أهله فأخبرهم، فمضى فإذا بزوجته قد جاءت ومعها ولده وغلمانه، فدخلت وألقت الولد فى حجره، وعليه حلى وحلل وقالت له: يا سيدى أرملتنى وأنت حى، وأيتمت ولدك وأنت حى، قال السرى: فنظر إلىّ وقال: يا سرى ما هذا وفاء، ثم أقبل عليهما وقال: والله إنكما لثمرة فؤادى وحبيبة قلبى، وإن هذا ولدى لأعز الخلق علىّ غير أن هذا سرى رضي الله عنه أخبرنى أن من أراد رضا الله قطع كل ما سواه، ثم نزع ما على الصبى وقال: ضعى هذا فى الأكباد الجائعة والأجساد العارية، وقطع قطعة من كسائى فلف بها الصبى، فقالت المرأة: والله لا أرى ولدى فى هذه الحالة، وانتزعته منه، فحين رآها قد اشتغلت به نهض وقال: ضيعتم علىّ ليلتى بينى وبينكم الله، وولى خارجاً، وضجت الدار بالبكاء، فقالت امرأته، إن عاد يا سرى أو سمعت له خبراً فأعلمنى، فقلت إن شاء الله تعالى؛ فلما كان بعد أيام أتتنى عجوز فقالت: يا

سرى: بالشونيزية غلام يسألك الحضور، فمضيت فإذا أنا به مطروح تحت رأسه لبنة، فسلمت عليه ففتح عينيه وقال: يا سرى ترى يغفر لى تلك الجنايات؟ فقلت نعم، فقال يغفر لمثلى؟ فقلت نعم، قال أنا غريق، قلت هو منجى الغرقى، فقال على مظالم، فقلت فى الخبر: «إنه يؤتى بالتائب يوم القيامة ومعه خصومه، فيقال لهم خلوا عنه، فإن الله تعالى يعوضكم، فقال: يا سرى معى دراهم من لقط النوى، إذا أنا مت فاشتر ما أحتاج إليه وكفنى، ولا تعلم أهلى لئلا يغيروا كفنى بحرام، فجلست عنده قليلاً، ففتح عينيه وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون ثم مات رحمة الله تعالى عليه، فأخذت الدراهم فاشتريت ما يحتاج إليه وسرت نحوه، فإذا الناس يهرعون، فقلت: ما الخبر؟ فقيل مات ولى من أولياء الله تعالى نريد أن نصلى عليه، فجئت فغسلته وصلينا عليه ودفناه؛ فلما كان بعد مدة وفد أهله يستعلمون خبره، فأخبرتهم بموته، فأقبلت امرأته باكية، فأخبرتها بحاله، فسألتنى أن أريها قبره، فقلت أخاف أن تغيروا أكفانه، فقالت لا والله، فأريتها القبر فبكت، وأمرت بإحضار شاهدين، فأحضروا، فأعتقت جواريها، ووقفت عقارها، وتصدقت بمالها، ولزمت قبره حتى ماتت رحمة الله تعالى عليها * وأنشدوا:

| | |
|---|---|
| **بان الذين تجنبوا الأشغالا** | **بذلوا النفوس وأنفقوا الأموالا** |
| **تركوا النساء كأنهن أرامل** | **قبل الممات وأيتموا الأطفالا** |
| **وتجوعوا وتعطشوا وتضمروا** | **طلب السباق وخففوا الأثقالا** |
| **وتعزبوا وتغربوا عن أهلهم** | **حذر الفوات وفككوا الأغلالا** |
| **فطموا عن الدنيا نفوسا طالما** | **كانت تتيه على النعيم دلالا** |
| **خافوا البيات فشمروا بعزيمة** | **طلب النجاة وكابدوا الأهوالا** |
| **حتى إذا بليت ضنا أجسادهم** | **ولقوا شجونا فى السرى وكلالا** |
| **وردوا جنان مليكهم فحباهم** | **رتبا تفوق الفرقدين منالا** |

**(الحكاية التاسعة والأربعون بعد المئة عن سبب خروج إبراهيم بن أدهم عن أهله وماله)** حكى أنه كان سبب خروج إبراهيم بن أدهم عن أهله وماله وجاهه ورياسته . وكان من أبناء الملوك . أنه خرج يوماً يصطاد فأثار ثعلبا أو

أرنبا، فبينما هو فى طلبه، إذ هتف به هاتف، ألهذا خلقت، أم بهذا أمرت؟ ثم هتف به هاتف من قربوس سرجه وقال: والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت، فنزل عن مركوبه وصادف راعيا لأبيه، فأخذ جبة الراعى وكانت من صوف، فلبسها وأعطاه فرسه وما معه ثم دخل البادية، وكان من شأنه ما كان رضي الله عنه.

(**الحكاية الخمسون بعد المئة عن الشيخ أبى الفوارس**) حكى أن الشيخ أبا الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى رضي الله عنه خرج للصيد وهو يومئذ ملك كرمان، فأمعن فى الطلب حتى وقع فى برية مقفرة وحده، فإذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع؛ فلما رأته ابتدرت نحوه، فزجرها الشاب عنه؛ فلما دنا إليه سلم عليه وقال له: يا شاه ما هذه الغفلة عن الله، اشتغلت بدنياك عن آخرتك، وبلذتك وهواك عن خدمة مولاك، إنما أعطاك الله الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة إلى الاشتغال عنه، فبينما الشاب يحدثه، إذ خرجت عجوز بيدها شربة ماء، فناولتها للشاب، فشرب ودفع باقيه إلى شاه، فشربه وقال: ما شربت شيئاً ألذ منه ولا أبرد ولا أعذب، ثم غابت العجوز فقال الشاب: هذه الدنيا وكلها الله تعالى إلى خدمتى، فما احتجت إلى شىء إلا أحضرته إلى حين يخطر ببالى، أما بلغك أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها: يا دنيا اخدمى من خدمنى، واستخدمى من خدمك؛ فلما رأى ذلك تاب، وكان منه ما كان رضي الله عنه، ونفعنا به * وأنشد بعضهم:

**خدمت لما قد قصرت من خدمك ... ودار عندى السرور من نعمك**

**وكانت الحادثات تطرقنى ... فاحتشمتنى إذ صرت من حشمك**

(**الحكاية الحادية والخمسون بعد المئة عن مالك بن دينار رضي الله عنه**) أنه سئل عن سبب توبته، فقال: كنت شرطياً، وكنت منهمكا على شرب الخمر، ثم إنى اشتريت جارية نفيسة، ووقعت منى أحسن موقع، فولدت لى بنتا فشغفت بها؛ فلما دبت على الأرض ازدادت حباً فى قلبى، وألفتنى وألفتها، فكنت إذا وضعت المسكر جاءت إلىّ وجاذبتنى إياه وأهرقته على ثوبى، فلما تم لها سنتان ماتت، فأكمدنى الحزن عليها؛ فلما كانت ليلة النصف من شعبان، وكانت ليلة جمعة بت ثملا من الخمر، ولم أصل صلاة العشاء، فرأيت كأن أهل القبور قد خرجوا، وحشر الخلائق وأنا معهم، فسمعت حسا من ورائى، فالتفت فإذا أنا

بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق، قد فتح فاه مسرعاً نحوى، فمررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً، فمررت فى طريقى، فإذا أنا بشيخ نقى الثياب طيب الرائحة، فسلمت عليه فرد علىّ السلام، فقلت له أجرنى وأغثنى، فقال أنا ضعيف وهذا أقوى منى وأنا ما أقدر عليه، ولكن مر وأسرع، فلعل الله تعالى أن يسبب لك من ينجيك منه، فوليت هارباً على وجهى، فصعدت على شرف من شرف القيامة، فأشرفت على طبقات النيران، فنظرت إلى أهوالها وكدت أهوى فيها من فزعى من التنين الذى فى طلبى، فصاح بى صائح: ارجع فلست من أهلها، فاطمأننت إلى قوله، ورجعت ورجع التنين فلم تفعل؟ فبكى الشيخ وقال: أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل، فإن فيه للمسلمين ودائع، فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت إلى جبل مستدير فيه كوى مخرقة وستور معلقة على كل كوة مصراعان من الذهب الأحمر مرصعة بالياقوت مكللة بالدر، وعلى كل مصراع ستر الحرير، فلما نظرت إلى الجبل هربت إليه والتنين ورائى، حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا، فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه، فإذا الستور قد فتحت، فأشرف علىّ أطفال بوجوه كالأقمار، وقرب التنين منى، فتحيرت فى أمرى، فصاح بعض الأطفال: ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه، فأشرفوا فوجاً بعد فوج، فإذا بابنتى التى ماتت قد أشرفت علىّ معهم، فلما رأتنى بكت وقالت: أبى والله، ثم وثبت فى كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدى، فمدت يدها الشمال إلى يدى اليمين فتعلقت بها، ومدت يدها اليمين إلى التنين فولى هارباً، ثم أجلستنى وقعدت فى حجرى، وضربت بيدها اليمين إلى لحيتى وقالت يا أبت (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) فبكيت وقلت: يا بنية وأنتم تعرفون القرآن؟ قالت يا أبت نحن أعرف به منكم، قلت فأخبرينى عن التنين الذى أراد هلاكى، قالت ذلك عملك السوء الخبيث قويته فتقوى، فأراد أن يغرقك فى النار، قلت فأخبرينى عن الشيخ الذى مررت به فى طريقى، قالت يا أبت ذلك عملك الصالح أضعفته، فضعف حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء، قلت يا بنية وما تصنعون فى هذا الجبل؟ قالت نحن أطفال المسلمين قد أسلكنا فيه إلى أن تقوم الساعة، ننظركم

تقدمون علينا فنشفع فيكم، فانتبهت فزعاً مرعوباً، فلما أصبحت فارقت ما كنت عليه، وتبت إلى الله عز وجل، وهذا سبب توبتى رحمه الله * قلت: وقد جاء فى الحديث أن عمل الإنسان يدفن معه فى قبره، فإن كان العمل كريماً أكرم صاحبه، وإن كان لئيماً أسلمه: أى إن كان عملاً صالحاً آنس صاحبه وبشره ونور عليه قبره ووسعه وحماه من الشدائد والأهوال، وإن كان عملاً سيئاً أفزع صاحبه وروعه، وأظلم عليه قبره وضيقه وعذبه، وخلى بينه وبين الشدائد والأهوال والعذاب والوبال * وقد سمعت عن بعض الصالحين فى بعض بلاد اليمن أنه لما دفن بعض الموتى وانصرف الناس عنه، سمع فى القبر ضرباً ودقاً عنيفاً، ثم خرج من القبر كلب أسود، فقال له الشيخ الصالح: ويحك إيش أنت؟ قال أنا عمل الميت، قال فهذا الضرب فيك أم فيه؟ قال بل فىّ، وجدت عنده سورة يس وأخواتها، فحالت بينى وبينه، وضربت وطردت * قلت: لما قوى عمله الصالح غلب عمله القبيح وطرده عنه، بكرم الله ورحمته، ولو كان عمله القبيح أقوى لغلبه وأفزعه وعذبه، نسأل الله الكريم لطفه ورحمته وعفوه وعافيته لنا ولأحبابنا ولأصحابنا ولكافة المسلمين آمين.

**(الحكاية الثانية والخمسون بعد المئة عن بعضهم)** حكى عن بعض العصاة أنه مات، فلما حفروا له قبراً وجدوا فيه حية عظيمة، فحفروا له قبراً آخر فوجدوها فيه، ثم كذلك قبراً بعد قبر إلى أن حفروا نحواً من ثلاثين قبراً، وفى كل ذلك يجدونها فيه، فلما رأوا أنه لا يقدر أن يهرب من الله هارب ولا يغلبه غالب دفنوه معها، وهذا الحية هى عمله كما ذكرنا فى حكاية مالك ابن دينار، نسأل الله الكريم حسن الخاتمة فى عفو وعافية فى الدين والدنيا والآخرة، إنه المنان الكريم البر الرحيم.

**(الحكاية الثالثة والخمسون بعد المئة: عن أبى إسحاق الفزارى رحمه الله تعالى)** قال: كان رجل يكثر الجلوس إلينا ونصف وجهه مغطى، فقلت له: إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى، أطلعنى على هذا، فقال وتعطينى الأمان؟ قلت نعم، قال: كنت نباشا فدفنت امرأة، فأتيت قبرها فنبشت حتى وصلت إلى اللبن فرفعته، ثم ضربت بيدى إلى الرداء، ثم ضربت بيدى إلى اللفافة فجررتها، فجعلت تجرها، فقلت أتراها تغلبنى؟ فجثيت على ركبتى،

فجررت اللفافة فرفعت يدها فلطمتني، وكشف عن وجهه فإذا أثر خمس أصابع في وجهه، فقلت له ثم ما فعلت؟ قال ثم رددت عليها لفافتها وإزارها، ثم رددت اللبن ثم التراب وجعلت على نفسي أن لا أنبش قبراً ما عشت، قال: فكتبت إلى الأوزاعي بذلك، فكتب إليّ الأوزاعي: سله ويحك عمن مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة، فسألته عن ذلك فقال: أكثرهم حول وجهه عن القبلة، فكتبت بذلك إلى الأوزاعي، فكتب إليّ: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثلاث مرات، أما من حول وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السنة، انتهى كلامهم * قلت: لعل الإمام الأوزاعي رضي الله عنه أراد بالسنة ههنا ملة الإسلام. والمعنى والله أعلم أن الإصرار على المعاصي يجر كثيراً من العصاة إلى الموت على الكفر والعياذ بالله عز وجل، كما جاء في تفسير قوله تعالى (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوآى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) كان عاقبة الإساءة التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها، وذلك هو الكفر أعاذنا الله منه، وسأذكر شيئاً من ذلك الآن.

**(الحكاية الرابعة والخمسون بعد المئة عن بعض الناس)** روى أن بعض الناس حضرته الوفاة، فكان كلما قيل له: قل لا إله إلا الله، قال:

**يا رب قائلة يوما وقد تعبت ... أين الطريق إلى حمام منجاب**

وذلك أن امرأة خرجت في بعض الأيام تريد حماما يقال له حمام منجاب، فلم تعرف الطريق وتعبت من المشي، فصادفت رجلا على باب داره، فسألته عن الحمام، فقال هو هذا، وأشار إلى داره؛ فلما دخلت أغلق عليها الباب، فلما عرفت أنه قد خدعها أظهرت السرور وقالت له اذهب هات لنا من السوق ما نطيب به وقتنا، فبادر إلى ذلك، وترك الباب مفتوحا، فخرجت بخديعة حتى تخلصت بها من خداعه الباطل بارك الله فيها، وذلك بفضل الله عليها وحفظه إياها؛ فلما رجع الرجل على نية الفجور بها لم يلق في بيته إلا الويل والثبور، فخرج على رأسه هائماً يدور وينشد البيت المذكور حتى جعله عوضاً عن شهادة أن لا إله إلا الله وهو في غمرات الموت محضور، نستجير من ذلك بالله الكريم الغفور.

**(الحكاية الخامسة والخمسون بعد المئة عن بعض الناس)** روى عن آخر أيضاً أنه كان حرفته بيع الحشيش وهو غافل عن الله تعالى، فلما حضرته الوفاة كان كلما قيل له: قل لا إله إلا الله، قال: حزمة بفلس * وكان بعض الشيوخ بعد ذلك يقول لأصحابه: أكثروا من الشهادة حتى تموتوا عليها كما مات على هذه الكلمة التى عاش عليها * وروى عن بعض الأخيار من أهل تلاوة القرآن الكريم.

أنه لما حضرته الوفاة، كانوا كلما قالوا له: قل لا إله إلا الله، قال: (بسم الله الرحمن الرحيم، طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلى قوله تعالى: الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) فلم يزل يعيدها كلما أعادوا عليه إلى أن مات على هذه الآية الكريمة الجليلة العظيمة * قلت: وكل ما ذكرنا يحقق ما ورد أنه يموت المرء على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه، نسأل الله الكريم التوفيق للطاعة، والموت على الإسلام والسنة والجماعة لنا ولإخواننا ووالدينا وأولادنا والمسلمين آمين.

**(الحكاية السادسة والخمسون بعد المئة عن امرأة عابدة)** حكى أن امرأة من المتعبدات يقال لها باهية لما أشرفت على الموت رفعت رأسها إلى السماء وقالت: يا ذخرى وذخيرتى ومن عليه اعتمادى فى حياتى ومماتى، لا تخذلنى عند الموت، ولا توحشنى فى قبرى، فلما ماتت كان لها ولد يأتى قبرها فى كل ليلة جمعة، ويقرأ عند قبرها شيئاً من القرآن ويدعو لها ويستغفر لها ولأهل المقابر، قال: فرأيتها فى المنام، فسلمت عليها وقلت لها: يا أماه كيف أنت وكيف حالك؟ فقالت يا بنى إن للموت كربة شديدة، وأنا بحمد الله فى برزخ مفروش فيه الريحان، وموسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم القيامة، فقالت: ألك حاجة؟ قالت نعم يا بنى لا تدع ما كنت عليه من زيارتنا والقراءة والدعاء لنا، فإنى يا بنى أسر بمجيئك إلينا ليلة الجمعة ويوم الجمعة إذا أقبلت يقول لى الموتى: يا باهية هذا ابنك قد أقبل، فأسر بذلك، ويسر من حولى من الموتى، قال: فكنت أزورها فى كل ليلة جمعة ويومها، واقرأ عندها شيئاً من القرآن وأقول: آنس الله وحشتكم، ورحم غربتكم، وتجاوز عن سيئاتكم، وزاد بعضهم: وتقبل حسناتكم؟ قال: فبينما أنا ذات ليلة نائم إذا

بخلق كثير قد جاءونى فقلت من أنتم وما حاجاتكم؟ فقالوا نحن أهل المقابر جئناك نشكرك ونسألك أن لا تقطعنا من تلك القراءة والدعوات فمازلت أقرأ لهم وأدعو لهم بهن كل ليلة جمعة ويومها ◆ قلت: وما ذكر فى هذه الحكاية من نفع قراءة القرآن للموتى يؤيد قول من قال من العلماء بذلك، ويؤيده أيضاً ما سنذكره الآن إن شاء الله تعالى.

**(الحكاية السابعة والخمسون بعد المئة عن بعض أهل العلم)** ذكر بعض أهل العلم أن رجلا رأى فى النوم أهل القبور فى بعض المقابر قد خرجوا من قبورهم إلى ظاهر المقبرة، وإذا بهم يلتقطون شيئاً ما يدرى ما هو؟ قال: فتعجبت من ذلك، ورأيت واحداً منهم جالساً لا يلتقط شيئاً، فدنوت منه وسألته ما الذى يلتقط هؤلاء؟ فقال: يلتقطون ما يهدى إليهم المسلمون من قراءة القرآن والصدقة والدعاء، قال فقلت له: فلم لا تلتقط أنت معهم؟ فقال أنا غنى عن ذلك، فقلت بأى شىء؟ قال بختمة يقرؤها ويهديها إلىّ ولدى فى كل يوم وليلة، فقلت وأين هو؟ فقال هو شاب يبيع الزلابية فى السوق الفلانى، قال: فلما استيقظت ذهبت إلى السوق حيث ذكر فإذا بشاب يبيع الزلابية ويحرك شفتيه، فقلت بأى شىء تحرك شفتيك؟ قال اقرأ القرآن وأهديه إلى والدى فى قبره، قال: فلبثت مدة من الزمان ثم رأيت الموتى قد خرجوا من القبور يلتقطون كما تقدم، وإذا بالرجل الذى كان لا يلتقط معهم صار يلتقط معهم، فاستيقظت وتعجبت من ذلك، ثم ذهبت إلى السوق لأتعرف خبر ولده، فوجدته قد مات رحمه الله تعالى.

**(الحكاية الثامنة والخمسون بعد المئة)** روى أن بعض النساء توفيت، فرأتها فى النوم امرأة تعرفها، وإذا عندها تحت السرير آنية من نور مغطاة، فسألتها ما فى هذه الآنية؟ قالت فيها هدية أهداها إلىّ أبو أولادى البارحة، فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك لزوج الميتة، فقال قرأت البارحة شيئا من القرآن وأهديته إليها. قلت: وقد بلغنى أن بعض الموتى فى بلاد اليمن رآه بعض أصحابه فى النوم، قال وكنت قد أهديت إليه شيئا من القرآن، فقال سلم لى على فلان وقل له جزاه الله عنى خيرا كما أهدى إلىّ شيئا من القرآن. وروى بعض العلماء فى بعض مصنفاته ما معناه: إن الشيخ الإمام مفتى الأنام

عزّالدين بن عبدالسلام ﷺ سئل بعد موته فى منام رآه السائل ما تقول فيما كنت تنكر من وصول مايهدى من قراءة القرآن للموتى؟ فقال هيهات، وجدت الأمر بخلاف ما كنت أظنّ، رحمه الله تعالى.

**(الحكاية التاسعة والخمسون بعد المئة: عن صالح المرى ﷺ)** قال: أقبلت ليلة جمعة إلى الجامع لأصلى فيه صلاة الفجر، فمررت بمقبرة، فجلست عند قبر فغلبتنى عينى، فنمت، فرأيت فى نومى كأن أهل المقبرة قد خرجوا من قبورهم، فقعدوا حلقا حلقا يتحدثون وإذا بشاب عليه ثياب دنسة قعد فى جانب المقبرة مغموماً مهموماً فريداً بنفسه، فلم يلبثوا إلا ساعة حتى أقبلت ملائكة على أيديهم أطباق مغطاة بمناديل كأنهن من نور، فكلما جاء أحداً منهم طبقا، أخذه ودخل فى قبره، حتى بقى الفتى فى آخر القوم فلم يأته شىء، فقام حزينا ليدخل فى قبره، فقلت له يا عبد الله مالى أراك حزيناً، وما الذى رأيت؟ قال يا صالح هل رأيت الأطباق؟ قلت نعم فما هى؟ قال تلك صدقات الأحياء ودعاؤهم لموتاهم، يأتيهم ذلك فى كل ليلة جمعة ويومها. ثم ذكر كلاماً طويلاً ذكر فيه أن له والدة اشتغلت عنه بالدنيا وتزوجت والتهت، وإنه يحق له أن يحزن، إذ ليس له من يذكره، فسأل صالح عن منزل والدته أين هو؟ فوصف له الموضع؛ فلما أصبح صالح ذهب وسأل عنها، فأرشد إليها، فكلمها من خلف الستر، وقص عليها القصة، فبكت حتى تحدرت دموعها على خدها، ثم قالت يا صالح ذاك ولدى وفلذة من كبدى، ومن كان بطنى له وعاء، وثديى له سقاء، وحجرى له حواء، قال: ثم دفعت إلىّ ألف درهم وقالت لى: تصدق بها على حبيبى وقرة عينى، ولست أنساه من الدعاء والصدقة فى باقى عمرى إن شاء الله تعالى، قال فتصدقت بالألف عنه؛ فلما كان فى يوم الجمعة الأخرى أقبلت أريد الجامع، فأتيت المقبرة واستندت على قبر فخفقت برأسى، وإذا بالقوم قد خرجوا، وإذا بالفتى عليه ثياب بيض وهو فرح مسرور، فأقبل نحوى حتى دنا منى وقال يا صالح، جزاك الله عنى خيراً، قد وصلت إلىّ الهدية قلت له أنتم تعرفون يوم الجمعة؟ قال نعم، وإن الطيور فى الهواء لتعرفه وتقول: سلام سلام ليوم صالح، يعنى يوم الجمعة أعاد الله علينا من بركته.

(**الحكاية الستون بعد المئة: عن مالك بن دينار** رحمه الله) قال: رأيت قوماً بالبصرة يحملون جنازة وليس معهم أحد ممن يشيع الجنازة، فسألتهم عنه، فقالوا: هذا رجل من كبار المذنبين العصاة المسرفين، قال فصليت عليه وأنزلته فى قبره ثم انصرفت إلى الظل، فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من السماء، فشقا قبره ونزل أحدهما إليه وقال لصاحبه: اكتبه من أهل النار، فما فيه جارحة سلمت من المعاصى والأوزار، قال فقال له صاحبه: يا أخى لا تعجل عليه، اختبر عينيه، قال اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالنظر إلى محارم الله عز وجل، قال فاختبر سمعه، قال قد اختبرته فوجدته مملوءاً بالخوض فى المحظورات وارتكاب المحرمات، قال فاختبر يديه، قال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بتناول الحرام وما لا يحل من اللذات والشهوات، قال فاختبر رجليه، قال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالسعى فى النجاسات والأمور المذمومات، قال يا أخى لا تعجل عليه ودعنى أنزل إليه، فنزل الملك الثانى إليه، وأقام عنده ساعة وقال لصاحبه: يا أخى قد اختبرت قلبه فوجدته مملوءاً إيماناً، فاكتبه مرحوماً سعيداً، ففضل المولى سبحانه وتعالى يستغرق ما عليه من الذنوب والخطايا * وأنشدوا:

**لما رأوه مبعداً عن طاعتى ... حكموا بأنى لا أجود برحمتى**

**حلمى أجل ولن يضيق على الورى ... من ذا يحد أوامرى ومشيئتى**

قلت: إنما حصلت هذه السعادة لهذا المذكور بعناية سابقة، وما تحصل هذه لكل عاص، فلا تغتر بهذا، فالعصاة كلهم فى خطر المشيئة، بل الطائعون لا يدرون بماذا يختم لهم، نسأل الله الكريم حسن الخاتمة والمغفرة، والعفو والعافية فى الدنيا والآخرة، ويسلم لنا الدين ولأحبابنا ولسائر المسلمين آمين.

(**الحكاية الحادية والستون بعد المئة: عن بعضهم**) قال: سألت الله عز وجل أن يرينى مقامات أهل المقابر، فرأيت ليلة من الليالى كأن القيامة قد قامت، والقبور قد انشقت، وإذا منهم النائم على السندس، ومنهم النائم على الحرير والديباج، ومنهم النائم على السرر، ومنهم النائم على الريحان، ومنهم الضاحك، ومنهم الباكى، فقلت يا رب لو شئت ساويت بينهم فى الكرامة، قال

فنادى مناد من أهل القبور: يا فلان هذه منازل الأعمال، أما أصحاب السندس فهم أهل الخلق الحسن، وأما أصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء، وأما أصحاب الريحان فهم الصائمون، وأما أصحاب الضحك فهم أصحاب التوبة والإنابة، وأما أصحاب البكاء فهم المذنبون، وما أصحاب المراتب فهم المتحابون فى الله تعالى انتهى كلامه * قلت: هكذا ذكر فى الأصل الذى نقلت منه، أعنى فسر أصحاب المراتب، ولم يتقدم للمراتب ذكر، وقد تقدم ذكر السرر ولم يفسر أصحابها بعد من هم، فلعله أراد بالمراتب السرر المتقدم ذكرها؛ وأما حقيقة المراتب فهى المناصب الشريفة والمقامات العالية المنيفة، ولاشك أن أصحاب السرر المذكورة أشرف مرتبة وأعلى منزلة ممن على الأرض وإن كان أهل الأرض على الحرير وغيره، مع أن السرر المذكورة المعدة للإكرام، والمرتبة العالية لا تخلو من الفرش العزيزة الغالية وإن لك أن تذكر معها كما قال سبحانه وتعالى (**إخوانا على سرر متقابلين**) ولم يذكر الفرش فى هذه الاية، ومعلوم أن السرر المذكورة عليها الفرش المذكورة فى آيات أخرى. وإذا قال قائل جلس الملك على سريره، وجلسنا عنده علم من ذلك شيئان: أحدهما أن السرير مفروش وإن لم يذكر ذلك. والثانى أن الملك إنما جلس على السرير ليرتفع على من عنده برفعة المجلس مع رفعة الملك، ولا يرضى أن يجلس معه غيره على السرير، ولا يجلس هو مع غيره على الأرض فى الغالب * ولما دخل الأحنف بن قيس على بعض الولاة لبعض مصالح المسلمين جلس معه على السرير بغير إذنه، فرأى الأحنف الغضب فى وجهه، فقال الأحنف: واعجباه كيف يتكبر من يغسل العذرة بيده كل يوم مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أكثر من ثلاث كيف يتكبر على مثله، ولما دخل عبد المطلب على بعض الملوك أرى منه الملك منظراً وأكرمه، وكره أن يجلسه على الأرض، ويجلس هو على السرير، وكره أيضاً أن يجلسه معه على السرير فيشاركه فى سرير الملك ومجلس العلو، فنزل الملك عن سريره وجلس مع عبد المطلب على الأرض وقضى له حاجته التى طلب وبجله، وخصه بمرتبة عالية على المراتب، فعلى هذا يكون المتحابون فى الله تعالىٰ أفضل من سائر المذكورين فى هذه الحكاية، وقد تقدم حديث الترمذى الصحيح، قال الله عز وجل «المتحابون فى الله لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» والحديث

الصحيح فى الموطأ «يقول الله عز وجل: وجبت محبتى للمتحابين فى والمتجالسين فىّ والمتزاورين فىّ والمتباذلين فىّ» فقد ظهر من هذين الحديثين ما يؤيد المنام المذكور أنهم أصحاب المراتب، وناهيك بها من مراتب، وأكرم بها من مناصب احتوت على شرف جل قدره، وعظم فخرخ، مع ما لهم من العيش الأهنى والجمال الأسنى والنعيم المقيم فى جوار المولى الكريم، زادهم الله من نعمه، وتكرم علينا وعليهم بكرمه، والمسلمين آمين. وأما ذكر السرر فى المنام المذكور، وذكر منابر النور فى الحديث الصحيح المشهور، فليس بينهما تناقض ولا قادح محذور؛ فالمنابر تكون فى القيامة، والسرر تكون فى القبور كما رأى فى المنام المذكور، وكما هو فى الحكايات الآتيات مسطور.

**(الحكاية الثانية والستون بعد المئة عن بعض من يحفر القبور)** روينا عن بعض من يحفر القبور من الثقات رحمه الله أنه حفر قبراً فى بعض البلاد، فأشرف فيه على إنسان جالس على سرير وبيده مصحف يقرأ فيه، وربما قال: وتحته نهر يجرى، فغشى عليه وأخرجوه من القبر ولم يعلموا ما أصابه، ثم أفاق فى اليوم الثانى، أو قال فى الثالث، فأخبرهم بما رأى، فسأله بعض الناس أن يدله على ذلك القبر، فعزم على ذلك، فلما كان فى الليل رأى صاحب القبر فى النوم وهو يقول: أقسم بالله عليك لئن دللت أحداً على قبرى ليصيبنك كذا وكذا، فاستيقظ وتاب مما نوى، وعمى عليهم القبر، فلم يعلموا أين هو، رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الثالثة والستون بعد المئة: عن منصور بن عمار رضي الله عنه)** قال: رأيت فى بعض الأيام شابا يصلى صلاة الخائفين، فقلت فى نفسى: لعل هذا الشاب ولى من أولياء الله، فوقفت حتى فرغ من صلاته، ثم سلمت عليه، فرد علىّ السلام فقلت له: ألم تعلم أن فى جهنم واديا يقال له **(لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى)** فشهق الشاب شهقة فخر مغشياً عليه؛ فلما أفاق قال زدنى، فقلت **(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون)** قال فخر ميتا، فكشفت عنه ثيابه، فإذا على صدره مكتوب: أى بقلم القدرة **(فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية)**

قال فلما كان فى الليلة الثالثة رأيته فى المنام جالساً على سرير وعلى رأسه تاج، فقلت له: ما فعل الله تعالى بك؟ قال غفر لى وأعطانى مثل ثواب أهل بدر وزادنى، فقلت له بم زادك؟ قال لأنهم قتلوا بسيف الكفار، وأنا قتلت بكلام الجبار.

**(الحكاية الرابعة والستون بعد المئة عن المؤلف رحمه الله تعالى)** قال المؤلف عامله الله بلطفه ورحمته فى دنياه وآخرته: رأيت فى النوم كأن قبراً مفتوحاً فدخلت فيه، فإذا هو واسع، ولا أرى فيه أحداً إلا أرجل سرير، فرفعت طرفى فإذا السرير عال وعليه شخص نائم، فقلت ما أقبح فعال بنى الدنيا ما يتركون الرعونة والترفه حتى بعد الموت يدخلون فى القبور السرر للموتى، فإذا بصاحب السرير ينادينى إليه، فلم أقدر أصعد لكون السرير عالياً علواً مفرطاً، ثم إنه سهل لى طريق من جانب القبر، فصعدت فيه كما يصعد الدرج، حتى حاذيت النائم على السرير، فإذا هى والدتى رحمها الله تعالى وجزاها عنى أفضل الجزاء، فسلمت علىّ سلاماً بغاية الشفقة البالغة والرحمة والرأفة الكاملة، وسألتنى عن أخ لى كان حيّاً، وأما إخوتى الذين خلفتهم ثم ماتوا قبل المنام المذكور، فلم تسألنى عنهم * وهذا يؤيد ما روى أن الموتى يعلمون بمن مات من الأحياء، ويسألون من قدم عليهم من الموتى عن أحوال أهل الدنيا، ثم إنها ودعتنى بعد السلام والسؤال المذكورين، فانتبهت ووجدت الشجن بذلك السلام وتلك الشفقة مدة طويلة، حتى إذا ذكرت ذلك وجدت تأثيره فى قلبى بعد سنين.

**(الحكاية الخامسة والستون بعد المئة عن المؤلف أيضاً)** قال المؤلف أحسن الله خاتمته: رؤية الموتى فى خير أو شر نوع من الكشف، يظهر الله للأحياء حال الموتى لتبشير أو موعظة أو لمصلحة للميت من إيصال خير إليه، أو قضاء دين عليه أو غير ذلك، ثم هذه الرؤية قد تكون فى النوم وهو الغالب، وقد تكون فى اليقظة، وذلك من كرامات الأولياء الذين هم أصحاب أحوال ومقامات عوال، ينظرون إلى الموتى فى اليقظة وقت ما يريد الله لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى، وفى ذلك حكايات صحيحات يطول ذكرها * من ذلك ما قدمناه عن الشيخ نجم الدين الأصفهانى ﷺ، أنه سمع الميت يقول: ألا تعجبون من ميت يلقن حيا، لما قعد الملقن يلقنه كما مضى * ومنها: ما أخبرنى به بعض الصالحين عن الشيخ العارف بالله بحر المعارف ذى الكرامات العظيمة

والمناقب الكريمة، الفقيه الإمام رفيع المقام أبى الذبيح إسماعيل بن محمد اليمنى المشهور بالحضرمى، رضي الله عنه ونفعنا به، أنه مر على بعض المقابر فى بلاد اليمن، فبكى بكاء شديداً وعلاه حزن وترح، ثم ضحك ضحكاً حميداً وعلاه فى الحال سرور وفرح، وتعجب الناس الحاضرون هنالك، وسألوه عن ذلك، فقال رضي الله عنه: كشف لى هم أهل هذه المقبرة، فرأيتهم يعذبون، فحزنت وبكيت لذلك، ثم تضرعت إلى الله سبحانه وتعالى فيهم، فقيل لى قد شفعناك فيهم، فقالت صاحبة هذا القبر: وأنا معهم يا فقيه إسماعيل أنا فلانة المغنية، فضحكت وقلت وأنت معهم، ثم إنه أرسل إلى الحفار وقال: من فى هذا القبر القريب - العهد؟ فقال فلانة المغنية التى تشفع لها الشيخ، نفع الله تعالى بها.

**(الحكاية السادسة والستون بعد المئة عن المؤلف)** قال المؤلف غفر الله له: أخبرنى الثقات أن الشيخين الكبيرين العارفين بالله الشهيرين، كبيرى شيوخ اليمن، المقدمين فى وقتهما على شيوخ الزمان: الشيخ محمد بن أبى بكر الحكمى، والشيخ أبى الغيث بن جميل، قدس الله روحهما، ونور ضريحهما، وأعاد علينا من بركاتهما، جاءهما بعض الفقراء للصحبة بعد موتهما، فخرج الشيخ محمد من قبره وصحب الذى أتاه، وأخذ عليه العهد والشروط فى كلام يطول شرحه؛ وأخرج الشيخ أبو الغيث يده من القبر وصحب الذى أتاه، وفى الحكاية كلام يطول، رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية السابعة والستون بعد المئة عن المؤلف)** قال المؤلف غفر الله له: أخبرنى بعض أهل العلم عن الفقيه الإمام محب الدين الطبرى رحمة الله عليه أنه كان مع الشيخ العارف بالله الفقيه الإمام إسماعيل بن محمد الحضرمى المذكور أولاً فى مقبرة زبيد، قال المحب، فقال لى: يا محب الدين أتؤمن بكلام الموتى؟ قلت نعم، قال فإن صاحب هذا القبر يقول لى: أنا من حشو الجنة: وقال المؤلف: وحكاياتهم فى هذا المقام تطول فى اليقظة والمنام، ومن المنامات ما رأيت فى ذلك، أن بعض شيوخى وكان من العلماء الصالحين توفى، فرأيته فى النوم وهو لابس فى ساقيه خلخالين، نصف كل واحد منهما ذهب والنصف الآخر فضة فى جهة الطول ليس بينهما لحمة ولا انفصال أصلاً، أعنى الذهب والفضة، وهما يحيران العقل بحسنهما، وهو يتبختر فى مشيته، فانتبهت

وكأنى إلى الآن لم أجد حلاوة حسن الخلخالين اللذين صاغتهما يد القدرة * وسألت بعض الصواغ هل يمكن الصيغة على الصفة المذكورة؟ قال ما نقدر ولا يمكن ذلك، ولابد أن يبقى بينهما فصل ظاهر، فعلمت أنه لا يقدر مخلوق على صنعة الخالق القادر سبحانه وتعالى.

**(الحكاية الثامنة والستون بعد المئة عن المؤلف)** قال المؤلف كان الله له، وبلغه من الخير أمله، وختم بالصالحات عمله: رأيت والدى رحمه الله وغفر له وجزاه عنى أفضل الجزاء بعد موته فى المنام، وكأنه عتبان علىّ لكونه مات وأنا غائب عنه غيبة بعيدة المكان، طويلة الزمان، فقلت له: أما علمت أن يعقوب ﷺ غاب عنه ابنه دهراً طويلاً، وقلت كذا وكذا سنة، وهو صابر، فقال يا ولدى وتشبهنا بالأنبياء، أو قال صبرنا كصبر الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام؟ ثم رأيته بعد ذلك فى أول ليلة من رجب وهى ليلة الجمعة بعد أن قرأت على قبره القرآن الكريم، فبشرنى وسر بلقائى وقال: الحمد لله الذى منّ علىّ بثلاث خصال: الأولى الاجتماع بك، ثم انتبهت قبل أن يذكر لى الخصلتين الأخريين، عامله الله بلطفه وعفوه وحلمه ومغفرته وفضله وكرمه وإياناً وجميع المسلمين آمين * قلت: مذهب أهل السنة أن أرواح الموتى ترجع فى بعض الأوقات من عليين أو سجين إلى أجسادهم فى قبورهم عند ما يريد الله تعالى، وخصوصاً فى ليلة الجمعة ويومها، ويجلسون ويتحدثون، وينعم أهل النعيم، ويعذب أهل العذاب، وتختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم ما كان منها فى عليين وفى العذاب ما كان منها فى سجين، وفى القبر يشترك الروح والجسد فى النعيم والعذاب عندما تعود الروح إلى الجسد، إلا ليلة الجمعة ويومها، فإنه بلغنا أنهم لا يعذبون فيها رحمة من الله وشرفا للوقت * قلت: ويحتمل أن يكون رفع العذاب فى هذا الوقت المذكور عن عصاة المسلمين دون الكفار لأمرين: أحدهما أن الكافر مخلد فى العذاب دون المسلم. والثانى أن المسلم كان يعتقد فضل الجمعة وبركتها دون الكافر والله أعلم * وقد تظاهرت أدلة الشرع من الأخبار والآثار الصحيحة الشهيرة على النعيم والعذاب فى القبور ونعيم الأرواح التى فى عليين، وعذاب الأرواح التى فى سجين على حسب السعادة والشقاوة، وكل هذا لا يحيله العقل، ويطول ذكر ما صح فيه من

النقل وأدلتنا من المنقول والمعقول موضع ذكرها كتب الأصول، ففى ميدانها اتساع فى العرض والطول تجول فيه خيل الاحتجاج السوابق وتصول، وتضرب بالبيض المواضى والقنا، ويطعن شواجر بالنصول، فهنالك جيش السنة غالب مؤيد، وجيش البدع مغلوب مخذول، نسأل الله الكريم التوفيق والهدى، ونعوذ به من الخذلان والردى، ثم هذا الذى ذكرت من النعيم والعذاب للأرواح والأجساد، أو للأرواح خاصة إنما هو فى البرزخ؛ أما بعد البعث، فإن الروح والجسد معاً يشتركان فى العذاب أو النعيم بإجماع المسلمين خلافاً للفلاسفة الكفار الذين قالوا: تبعث الأرواح دون الأجساد وهم الصابئون، وأشد منهم كفراً الفلاسفة الطبيعيون الذين أنكروا بعث الأجساد والأرواح معاً، وأشد كفراً من القسمين المذكورين. القسم الثالث من الفلاسفة وهم الدهريون الذين أنكروا بعث الأرواح والأجساد، وأنكروا الصانع جل وعز عن قولهم وجهلهم وكفرهم علوّاً كبيراً، وتبارك وتقدس فى ذاته وصفاته عن كل نقص، كبيراً كان أو صغيراً، وخصنا بالمخصوص بالمقام المحمود، واللواء المعقود، سيد الأصفياء وخاتم الأنبياء بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيرا.

**(الحكاية التاسعة والستون بعد المئة عن الشيخ أبى على)** حكى عن الشيخ أبى على الروذبارى رضي الله عنه أنه ورد عليه جماعة من الفقراء، فاعتل واحد منهم، وبقى فى علته أياماً، فمل أصحابه من خدمته، وشكوا ذلك إلى الشيخ أبى على ذات يوم، فخالف الشيخ على نفسه وحلف أن لا يتولى خدمته غيره، فتولى خدمته بنفسه أياماً ثم مات الفقير، فغسله بيده وكفنه وصلى عليه ودفنه؛ فلما أراد أن يفتح رأس كفنه عند إضجاعه فى القبر رآه وعيناه مفتوحتان إليه، وقال له: يا أبا على لأنصرنك بجاهى يوم القيامة، كما نصرتنى فى مخالفتك نفسك.

**(الحكاية السبعون بعد المئة: عن الشيخ أبى سعيد الخراز رضي الله عنه)** قال: كنت بمكة، فجزت يوماً بباب بنى شيبة، فرأيت شاباً حسن الوجه ميتاً، فنظرت فى وجهه فتبسم فى وجهى وقال لى يا أبا سعيد، أما علمت أن الأحباب أحياء

وإن مـاتوا، وإنما ينقلون من دار إلى دار. وقـال أبو يعـقـوب السنوسى رضي الله عنه: جاءنى مريد بمكة وقال: يا أستاذ أنا غداً أموت وقت الظهر، فخذ هذا الدينار فاحفر لى بنصفه وكفنى بنصفه؛ فلما كان وقت الظهر جاء فطاف، ثم تباعد ومات، فغسلته ووضعته فى اللحد، ففتح عينيه، فقلت له: أحياة بعد الموت؟ فقال أنا حىّ، وكل محب لله حىّ، رضي الله عنه.

**(الحكاية الحادية والسبعون بعد المئة: عن بعضهم)** قال: غسلت ميتا مريدا، فأمسك إبهامى وهو على المغتسل، فقلت يا بنى خل يدى فأنا أدرى أنك لست بميت، وإنما هى نقلة من مكان إلى مكان، فخلى عن يدى * قلت: وبلغنى أن بعض الموتى قص غاسله أظفاره، فجار عليه فى بعض الأظفار، فجذب الميت أصبعه، أخبرنى الغاسل بذلك، وبأنه رآه يتبسم ويضىء وجهه، والغاسل المذكور امرأة والميت امرأة، وكلتاهما من الصالحات إن شاء الله تعالى * وقال الشيخ ابن الجلاء رضي الله عنه: لما مات أبى ضحك على المغتسل، فلم يجسر أحد يغسله وقالوا إنه حى حتى جاء رجل من أقرانه فغسله رضى الله عنهم أجمعين.

**(الحكاية الثانية والسبعون بعد المئة: عن بعضهم)** قال: كنا فى مركب، فمات رجل عليل كان فيه، فأخذنا فى جهازه وأردنا إلقاءه فى البحر، فرأيت البحر قد انشق نصفين، ونزلت السفينة إلى الأرض، فخرجنا وحفرنا له قبراً ودفناه؛ فلما فرغنا، استوى الماء، وارتفعت السفينة وسرنا * وقيل: مات فقير فى بيت مظلم، فلما أرادوا غسله تكلفوا فى طلب السراج، فسطع لهم من كوة البيت نور أضاء البيت فغسلوه، فلما فرغوا ذهب الضوء كأن لم يكن.

**(الحكاية الثالثة والسبعون بعد المئة: عن بعضهم)** قال: رأيت أبا تراب النخشبى رضي الله عنه ميتاً فى البادية قائماً مستقبلاً للقبلة لا يمسكه شىء، فأردت أن أحمله وأواريه فى التراب فما قدرت على رفعه، وسمعت هاتفاً يقول: دع ولى الله مع الله * وروى أنه لما حضرت وفاة الشيخ أبى على الروذبارى رضي الله عنه فتح عينيه وقال: هذه أبواب السماء قد فتحت، وهذه الجنان قد زينت، وهذا قائل يقول لى: يا أبا على قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها، وأنشأ يقول:

**وحقك لا نظرت إلى سواكا ... بعين مودة حتى أراكا**
**ولا استحسنت فى نظرى جمالا ... ولا أحببت حبا غير ذاكا**

ولا استلذذت في الدنيا لذيذا ولا لي بغيــة إلا رضاكــا
فمنّ بنظرة فضـلا ومنا ويلغنا المنى حتى أراكـا

**(الحكاية الرابعة والسبعون بعد المئة: عن بعضهم)** قال: لما مات ابن الجلاء رضي الله عنه، نظروا إليه فإذا هو يضحك، فقال الطبيب إنه حي، ثم حبسه فقال إنه ميت، ثم كشف عن وجهه فقال: لا أدرى أهو حي أو ميت * وقيل: إن عبد الله بن المبارك فتح عينيه عند الوفاة، ثم ضحك فقال: لمثل هذا فليعمل العاملون، رضي الله عنه * وقال الشيخ أبو محمد الجريري رضي الله عنه: كنت عند الجنيد رضي الله عنه في حال نزعه وكان يوم جمعة، وهو يقرأ القرآن فختم، فقلت له: أفي هذا الحال يا أبا القاسم؟ قال ومن أولى بذلك مني، وهو ذا تطوى صحيفتي.

**(الحكاية الخامسة والسبعون بعد المئة: عن محمد بن حامد رضي الله عنه)** قال: كنت جالساً عند الإمام أحمد بن خضر رضي الله عنه وهو في النزع، وقد أتى عليه خمس وتسعون سنة، فسأله بعض أصحابه عن مسئلة، فدمعت عيناه وقال: يا بني باب كنت أدقه خمساً وتسعين سنة، هو ذا يفتح لي الساعة، لا أدرى أيفتح بالسعادة أم بالشقاوة، وآن لي أوان الجواب، وكان عليه سبع مئة دينار وحضر غرماؤه، فنظر إليهم وقال: اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال، وأنت تأخذ عليهم وثيقتهم، وقد قلت **(ادعوني أستجب لكم)** فاقض ديني وأرض عني خصومي، إنك على كل شيء قدير، فدق الباب داق وقال: أين غرماء أحمد؟ فخرجوا، فقضى عنه دينه، ثم خرجت روحه، رضي الله عنه.

**(الحكاية السادسة والسبعون بعد المئة: عن بعضهم)** قال: إن رجلاً قال للشبلي رضي الله عنه: لم تقول الله، ولا تقول لا إله إلا الله؟ فقال لا أبغي به بدلا، فقال يا أبا بكر أريد أعلى من هذا، فقال أخشى أن أوخذ في وحشة الحجاب، فقال أريد أعلى من ذلك، فقال: قال الله تعالى (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)، فزعق الرجل فخرجت روحه، فتعلق أولياء الميت بالشبلي، وادعوا عليه طلب ثأره، فحمل إلى مجلس الخليفة، فخرجت الرسالة إليه، فسأله عن دعواهم عليه، فقال الشبلي: روح حنت فرنت، ودعيت فأجابت، وسمعت فأنابت، فما ذنبي أنا؟ فصاح الخليفة وقال: خلوه فلا ذنب له.

(**الحكاية السابعة والسبعون بعد المئة: عن الشيخ أبى الحسن المزنى رضي الله عنه**) أنه قال لبعضهم فى النزع: قل لا إله إلا الله، فتبسم من ساعته، وكان المزنى يأخذ بلحيته ويقول: حجام مثلى يلقن أولياء الله الشهادة، واخجلتاه منه، وكان يبكى إذا ذكر هذه الحكاية * وقيل للأستاذ أبى القاسم الجنيد رضي الله عنه: إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت، فقال: لم يكن بعجيب أن تطير روحه اشتياقا * وقال الشيخ أبو محمد رويم رضي الله عنه: حضرت وفاة أبى سعيد الخراز رضي الله عنه وهو يقول:

| | |
|---|---|
| **حنين قلوب العارفين إلى الذكر** | **وتذكارهم عند المناجاة للسر** |
| **أديرت كؤوس للمنايا عليهم** | **فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذى السكر** |
| **همومهم جوالة بمعسكر** | **به أهل ود الله كالأنجم الزهر** |
| **فأجسامهم فى الأرض قتلى بحبه** | **وأرواحهم فى الحجب نحو العلى تسرى** |
| **وما عرسوا إلا بقرب حبيبهم** | **وما عرجوا عن مس بؤس ولا ضر** |

رضى الله عنهم، ونفعنا بهم أجمعين والمسلمين آمين.

(**الحكاية الثامنة والسبعون بعد المئة: عن خلف بن سالم رحمه الله تعالى**) قال: قلت لأبى على بن المغيرة أين مأواك؟ قال فى دار يستوى فيها العزيز والذليل، قلت وأين هذه الدار؟ قال المقابر، قلت أما تستوحش من ظلمة الليل؟ قال إنى أذكر ظلمة اللحد ووحشته فتهون علىّ ظلمة الليل، قلت له فربما رأيت فى المقابر شيئاً تنكره، قال ربما، ولكن فى هول الآخرة ما يشغل عن هول المقابر * وأنشدوا ما وجدوا مكتوباً على بعض القبور:

| | |
|---|---|
| **مقيم إلى أن يبعث الله خلقه** | **لقاؤك لا يرجى وأنت قريب** |
| **تزيد بلى فى كل يوم وليلة** | **وتبلى كما تبلى وأنت حبيب** |

(**الحكاية التاسعة والسبعون بعد المئة عن الإمام حجة الله الغزالى**) عن الإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى رضي الله عنه قال: سمعت إمام الحرمين رضي الله عنه يحكى عن الأستاذ أبى بكر، يعنى الإمام ابن فورك رضي الله عنه قال: كان لى صاحب أيام التعلم، وكان مبتدئاً كثير الجهد فى التعلم تقيا متعبدا، وكان لا يحصل له

مع الاجتهاد إلا القليل، فكنا نتعجب من حاله، فمرض فلزم مكانه بين الأولياء فى الرباط ولم يدخل بيت المرضى، وكان يجتهد مع مرضه، فاشتد به الحال وأنا بجانبه، فبينما هو كذلك، إذ شخص ببصره إلى السماء، ثم قال: يا ابن فورك: لمثل هذا فليعمل العاملون، فتوفى عند ذلك رحمه الله تعالى.

(**الحكاية الثمانون بعد المئة: عن مالك بن دينار رضي الله عنه**) أنه دخل على جار له احتضر فقال: يا مالك جبلان من النار بين يدى أكلف الصعود عليهما، قال مالك فسألت أهله ما كان فعله؟ فقالوا كان له مكيالان، يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر، فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما، ثم سألت الرجل، فقال ما يزداد الأمر إلا شدة * وروى عن بعضهم أنه قال لبعض الناس وهو فى النزع وكان يعامل الناس بالميزان: قل لا إله إلا الله، فقال ما أقدر أقولها، لسان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها، قال فقلت له: أما كنت توفى الوزن؟ قال بلى، ولكن ربما يقع فى الميزان شىء من الغبار ولا أشعر به.

(**الحكاية الحادية والثمانون بعد المئة: عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل**) قال: لما مات أحمد بن حنبل رأيته فى النوم وهو يمشى ويتبختر فى مشيته، فقلت له يا أخى أى مشية هذه؟ قال هذه مشية الخدام فى دار السلام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال غفر لى وألبسنى نعلين من ذهب وقال لى: هذا جزاء قولك: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق وقال يا أحمد قم حيث شئت، فدخلت الجنة فإذا بسفيان الثورى رضي الله عنه له جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة، وهو يقرأ هذه الآية (الحمد لله الذى صدقنا وعده، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) فقلت له إيش خبر عبد الواحد الوراق رضي الله عنه؟ فقال تركته فى بحر من النور فى مركب من النور يزار به الملك الغفور، فقلت ما فعل الله ببشر بن الحارث؟ قال بخ بخ، (كلمة تعجب) ومن مثل بشر، تركته بين يدى الملك الجليل، والملك الجليل سبحانه مقبل عليه، وهو يقول: كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم ينعم * وقال بعضهم: رأيت معروفاً الكرخى رضي الله عنه فى النوم كأنه تحت العرش، والحق عز وجل يقول لملائكته: من هذا؟ فقالوا أنت أعلم به يا رب، فقال هذا معروف الكوخى، سكر من حبى فلا يفيق إلا بلقائى * وقال

الربيع بن سليمان رحمه الله تعالى: رأيت الإمام الشافعى رضي الله عنه بعد وفاته فى المنام، فقلت له: يا أبا عبد الله ما فعل الله بك؟ قال أجلسنى على كرسى من ذهب، ونثر على اللؤلؤ الرطب. وقال بعض الأخيار: رأيت الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى رضي الله عنه فى المنام بعد وفاته، وعليه ثياب بيض وعلى رأسه تاج، فقلت له: ما هذا البياض؟ فقال شرف الطاعة، قلت والتاج؟ قال عز العلم. وقال الشيخ العارف أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه: رأيت النبى ﷺ فى النوم فقال لى: باهى الله موسى وعيسى صلى الله عليهما وسلم بالإمام الغزالى رضي الله عنه وقال: أفى أمتكما حبر كهذا؟ قالا لا، رضي الله عنه وعن جميع الأولياء والعلماء ونفع بهم أجمعين آمين.

**(الحكاية الثانية والثمانون بعد المئة: عن بلال الخواص رضي الله عنه)** قال: كنت فى تيه بنى إسرائيل، وإذا برجل يماشينى، فتعجبت منه، ثم ألهمت أنه الخضر رضوان الله تعالى عليه، فقلت له بحق الحق من أنت؟ قال أخوك الخضر، فقلت له أريد أن أسألك، فقال سل، فقلت ما تقول فى الشافعى؟ فقال هو من الأوتاد، فقلت: ما تقول فى أحمد بن حنبل؟ فقال رجل صديق، فقلت ما تقول فى بشر بن الحارث؟ فقال لم يخلف بعده مثله، فقلت بأى وسيلة رأيتك؟ قال ببرك لأمك.

**(الحكاية الثالثة والثمانون بعد المئة: عن بعضهم)** أنه رأى بشر بن الحارث فى النوم بعد وفاته، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال غفر لى وأباح لى نصف الجنة وقال: كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وقال لى يا بشر لو سجدت على الجمر ما أديت شكر ما جعلته لك فى قلوب عبادى. وفى رواية أخرى أنه قال: لقد قبضتك يوم قبضتك وليس على وجه الأرض أحد أحب إلىّ منك * قلت: وهذا يؤيد قول الخضر رضي الله عنه: لم يخلف بعده مثله.

**(الحكاية الرابعة والثمانون بعد المئة: عن بعض الصالحين)** قال: كان لى ابن استشهد فلم أره فى المنام إلا ليلة توفى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تراءى لى تلك الليلة، فقلت يا بنى ألم تك ميتاً، فقال لا ولكننى استشهدت وأنا حى عند الله أرزق، فقلت له ما جاء بك؟ فقال نودى فى أهل السماء: ألا لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد إلا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز، فجئت لأشهد الصلاة، ثم جئتكم لأسلم عليكم.

**(الحكاية الخامسة والثمانون بعد المئة: عن بعض الصالحين)** أنه رأى الإمام سفيان الثورى رضي الله عنه فى النوم بعد موته، فقال كيف حالك يا أبا عبد الله؟ قال فأعرض عنى، قال: ليس هذا زمان الكنى، فقلت كيف حالك يا أبا سفيان؟ فأنشد:

**نظرت إلى ربى عيانا فقال لى … هنيئاً رضائى عنك يا ابن سعيد**

**لقد كنت قواما إذا أظلم الدجا … بعبرة مشتاق وقلب عميد**

**فدونك فاختر أى قصر أردته … وزرنى فإنى عنك غير بعيد**

**(الحكاية السادسة والثمانون بعد المئة عن بعضهم)** حكى أنه لما مات سهل بن عبد الله التسترى رضي الله عنه، أكب الناس على جنازته، وكان فى البلد رجل يهودى قد نيف على السبعين سنة فسمع الضجة، فخرج لينظر ما الخبر، فلما نظر إلى الجنازة قال: أترون ما أرى؟ قالوا وما ترى؟ قال أرى أقواماً ينزلون من السماء يتبركون بالجنازة، ثم أسلم وحسن إسلامه رحمه الله ونفعنا بجميع الصالحين آمين.

**(الحكاية السابعة والثمانون بعد المئة: عن خادمة رابعة العدوية رضى الله تعالى عنها)** قالت: كانت رابعة تصلى الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت هجعة فى مصلاها حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهى فزعة: يا نفس إلى كم تنامين، وإلى كم لا تقومين، يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور، قالت: وكان هذا دأبها إلى أن ماتت؛ فلما حضرتها الوفاة دعتنى وقالت لا تؤذنى بموتى أحداً، وكفنينى فى جبتى هذه، وكانت جبة من شعر تقوم فيها إذا هدأت العيون، قال: فكفناها بتلك الجبة وفى خمار صوف كانت تلبسه، قالت فرأيتها فى المنام عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر، لم أر شيئاً قط أحسن منهما، قلت يا رابعة ما فعلت فى الجبة التى كفناك بها، والخمار الصوف؟ قالت إنه والله نزع عنى وأبدلت به هذا الذى ترينه، وطويت أكفانى وختم عليها، ورفعت فى عليين ليكون لى ثوابها يوم القيامة، فقلت لها لهذا كنت تعملين أيام الدنيا؟ فقالت وما هذا عندما رأيت مما أعد الله من كرامات الله عز وجل لأوليائه، قلت فمرينى بأمر أتقرب به إلى الله تعالى، فقالت عليك بكثرة ذكره، فإنه يوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك.

**(الحكاية الثامنة والثمانون بعد المئة عن ابن أبى الحوارى)** روى عن أحمد بن أبى الحوارى ﷺ قال: كان لرابعة أحوال شتى، يعنى زوجته رابعة الشامية، قال فمرة يغلب عليها الحب، ومرة يغلب عليها الأنس، ومرة يغلب عليها الخوف، فسمعتها فى حال الحب تقول:

**حبيب ليس يعدله حبيب　　وما لسواه فى قلبى نصيب**

**حبيب غاب عن بصرى وشخصى　　ولكن عن فؤادى ما يغيب**

وسمعتها فى حال الأنس تقول:

**ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى　　وأبحت جسمى من أراد جلوسى**

**فالجسم منى للجليس مؤانسى　　وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى**

وسمعتها فى حال الخوف تقول:

**وزادنى قليل ما أراه مبلغى　　للزاد أبكى أم لطول مسافتى**

**أتحرقنى بالنار يا غاية المنى　　فأين رجائى فيك مخافتى**

قال: وقلت لها وقد قامت بليل: ما رأينا من يقوم الليل كله غيرك، فقالت سبحان الله مثلك يتكلم بهذا، إنما أقوم إذا نوديت، قال فجلست آكل فى وقت قيامها، فجعلت تذكرنى، فقلت لها دعينا نتهنى بطعامنا، فقالت ليس أنا وأنت ممن يتنغص عليه الطعام عند ذكر الآخرة وقالت لى: لست أحبك حب الأزواج، إنما أحبك حب الإخوان، وكانت إذا طبخت قدراً قالت: كلها يا سيدى فما نضجت إلا بالتسبيح، قال: وقالت لى اذهب فتزوج، فتزوجت ثلاثا، وكانت تطعمنى اللحم وتقول: اذهب بقوتك إلى أهلك، وقالت: ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون، وربما رأيت الحور العين رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها *

قلت: الظاهر والله أعلم أن هذه الرؤية المذكورة كانت فى اليقظة، فأما رؤية المنام فلغير الأولياء، وهذه رابعة الشامية زوجة ابن أبى الحوارى كما ذكرناه، وليست رابعة العدوية البصرية التى تقدمت، وبعض أهل العلم يقول هذه لشامية رايعة بالياء المثناة المنقوطة بنقطتين من تحت، وبعضهم يقول بنقطة واحدة كرابعة البصرية، رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما أجمعين.

(**الحكاية التاسعة والثمانون بعد المئة**) ذكر أن شعوانة رضى الله تعالى عنها قد كبرت حتى انقطعت عن الصلاة والعبادة، فأتاها آت فى منامها فقال:

**اذرى دموعك إذ ما كنت شاجية ... إن النياحة لا تشفى الحزينينا**

**جدى وقومى وصومى الدهر دائبة ... فإنما الدأب من فعل المطيعينا**

فأخذت بالترنم والبكاء وراجعت العمل، رضى الله تعالى عنها تردد وكانت تنشد هذا البيت فتبكى وتبكى النساء معها ثم تقول:

**لقد أمن المغرور دار مقامه ... ويوشك يوما أن يخاف كما أمن**

وروى أنه أتاها الفضيل بن عياض ﷺ لما قدمت، وسألها أن تدعو له، فقالت يا فضيل أما بينك وبين الله تعالى سريرة، ما إن دعوته استجاب لك، فشهق الفضيل شهقة وخر مغشياً عليه، رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما.

(**الحكاية التسعون بعد المئة عن امرأة حبيب العجمى**) روى أن عمرة امرأة حبيب العجمى رضى الله عنهما كانت توقظه بالليل وتقول: قم يا رجل فقد ذهب الليل وبين يديك طريق بعيد، وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا وبقينا نحن، قال بعض الصالحين: تزوجت امرأة. فكانت إذا صلت العشاء لبست ثيابها وتطيبت وتبخرت، ثم تأتينى فتقول: ألك حاجة؟ فإن قلت نعم كانت معى، وإن قلت لا قامت فنزعت ثيابها ثم صفت قدميها حتى نصبح.

(**الحكاية الحادية والتسعون بعد المئة عن بعضهم**) حكى أنه كان لبعض الملوك جارية يقال لها جوهرة فأعتقها، فمرت بأبى عبد الله الترابى ﷺ وهو فى كوخ له يتعبد، فتزوجت به وتعبدت معه، فرأت فى المنام خياما مضروبة، فقالت لمن ضربت هذه الخيام؟ فقيل للمتهجدين بالقرآن، فكانت بعد لا تنام، وكانت توقظ زوجها وتقول: يا أبا عبد الله قد سارت القافلة * وأنشد بعضهم:

**أرانى بعيد الدار لم أقرب الحمى ... وقد نصبت للساهرين خيام**

**علامة طردى طول ليلى نائم ... وغيرى يرى أن المنام حرام**

(**الحكاية الثانية والتسعون بعد المئة عن بعضهم**) حكى أن ملك كرمان خطب بنت الشيخ شاه الكرمانى ﷺ، فاستمهله ثلاثة أيام، ثم أقبل شاه

يطوف المساجد، فرأى غلاماً يحسن صلاته؛ فلما فرغ قال: يا غلام ألك زوجة؟ قال لا، فقال فهل لك فى زوجة تقرأ القرآن وتصلى وتصوم وهى جميلة نظيفة عفيفة؟ فقال ومن يزوجنى؟ فقال شاه أنا أزوجك، فخذ بدرهم خبزا وبدرهم أدما وبدرهم طيبا والأمر مفروغ منه، فعقد له عليها، فلما دخلت بيت الغلام رأت رغيفا يابسا على رأس جرة، فلما رأت ذلك قالت ما هذا؟ فقال لها رغيف بقى من أمس فتركته لأفطر عليه؛ فلما سمعت ذلك ولت راجعة، فقال الشاب قد عرفت أن بنت شاه الكرمانى لا تقنع لفقرى ولا ترضى بى لها بعلا، فقالت: إن بنت شاه ليس خروجها من منزلك لفقرك، بل لضعف يقينك، ولست أعجب منك، إنما أعجب من أبى كيف قال زوجتك من شاب عفيف، كيف وصف بالعفة من لا يعتمد على الله تعالى إلا مع ادخار رغيف، فقال الشاب أنا عن هذا معتذر، فقالت أما العذر فأنت أعرف بشأنك، وأما أنا فلا أقيم فى بيت فيه مطعوم، فإما أن أخرج أنا وإما أن تخرج الرغيف من البيت، فتصدق الشاب بالرغيف رضى الله تعالى عنهما * قلت: هذا التزويج المذكور صدر من الشيخ الجليل العارف بالله شاه بن شجاع الكرمانى المذكور بعد ما زهد فى الملك، ودخل فى طريق القوم، وقد تقدمت حكايته قبل فى ذلك، وقد حكيت هذه الحكاية فى كتاب الإرشاد على غير هذا الوجه، ولكن اختلاف الحكايتين متقارب * ويليق بهذه المرأة المذكورة قول القائل:

وكم من أكلة منعت أخاها     بأكلة ساعة أكلات دهر

وكم من طالب يسعى لشيء     وفيه هلاكه لو كان يدرى

**(الحكاية الثالثة والتسعون بعد المئة عن بعضهم)** حكى أن بعض العباد المرابطين بعسقلان قام ذات ليلة يريد التهجد على السطح، فإذا هو بهاتف يهتف من البحر يقول: يا معشر العباد، قسمت العبادة ثلاثة أجزاء، أولها قيام الليل، وثانيها صيام النهار، وثالثها الدعاء والتسبيح والاستغفار، وهذا خير القسمة، فخذوا منه بالحظ الأوفر، فسقط العابد على وجهه لما دخله من الصوت رضي الله عنه * وحكى أن إبليس نعوذ بالله منه تمثل ليحيى بن زكريا عليه السلام فلوى عنه وجهه، فأوحى الله تعالى إلى يحيى عليه السلام أن سله، فإنه يصدقك، فسأله عن مسائل منها أن قال له: هل قدرت علىّ قط؟ قال نعم ليلة واحدة

امتلأت بطنك من الطعام فنمت عن وردك، فقال يحيى: إذاً لا أشبع من طعام أبداً، فقال إبليس نعوذ بالله منه: وإذا لا أنصح أحداً أبداً * وأنشد بعضهم:

**وكم من أكلة حرمت كثيرا ... من الخيرات فى طاعات مولى**

**ولذات بخلوات تجلى ... بها المولى وقد ناجاه ليلا**

* قلت: ذكر بعض المصنفين هذين البيتين بعد هذه الحكاية، وليس ذلك مناسباً لحال يحيى عليه السلام، وإنما يناسب أكلا يورث تخمة تحرم أكلات بعدها، كما يتفق لكثير من الناس، ولكنى أقول فى هذا المعنى:

**ولو كان النساء كمن ذكرنا ... لفضلت النساء على الرجال**

**فلا التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهلال**

**(الحكاية الرابعة والتسعون بعد المئة عن يحيى بن زكريا عليهما السلام)**

حكى عن يحيى بن زكريا عليه السلام أنه شبع مرة من خبز شعير، فنام عن حزبه تلك الليلة، فأوحى الله تعالى إليه: يا يحيى هل وجدت داراً خيراً لك من دارى، أو جواراً خيراً لك من جوارى؟ وعزتى وجلالى لو اطلعت فى الفردوس اطلاعة لذاب جسمك ولزهقت نفسك اشتياقا إلى الفردوس، ولو اطلعت فى جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع، ولبست الحديد بعد المسوح * وأنشدوا:

**اقنع بالقليل تحيا غنيا ... إن من يطلب الكثير فقير**

**إن خبز الشعير بالماء والملـ ... ـح لمن يطلب النجاة كثير**

**(الحكاية الخامسة والتسعون بعد المئة عن الجنيد)** حكى عن الجنيد رضي الله عنه قال: كنت فى مسجد الجامع مرة، فإذا برجل قد دخل إلينا وصلى ركعتين، ثم امتد ناحية فى المسجد وأشار إلىّ، فلما جئته قال لى: يا أبا القاسم إنه قد حان لقاء الله تعالى ولقاء الأحباب، فإذا فرغت من أمرى فسيدخل عليك شاب مغن، فادفع إليه مرقعتى وعصاى وركوتى، فقلت إلى مغن؟ وكيف يكون ذلك؟ قال إنه قد بلغ رتبة القيام بخدمة الله تعالى فى مقامى؛ قال الجنيد فلما قضى الرجل نحبه، وفرغنا من مواراته إذا نحن بشاب مصرى قد دخل علينا وسلم وقال أين الوديعة يا أبا القاسم، فقلت وكيف ذاك؟ أخبرنا

بذلك، قال كنت فى مشربة بنى فلان، فهتف لى هاتف أن قم إلى الجنيد وتسلم ما عنده وهو كيت وكيت، فإنك قد جعلت مكانك فلان الفلانى من الأبدال، قال الجنيد فدفعت إليه ذلك، فنزع ثيابه واغتسل، ولبس المرقعة، وخرج على وجهه نحو الشام رضي الله عنه.

**(الحكاية السادسة والتسعون بعد المئة عن بعضهم)** حكى أن شاباً من أهل لصلاح والخير أمر بمعروف ونهى عن المنكر، فشق فيه على هارون الرشيد، فأمر به فجعل فى بيت وسد عليه بابه ومنافذه ليهلك فيه، فلما كان بعد خمسة أيام قال بعض الناس للرشيد: رأيت الرجل الذى أمرت بسد الباب عليه يتفرج فى البستان الفلانى، فأمر هارون الرشيد بإحضاره، فلما حضر قال من أخرجك من البيت؟ قال الذى أدخلنى البستان، قال ومن أدخلك البستان؟ قال الذى أخرجنى من البيت، فقال الرشيد هذا عجيب، فقال الشاب وأى أمر ربك ليس بعجيب؟ فبكى الرشيد وأمر بالإحسان إليه، وأن يركب الفرس الخاص، وأن ينادى بين يديه: هذا عبد أعزه الله أراد هارون إهانته فلم يقدر إلا على إكرامه واحترامه، رضي الله عنه، ونفعنا به * وفى هذا المعنى قلت:

| | |
|---|---|
| **إذا أكرم الرحمن عبداً بعزه** | **فلن يقدر المخلوق يوماً يهينه** |
| **ومن كان مولاه العزيز أهانه** | **فلا أحد بالعز يوماً يعينه** |

**(الحكاية السابعة والتسعون بعد المئة: عن بعض أهل عبادان)** قال: ملح الماء عندنا نيفا وستين سنة، وكان عندنا رجل من أهل الساحل له فضل، ولم يكن فى الصهاريج شىء: وحضرت صلاة المغرب، فهبطت لأتوضأ للصلاة من النهر، وذلك فى رمضان فى حر شديد: فإذا به يقول: سيدى أرضيت عملى حتى أتمنى عليك، أرضيت طاعتى حتى أسألك، سيدى غسالة الحمام كثير بمن عصاك، سيدى لولا أنى أخاف غضبك لم أذق الماء، ثم أخذ بكفه فشرب شراباً مالحاً، فتعجبت من صبره على ملوحته، ثم أخذت من الموضع الذى أخذ منه فإذا هو مثل السكر، فشربت حتى رويت. قال وأخبرنى أنه رأى فى المنام كان رجلاً يقول له: قد فرغنا من بناء دارك لو رأيتها قرت عيناك، وقد أمرنا بتجيزها والفراغ منها إلى سبعة أيام، واسمها دار السرور، فأبشر بخير؛ قال فلما كان فى اليوم السابع وهو يوم الجمعة بكر للوضوء، فنزل فى النهر فزلق

فغرق، فأخرجناه بعد الصلاة ودفناه، فرأيته فى المنام بعد ثالثة وعليه حلل خضر، فسألته عن حاله فقال: أنزلنى الكريم فى دار السرور فيما أعد لى فيها، فقلت له صف لى، فقال هيهات هيهات، يعجز الواصفون عن وصف ما فيها، فليت عيالى يعلمون أنه قد هيىء لهم منازل معى فيها كل ما اشتهت أنفسهم، نعم وإخوانى وأنت معهم إن شاء الله تعالى رضي الله عنه ونفعنا به * وأنشدت ريحانة رضى الله تعالى عنها:

**إلهى لا تعــــذبنى فــــإنى  أؤمل أن أفــوز بخــيــر دار**

**وأنت مــجــاور الأبرار فــيــهــا  فــيــا طوبى لهم فى ذا الجــوار**

**(الحكاية الثامنة والتسعون بعد المئة: عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه)** قال: أول ما رأيت من العجائب والكرامات أنى خرجت يوماً إلى موضع خال، فطاب لى المقام فيه فوجدت من قلبى قرباً إلى الله تعالى، وحضرت الصلاة، وأردت الوضوء، وكانت عادتى من صباى تجديد الوضوء لكل صلاة، فكأنى اغتممت لفقد الماء، فبينما أنا كذلك، وإذا دب يمشى على رجليه كأنه إنسان معه جرة خضراء قد أمسك بيديه عليها، فلما رأيته من بعيد توهمت أنه آدمى حتى دنا منى وسلم علىّ ووضع الجرة بين يدى، فجاءنى اعتراض العلم، فقلت هذه الجرة والماء من أين هو؟ فنطق الدب وقال: يا سهل إنا قوم من الوحوش قد انقطعنا إلى الله تعالى بعزم المحبة والتوكل، فبينما نحن نتكلم مع أصحابنا فى مسئلة، إذ نودينا: ألا إن سهلا يريد ماء ليجدد الوضوء، فوضعت هذه الجرة بيدى، وإذا بجنبى ملكان، فدنوت منهما فصبا فيها هذا الماء من الهواء وأنا أسمع خرير الماء، قال سهل فغشى علىّ، فلما أفقت إذا بالجرة موضوعة ولا علم لى بالدب أين ذهب وأنا متحسر إذ لم أكلمه، فتوضأت، فلما فرغت أردت أن أشرب منها، فنوديت من الوادى: يا سهل لم يأن لك شرب هذا الماء بعد، فبقيت الجرة تضطرب وأنا أنظر إليها فلا أدرى أين ذهبت.

**(الحكاية التاسعة والتسعون بعد المئة: عن سهل أيضاً رضي الله عنه)** قال: توضأت يوم جمعة ومضيت إلى الجامع فى أيام البداية، فوجدته قد امتلأ بالناس، وهم الخطيب أن يرقى المنبر، فأسأت الأدب ولم أزل أتخطى رقاب

الناس حتى وصلت إلى الصف الأول فجلست، وإذا عن يمينى شاب حسن المنظر طيب الرائحة، عليه أطمار صوف؛ فلما نظر إلىّ قال: كيف تجدك يا سهل؟ قلت بخير أصلحك الله، وبقيت متفكراً فى معرفته لى وأنا لم أعرفه؛ فبينما أنا كذلك إذ أخذنى حرقان بول فأكربنى، فبقيت على وجل خوفاً أن أتخطى رقاب الناس وإن جلست لم يكن لى صلاة، فالتفت إلىّ وقال يا سهل أخذك حرقان بول؟ قلت أجل، فنزع حرامه عن منكبه فغشانى به، ثم قال: اقض حاجتك وأسرع تلحق الصلاة، قال فغمى علىّ وفتحت عينى وإذا بباب مفتوح، وسمعت قائلاً يقول لى لج الباب يرحمك الله، فولجت وإذا بقصر مشيد عالى البناء شامخ الأركان، وإذا بنخلة قائمة وإلى جنبها مطهرة مملوءة ماء أحلى من الشهد، ومنزل إراقة الماء ومنشفة معلقة وسواك، فحللت لباسى وأرقت الماء ثم اغتسلت وتنشفت بالمنشفة وتوضأت، فسمعته ينادينى، ويقول: إن كنت قد قضيت أزبك فقل نعم، فقلت فنزع الحرام عنى، فإذا أنا جالس بمكانى ولم يشعر بى أحد، فبقيت متفكراً فى نفسى وأنا مكذب ومصدق نفسى فيما جرى، فأقيمت الصلاة وصلى الناس، فصليت معهم ولم يكن لى شغل إلا الفتى لا أعرفه؛ فلما فرغ تتبعت أثره، فإذا به قد دخل إلى درب والتفت إلىّ وقال: يا سهل كأنك ما أيقنت بما رأيت؟ قلت كلا، قال لج الباب يرحمك الله، فنظرت الباب بعينه، فولجت القصر فنظرت النخلة والمطهرة والحال بعينه، والمنشفة مبلولة، فقلت آمنت بالله، فقال يا سهل من أطاع الله تعالى أطاعه كل شىء، يا سهل اطلبه تجده، فتغرغرت عيناى بالدموع، فمسحهما وفتحهما، فلم أر الفتى ولا القصر، فبقيت متحسراً على ما فاتنى منه، ثم أخذت رضى الله تعالى عنهما، ونفعنا بهما آمين.

**(الحكاية المئتان: عن بعض أصحاب سهل بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما)** قال: خدمت سهلا ثلاثين سنة، فما رأيته يضع جنبه على الفراش لا فى ليل ولا فى نهار، وكان يصلى صلاة الصبح بوضوء العشاء، فهرب من الناس إلى جزيرة بين عبادان والبصرة، وإنما فر من الناس لأن رجلاً حج سنة من السنين؛ فلما رجع قال لأخ له: رأيت سهل بن عبد الله فى الموقف بعرفة، فقال له أخوه نحن كنا عنده يوم التروية فى رباطه بباب بشر الحافى، فحلف

بالطلاق إنه رآه بالموقف، فقال له أخوه قم بنا حتى نسأله، فقاما ودخلا عليه وذكرا له ما جرى بينهما من الاختلاف فى هذا الحديث، وسألاه عن حكم اليمين التى حلفها، فقال سهل رضي الله عنه: ما لكم بهذا الكلام حاجة اشتغلوا بالله تعالى، وقال للحاج أمسك عليك زوجك ولا تخبر بهذا أحداً، رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الحادية بعد المئتين عن بعض الصالحين)** حكى عن بعض الصالحين أنه كان يتكلم مع الناس ويعظهم فمر عليه فى بعض الأيام يهودى وهو يخوفهم ويقرأ قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها، كان على ربك حتما مقضيا) فقال اليهودى إن كان هذا الكلام حقاً فنحن وأنتم سواء، فقال له الشيخ: لا ما نحن سواء، بل نحن نرد ونصدر، وأنتم تردون ولا تصدرون، تنجو نحن منها بالتقوى وتبقون أنتم فيها جثيا بالظلم، ثم قرأ الآية الثانية (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) فقال اليهودى نحن المتقون، فقال له الشيخ كلا بل نحن، وتلا قوله تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبى الأمى) فقال اليهودى هات برهاناً على صدق هذا، فقال له الشيخ رضي الله عنه: البرهان حاضر يراه كل ناظر، وهو أن تطرح ثيابى وثيابك فى النار، فمن سلمت ثيابه فهو الناجى منها، ومن احترقت ثيابه فهو الباقى فيها، فنزعا ثيابهما وأخذ الشيخ ثياب اليهودى ولفها ولف عليها ثيابه ورمى بالجميع فى النار، ثم دخل النار فأخذ الثياب وخرج من الجانب الآخر، ثم فتحت الثياب فإذا ثياب الشيخ المسلم سالمة بيضاء قد نظفتها النار وأزالت عنها الوسخ، وثياب اليهودى قد صارت محرقة مع أنها مستورة وثياب الشيخ المسلم ظاهرة للنار؛ فلما رأى ذلك أسلم، والحمد لله المنعم المنان الذى أظهر دين الإسلام على سائر الأديان وهدانا للدين القويم، وجعلنا من أمة النبى الكريم الذى أرسله رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

**(الحكاية الثانية بعد المئتين: عن بعضهم)** قال: كنت عند الشيخ أبى محمد الجريرى رحمة الله تعالى عليه، فجاءه رجل فقال له: كنت على بساط من الأنس، ففتح علىّ باب من البسط، فزللت زلة، فحجبت عن مكانى، فكيف السبيل إلى ما كنت عليه، فبكى أبو محمد الجريرى وقال: الكل فى قهر هذه

الخلة، لكنى أنشدك أبياتاً تجد فيها جوابك، ثم أنشأ يقول:

**قف بالديار فهذه آثارهم وابك الأحبة حسرة وتشوقا**

**كم قد وقفت بربعها مستخبرا عن أهلها متحيرا أو مشفقا**

**فأجابنى داعى الهوى فى رسمها فارقت من تهوى وعز الملتقى**

**(الحكاية الثالثة بعد المئتين: عن بعضهم)** قال: كنت مع الجنيد رضي الله عنه، فسمع مغنيا يغنى:

**منازل كنت تهواها وتألفها أيام أنت على الأيام منصور**

فبكى الجنيد رضي الله عنه وقال: ما أطيب الألفة والمؤانسة، وما أوحش مقامات المخالفة والوحشة لا أزال أحن إلى بدو إرادتى وجدة سعيى، وركوبى الأهوال وجعل يقول:

**خليلى هل بالشام عين حزينة تبكى على نجد فإنى أعينها**

**وأسلمها الواشون إلا حمامة مطوقة ورقاء بان قرينها**

**(الحكاية الرابعة بعد المئتين: عن بعض الصالحين)** قال: رأيت فى سياحتى أعرابية صغيرة السن، فقلت لها أين تنزلون؟ فقالت بالبادية، قلت لها: أما تستوحشون؟ فقالت يا بطال، وهل يستوحش مع الله من أنس به؟ فقلت من أين تأكلون؟ فقالت الله أعلم من أين يرزق عباده، يرزق من جحده، فكيف لا يرزق من وحده؟ ثم قالت: قلوب عاشت بمعرفته وطاشت بوحدانيته، وتلاشت فى محبته، غذاؤهم الأنس بالله تعالى والمشاهدة، ربانيون روحانيون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

**(الحكاية الخامسة بعد المئتين: عن الحسن البصرى)** حكى أنه قيل للحسن البصرى رضي الله عنه: يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط إلا جالساً وحده خلف سارية، فمضى إليه الحسن وقال: يا عبد الله أراك قد حببت إليك العزلة، فما يمنعك من مجالسة الناس؟ فقال أمر شغلنى عن الناس قال: فما يمنعك أن تأتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن البصرى تجلس إليه؟ فقال: أمر شغلنى عن الناس وعن الحسن البصرى، فقال له الحسن: ماذا الشغل

يرحمك الله تعالى؟ فقال إنى أصبحت بين نعمة وذنب، فرأيت أن أشغل نفسى بالشكر على النعمة والإستغفار من الذنب، فقال له الحسن: يا عبد الله أنت أفقه من الحسن، فالزم ما أنت عليه.

**(الحكاية السادسة بعد المئتين عن بعضهم)** حكى أنه كان رجل يشرب مع جمع من ندمائه، فدفع إلى غلامه أربعة دراهم، وأمره أن يشترى بها شيئاً من الفواكه للمجلس، فمر الغلام بمجلس منصور بن عمار الواعظ رحمه الله وهو يسأل الفقير عنده شيئاً ويقول: من يدفع إليه أربعة دراهم أدعو له أربع دعوات، فدفع الغلام الدراهم إليه، فقال منصور ما الذى تريد أن أدعو لك، فقال لى سيد أريد أن أتخلص من مملكته، فدعا له، فقال الأخرى، قال أن يخلف الله علىّ دراهمى، فدعا له، ثم قال الأخرى، قال أن يتوب الله علىّ وعلى سيدى، فدعا، ثم قال الأخرى، فقال أن يغفر الله تعالى لى ولسيدى ولك وللقوم، فدعا منصور، فرجع الغلام إلى سيده، فقال ما أبطأك؟ فقص عليه القصة، فقال له وبم دعا؟ قال أن تعتقنى، قال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى، قال وإيش الثانية؟ قال أن يخلف الله تعالى علىّ دراهمى، فقال لك أربعة آلاف درهم من مالى، قال وإيش الثالثة؟ قال أن يتوب الله تعالى عليك، قال تبت إلى الله عز وجل، فإيش الرابعة؟ قال أن يغفر الله تعالى لى ولك وللمذكر وللقوم، فقال هذه ليست إلىّ؛ فلما جن الليل رأى فى المنام كأن قائلاً يقول له: أنت قد فعلت ما كان إليك، أفترانى لا أفعل ما كان إلىّ؟ قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين وأنا أرحم الراحمين.

**(الحكاية السابعة بعد المئتين عن بعضهم)** حكى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه والطير تظله والدواب والوحوش والأنعام والجن والإنس وسائر الحيوانات عن يمينه وشماله فمر بعابد من عباد بنى إسرائيل، فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما، فسمع ذلك سليمان، فقال لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود، فإن ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى * وأنشد بعضهم:

**إذا مـا لم تكن ملكا مطاعـا ... فكن عـبـدا لمالكه مطيـعـا**
**وإن لم تملك الدنيـا جـمـيـعـا ... كمـا تختـار فـاتركهـا جـمـيـعـا**

همــا شــيـئــان مـن ملك ونسك      ينيـلان الفـتى شـرفـا رفـيـعـا
ومـن يـقـنـع مـن الـدنـيـــا بـشـيء      ســوى هذين عـاش بهـا وضـيـعـا

(**الحكاية الثامنة بعد المئتين عن بعضهم**) روى أن بعض الملوك كان متنسكا ثم رجع ومال إلى الدنيا ورياسة الملك، وبنى دارا وشيدها وأمر بها ففرشت ونجدت، واتخذ مائدة ووضع عليها طعاما ودعا الناس، فجعلوا يدخلون ويأكلون ويشربون وينظرون إلى بنائه ويتعجبون من ذلك، ويدعون له وينصرفون، فمكث بذلك أياما ثم جلس هو ونفر من خاصة أصحابه فقال قد ترون سروري بداري هذه، وقد حدثت نفسي أن أتخذ لكل واحد من أولادي مثلها، فأقيموا عندي أياما أستأنس بحديثكم، وأشاوركم فيما أريد من هذا البناء فأقاموا عنده أياما يلهون ويلعبون، ويشاورهم كيف يبني وكيف يصنع ويرتب ذلك، فبينما هم ذات ليلة في لهوهم، إذ سمعوا قائلاً من أقصى الدار يقول:

يا أيهــا البــاني الناسي منيـتــه      لا تـأمـنن فـــإن المـوت مكتــــوب
على الخـلائق إن سروا وإن حزنوا      فـالموت حتف لذي الآمال منصوب
لا تبنـين ديـارا لست تسكنهـــا      وراجع النسك كيما يغفـر الحـوب

ففزع لذلك وفزع أصحابه فزعاً شديداً وراعهم، فقال هل سمعتم ما سمعت؟ فقالوا نعم، قال هل تجدون ما أجد؟ قالوا وما تجد؟ قال مسكة على فؤادي وما أراها إلا علة الموت، فقالوا كلا بل البقاء والعافية، فبكى ثم أمر بالشراب فأهريق، وبالملاهي فأخرجت، أو قال فكسرت، وتاب إلى الله تبارك وتعالى، ولم يزل يقول: الموت الموت حتى خرجت نفسه رحمة الله تعالى عليه.

(**الحكاية التاسعة بعد المئتين عن بعضهم**) روى أن ملكاً من ملوك كندة كان كثير المصاحبة للهو واللذات، كثير العكوف على اللعب، فركب يوماً للاصطياد أو غيره، فانقطع عن أصحابه فإذا هو برجل جالس قد جمع عظاما من عظام الموتى وهي بين يديه يقبلها، فقال ما قصتك أيها الرجل، وما بلغ بك ما أرى من سوء الحال ويبس الجسم وتغير اللون والانفراد في هذه الفلاة؟ فقال أما ذكرت من ذلك فلأني على جناح سفر بعيد، وبي موكلان

مـزعـجـان يحـدوان بى إلى منزل ضنك المحل مظلم القـعـر كـريه المقـر، ثم يسلمـانى إلى مصـاحبـة البلى ومـجاورة الهلكى تحت أطباق الثرى، فلو تركت بذلك المنزل مع ضيـقه ووحشته وارتعاء خشاش الأرض من لحمى حتى أعود رفاتا وتصيـر أعظمى رمـاما، لكان للبلاء انقشاء وللشقاء انتهاء، ولكنى أدفع بعد ذلك إلى صيحة الحشر، وأرد أهوال ومواقف الجزاء، ثم لا أدرى إلى أى الدارين يؤمر بى، فأى حال يلتذ به من يكون إلى هذا الأمر مصيره؛ فلما سمع الملك كلامه، ألقى نفسه عن فرسه وجلس بين يديه وقال: أيها الرجل لقد كدر علىّ مقالك صفو عيشى وملك قلبى، فأعد علىّ بعض قولك، واشرح لى ذلك، فقال له: أما ترى هذه العظام التى بين يدى؟ قال بلى، قال: هـذه عظام ملوك غرتهم الدنيا بزخرفها، واستحوذت على قلوبهم بغرورها، فألهتهم عن التأهب لهذه المصارع حتى فاجأتهم الآجال وخذلتهم الآمال وسلبتهم بهاء النعمة، وستنشر هذه العظام فتعود أجساماً، ثم تجازى بأعمالها، فأما إلى دار النعيم والقـرار، وإمـا إلى دار العـذاب والبـوار، ثم غـاب الرجل فلم يدر أين ذهب، وتلاحق أصحاب الملك به، وقد تغير لونه وتواصلت عبراته؛ فلما جن عليه الليل نزع ما كان عليه من لباس الملك، ولبس طمرين وخرج تحت الليل، فكان آخر العهد به رحمه الله تعالى * وأنشدوا:

| | |
|---|---|
| **أفنى الملوك التى كـانت منعـمـة** | **كـر الليـالى إقـبـالا وإدبارا** |
| **يا راقـد الليل مـسـروراً بأوله** | **إن الحوادث قد يطرقن أسحارا** |
| **لا تـأمـنن بـلـيـل طـاب أولـه** | **فـرب آخـر ليل أجج النار** |

**(الحكاية العاشرة بعد المئتين عن بعضهم)** حكى أنه كان فى الأمم الماضية ملك متمرد على ربه عز وجل، فغزاه المسلمون وأخذوه أسيرا، فقالوا بأى قتلة نقتله؟ فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له قمقما عظيما ويجعلوه فيه ويوقدوا تحته النار ولا يقتلوه حتى يذيقوه طعم العذاب، ففعلوا ذلك به فجعل يدعو آلهته واحدا بعد واحد: يا فلان بما كنت أعبدك أنقذنى مما أنا فيه؛ فلما رأى آلهته لا تغنى عنه شيئا، رفع رأسه إلى السماء وقال: لا إله إلا الله، ودعا مخلصا، فصب الله عليه مثعب ماء من السماء، فأطفأ تلك النار، وجاءت

ريح فاحتملت ذلك القمم، وجعلت تدور به بين السماء والأرض وهو يقول: لا إله إلا الله، فقذفته إلى قوم لا يعبدون الله عز وجل وهو يقول لا إله إلا الله، فاستخرجوه وقالوا ويحك مالك؟ فقال أنا ملك بنى فلان، وإنه كان من خبرى وأمرى كيت وكيت، وقص عليهم القصة فآمنوا، رحمة الله تعالى عليه وعليهم أجمعين.

**(الحكاية الحادية عشرة بعد المئتين عن بعضهم)** حكى أن بعض ملوك الأمم السالفة بنى مدينة وتأنق فيها وتغالى فى حسنها وزينتها، ثم صنع طعاما ودعا الناس، وأجلس أناسا على أبوابها يسألون كل من خرج هل رأيتم عيبا؟ فيقولون لا، حتى جاء أناس فى آخر القوم عليهم أكسية، فسألوهم هل رأيتم عيبا؟ فقالوا عيبين اثنين، فحبسوهم ودخلوا على الملك فأخبروه بما قالوا، فقال ما كنت أرضى بعيب واحد ائتونى بهم، فأدخلوهم عليه فسألهم عن العيبين ما هما؟ فقالوا تخرب الدار ويموت صاحبها، قال أفتعلمون دارار لا تخرب ولا يموت صاحبها؟ قالوا نعم، فذكروا له الجنة ونعيمها، وشوقوه إليها، وذكروا النار وعذابها وخوفوه منها ودعوه إلى عبادة الله عز وجل، فأجابهم إلى ذلك، وخرج من ملكه هارباً تائباً إلى الله سبحانه وتعالى رحمة الله تعالى عليه.

**(الحكاية الثانية عشرة بعد المئتين عن بعضهم)** روى أنه تحارب ملكان من ملوك اليمن فى قديم الزمان فغلب أحدهما صاحبه وقتله وشرد أصحابه، وهيئت له السرر، وزينت له دار الملك، وتلقاه الناس ليدخل، فبينما هو فى بعض السكك يقصد دار الملك، إذ وقف له رجل ينسب إلى الجنون، فأنشده:

**تمتع من الأيام إن كنت حازما ... فإنك فيها بين ناه وآمر**

**فكم ملك قد ركم الترب فوقه ... وعهدى به بالأمس فوق المنابر**

**إذا كنت فى الدنيا بصيرا فإنما ... بلاغك منها مثل زاد المسافر**

**إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ... فما فاته منها فليس بضائر**

فقال له صدقت، ونزل عن فرسه، وفارق أصحابه، ورقى الجبل، وأقسم على أصحابه أن لا يتبعه أحد، فكان آخر العهد به، وبقيت اليمن شاغرة أياماً حتى اختير لها من عقد له راية الملك عليها، رحمه الله تعالى.

**(الحكاية الثالثة عشرة بعد المئتين عن بعضهم)** قال: مررت ببعض القرى فإذا أنا بثلاثة قبور على قدر واحد وهى على نشز من الأرض، وعليها مكتوب أبيات من الشعر على القبر الأول مكتوب:

**وكيف يلذ العيش من هو عالم — بأن إله الخلق لابد سائله**

**فيأخذ منه ظلمه لعباده — ويجزيه بالخير الذى هو فاعله**

وعلى القبر الثانى مكتوب:

**وكيف يلذ العيش من كان موقنا — بأن المنايا بغتة ستعاجله**

**فتسلبه ملكا عظيما وبهجة — وتسكنه القبر الذى هو آهله**

وعلى القبر الثالث مكتوب:

**وكيف يلذ العيش من كان صائرا — إلى جدث يبلى الشباب منازله**

**ويذهب ماء الوجه بعد بهائه — سريعا ويبلى جسمه ومفاصله**

فقلت لشيخ جلست إليه: لقد رأيت فى قريتكم عجبا، فقال وما هو؟ فقصصت عليه قصة القبور، قال وحديثهم أعجب مما رأيته على قبورهم، فقلت حدثنى، فقال: كانوا ثلاثة إخوة: أمير، وتاجر، وزاهد، فحضرت الزاهد الوفاة، فاجتمع إليه أخواه وعرضا عليه ما أحب من مالهما ليتصدق به، فأبى أن يقبل وقال: لا حاجة لى فى مالكما، ولكن أعهد إليكما عهداً فلا تخالفا عهدى، قالا اعهد، قال: إذا مت فغسلانى وكفنانى وصليا علىّ وادفنانى على نشز من الأرض، واكتبا على قبرى هذين البيتين:

**وكيف يلذ بالعيش من هو عالم — بأن إله الخلق لابد سائله**

**فيأخذ منه ظلمه لعباده — ويجزيه بالخير الذى هو فاعله**

فإذا أنتما فعلتما ذلك، فائتيانى فى كل يوم مرة لعلكما تتعظان، ففعلا ذلك، وكان أخوه الأمير يركب فى جنده حتى يقف على قبره، فينزل ويقرأ ما عليه ويبكى، فلما كان اليوم الثالث جاء كما كان يجىء مع الجند، فنزل وقرأ وبكى كما كان يبكى؛ فلما أراد أن ينصرف سمع هدة من داخل القبر كاد

يتصدع لها قلبه، فانصرف مذعوراً فزعاً؛ فلما كان الليل رأى أخاه فى منامه، فقال يا أخى ما الذى سمعت فى قبرك؟ قال تلك هدة المقمعة، قيل لى رأيت مظلوما فلم تنصره، فأصبح مهموما فزعاً، فدعا أخاه وخاصته وقال: ما أرى أخى أراد بما أوصى أن يكتب على قبره غيرى، وإنى أشهدكم أن لا أقيم بين أظهركم أبداً، فترك الإمارة ولزم العبادة، وكان يأوى إلى الجبال والبرارى حتى حضرته الوفاة مع بعض الرعاة؛ فلما بلغ ذلك أخاه أتاه وقال له: يا أخى ألا توصى؟ قال بأى شىء أوصى؟ يا أخى ليس لى مال فأوصى به، ولكنى أعهد إليك عهداً إذا أنا مت فادفنى إلى جنب أخى، واكتب على قبرى هذين البيتين:

**وكيف يلذ العيش من كان موقناً ... بأن المنايا بغتة ستعالجه**

**فتلبسه ملكاً عظيماً وبهجة ... وتسكنه القبر الذى هو أهله**

ثم زرنى ثلاثة أيام بعد موتى، فادع الله لى لعل الله يرحمنى، ثم مات، ففعل أخوه ما أمره به، فلما كان اليوم الثالث أتاه وبكى عنده ودعا له؛ فلما أراد أن ينصرف سمع وجبة عظيمة من داخل القبر كادت تذهب عقله، فرجع قلقاً، فلما كان فى الليل رأى أخاه فى المنام قد أتاه، فقال له يا أخى جئتنا زائراً، فقال هيهات بعد المزار فلا مزار، واطمأنت بنا الدار، فقال له كيف أنت؟ قال بخير ما أجمع التوبة لكل خير، فقال كيف أخى؟ قال مع الأئمة الأبرار، قال فما تأمرنا؟ قال من قدم شيئاً وجده، فاغتنم وجدك قبل عدمك، فأصبح معتزلا للدنيا قد انخلع قلبه منها، وفرق ماله، وقسم رباعه، وأقبل على طاعة الله عز وجل، ونشأ له ولد كامل الشباب وجها وكمالا وجمالا، فأقبل على التجارة حتى حضرت أباه الوفاة، فقال الابن يا أبت ألا توصى؟ قال والله يا بنى ما لأبيك مال يوصى به، ولكن أعهد إليك عهداً إذا أنا مت فادفنى مع عمومتك، واكتب على قبرى هذين البيتين:

**وكيف يلذ العيش من كان صائرا ... إلى جدث يبلى الشباب منازله**

**ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... سريعا ويبلى جسمه ومفاصله**

فإذا فعلت ذلك فتعاهدنى ثلاثاً، فادع الله لى لعل الله أن يرحمنى، ففعل الفتى ذلك، فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتاً اقشعر له جلده وتغير

لونه، فرجع إلى أهله مهموماً أو قال محموماً، فلما كان الليل أتاه أبوه فى المنام فقال: يا بنى أنت عندنا عن قريب والأمر بآخره، والموت أقرب من ذلك، فاستعد لسفرك، وتأهب لرحيلك، وحول جهازك من المنزل الذى أنت عنه ظاعن إلى المنزل الذى أنت فيه مقيم، ولا تغتر بما اغتر به البطالون قبلك من طول آمالهم، فقصروا فى أمر معادهم، فندموا عند الموت أشد الندامة، وأسفوا على تضييع أعمارهم أشد الأسف، فلا الندامة عند الموت تنفعهم، ولا الأسف على التقصير أنقذهم من شر ما نالهم، وشدة ما هالهم، ثم قال: يا بنى بادر ثم بادر، فأصبح الفتى وقال: ما أظن هذا الأمر إلا قد أظلنى، فأدى دينه، ولم يزل يقسم ويعطى ويتصدق إلى أن كان اليوم الثالث من صبيحة الرؤيا، فدعا أهله وولده فودعهم، وسلم عليهم، ثم استقبل القبلة وتشهد شهادة الحق ثم مات رحمه الله تعالى، فكان الناس يزورون قبورهم ويتوسلون بهم إلى الله تعالى فى قضاء حوائجهم فتقضى، رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية الرابعة عشرة بعد المئتين: عن أبى القاسم الجنيد رضي الله عنه)** قال: دخلت الكوفة فى بعض أسفارى، فرأيت دارا لبعض الرؤساء وقد شف عليها النعيم وعلى بابها عبيد وغلمان، وفى بعض رواشنها جارية تغنى وهى تقول:

**ألا يا دارا لا يدخلك حزن ... ولا يعبث بساكنك الزمان**

**فنعم الدار أنت لكل ضيف ... إذا ما الضيف أعوزه المكان**

قال: ثم مررت بها بعد مدة فإذا الباب مسود والجميع مبدد، وقد ظهر عليها كآبة الذل والهوان، وأنشد لسان الحال:

**ذهبت محاسنها وبان شجونها ... والدهر لا يبقى مكانا سالما**

**فاستبدلت من أنسها بتوحش ... ومن السرور بها عزاء راغما**

قال: فسألت عن خبرها، فقيل لى مات صاحبها فآل أمرها إلى ما ترى، فقرعت الباب الذى كان لا يقرع فكلمتنى جارية بكلام ضعيف فقلت لها يا جارية أين بهجة هذا المكان وأين أنواره وأين شموسه وأقماره وأين قصاده وأين زواره؟ فبكت ثم قالت يا شيخ كانوا فيه على سبيل العارية ثم نقلتهم

الأقدار إلى دار القرار، وهذه عادة الدنيا ترحل من سكن فيها، وتسيء إلى من أحسن إليها، فقلت لها يا جارية: مررت بها فى بعض الأعوام وفى هذا الروشن جارية تغنى:

**ألا يـا دار لا يـدخـلـك حـــــــزن**

فبكت وقالت أنا والله تلك الجارية، ولم يبق من أهل هذه الدار أحد غيرى، فالويل لمن غرته دنياه، فقلت لها: كيف قر بك القرار فى هذا الموضع الخراب؟ فقالت لى ما أعظم جفاءك، أما كان هذا منزل الأحباب، ثم أنشأت:

| | |
|---|---|
| **قالوا ألفت وقوفا فى منازلهم** | **ونفس مثلك لا يغنى تحملها** |
| **فقلت والقلب قد ضجت أضالعه** | **والروح تنزع والأشواق تبذلها** |
| **منازل الحب فى قلبى معظمة** | **وإن خلا من نعيم الوصل منزلها** |
| **فكيف أتركها والقلب يتبعها** | **حبا لمن كان قبل اليوم ينزلها** |

قال: فتركتها ومضيت وقد وقع شعرها من قلبى موقعا، وازداد قلبى تولعا * قلت: إنما أعجب أبا القاسم الجنيد رضي الله عنه قولها لأنها ذكرت صفة الحب والمحب والمحبوب وصدقت فى الوصل وصدقت فى التحقق بالحب الذى ذكرته وصبرت على ملازمة منزل الأحباب مع ما فيه من شعث الحال وتجدد أحزان المصاب * وقد حكى عن بعض اللصوص أنه قطعت يده اليمنى فى السرقة، ثم سرق فقطعت رجله اليسرى، ثم سرق فقطعت يده اليسرى، ثم سرق فقطعت رجله اليمنى كما هو حكم الشرع فى ذلك، ثم سرق فعلق فى الهواء تعزيرا له، إذ لم يبق بعد قطع الأعضاء الأربعة إلا التعزير على حسب ما يليق بالحال، فمر عليه بعض الشيوخ الصوفية وهو معلق مقطوع يداه ورجلاه، فقال الشيخ لأصحابه الذين معه: أنا عبد هذا الشخص، قالوا وكيف ذلك؟ قال لأنه صبر على ما أصابه فى طلب محبوبه ولم يرده عنه كل ما أصابه من تعب وعقوبة * قلت: وقول الجارية فى أول الحكاية:

**ألا يـا دار لا يـدخـلـك حـــــــزن**

اغترار بسرور لم يَشُبْه كدر فى أيام إقبال الدنيا الخداعة، ولهو بلعب

يلهى عن اكتساب الخيرات والسعى فى الطاعة، أصمهم حب الدنيا عن سماع قول المولى سبحانه وتعالى (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة) الآية، وقوله تعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) وقوله تعالى (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) وغير ذلك من الآيات الكريمات، وكذلك من الأحاديث النبويات مثل قوله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة» وقوله ﷺ: «نعمت المرضعة، وبئست الفاطمة» وغير ذلك مما يطول ذكره * ومن ذلك أيضاً قول القائل:

**ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ... فسوف لعمرى عن قليل يلومها**

**إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ... وإن أقبلت كانت كثيرا همومها**

وقول الإمام الشافعى رضي الله عنه:

**ومن يذق الدنيا فإنى طعمتها ... وسبق إلينا عذبها وعذابها**

**فلم أرها إلا غرورا وباطلا ... كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها**

**وما هى إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها**

**فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها**

وقلت فى بعض القصائد:

**عجوز السوء سودا الجسم شوها ... وحدبا تحت أثواب حسان**

**بها يغتر غر لم يشاهد ... عيوبا فى هواها ذو افتتان**

**جميع الدهر يجرى ليس يدرى ... بجسم من محارمها ملان**

**إلى تقبيل ثغر ليس فيه ... من الأسنان ما غير اللسان**

**غرور حبها رأس الخطايا ... جميعها ذات مكر واختيان**

**ترى عيشا هنيا فيه دست ... سموما تلك منها مهلكان**

**حساب طال فى يوم عبوس ... يشيب الطفل من هول ومان**

**عقاب فى جحيم رب سلم ... بها جلد ولحم ناضجان**

* وقال بعض العارفين: لو كانت الدنيا ذهباً فانيا، والآخرة خزفا باقيا، لكان الخزف الباقى أولى بالرغبة والطلب من الذهب الفانى، فكيف والأمر بالعكس؟ يعنى الدنيا هى الخزف الفانى، والآخرة هى الذهب الباقى * قلت: بل الآخرة أجل وأفضل من الذهب المذكور، فإنها مخلوقة من فاخر الجواهر والنور ذات اللذات والنعيم والسرور والحور * وقال بعض العارفين أيضاً: فى طلب الدنيا ذل النفوس، وفى طلب الآخرة عز النفوس؟ فيا عجبا لمن يختار الذل فى طلب ما يفنى، ويترك العز فى طلب ما يبقى * قلت: ولما كتبت حكاية الجارية المذكورة خطر لى أبيات فى معارضة قولها: * ألا يا دار لا يدخلك حزن * حيث ذكرتها بوصف الدار الآخرة التى قال الله سبحانه وتعالى إخباراً عن أهلها (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) ثم قال فى آخر كلامهم (لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) أى تعب وغير ذلك، وهى هذه الأبيات:

**ألا يا دار خلد طبت دارا ... نعيمك لا يغيره الزمان**

**إذا دار الفنا غرت وأضحت ... خرابا ثم أعوزنا المكان**

**فنعم الدار أنت لكل ثاو ... بك اللذات والحور الحسان**

**وأخرى لا يساوى تلك فضل ... جوار الرب والنظر العيان**

**تجل زاد فى الجنان حسنا ... على حسن به تنسى الجنان**

**فنعم الدار أنت لكل ثاو**

وقولى: ثاو

أى مقيم، ولم أقل لكل ضيف كما قالت الجارية، لأن الدنيا دار ضيف، لأن الضيف من ينزل عند قوم مدة يسيرة ثم يرحل، وهكذا أهل الدنيا، كما قال القائل:

**ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلا عندهم ثم يرحل**

وأما الآخرة فهى دار الإقامة الأبدية، وقد سماها صانعها سبحانه وتعالى دار المقامة فى قوله تعالى حاكيا عن أهل الجنة (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن، إن ربنا لغفور شكور. الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب): أى تعب والمراد دار المقام والهاء للمبالغة مثل علامة وشبهه وخطر لى أيضاً مع الأبيات المذكورة هذه القصيدة

المسماة: اللآلئ الفاخرة فى مدح الدار الآخرة:

ألا يا دار خلد طبت دارا      جمعت الحسن مأمون الزوال
قصورا ثم حورا ثم خيرا      مداما غير مجذوذ النوال
ولذات وعيشا ذا نعيم      مقيم ليس فى دهر ببالى
بها ما لم ترى عين وتسمع      به أذن ولم يخطر ببالى
خيام الدر فيها باهيات      وغرفات مضيئات عوالى
بها حور حسان فائقات      منيرات مليحات غوالى
يرى مخ لساقيها عيانا      ورا سبعين ملبوس الجمال
ولو تبصق ببحر عاد عذبا      فراتا طيبا للشرب حالى
ولو تبدو بدنيا عطرتها      وأمسى النور للظلماء جالى
تضىء الخلد فى نور ابتسام      بوجه الزوج فى زاهى الحجال
تغنى فى الأرائك رافعات      بأصوات رخيمات عوالى
على خيل ونجب من بهاء      كمثل البرق زاروا ذا الجلال
فلا أحلى وأهنا من جمال      رأوا لما تجلى ذو الكمال
ونالوا فى جوار الرب ملكا      ورضوانا ويا لك من نوال
فهذا العيش لا عيش بدنيا      وهذا الفخر لا فخر بمال
سيدرى كل ذى فخر بدنيا      لدى الأخرى لمن فخر المعالى
إلهى لا تخيب يافعيا      فقيرا من صفات الخير خالى
فما لى قربة إلا رجائى      لفيض الفضل يا مولى الموالى
ومسك الختم حمد الله ربى      على نعمائه فى كل حال
وتفشى أحمدا مولى البرايا      صلاة مع صحاب ثم آل

(الحكاية الخامسة عشرة بعد المئتين: عن ذى النون المصرى ﵁) قال: بينما أنا أسير فى جبل لكام، مررت على واد كثير الأشجار والنبات، فبينما أنا واقف أتعجب من حسن زهرته، ومن خضرة العشب فى جنباته، إذ سمعت

صوتا أهطل مدامعى، وهيج بلابل حزنى، فاتبعت الصوت حتى أوقفنى بباب مغارة فى سفح ذلك الوادى، فإذا الكلام يخرج من جوف المغارة، فاطلعت فيها فإذا برجل من أهل التعبد والاجتهاد، فسمعته يقول: سبحان من نزه قلوب المشتاقين فى رياض الطاعة بين يديه، سبحان من أوصل الفهم إلى عقول ذوى البصائر، فهى لا تعتمد إلا عليه، سبحان من أورد حياض المودة نفوس أهل المحبة، فهى لا تحن إلا إليه، ثم أمسك فقلت: السلام عليك يا حليف الأحزان وقرين الأشجان، فقال وعليك لسلام، ما الذى أوصلك إلى من قد أفرده خوف المسألة عن الأنام، واشتغل بمحاسبة نفسه عن التنطع فى الكلام، فقلت أوصلتنى إليك الرغبة فى التصفح والاعتبار والتماس المواهب من قلوب المقربين والأبرار، فقال: يا فتى إن لله تعالى عبادا قدح فى قلوبهم زند الشغف نار الومق، فأرواحهم لشدة الاشتياق تسرح فى رياض الملكوت، وتنظر إلى ما ادخر لها فى حجب الجبروت، قلت صفهم لى، قال أولئك قوم أووا إلى كهف رحمته، وشربوا كئوس راح محبته، ثم قال: سيدى بهم فالحقنى، ولأعمالهم فوفقنى، قلت ألا توصينى بوصية؟ قال أحب الله تعالى شوقا إلى لقائه، فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه، وأنشأ يقول:

**قد كان لى دمع فأفنيته وكان لى جفن فأدميته وكان لى جسم فأبليته**

**وكان لى قلب فأضنيته وكان لى يا سيدى ناظر أرى به الخلق فأعميته**

**عبدك أضحى سيدى موثقا لو شئت قبل اليوم آويته**

رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين وبجميع الصالحين آمين.

**(الحكاية السادسة عشرة بعد المئتين: عن ذى النون المصرى أيضاً ﷺ)**

قال: بينما أنا أسير على جبل البنان فى جوف الليل إذا أنا بعريش من ورق البلوط وإذا بشاب قد أخرج رأسه من العريش بوجه أحسن من القمر، فقال شهد لك قلبى فى النوازل بنهاية الصفات الكوامل، وحيرت القلوب فى كنه ذاتك وسكرها براح محبتك، وكيف لا يشهد لك قلبى بذلك، ولا يحس قلبى أن يألف غيرك، هيهات هيهات لقد خاب لديك المقصرون عنك، ثم أدخل رأسه فى عريشه، وفاتنى كلامه، فلم أزل واقفاً إلى أن طلع الفجر، ثم أخرج رأسه

ونظر إلى القمر، فقال أشرقت بنورك السموات والأرض، وأنارت بنورك الظلمات، وحجبت جلالك عن العيون، ووصلت به معارف القلوب، ثم قال بالتجائى إليك فى حزنى لتنظر إلىّ نظرة من ناديته فأجاب، فوثبت إليه فسلمت عليه، فرد علىّ السلام، فقلت يرحمك الله، أسألك عن مسألة؟ قال لا، قلت ولم ذاك؟ قال ما خرج روعك من قلبى، قلت حبيبى وما الذى أفزعك منى؟ قال بطالتك فى يوم شغلك، وتركك الزاد ليوم معادك، ووقوفك على الظنون يا ذا النون، قال فوقعت مغشيا علىّ، فما أفقت إلا بحر الشمس، ثم رفعت رأسى فلم أره ولا العريش، فقمت وسرت وفى قلبى منه حسرة رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية السابعة عشرة بعد المئتين عن إبراهيم بن شيبان)** سئل إبراهيم ابن شيبان رضي الله عنه عن وصف العارف، فقال كنت على جبل الطور مع شيخى أبى عبد الله المغربى ومعنا نحو من سبعين رجلاً، فأتانا ذات يوم شاب عليه أثر الخشوع، فكنا إذا صلينا قام يصلى معنا، فإذا تجاذبنا العلم قعد يستمع، فبينما نحن ذات يوم قعود تحت شجرة فى مكان فيه عشب وكانت أيام الربيع فتكلم الشيخ علينا فى علوم المعارف، فرأيت الشاب تنفس، فاحترق ما بين يديه من العشب ثم غاب فلم نره بعد ذلك، فقال الشيخ: هذا هو العارف، وهذا وصفه رضي الله عنه، ونفعنا به.

**(الحكاية الثامنة عشرة بعد المئتين: عن بعضهم)** قال: كنت فى جبل لكام أطلب الزهاد والعباد، فرأيت رجلاً عليه مرقعة جالساً على حجر مطرقاً إلى الأرض، فقلت له يا شيخ ما تصنع ههنا؟ فقال: أنظر وأرعى، فقلت له ما أرى بين يديك إلا الحجارة فما الذى تنظر وترعى؟ فتغير لونه ثم نظر إلىّ مغضباً وقال: أنظر خواطر قلبى وأرعى أوامر ربى، فبحق الذى أظهرك علىّ إلا ما رحلت عنى، فقلت له كلمنى بشىء أنتفع به حتى أمضى عنك، فقال: من لزم الباب أثبت من الخدم، ومن أكثر ذكر الذنوب أعقبه كثرة الندم، ومن استغنى بالله تبارك وتعالى أمن من العدم، ثم تركنى ومضى رضي الله عنه، ونفعنا به.

**(الحكاية التاسعة عشرة بعد المئتين: عن بعضهم)** قال: خرجت من بيت المقدس أريد بعض القرى لحاجة، فلقيت عجوزاً عليها جبة صوف وخمار

صوف، فسلمت عليها فردت علىّ السلام، ثم قالت يا فتى أين تريد؟ قلت بعض القرى لحاجة، قالت كم بينك وبين أهلك ومنزلك؟ قلت ثمانية عشر ميلاً، قالت ثمانية عشر ميلاً فى طلب حاجة؟ إن هذه لحاجة مهمة، قلت أجل، قالت ألا سألت صاحب القرية أن يوجه إليك بحاجتك ولا تتعب؟ قال: ولم أدر ما الذى أفادك من طرائف حكمته إذ أوصلك إلى محبته؟ قال فبقيت لا أدرى ما أقول، فقالت لعلك ممن يحب أن يكتم المحبة؟ فلم أدر ما أقول، فقالت: يأبى الله تعالى أن يدنس طرائف حكمته، وخفى معرفته، ومكنون محبته بممارسة قلوب البطالين، قلت يرحمك الله، لو دعوت الله عز وجل أن يشغلنى بشىء من محبته، فنفضت يدها فى وجهى، فأعدت القول، فقالت امض لحاجتك، ثم قالت: لولا خوف السلب لبحت بالعجب، أوه من شوق لا يبرأ إلا بك، وفى حنين لا يسكن إلا إليك، رضى الله تعالى عنها، ونفعنا بها آمين.

**(الحكاية العشرون بعد المئتين: عن بعضهم)** حكى أنه كان شابان يتعبدان بالشام يسميان الصبيح والمليح لحسن عبادتهما، جاعا أياما، فقال أحدهما لصاحبه: اخرج بنا إلى الصحراء لعلنا نرى رجلاً نعلمه بعض دينه، لعل الله أن ينفعنا به فخرجا، قالا: فلما أصحرنا استقبلنا أسود على رأسه حزمة حطب، فقلنا له: يا هذا من ربك؟ فرمى بالحزمة عن رأسه وجلس عليها، ثم قال: لا تقولا من ربك؟ ولكن قولا لى أين محل الإيمان من قلبك؟ فنظر كل واحد منا إلى صاحبه ثم قال لنا: اسألا اسألا، فإن المريد لا تتقطع مسائله، فلما رآنا لا نرد جواباً قال: اللهم إن كنت تعلم أن لك عباداً كلما سألوك أعطيتهم، فحول حزمتى هذه ذهبا، فإذا هى قضبان ذهب تلمع، ثم قال اللهم إن كنت تعلم أن لك عبادا الخمول أحب إليهم من الشهرة فردها حطبا فرجعت حطبا، ثم حملها على رأسه ومضى، فلم نجترئ أن نتبعه رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الحادية والعشرون بعد المئتين: عن بعضهم)** قال: صليت خلف ذى النون صلاة العصر، فقال الله ثم بهت وبقى كأنه جسد ليس به روح من إجلاله لله تعالى، ثم قال أكبر، فظننت أن قلبى قد انقطع من هيبة تكبيره * وقال ذو النون رضي الله عنه: سمعت بعض المتعبدين بساحل الشام يقول: إن لله تبارك وتعالى عبادا عرفوه بيقين من معرفته، فشمروا قصدا إليه احتملوا فيه المصائب

لما يرجون عنده من الرغائب، صحبوا الدنيا بالأشجان وتنعموا فيها بطول الأحزان، فما نظروا إليها بعين راغب، وما تزودوا منها إلا كزاد الراكب؟ خافوا البيات فأسرعوا، ورجوا النجاة فأزمعوا، وبذلوا مهج نفوسهم في رضا سيدهم، ونصبوا الآخرة نصب أعينهم، وأصغوا إليها بآذان قلوبهم، فلو رأيتم لرأيت قوما ذبلا شفاههم خمصا بطونهم، حزينة قلوبهم، ناحلة أجسادهم، باكية أعينهم، لم يصحبوا التعليل والتسويف، وقنعوا من الدنيا بقوت طفيف، لبسوا من اللباس أطماراً بالية، وسكنوا من البلاد قفرا خالية، هربوا من الأوطان، واستبدلوا الوحدة من الأخدان، فلو رأيتهم لرأيت قوماً قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر، وفصل أعضاءهم بخناجر التعب، خمص البطون لطول السرى، شعث الرءوس لفقد الكرى، قد وصلوا الكلال بالكلال، وتأهبوا للنقلة والارتحال، رضى الله عنهم، ونفعنا بهم آمين * قلت: وفي مثل هؤلاء الرجال أحسن الذى قال:

أنت بالصدق قد خبرت رجالا ... قد أطالوا البكا إذا الليل طالا

ومــلأت القلوب منهم بنور ... من نفيس اليقين يا من تعالى

وتوليتهم فكنت دليلا ... وكسوت الجميع منهم جمالا

فإذا ما الظلام جن عليهم ... وصلوا بالكلال منهم كلالا

عفروا بالتراب منهم وجوها ... ذاك لله خشية وابتهالا

هجرت للمنام منهم عيون ... فاستطار المنام عنهم وزالا

إنما لذة البكا لمريد ... أسلم الأهل والديار وجالا

خاضعا باكيا حزينا ينادى ... يا كريما إذا استقيل أقالا

(الحكاية الثانية والعشرون بعد المئتين: عن سعيد بن أبى عروبة رضي الله عنه)

قال: حج الحجاج بن يوسف الثقفى فنزل فى بعض المياه بين مكة والمدينة، ودعا بالغداء وقال لحاجبه: انظر لى من يتغدى معى وأسأله عن بعض الأمر، فنظر نحو الجبل فإذا هو بأعرابى بين شملتين نائم، فضربه برجله وقال: ائت الأمير، فأتاه فقال له الحجاج: اغسل يدك وتغد معى، فقال: إنه قد دعانى من هو خير منك فأجبته، قال ومن هو؟ قال: الله تبارك وتعالى دعانى إلى الصوم فصمت،

قال فى هذا الحر الشديد؟ قال نعم، صمت ليوم هو أشد حراً من هذا اليوم، قال فأفطر وصم غدا، قال إن ضمنت لى البقاء إلى غد أفطرت، قال ليس ذلك إلىّ، قال فكيف تسألنى عاجلاً بآجل لا تقدر عليه؟ قال إنه طعام طيب، قال لم تطيبه أنت ولا الطباخ ولكن طيبته العافية، رَحِمَهُ اللَّهُ، وفى هذا المعنى قلت:

**وما طيب الطباخ عيشا وإنما ... بعافية طاب الطعام لطاعم**

**إذا كان بى سقم فلا شىء طيب ... وإن لم يكن طابت جميع المطاعم**

(**الحكاية الثالثة والعشرون بعد المئتين: عن الحجاج**) روى أن الحجاج بن يوسف حج فسمع ملبيا يلبى حول البيت رافعاً صوته بالتلبية، وكان إذ ذاك بمكة. فقال: علىَّ بالرجل، فأتى به إليه. فقال ممن الرجل؟ فقال: من المسلمين، فقال ليس عن الإسلام سألتك؟ قال فعمَّ سألت؟ قال سألتك عن البلد، قال من أهل اليمن؟ قال كيف تركت محمد بن يوسف، يعنى أخاه، قال تركته عظيما جسيما لباسا ركابا خراجا ولاجا، قال: ليس عن هذا سألتك، قال: فعم سألت؟ قال سألتك عن سيرته، قال تركته ظلوما غشوما، مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق، فقال له الحجاج: ما حملك على هذا الكلام وأنت تعلم مكانه منى؟ فقال الرجل أتراه بمكانه منك أعز منى بمكانى من الله تبارك وتعالى وأنا وافد بيته، ومصدق نبيه ﷺ، أو قال زائر بيته، وقاض دَيْنَه، ومتبع دِينَه؟ فسكت الحجاج ولم يحسن جوابا، وانصرف الرجل من غير إذن، فتعلق بأستار الكعبة وقال: اللهم بك أعوذ وبك ألوذ، اللهم فرجك القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة، رَحِمَهُ اللَّهُ ونفعنا به آمين.

(**الحكاية الرابعة والعشرون بعد المئتين: عن طاهر المقدسى رحمه الله تعالى**) قال: خرجت من عسقلان أريد غزة فى طلب البدلاء، فإذا أنا بفتى عليه أطمار رثة على ساحل البحر، فكأنى لم أعبأ، فالتفت إلىّ وقال:

**لا تنب عنى بأن ترى خلقى ... فإنما الدر داخل الصدف**

**علىّ جديد وملبسى خلق ... ومنتهى اللبس منتهى الصلف**

* وقال الشيخ أبو عبد الله الدينورى رحمه الله تعالى: دخل علىّ يوماً

فقير عليه آثار الضر، فطالبتنى نفسى أن آتيه بشىء، فهممت أن أرهن نعلى، فمنعتنى نفسى وقالت كيف تتم لك طهارة مع الحفاء؟ فقلت أرهن ركوتى، فمنعتنى أيضاً وقالت فبأى شىء تتوضأ؟ فهممت أن أرهن منديلى، فمنعتنى أيضاً وقالت تبقى مكشوف الرأس، فقلت وما فى ذاك؟ فجعلت أراجعها فى ذلك، فقام الفقير وشد وسطه، وأخذ عصاه بيده، ثم التفت إلىّ وقال: يا خسيس الهمة احفظ منديلك فأنا خارج، قال: فعقدت مع الله تعالى أن لا آكل الخبز حتى ألقاه، فقيل إنه أقام بعد ذلك ثلاثين سنة لم يأكل الخبز رضى الله تعالى عنهما، ونفعنا بهما آمين.

(**الحكاية الخامسة والعشرون بعد المئتين: عن سرى السقطى رضي الله عنه**) قال: بلغنى أن امرأة كانت إذا قامت من الليل قالت: اللهم إن إبليس عبد من عبيدك، ناصيته بيدك، يرانى من حيث لا أراه، وأنت تراه من حيث لا يراك، اللهم إنك تقدر على أمره كله، ولا يقدر على شىء من أمرك، اللهم إن أرادنى بشر فاردده، وإن كادنى فكده، أعوذ بك من شره، وأدرأ بك فى نحره، ثم بكت حتى ذهبت إحدى عينيها، فقيل لها: اتقى الله تعالى لئلا تذهب الأخرى، فقالت: إذ كانت عينى من عيون الجنة، فيبدلنى الله تبارك وتعالى بها ما هو أحسن منها، وإن كانت من عيون أهل النار فأبعدها الله تعالى عنى، رضى الله تعالى عنها، ونفعنا بها آمين.

(**الحكاية السادسة والعشرون بعد المئتين: عن أبى العباس بن مسروق رضي الله عنه**) قال: كنت بالبصرة فرأيت صياداً يصطاد السمك على بعض السواحل، وإلى جنبه ابنة له صغيرة، فكان كلما اصطاد سمكة فتركها فى دوخلة له ردت الصبية السمكة إلى الماء، فالتفت الرجل فلم ير شيئاً، فقال لابنته: أى شىء عملت بالسمك؟ فقالت يا أبت أليس سمعتك تروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا تقع سمكة فى شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله تبارك وتعالى، فبكى الرجل ورمى بالسنارة رضى الله تعالى عنهما، ونفعنا بهما آمين * قلت: تعنى كل من كان غافلاً عن ذكر الله تعالى لا تريده لنقصه وعدم بركته.

(**الحكاية السابعة والعشرون بعد المئتين: عن بعضهم**) روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعس المدينة، فمشى حتى أعيا، فاتكأ إلى جدار، فإذا امرأة

تقول لابنة لها صغيرة: قومى إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء، فقالت يا أماه، أو ما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت وما كان من عزمته؟ قالت إنه أمر مناديه فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء، فقالت امذقيه، فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادى عمر، فقالت الصبية والله ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلا، رضى الله تعالى عنها * قلت: وهذه البنية المذكورة أعجب عمر رضي الله عنه حالها، فزوجها أحد أولاده، ومن ذريتها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ونفعنا به وسلفه وبجميع الأولياء والصالحين آمين.

**(الحكاية الثامنة والعشرون بعد المئتين: عن بعضهم)** روى أنه اجتاز بعض الأمراء على باب الشيخ حاتم الأصم رضي الله عنه، فاستسقى ماء، فلما شرب رمى إليهم شيئاً من المال ووافقه أصحابه، ففرح أهل الدار سوى بنية صغيرة لحاتم، فإنها بكت، فقيل لها: ما يبكيك؟ قالت مخلوق نظر إلينا نظرة فاستغنينا، فكيف لو نظر إلينا الخالق سبحانه وتعالى، رضى الله تعالى عنها، ونفعنا بها آمين * وروى أن بنية للشيخ يحيى بن معاذ الرازى رضى الله تعالى عنهما طلبت من أبيها شيئاً تأكله، فقال لها اطلبى من ربك، فقالت والله إنى لأستحى منه أن أسأله شيئاً للأكل، رضى الله تعالى عنها.

**(الحكاية التاسعة والعشرون بعد المئتين: عن أبى عبد الله الجلاء رضي الله عنه)** قال: اشتهت والدتى علىّ يوماً من الأيام سمكة، فمضى والدى إلى السوق وأنا معه، فاشترى سمكة ووقف ينتظر من يحملها له، فرأى صبياً وقف بحذائه، وقال يا عم تريد من يحمل لك؟ فقال نعم، فحمل لنا ومشى معنا، فسمعنا الأذان، فقال الصبى أذن المؤذن وأنا أحتاج أن أتطهر وأصلى، فإن رضيت وإلا فاحمل السمكة، ووضع الصبى السمكة ومر، فقال أبى فنحن أولى أن نتوكل فى السمكة على الله تعالى، فدخلنا المسجد وصلينا، وصلى الصبى؛ فلما خرجنا إذاً بالسمكة موضوعة فى مكانها، فحملها الصبى ومضى معنا إلى دارنا، فذكر ذلك والدى لوالدتى، فقالت قل له يقعد حتى يأكل معنا، فقال له أنا صائم، ثم قال فتعود إلينا بالعشى، فقال: إذا حملت فى اليوم مرة فلا أحمل ثانيا، فأدخل المسجد إلى المساء، ثم أدخل عليكم فمضى؛ فلما أمسينا دخل الصبى فأكلنا، فلما فرغنا دللناه على موضع الطهارة ورأيناه يؤثر الخلوة،

فتركناه فى بيت، وكان بالقرب منا امرأة زمنة؛ فلما كان فى بعض الليل جاءت تمشى، فسألناها عن حالها، فقالت: قلت يا رب بحرمة ضيفنا عافنى فقمت، قال فمضينا نطلب الصبى فإذا الأبواب مغلقة كما كانت ولم نجد الصبى رضي الله عنه

* قلت منهم الصغار ومنهم الكبار ومنهم العبيد ومنهم الأحرار، ومنهم النساء ومنهم الرجال، ومنهم المجانين ومنهم العقلاء. ومن جملة الصغار صغير كان فى بلاد اليمن من أولاد بعض المشايخ كان يلعب مع الصغار، وأى شىء طلبوه منه من الشهوات يحضره لهم فى الحال فى الموضع الذى يلعبون فيه، فلما علم بذلك الشيخ قال له يا ولدى أطعمنى كذا وكذا، فأطعمه، فكل شىء طلبه منه أحضره فى الحال، فمسح عليه وقال: بارك الله فيك أطعمنى كذا وكذا، فطلب الصغير أن يحصل ذلك كالعادة، فلم يحصل شىء، ومن ذلك الوقت أنسد عنه هذا الباب بنظر الشيخ إذ رأى ذلك أسلم له، لأنه خاف عليه الشهرة والعجب وغير ذلك، رضى الله تعالى عنهما.

**(الحكاية الثلاثون بعد المائتين: عن ذى النون رضي الله عنه)** قال: خرجت من وادى كنعان بالليل، فإذا بشخص قد أقبل إلى وهو يقرأ (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) فلما قرب الشخص منى إذا هى امرأة عليها جبة صوف وبرقع صوف، وفى يدها ركوة وعكاز، فقالت من أنت؟ غير فزعة منى، فقلت رجل غريب، فقالت يا هذا وهل تجد مع الله غربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء، فبكيت، فقالت ما بكاؤك؟ فقلت وقع الدواء على الداء، فقالت إن كنت صادقاً فى قولك فلم بكيت؟ فقلت يرحمك الله والصادق لا يبكى، فقالت لا، فقلت ولم ذلك؟ قالت لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب شيئاً أحق من الشهيق والزفير. وأما البكاء فهو عند الأولياء رضى الله تعالى عنهم ضعف، فبقيت متعجباً من كلامها، فقالت مالك؟ قلت متعجباً من كلامك، فقالت أنسيت الداء الذى ذكرته قلت؟ يرحمك الله، إن رأيت أن تفيدينى شيئاً لعل الله تعالى ينفعنى به، قالت فما أفادك الحكيم من الإفادة ما تستغنى به عن طلب الزيادة؟ قلت يرحمك الله ما أنا بمستغن عن الزيادة من الأولياء السادة، قالت صدقت يا مسكين أحب مولاك واشتق إليه، فإن له يوماً يتجلى فيه ببهاء جمالة، لإظهار كرامته لأوليائه وأصفيائه وأهل

مودته، فيستقيم عندما يتجلى لهم بجمال كمال صفاته غداً كأساً من راح الجمال وسلسبيل الوصال، لا يظمئون بعدها أبداً، ثم غلب عليها الوجد فنادت: يا حبيب قلبى إلى كم تخلفنى بدار لا أجد فيها صديقاً صادقاً، ثم تركتنى وانحدرت فى الوادى وهى تقول: إليك لا إلى النار، إليك لا إلى أهل النار، حتى انقطع صوتها عنى رضى الله تعالى عنها، ونفعنا بها آمين.

**(الحكاية الحادية والثلاثون بعد المائتين: عن ذى النون المصرى ﷺ)** قال بينما أنا أمشى على شاطىء النيل إذ رأيت عقرباً تدب، فأخذت حجراً وأردت قتلها، فهربت مسرعة، فوقفت على شاطىء النيل، فخرجت ضفدعة فوثبت العقرب على ظهرها، فعامت بها حتى خرجت بها إلى الجانب الآخر، فتبعتها؛ فلما بلغت البر نزلت عن ظهرها، وإذا برجل نائم وهو سكران، وثعبان قد أقبل إليه ليلدغه، فأسرعت العقرب إلى الثعبان فلدغته لدغة فقطع الثعبان منها قطعاً، فأيقظت ذلك الرجل من نومه، فقام فزعاً مرعوباً؛ فلما رأى الثعبان ولى هارباً، فقلت له لا تخف قد كفيت أمره، وقصصت عليه القصة، فأطرق برأسه ثم رفعها إلى السماء وقال: يا رب هكذا تفعل بمن عصاك فكيف بمن أطاعك؟ وعزتك وجلالك لا عصيتك بعدها أبدا، ثم ولى باكيا وهو يقول:

**يا راقدا والجليل يحرسه ... من كل سوء يدب فى الظلم**

**كيف تنام العيون عن ملك ... تأتيك منه كرائم النعم**

**(الحكاية الثانية والثلاثون بعد المائتين عن إبراهيم بن أدهم)** حكى أن إبراهيم بن أدهم ﷺ مر بسكران مطروح على قارعة الطريق وقد طفح سكره من فمه، فنظر إليه إبراهيم وقال: أى لسان أصابته هذه الآفة، وقد ذكر الله عز وجل، ثم دنا منه وغسل فمه، فلما أفاق أخبر بما فعل إبراهيم به، فخجل وتاب وحسنت توبته، فرأى إبراهيم فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول له: يا إبراهيم طهرت لأجلنا فمه، فطهرنا لأجلك قلبه، ﷺ ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الثالثة والثلاثون بعد المائتين)** حكى عن بشر بن الحارث ﷺ أنه سئل: ما كان بدء أمرك، لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبى؟ قال هذا

من فضل الله تعالى، كنت رجلاً عياراً صاحب عصبية، فوجدت يوماً قرطاساً فى الطريق، فرفعته، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم فمسحته وجعلته فى جيبى، وكان عندى درهمان ما كنت أملك غيرهما، فذهبت إلى العطار، فاشتريت بهما غالية، وطيبت بها القرطاس، فنمت تلك الليلة، فرأيت فى المنام كأن قائلاً يقول: يا بشر طيبت اسمى، لأطيبن اسمك فى الدنيا والآخرة، رضي الله عنه ونفعنا به آمين: وقيل: كان سبب توبة منصور بن عمار الواعظ رضي الله عنه، أنه وجد رقعة فى الطريق مكتوباً عليها: بسم الله الرحمن الرحيم، فلم يجد لها موضعاً يضعها فيه، فابتلعها، فسمع فى النوم قائلاً يقول له فتح عليك باب الحكمة باحترامك تلك الرقعة رضي الله عنه.

**(الحكاية الرابعة والثلاثون بعد المائتين عن بشر الحافى)** حكى أن بشراً الحافى رضي الله عنه كان فى زمن لهوه فى داره، وعنده ندماؤه يشربون ويطربون، فاجتاز بهم رجل من الصالحين، فدق الباب فخرجت إليه جارية، فقال لها: صاحب هذا الدار حر أو عبد؟ قالت بل حر قال صدقت، لو كان عبداً لاستعمل آداب العبودية، وترك اللهو والطرب، فسمع بشر محاورته لها، فسارع إلى الباب حافياً حاسراً، وقد ولى الرجل، فقال للجارية: ويحك من كلمك، فأخبرته بما قال، فتبعه بشر حتى لحقه، فقال له يا سيدى أنت الذى وقفت بالباب وخاطبت الجارية، قال نعم، قال أعد على الكلام، فأعاده عليه، فمرغ بشر خديه على الأرض، وقال بل عبد عبد عبد، ثم هام على وجهه حافياً حاسراً حتى عرف بالحافى، فقيل له لم لا تلبس نعلين؟ قال لأنى ما صالحنى مولاى إلا وأنا حاف، فلا أزول عن هذه الحال حتى أموت رضي الله عنه. وقيل: قالت له يوماً بعض البنات الصغار: لو اشتريت نعلين بدانقين لذهب عنك اسم الحافى رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الخامسة والثلاثون بعد المائتين: عن الأستاذ أبى على الدقاق رضي الله عنه)** قال: مر بشر رضي الله عنه ببعض الناس فقالوا هذا الرجل لا ينام الليل ولا يفطر إلا فى كل ثلاثة أيام مرة، فبكى بشر وقال: والله ما أذكر أنى سهرت ليلة كاملة، ولا صمت يوماً إلا وأفطرت من ليلته، ولكن الله سبحانه وتعالى يلقى فى القلوب أكثر مما يفعله العبد لطفاً منه سبحانه وتعالى وكرماً. وفى

هذا المعنى أقول:

**فسبحان من أبدى جميل جماله على عبده لطفاً وجود جواد**

**وأخفى المساوئ والعيوب تكرماً وحلما تعالى ساتر العبَّاد**

(**الحكاية السادسة والثلاثون بعد المائتين: عن فاطمة بنت أحمد أخت الشيخ أبى على الروزبارى رضى الله تعالى عنهما**) قالت: كان ببغداد عشرة من الفتيان معهم عشرة أحداث فوجهوا واحداً من الأحداث فى حاجة لهم، فأبطأ فحردوا عليه، فجاء وهو يضحك وبيده بطيخة، فقالوا تبطىء وتجىء وأنت تضحك، فقال جئتكم بأعجوبة، قالوا وما هى؟ قال وضع بشر ﷺ يده على هذه البطيخة فاشتريتها بعشرين درهماً، فأخذ كل واحد منهم يقبلها ويضعها على عينيه، فقال واحد منهم: أى شىء بلغ بشرا ﷺ هذه المرتبة؟ فقالوا التقوى، فقال إنى أشهدكم أنى تائب إلى الله تعالى، فقال القوم كلهم مثله، ويقال إنهم خرجوا إلى طرطوس فاستشهدوا كلهم، رحمهم الله تعالى.

(**الحكاية السابعة والثلاثون بعد المائتين: عن بعض أهل العلم**) قال: كان عندنا ببغداد رجل من التجار كنت أسمعه يقع فى الصوفية كثيراً ثم رأيته بعد ذلك صحبهم وأنفق جميع ماله عليهم، فقلت له: أليس كنت تبغضهم؟ فقال لى: ليس الأمر على ما كنت أتوهم، قلت له كيف ذلك؟ قال صليت الجمعة يوماً من الأيام، فرأيت بشرا الحافى ﷺ خارجاً من الجامع مسرعاً، فقلت فى نفسى أنظر هذا الرجل الموصوف بالزهد ليس يستقر فى المسجد، فتركت حاجتى وقلت أنظر أين يذهب فتبعته فرأيته تقدم إلى الخباز فاشترى بدرهم خبزاً ثم تقدم إلى الشواء فأعطاه درهماً وأخذ شواء، فزادنى غيظاً، ثم تقدم إلى الحلوانى فاشترى فالوذجا بدرهم، فقلت فى نفسى والله لأنغصن عليه حين يجلس يأكل، فخرج إلى الصحراء وأنا أقول يريد الخضرة والماء فمازال يمشى إلى العصر وأنا خلفه، فدخل قرية ثم دخل مسجداً فيه مريض، فجلس عند رأسه وجعل يلقمه، فقمت لأنظر إلى القرية، فغبت ساعة ثم رجعت فلم أجده، فقلت للعليل أين بشر؟ قال ذهب إلى بغداد، قلت وكم بيننا وبين بغداد؟

قال أربعون فرسخاً، يعنى مسيرة خمس مراحل فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون، ما هذا الذى عملت بنفسى وليس معى ما أكترى به ولا أقدر على المشى، قال اجلس حتى يرجع، فجلست إلى الجمعة الأخرى، فجاء بشر فى ذلك الوقت ومعه شىء يأكله المريض؛ فلما فرغ قال له: يا أبا نصر هذا صحبك من بغداد وبقى عندى منذ يوم الجمعة الأولى فرده، قال فنظر إلى كالمغضب وقال لم صحبتنى، فقلت أخطأت، قال قم فامش، فمشيت إلى قرب المغرب؛ فلما قربنا قال أين محلتك من بغداد؟ قلت كذا وكذا، قال اذهب ولا تعد، فتبت إلى الله تعالى وصحبتهم وأنا على ذلك إن شاء الله تعالى، رضى الله تعالى عنهم، ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية الثامنة والثلاثون بعد المائتين عن بعض الصالحين)** حكى عن بعض الصالحين كلام معناه أنه قال: دخلت الخلوة فى أيام بدايتى، وعاهدت الله تعالى أن لا آكل شيئاً إلا بعد أربعين يوماً، فمكثت نيفا وعشرين يوماً، واشتدت على الفاقة والضرورة، فخرجت من الخلوة ولم أشعر بنفسى إلا وأنا فى السوق، وإذا بفقير يتمنى فى السوق يقول: تمنيت على الله الكريم رطل خبز حوارى ورطل شواء ورطل حلوى، قال فكنت أستثقله وهو يطوف فى السوق ويمر على ولا يكلمنى وأنا أقول فى نفسى: والله إن هذا ثقيل يتمنى هذه الشهوات العزيزة وأنا أطلب كسرة يابسة ما حصلت لى؛ فلما كان بعد ساعة حصل له الذى يتمنى، فجاءنى به وأعطانيه وعصر بأذنى وقال: من هو الثقيل الذى نقض العهد وخرج من الخلوة لأجل شهوة أو الذى يطلب له من الطيبات النفاس ما يرد عليه القوة والحواس؟ ثم قال إن الذى يريد أن يطوى الأربعين يطويها بالتدريج، ولا يطويها وثبة واحدة فيثور عليه كلب الجوع ويهيج، ثم قال: لا تعد إلى هذا المذهب، وتركنى وذهب، رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما آمين.

**(الحكاية التاسعة والثلاثون بعد المائتين عن بعض شيوخ اليمن)** روى عن بعض شيوخ اليمن رضى الله تعالى عنهم أنه خرج يوماً من زبيد إلى نحو الساحل المعروف بالأهواب ومعه تلميذ له، فمر بطريقه على قصب ذرة كبار، فقال للتلميذ خذ معك من هذا القصب، ففعل التلميذ وتعجب فى نفسه وقال

ما أراد الشيخ بهذا، ولم يقل له الشيخ شيئاً حتى بلغا إلى محلة العبيد الذى يقال لهم السناكم يأكلون الميتات ويشربون المسكرات ولا يعرفون الصلوات، وإذا بهم يشربون ويلعبون ويلهون ويطربون ويغنون ويضربون، فقال الشيخ للتلميذ ائتنى بهذا الشيخ الطويل الذى يضرب الطبل، فأتاه التلميذ، فقال له أجب الشيخ، فرمى بالطبل من رقبته ومشى معه إلى الشيخ، قال فلما وقفنا بين يديه، قال الشيخ للتلميذ اضربه بالقصب، فضربه حتى استوفى منه الحد، ثم قال الشيخ امش أمامنا، فمشى حتى بلغوا البحر، فأمره الشيخ أن يغسل ثيابه ويغتسل، وعلمه كيفية ذلك، وكيفية الوضوء، ففعل، ثم علمه كيف يصلى، وتقدم الشيخ فصلى بهما الظهر، فلما فرغوا من الصلاة قام الشيخ ووضع سجادته على البحر وقال له تقدم، فقام ووضع قدميه على السجادة، ومشى على الماء حتى غاب عن العين، فالتفت التلميذ إلى الشيخ وقال: وامصيبتاه واحسرتاه لى معك كذا وكذا سنة ما حصل لى شىء من هذا، وهذا فى ساعة واحدة حصل له هذا المقام، وهذه الكرامات العظام، فبكى الشيخ وقال يا ولدى وإيش كنت أنا؟ هذا فعل الله تعالى، قيل لى فلان من الأبدال توفى فأقم فلانا مقامه، فامتثلت الأمر كما تمتثل الخدام، ووددت أنه حصل لى هذا المقام ﵁ وهذا الشيخ الجليل الفاضل يقال له الشيخ على ابن المرتضى من أصحاب الشيخ الكبير محمد بن أبى الباطل الذى أنشد فيه تلميذه وهو راحل، وقال لله دره من قائل:

**ليت شعرى أى أرض أجدبت فسقوها بك يا وجه الفرج**

**ساقك الله إليها رحمة فبجاهك ما عليهم من حرج**

يعنى ساقك الله فى هذا السفر إلى مكان يريد إغاثة أهله بك، ولست أدرى الآن أين ذلك المكان، فلما وصل إلى عدن أقام بها مدة يسيرة وتوفى، وقبره هناك مزور مشهور، ﵁ ونفعنا به آمين.

(**الحكاية الأربعون بعد المائتين عن الشيخ جوهر**) روى أن الشيخ الكبير المشكور المسمى بجوهر المشهور، الذى هو فى عدن مقبور ﵁ كان مملوكاً فعتق، وكان يبيع ويشترى فى السوق، ويحضر مجالس الفقراء ويعتقدهم وهو أمى، فلما حضرت وفاة الشيخ الكبير سعد الحداد المدفون بعدن ﵁، قال

له الفقراء: من يكون الشيخ بعدك؟ قال الذى يقع على رأسه طائر أخضر فى اليوم الثالث من موتى عندما يجتمع الفقراء هو الشيخ؛ فلما توفى اجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الثالث وفرغوا من القراءة وألذكر، قعدوا ينتظرون ما وعدهم الشيخ، فإذا بطير أخضر وقع قريباً منهم، فبقى كل أحد من كبار الفقراء ينتظر ذلك ويتمناه، فبينما هم كذلك ينتظرون الوعد الكريم وما يكون فيه من تقدير العزيز العليم، وإذا بالطائر قد طار ووقع على رأس جوهر ولم يكن يخطر له ولا لأحد من الفقراء ذلك فقام إليه الفقراء ليزفوه إلى زاوية الشيخ، وينزلوه منزلة المشيخة، فبكى وقال: كيف أصلح للمشيخة، أنا رجل سوقى وأمى لا أعرف طريق الفقراء وآدابهم، وعلىَّ تبعات، وبينى وبين الناس معاملات، فقالوا له هذا أمر سماوى نزل ولابد لك منه، والله تعالى يتولى تعليمك ومعونتك وهو يتولى الصالحين، فقال امهلونى حتى أمضى إلى السوق، وأبرأ من حقوق الخلق فأمهلوه، فذهب إلى دكانه ووفى كل ذى حق حقه، ثم ترك السوق ولزم الزاوية ولازمه الفقراء وصار جوهرا كاسمه، وله رضى الله تعالى عنه من الفضائل والكرامات ما يطول ذكره فسبحان المنان الكريم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم! وقال بعض العارفين رضي الله عنه: من تولته رعاية الحق أجل ممن تؤدبه سياسة العلم، ولقد أحسن فى هذا المقال. وقال آخر منهم: يحتاج المسافر فى سفره أو قال السالك فى سلوكه إلى أربعة أشياء: علم يسوسه، وذكر يؤنسه، وورع يحجزه، ويقين يحمله. قلت: ومن حصل له ما قاله الأول من تولى رعاية الحق لا يحتاج إلى هذه الأربعة المذكورة لأنه حينئذ يكون معلما ومؤنسا ومحفوظا ومحمولا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

**(الحكاية الحادية والأربعون بعد المائتين)** روى أن ابن السماك رضي الله عنه وعظ يوما، فأعجبه وعظه، فلما انصرف إلى منزله ونام سمع قائلاً يقول:

| | |
|---|---|
| **يا أيها الرجل المعلم غيره** | **هلا لنفسك كان ذا التعليم** |
| **تصف الدواء لذى السقامة والضنى** | **ومن الضنى والداء أنت سقيم** |
| **وأراك تلقح بالرشاد عقولنا** | **صفة وأنت من الرشاد عديم** |
| **ابدأ بنفسك فانهها عن غيها** | **فإذا انتهت عنه فأنت حكيم** |

ابداً بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى بالوعظ منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فلما استيقظ حلف أن لا يعظ الناس شهراً. وقيل: إنه اجتمع فضيل بن عياض ومحمد بن السماك رضى الله تعالى عنهما، فقال الفضيل العالم طبيب الدين والمال داء الدين، فإذا جر الطبيب الداء إلى نفسه، فكيف يداوى غيره. وفى هذا المعنى أنشدوا لبعض الفضلاء:

إن زاد مالك لم تزدد به قنعا أو زاد علمك لم تزدد به وجعا
آثرت دنياك مسرورا بلذتها وقد تركت التقى والزهد والورعا
وكيف ينفع علم منك سامعه ولا يراك بذاك العلم منتفعا

**(الحكاية الثانية والأربعون بعد المائتين عن الحسن البصرى)** حكى عن الحسن البصرى رضي الله عنه أنه أفتى فى مسئلة فقال له إنسان: إن الفقهاء خالفوك فيها، فقال له الحسن: ويحك، وهل رأيت فقيها قط، إنما الفقيه من زهد فى الدنيا. وقال رضي الله عنه: الناس فى هذه الدنيا على خمسة أصناف: العلماء هم ورثة الأنبياء، والزهاد هم الأدلاء، والغزاة هم أسياف الله تعالى، والتجار هم أمناء الله عز وجل، والملوك هم رعاة الخلق، فإذا أصبح العالم طامعاً وللمال جامعاً فبمن يقتدى؟ وإذا أصبح الزاهد راغباً فبمن يستدل ويهتدى؟ وإذا أصبح الغازى مرائياً، والمرائى لا عمل له، فمن يظفر بالعدا؟ وإذا كان التاجر خائناً فمن يؤتمن ويرتضى؟ وإذا أصبح الملك ذئباً فمن يحفظ الغنم ويرعى؟ والله ما أهلك الناس إلا العلماء المداهنون، والزهاد الراغبون، والغزاة المراءون، والتجار الخائنون، والملوك الظالمون، (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)، وأنشد الشيخ الصالح العالم العامل الإمام الفاضل عبد العزيز الديرينى لنفسه رضي الله عنه:

إذا ما مات ذو علم وتقوى فقد ثلمت من الإسلام ثلمه
وموت العابد المرضى نقص ففى مرآه للأسرار نسمه

ومــــوت العـــــادل الملك المولى بحكم الحق منقصــة وقــصــمــه
ومــوت الفــارس الضــرغــام هدم فكم شـهـدت له بالنصـر عـزمـه
ومــوت فـتى كـثـيـر الجـود مـحل فــإن بقــاءه خــصب ونعــمــه
فـحـسـبك خـمـسـة يبكى عليـهم ومـوت الغـيـر تخـفـيف ورحمـه

**(الحكاية الثالثة والأربعون بعد المائتين عن المؤلف رحمه الله تعالى)** قال المؤلف غفـر الله له: أخبـرنى بعض أصحـاب الشـيخ عبـد العـزيز الديرينى المذكور رضي الله عنه قال: كنت مع الشيخ عبد العزيز فى بعض السياحات، فانتهينا إلى قبر فى بعض البرارى، فجلس الشيخ عبد العزيز عند القبر يبكى، فسألته عن ذلك فقال: كان صاحب هذا القبر من أولياء الله سبحانه وتعالى اتفق لى معه حكاية عجيبة، قال فقلت له وما هى؟ قال عرضت لى حاجة فى بعض البلاد مع بعض الناس، فسافرت لتلك الحاجة وأدركتنى صلاة المغرب فى الطريق، فعدلت إلى مسجد فوجدت فيه فقيرا يصلى بجماعة، فصليت خلفه، وإذا به يلحن فى قراءته، فتشوشت من ذلك وقلت فى نفسى: وأنا فى الصلاة أقيم ههنا أعلم هذا الفقير كيف يقرأ فى صلاته، وأترك حاجتى فهذا أولى، وهذا يتعين على، فلما سلمنا من الصلاة التفت إلىّ وقال: يا شيخ عبد العزيز الحق حاجتك التى جئت إليها، فإن صاحبك الذى هى عنده يريد السفر، فاذهب لحاجتك وما عليك من هذا اللحن الذى سمعته والتعليم الذى نويته، قال فتعجبت من مكاشفته لى، وخرجت فى الحال لحاجتى بإشارته، وأسرعت فى السير، فلما دخلت البلدة التى فيها حاجتى وجدت صاحبى قد ركب يريد سفراً، فلما رآنى توقف حتى قضى لى حاجتى، ولو تأخرت قليلاً لفاتنى مطلوبى، فازددت تعجباً من ذلك الفقير وقوله، ونويت ملازمته والتماس بركته وما لبثت إلا مدة يسيرة وتوفى، وهذا قبره رضى الله تعالى عنهم، ونفعنا بهم.

**(الحكاية الرابعة والأربعون بعد المائتين: عن بعض أهل العلم)** قال: كنت فى المصيصة فإذا برجلين يتكلمان فى الخلوة مع الله تعالى، فلما أرادا أن ينصرفا قال أحدهما للآخر: تعالى نجعل لهذا العلم ثمرة ولا يكون حجة علينا، فقال له اعزم على ما شئت، فقال عزمت على أن لا آكل ما لمخلوق فيه صنع،

قال فتبعتهما وقلت أنا معكما، فقالا على الشرط، قلت على أى شرط شرطتما؟ فصعدا جبل لكام ودلانى على كهف وقالا تعبد فيه، فدخلت فيه وجعل كل واحد منهما يأتينى بما قسم الله تعالى لى، وبقيت مدة ثم قلت إلى متى أقيم ههنا، أنا أسير إلى طرسوس وآكل من الحلال، وأعلم الناس العلم وأقرئ القرآن، فخرجت ودخلت طرسوس، فأقمت بها سنة، فإذا أنا برجل منهما قد، وقف علىّ وقال: يا فلان خنت فى عهدك ونقضت الميثاق، أما إنك لو صبرت كما صبرنا لوهب لك كما وهب لنا، قلت ما الذى وهب لكما؟ قال ثلاثة أشياء: طى الأرض من المشرق إلى المغرب بقدم واحدة، والمشى على الماء، والحجة إذا شئنا، ثم احتجب عنى، فقلت بالذى وهب لك هذا الحال إلا ما ظهرت لى فقد شويت قلبى فظهر، وقال سل، فقلت هل لى إلى ذلك الحال عودة؟ فقال هيهات لا يؤتمن الخائن، وأنشد يقول:

**من سارروه فأبدى السر مشتهرا — لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا**

**وأبعدوه ولم يسعد بقربهم — وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا**

**ومن أتاهم بهم لم يحجبوه به — حاشا ودادهم من ذلكم حاشا**

**فكن بهم ولهم فى كل نائبة — إليهم ما بقيت الدهر هشاشا**

**(الحكاية الخامسة والأربعون بعد المائتين: عن يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى)** قال: بلغنى أن ذا النون ﷺ تعلم اسم الله الأعظم، فخرجت من مكة قاصداً إليه حتى وافيته فى جيزة مصر، فأول ما بصر بى رآنى طويل اللحية وفى يدى ركوة كبيرة متزراً بمئزر وعلى كتفى مئزر وفى رجلىّ تاسومة، فاستبشع منظرى، فلما سلمت عليه كأنه ازدرانى وما رأيت منه تلك البشاشة، فقلت فى نفسى ترى مع من وقعت، فجلست عنده، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة جاءه رجل من المتكلمين فناظره فى شىء من الكلام، فاستظهر على ذى النون وغلبه، فاغتممت لذلك، فتقدمت وجلست بين أيديهما، واستملت المتكلم إلىّ وناظرته حتى قطعته، ثم دققت حتى لم يفهم كلامى، قال فعجب ذو النون من ذلك وكان شيخاً وأنا أصغر منه، فقام من مكانه وجلس بين يدىّ وقال اعذرنى، فإنى لم أعرف مكانك من العلم وأنت آثر الناس عندى، ومازال بعد

ذلك يبجلنى ويقدمنى على جميع أصحابه حتى بقيت على ذلك سنة كاملة، فقلت له بعد السنة: يا أستاذ أنا رجل غريب وقد اشتقت إلى أهلى، ولى فى خدمتك سنة، ووجب حقى عليك، وقيل لى إنك تعلم الاسم الأعظم، وقد جربتنى وعرفتنى، فإن كنت تعرفه فعلمنى إياه، قال فسكت عنى ولم يجبنى بشىء وأوهمنى أنه ربما علمنى، ثم سكت عنى ستة أشهر، فلما كان بعد ذلك قال: يا أبا يعقوب أليس تعرف فلاناً صديقنا بالفسطاط الذى يأتينا وسمى رجلاً، فقلت له بلى، قال فأخرج إلىّ طبقاً فوقه مكبة مشدودة بمنديل، فقال لى أوصل هذا إلى من سميت لك بالفسطاط، فأخذت الطبق فإذا هو خفيف كأنه ليس فيه شىء، فلما بلغت الجسر الذى بين الفسطاط والجيزة قلت فى نفسى: يوجه ذو النون بهدية إلى رجل فى طبق ليس فيه شىء؟ فأبصرن ما فيه، فحللت المنديل ورفعت المكبة، فإذا فأرة قد نفرت من الطبق فذهبت، فاغتظت وقلت سخر بى ذو النون، ولم يذهب وهمى فى الوقت إلى ما أراد، فرجعت إليه مغضباً، فلما رآنى تبسم وعرف القصة وقال: يا مجنون ائتمنتك على فأرة فخنتنى، فكيف أأتمنك على اسم الله الأعظم اذهب عنى فارتحل ولا أراك بعد هذا، فانصرفت عنه.

**(الحكاية السادسة والأربعون بعد المائتين: عن عمر البنانى رضي الله عنه)** قال: مررت براهب فى مقبرة وفى كفه اليمنى حصى أبيض وفى كفه اليسرى حصى أسود، فقلت يا راهب ما تصنع ههنا؟ قال إذا فقدت قلبى أتيت المقابر فاعتبرت بمن فيها، فقلت ما هذا الحصى الذى فى كفك؟ فقال أما الحصى الأبيض إذا عملت حسنة ألقيت منها واحدة فى الأسود وإذا عملت سيئة ألقيت من هذا الأسود واحدة فى الأبيض، فإذا كان الليل نظرت، فإن فضلت الحسنات على السيئات أفطرت وقمت إلى وردى، وإن فضلت السيئات على الحسنات لم آكل طعاماً ولم أشرب شراباً فى تلك الليلة، هذه حالتى والسلام عليك.

**(الحكاية السابعة والأربعون بعد المائتين عن ذى النون رضي الله عنه)** قال: لقيت شيبان المصاب، فقلت له ادع لى، فقال آنسك الله بقربه، ثم شهق شهقة وغشى عليه، ولم يفق إلا بعد يومين؛ فلما أفاق قال:

إن ذكــر الحـــبـيب هيج شـــوقى ثم حبُ الحـــبـيب أذهل عــقلى

وقال أيضاً رضي الله عنه:

ترى المحـبين صــرعى فى ديارهم كفتـيـة الكهف لا يدرون كم لبثـوا

والله لـو حلف العـــشـــاق أنهم قتلى من الحب يوم البين ما حنثوا

* وقـيل: أتى رجل إلى العـلاء بن زياد رضي الله عنه فـقـال له: إن آتيـا أتـانى فى منامى فقال لى: ائت العلاء بن زياد وقل له كم تبكى وقد غفـر لك؟ قال فبكى ثم قال: الآن يحق لى أن أهدأ. وأنشدوا:

ومــا فى الأرض أشـقى من مـحب وإن وجـــد الهـــوى حلـو المذاق

تــراه بـاكــــيـــــاً فـى كل حـين مــخــافــة فــرقـــة أو لاشــتـيــاق

فــيــبـكى إن نـأوا شـــوقــاً إلـيـهم ويبكى إن دنوا خـــوف الفـــراق

* وحكى عن الجنيـد رضي الله عنه أنه قـال: رأيت آدم عليه السلام فى المنام وهو يبكى، فقلت له مـا يبكيك، أليس قد غفر الله تعالى لك، ووعدك بالرجوع إلى الجنة؟ فناولنى ورقة مكتوبة، فاستيقظت من منامى ووجدتها فى يدى وإذا فيها:

أتحــــــرقنـى بـالنـار مـن النـوى ولـو نـار النـوى أحـــــرٌ مـن النـار

شـغـفت بجـار لا بدار سكنتـهـا على الجار أبكى لا على سكة الدار

ولـم يعـــدنّـى بالرجـــوع إلى المنى هـلكت ولكن نلت بالوعـد أوطارى

(**الحكاية الثامنة والأربعون بعد المائتين**) حكى أن سالما الحداد رضي الله عنه كان من الأبدال، وكـان يتـردد إلى فتح الموصلى رضي الله عنه، وكان إذا سـمع الأذان يتـغيـر لونه ويصفر ويضطرب ثم يثبت ويترك الحانوت مفتوحاً، وينشد:

إذا مـا دعـا داعيكم قمت مسرعاً مـجـيـبـاً لمولى جل ليس لـه مـثل

أجــيب إذا نـادى بسـمـع وطاعــة وبى نشـوة لبـيك يا من له الفـضل

ويصـفــر لونى خـيـفــة ومـهـابة ويرجع لى عن كل شـغل به شـغل

وحـقـكم مـا لذ لى غـيـر ذكـركم وذكر سواكم فى فمى قط لا يحلو

| | |
|---|---|
| متى تجمع الأيام بينى وبينكم | ويفرح مشتاق إذا جمع الشمل |
| فمن شاهدت عيناه نور جمالكم | يموت اشتياقاً نحوكم قط لا يسلو |

(**الحكاية التاسعة والأربعون بعد المائتين: عن بعض أصحاب فتح الموصلى** رضي الله عنه) قال: دخلت يوماً على فتح فوجدته يبكى وقد خالطت دموعه صفرة، فقلت له: بالله عليك يا سيدى فتح، هل بكيت الدم؟ فقال والله لولا أنك أقسمت بالله على ما أخبرتك، بكيت الدمع وبكيت الدم، فقلت علام بكيت الدمع؟ قال على تخلفى عن الله عز وجل، فقلت فعلام بكيت الدم؟ قال عن الدموع أن لا تصح لى، قال فلما توفى رأيته فى المنام، فقلت له ما فعل الله تعالى بك؟ قال غفر لى وقال: يا فتح بكيت كل هذا البكاء على ماذا؟ فقلت يا رب على تخلفى عن حقك، قال والدم لم بكيت؟ قلت يا رب على الدموع أن لا تصح لى، قال يا فتح فما أردت بهذا كله؟ وعزتى وجلالى لقد صعد إلى حافظاك منذ أربعين سنة بصحيفتك وما فيها خطيئة * قلت: قوله: أن لا تصح لى، معناه أن لا تقبل منى، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(**الحكاية الخمسون بعد المائتين: عن ذى النون** رضي الله عنه) قال: كنت فى جبال بيت المقدس، وإذا برجل قد اتزر بالخوف واتشح بالرجاء، فتقدمت إليه وسلمت عليه، فرد علىّ السلام، فقلت له من أين أقبلت يرحمك الله؟ قال من حظيرة الأنس، قلت وإلى أين تريد؟ قال إلى راحة النفس، ثم ولى وهو يقول:

| | |
|---|---|
| هجر الخلق كلهم وتخلى | فهو بالله طيب الخلوات |
| قال للنفس ساعدينى وجدى | ليس نقض العهود فعل الثقات |
| ليس من يطلب الحبيب فتورا | فأسيلى الدمع واهجرى الترهات |
| هل رأيتم مدللا فى عذاب | وعروسا تواصل العبرات |
| ملك جائع غنى فقير | مشرق وجهه من الحسنات |
| لم يرم عرسه الذى هو ماض | إنما رام عرسه الذى هو آتى |
| فلعمرى لتخلعن عليه | خلع العز مع جزيل الهبات |

**(الحكاية الحادية والخمسون بعد المائتين: عن بعضهم)** قال: خرجت فى بعض حوائجى فبينما أنا فى فلاة من الأرض إذا برجل يدور بشجرة شوك، ويأكل منها رطباً، فسلمت عليه، فقال وعليك السلام، تقدم وكل، فنزلت عن ناقتى وتقدمت إلى الشجرة، فكلما أخذت منها رطباً عادت شوكاً، فتبسم الرجل وقال هيهات لو أطعته فى الخلوات أطعمك الرطب فى الفلوات رضي الله عنه ونفعنا به آمين * وقال بعضهم: كنت مع ذى النون رضي الله عنه فى البادية، فنزلنا تحت شجرة أم غيلان، فقلنا ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب، فتبسم ذو النون وقال تشتهون الرطب، وحرك الشجرة وقال: أقسمت عليك بالذى ابتداك وخلقك شجرة إلا ما نثرت علينا رطبا جنيا، ثم حركها فنثرت رطباً جنيا، فأكلنا وشبعنا، ثم نمنا وانتبهنا وحركنا الشجرة، فنثرت علينا شوكا * وقال محمد بن المبارك الصورى رحمه الله تعالى: كنت مع إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه فى طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمانة، فصلينا ركعات وسمعت صوتاً من أصل تلك الرمانة يقول: يا أبا إسحاق أكرمنا بأن تأكل منا شيئاً، فطأطأ إبراهيم رضي الله عنه رأسه، فقال ثلاث مرات ثم قال: يا محمد كن شفيعنا إليه ليتناول منا شيئاً، فقلت له يا أبا إسحاق لقد سمعت فقام وأخذ رمانتين، فأكل واحدة وناولنى الأخرى فأكلتها وهى حامضة، وكانت شجرة قصيرة؛ فلما رجعنا من زيارتنا إذا هى شجرة عالية ورمانها حلو، وهى تثمر فى كل عام مرتين، وسموها رمانة العابدين، ويأوى إلى ظلها العابدون رضى الله عنهم، ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية الثانية والخمسون بعد المائتين: عن بعضهم)** قال: انكسرت بنا السفينة وبقيت أنا وامرأتى على لوح، وقد ولدت فى تلك الحالة صبية فصاحت بى وقالت يقتلنى العطش، فقلت هو ذا يرى حالنا، فرفعت رأسى فإذا برجل فى الهواء جالس وبيده سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت أحمر وقال: هاك اشربا، فأخذت الكوز وشربنا منه، فإذا هو أبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب من المسك، فقلت له من أنت يرحمك الله؟ فقال أنا عبد لمولاك فقلت بم وصلت لى هذا؟ فقال تركت الهوى لمرضاته فأجلسنى على الهواء، ثم غاب عنى فلم أره رضي الله عنه ونفعنا به آمين * وقال بعضهم: كنا بعسقلان شاب

يغشانا يتحدث معنا، فإذا فرغنا قام إلى الصلاة يصلى، فودعنى وقال أريد الإسكندرية، فخرجت معه وناولته دريهمات فأبى أن يأخذها، فألححت عليه فألقى كفا من الرمل فى ركوته، واستقى من ماء البحر وقال كلمة، فإذا هو سويق بسكر كثير، فقال: من كان حاله معه مثل هذا يحتاج إلى دراهمك؟ ثم أنشأ يقول:

**بحق الهوى يا أهل ودى تفهموا لسان وجود بالوجود غريب**

**حرام على قلب تعرض للهوى يكون لغير الحق فيه نصيب**

**(الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائتين: عن بعض أصحاب الشيخ أبى تراب النخشبى رضي الله عنه)** قال: كنا مع أبى تراب فى طريق مكة، فعدل عن الطريق إلى ناحية، فقال له بعض أصحابه: يا سيدى أنا عطشان، فضرب برجله الأرض، فإذا عين ماء زلال، فقال الفتى أحب أن أشربه فى قدح، فضرب بيده الأرض، فناوله قدحاً من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت، فشرب منه وسقانا، ومازال القدح معنا إلى مكة * وقال الأستاذ أبو على الدقاق رضي الله عنه: ظهرت علة بيعقوب بن الليث أعيت الأطباء، فقالوا له: فى ولايتك رجل صالح يسمى سهل ابن عبد الله رضي الله عنه لو دعا لك، لعل الله سبحانه وتعالى يستجيب له، فاستحضره وقال له: ادع الله تعالى لى، فقال سهل: كيف يستجيب دعائى فيك وفى حبسك مظلومون؟ فأطلق كل من كان فى حبسه، فقال سهل: اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة وفرج عنه، فعوفى فعرض مالا على سهل، فأبى أن يقبله، فقيل له لو قبلته ودفعته إلى الفقراء، فنظر إلى الحصباء فى الصحراء، فإذا هى جواهر، فقال من يعطى مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث؟.

**(الحكاية الرابعة والخمسون بعد المائتين: عن سعيد بن يحيى البصرى رضي الله عنه)** قال: أتيت عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه وهو جالس فى ظل، فقلت له: لو سألت الله عز وجل أن يوسع عليك الرزق لرجوت أن يفعل، فقال ربى أعلم بمصالح عباده، ثم أخذ حصاة من الأرض وقال: اللهم إن شئت أن تجعلها ذهبا فعلت، فإذا هى والله فى يده ذهب، فألقاها إلىّ وقال: أنفقها أنت فلا خير فى الدنيا للآخرة * وقال أبو زيد رضي الله عنه: دخل على أستاذى أبو على السندى وبيده جراب، فصبه فإذا هو جواهر، فقلت له من أين لك ذلك؟ قال أتيت واديا هناك فإذا

هو يضىء كالسراج، فحملت هذا منه * وقال الشيخ أبو بكر الكتانى رضي الله عنه: كنت فى طريق مكة تائهاً يوماً، فإذا بهيمان يلمع، فإذا به دنانير، فهممت أن أحمله وأفرقه على فقراء مكة، فهتف بى هاتف: إن أخذته سلبنا عنك فقرك.

**(الحكاية الخامسة والخمسون بعد المائتين عن حبيب العجمى)** حكى أن حبيبا العجمى رضي الله عنه كانت له زوجة سيئة الخلق، فقالت له يوماً: إذا لم يفتح الله عليك بشىء فأجر نفسك، واعمل فى الفاعل، فخرج إلى الجبانة وصلى إلى العشاء، ثم أتى بيته خجلاً من توبيخها مشغول القلب من شرها، فقالت أين أجرتك؟ فقال لها إن الذى استأجرنى كريم استحييت من استعجاله فمكث كذلك أياماً يصلى فى الجبانة إلى الليل، وتقول له زوجته أين أجرتك كل يوم، فيقول لها استأجرنى كريم فخفت من استعجاله، فلما طال عليه الحال، قالت له اطلب أجرتك من هذا أو أجر نفسك من غيره، فوعدها أنه يطلب الأجرة، وخرج إلى عادته، فلما أمسى عاد إلى منزله خائفاً منها، فرأى فى بيته دخانا ومائدة منصوبة، وزوجته مستبشرة فرحة، فقالت له: قد بعث لنا الذى استأجرك ما يبعث الكرام وقال رسوله لى: قولى لحبيب يجد فى العمل، وليعلم أنا لم نؤخر أجرته بخلا ولا عدما، فيقر عينا ويطيب نفسا، ثم أرته أكياسا مملوءة دنانير، فبكى حبيب وقال لزوجته: هذه الأجرة من كريم بيده خزائن السموات والأرض، فلما سمعت ذلك تابت إلى الله تعالى، وأقسمت أنها لا تعود إلى ما كانت عليه.

**(الحكاية السادسة والخمسون بعد المائتين عن عطاء الأزرق)** روى أن عطاء الأزرق رضي الله عنه دفعت إليه زوجته درهمين وقالت له اشتر لنا دقيقاً بهما، فخرج إلى السوق، فرأى مملوكاً يبكى، فقال له لم تبكى؟ فقال إن مولاى دفع إلى درهمين أشترى بهما شيئاً فسقطا منى، وأخاف أن يضربنى، فدفع إليه عطاء الدرهمين ومضى يصلى إلى وقت المساء، وانتظر شيئاً يفتح به عليه، فلم يفتح عليه بشىء، فقعد على دكان صديق له نجار، فقال له خذ من هذه النجارة لعلكم تحتاجون إليها تحمون بها التنور، فليس لى شىء أواسيك به، فأخذ ذلك فى جرابه ورجع إلى بيته وفتح الباب وطرح الجراب فى البيت، ومضى إلى المسجد فصلى فيه العشاء وقعد حتى مضى شىء من الليل رجاء

أن ينام أهله كيلا يخاصموه، ثم جاء إلى البيت فوجدهم يخبزون الخبز، فقال لهم من أين لكم الدقيق؟ قالوا من الذى حملته فى الجراب، ما بقيت تشترى لنا الدقيق إلا من الذى اشتريت لنا هذا منه، فقال أفعل هذا إن شاء الله تعالى.

**(الحكاية السابعة والخمسون بعد المائتين: عن بعض الصالحين)** قال: خرج رجل من عباد البصرة يشترى حزمة حطب، فسمع إقامة الصلاة فى بعض المساجد، فمال إليه وترك السوق، فرأى صرة فى طريقه مكتوبا عليها هذه الصرة فيها مئة دينار، فتركها ولم يعرج عليها وأقبل على صلاته ثم رجع إلى السوق فاشترى حزمة حطب ودخل بها إلى بيته، فلما حلها وجد الصرة فيها، فرفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم كما لم تنس عبدك من رزقك، فاجعله لا ينساك فى أوقات طاعتك وخدمتك، وجعل يقول: لو أقبلت على خدمته ونهيت نفسك عن معصيته رأيت لطائف إحسانه ونعمه * وقال بعض الفقراء: دخلت على أبى الخير، فناولنى تفاحتين، فجعلتهما فى جيبى، فقلت لا أتناولهما لكن أتبرك بهما لموضع الشيخ عندى فكانت تجرى على فاقات ولا أتناولهما حتى أجهدتنى الفاقة مرة، فأخرجت واحدة فأكلتها، ثم أدخلت يدى لأخرج الأخرى، وإذا بالتفاحتين مكانهما، فمازلت آكل منهما حتى دخلت الموصل فجزت على خرابة، وإذا بعليل ينادى من الخرابة: أشتهى تفاحة ولم يكن وقت التفاح فأخرجت التفاحتين وناولتهما إياه، فأكلهما وخرجت روحه من وقته، فعلمت أن الشيخ إنما أعطانيهما من أجل ذلك العليل.

**(الحكاية الثامنة والخمسون بعد المائتين: عن ذى النون المصرى رضي الله عنه)**

قال: كان عندنا فتى من أهل خراسان بقى عندنا فى المسجد سبعة أيام لم يطعم الطعام، وكنت أعرض عليه فيأبى، فدخل ذات يوم إنسان يطلب شيئاً، فقال له الخراسانى: لو قصدت الله عز وجل دون خلقه أغناك، فقال السائل مالى هذا المكان، فقال الخراسانى أى شىء تريد؟ قال ما سد فاقتى وستر عورتى، فقام الخراسانى إلى المحراب وصلى ركعتين، ثم أتى بثوب جديد وطبق فيه فاكهة، فأعطاه السائل، قال ذو النون المصرى رضي الله عنه: فقلت له: يا عبد الله لك هذا الجاه عند الله عز وجل، وأنت منذ سبعة أيام لم تطعمَ شيئاً، فجثا على ركبتيه وقال: يا أبا الفيض كيف تتبسط الألسن بالمسئلة، والقلوب ممتلئة

بأنوار الرضا عنه؛ فقلت له والراضون لا يسألون شيئاً، فقال منهم من يسأل من الإدلال، ومنهم من يسأله عناية، ومنهم من يسأل عطفاً على غيره، ثم أقيمت الصلاة فصلى معنا، وأخذ ركوته وخرج من المسجد كأنه يريد الطهارة، فلم أره بعد ذلك، رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية التاسعة والخمسون بعد المائتين عن بعضهم)** قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه على ساحل البحر، فانتهينا إلى غيضة فيها حطب كثير يابس، فقلنا لإبراهيم لو أقمنا الليلة ههنا وأوقدنا من هذا الحطب؟ فقال، افعلوا، فأوقدنا وكان معنا خبز فأكلنا: فقال واحد منا: ما أحسن هذا الجمر لو كان لنا لحم نشويه! فقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه إن الله عز وجل قادر على أن يطعمكموه، قال فبينما نحن كذلك إذا بأسد يطرد إبلاً فلما قرب منا وقع جمل فاندق عنقه، فقام إبراهيم وقال اذبحوه فقد أطعمكم الله تعالى فشوينا من لحمه والأسد واقف ينظر إلينا * وقال إبراهيم الخراساني رضي الله عنه: احتجت يوماً إلى الوضوء، فإذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة ألين من الخز فاستكت وتوضأت وتركتهما وانصرفت، قال وبقيت في بعض سياحاتي أياماً لم أر فيها أحداً من الناس ولا طير ولا ذا روح، وإذا بشخص لا أدري من أين خرج، فقال لي قل لهذه الشجرة تحمل دنانير، فقلت احملي دنانير فلم تحمل، ثم قال لها احملي وإذا بشماريخ الشجرة دنانير معلقة فاشتغلت أنظر إليها ثم التفت فلم أر الشخص وذهبت الدنانير من الشجرة، رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الستون بعد المائتين عن بعضهم)** قال: كنت أنا وصاحب لي نتعبد في بعض الجبال، وكان صاحبي يأكل من نبات الأرض، وأما أنا فكانت ظبية تأتيني كل يوم وتدنو مني وتفتح رجليها فأشرب لبنها ثم تذهب عني، ودمنا على هذه الحالة مدة، وكان صاحبي بعيداً مني فجاءني يوماً وقال: قد نزل بقربنا نفر من البدو فتعال بنا نمشي لعله يحمل لنا منهم شيء من لبن أو غيره، فامتنعت، فلم يزل يلح عليّ حتى وافقته، فذهبنا إليهم فأطعمونا من طعامهم ورجعنا وعاد كل واحد منا إلى مكانه الذي كان فيه، ثم إني انتظرت الظبية في الوقت الذي كانت تأتيني فيه فلم تأت، ثم انتظرتها بعد ذلك فلم تأتن وانقطعت عني، فعلمت أن ذلك بشؤم ذنبي الذي أحدثته بعد أن كنت

مستغنياً بلبنها * قلت: الظاهر والله أعلم أن الذنب الذى ذكر ثلاثة أشياء: أحدها خروجه عن التوكل الذى قد كان دخل فيه. والثانى طمعه وعدم قناعته بالرزق الذى قد كان مستغنياً به، والثالث أكله طعاماً خبيثاً ليس بطيب، فحرمه رزقاً طيباً حلالاً محضاً أخرجته القدرة الإلهية من باب العدم، فأدخلته فى باب الإيجاد بمحض الجود والكرم آتياً من طريق باب خرق العادة كرامة لولى من أوليائه، أولى السعادة كان وعاؤه طيباً يصلح للطيبات كهذه التحف المحبوبة فنجسة بنجاسة لا يطهرها إلا ماء عين التوكل بعد أن يغتسل بماء عين التوبة مع صابون الصدق فى مغسلة الاستغفار على شاطىء فرات الأسحار، ثم يصفى بماء معين الصفا ويرش عليها ماء ورد الوفا ويقرأ عليها آية وحديث، فيسمعها بأذن قلب موقن إيقان «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا» ثم ينشد عنده وأذنا قلبه سامعتان هذين البيتين:

**حقيقة العبد عندى فى توكله ... سكون إحساسه عن كل مطلوب**

**وأن تراه لكل الخلق مطرحا ... يصون أسراره عن كل محبوب**

فإن لم يقدر على جميع ما وصفنا بل هو عاجز مثلنا فليعترف بما اعترفت به من نحسى وينشد ما قلته فى ذم نفسى:

**إلهى ها أنا العاصى خليا ... من الإحسان حاو للمساوى**

**فلا فعلى لأقوالى مضاهى ... ولا قولى لأفعالى مساوى**

**كنويا خائنا لم أوف عهدا ... ولم أصدق بمضمون الدعاوى**

**فسامح مذنبا وارحم ضعيفا ... وآنس موحشا فى القبر ثاوى**

**فقد عودتنا السراء فضلاً ... وعنا أنت: للضراء زارى**

**لنا معروفك المعروف بحر ... به العطشان للغفران راوى**

**(الحكاية الحادية والستون بعد المائتين: عن ذى النون المصرى رضي الله عنه)**

قال: خرجت من مصر إلى بعض القرى، فنمت فى الطريق، وانتبهت وفتحت

عينى فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من شجرة، فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان إحداهما من ذهب والأخرى من فضة، فى إحداهما سمسم، وفى الأخرى ماء ورد، أو قال ماء، فأكلت من هذه وشربت من هذه، فقلت حسبى ولزمت الباب إلى أن قبلنى وقيل: خرج إنسان من أهل الخير لطلب الرزق فى وقت حصاد الزرع، فأصابه المطر فأوى إلى كهف فوجد فيه عقاباً أعمى، فبقى متفكراً من أين يأكل ذلك العقاب؟ وإذا بحمامة قد دخلت تستكن فى الكهف من المطر فوقعت فوق العقاب فأمسكها العقاب فأكلها فرجع ذلك الإنسان إلى مكانه وتوكل على الله عز وجل.

**(الحكاية الثانية والستون بعد المائتين: عن بعض الأكراد ممن كان يقطع الطريق وينهب الأموال)** قال: بينما أنا وجماعة من أصحابى جلوس وقد خرجنا لقطع الطريق. وانتهينا إلى مكان فيه ثلاث نخلات، واحدة منهن ليس فيها تمرة، وإذا بعصفور يحمل رطبة من نخلة مثمرة إلى رأس النخلة التى ليس فيها تمر، حتى تكرر منه ذلك عشر مرات وأنا أنظر، فخطر بقلبى أن أقوم فأنظر، فصعدت النخلة فإذا فى رأسها حية فاتحة فاها، والعصفور يضع الرطب فيه، فبكيت وقلت: سيدى، هذه حية قد أمر نبيك ﷺ بقتلها، فلما أعميتها أقمت لها عصفوراً يقوم لها بالكفاية وأنا عبدك أقر بأنك إله واحد أقمتنى لقطع الطريق وإخافة السبيل، فوقع بقلبى: يا فلان بابى مفتوح للتوبة، فكسرت سيفى ووضعت التراب على رأسى وصحت: الإقالة الإقالة، فإذا بهاتف يقول قد أقلناك، فأتيت رفقائى فقالوا مالك أزعجتنا؟ فقلت كنت مهجوراً وقد صولحت، وحكيت لهم القصة، فقالوا ونحن نصالح أيضاً، فرمينا ثيابنا وسلاحنا وأحرمنا وقصدنا مكة، وقمنا نمشى ثلاثة أيام فى البرية، ثم دخلنا قرية فإذا نحن بعجوز عمياء، فمررنا عليها، فسألتنا أفيكم فلان الكردى؟ فقلنا نعم، فأخرجت ثياباً وقالت مات ولدى وخلف هذه الثياب، فرأيت النبى ﷺ فى النوم ثلاث ليال يقول لى: أعطى هذه الثياب فلانا الكردى، قال فأخذتها واكتسيت بها أنا وأصحابى، ثم مضينا إلى أن أتينا مكة.

**(الحكاية الثالثة والستون بعد المائتين عن عبد الواحد بن زيد)** روى أن عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه كان يجلس إليه أناس من قريش، فأتوه يوماً وقالوا:

إنا نخاف من الضيعة، فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إنى أسألك باسمك المرتفع الذى تكرم به من شئت من أوليائك، وتلهمه الصفى من أحبابك، أن ترزقنا برزق من لدنك الساعة، تقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا، إنك أنت الحنان المنان القديم الإحسان، اللهم الساعة الساعة، فسمعوا قعقعة السقف، ثم تناثرت عليهم دنانير ودراهم، فقال عبد الواحد: استغنوا بالله عز وجل عن غيره، فأخذوا ذلك ولم يأخذ عبد الواحد منه شيئاً رحمه الله تعالى ونفع به آمين.

**(الحكاية الرابعة والستون بعد المائتين عن بعضهم)** حكى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أن اخرج إلى ساحل البحر تبصر عجبا، فخرج سليمان ومن معه من الجن والإنس؛ فلما وصل الساحل التفت يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً، فقال لعفريت: غص فى هذا البحر ثم ائتنى بعلم ما تجد فيه، فغاص ثم رجع بعد ساعة وقال: يا نبى الله إنى غصت فى هذا البحر كذا وكذا فلم أصل إلى قعره، ولا وجدت فيه شيئاً، فقال لعفريت آخر: غص فى هذا البحر وائتنى بعلم ما تجد فيه، فغاص ثم رجع بعد ساعة وقال مثل قول الأول إلا أنه غاص مثل الأول مرتين، فقال لآصف بن برخيا وهو وزيره الذى ذكره الله تعالى فى القرآن بقوله (قال الذى عنده علم من الكتاب) ائتنى بعلم ما فى البحر، فجاءه بقبة من الكافور الأبيض لها أربعة أبواب: باب من در وباب ياقوت، وباب من جوهر وباب من زبرجد أخضر، والأبواب كلها مفتحة ولا يدخلها قطرة من الماء، وهى فى داخل البحر فى مكان عميق، مثل مسيرة ما غاص فيه العفريت الأول ثلاث مرات، فوضعها بين يدى سليمان ﷺ، وإذا فى وسطها شاب حسن الشباب نقى الثياب وهو قائم يصلى، فدخل سليمان القبة، وسلم على ذلك لشاب وقال له: ما أنزلك فى قعر هذا البحر؟ قال يا نبى الله إنه كان أبى رجلاً مقعدا وكانت أمى عمياء، فأقمت فى خدمتهما سبعين سنة، فلما حضرت وفاة أمى قالت: اللهم أطل حياة ابنى فى طاعتك، ولما حضرت وفاة أبى قال: اللهم استخدم ولدى فى مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل، فخرجت إلى هذا الساحل بعد ما دفنتهما فنظرت هذه القبة موضوعة، فدخلتها لأنظر حسنها، فجاء ملك من الملائكة

فاحتمل القبة وأنزلنى فى قعر هذا البحر، قال سليمان، ففى أى زمان كنت أتيت هذا الساحل؟ قال فى زمان إبراهيم الخليل ﷺ، فنظر سليمان ﷺ فى التاريخ فإذا له ألفا سنة وهو شاب لا شيب فيه، قال: فما كان طعامك وشرابك داخل هذا البحر؟ قال يا نبى الله يأتينى كل يوم طير أخضر فى منقاره شىء أصفر مثل رأس الإنسان فآكله، فأجد فيه طعم كل نعيم فى دار الدنيا، فيذهب عنى الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والنعاس والفترة والوحشة، فقال رده يا آصف، فرده ثم التفت فقال: انظروا كيف استجاب الله دعاء الوالدين، فأحذركم عقوق الوالدين يرحمكم الله، اللهم ألهمنى برهما.

**(الحكاية الخامسة والستون بعد المائتين: عن ذى النون ؓ)** قال: أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى ﷺ: يا موسى كن كالطير الوحدانى يأكل من رءوس الأشجار، ويشرب من الماء القراح، أو قال من الأنهار، إذا جنه الليل أوى إلى كهف من الكهوف استئناساً بى واستيحاشاً ممن عصانى، يا موسى إنى آليت على نفسى أن لا أتم لمدع عملاً، ولأقطعن أمل من أمل غيرى، ولأقصمن ظهر من استند إلى سواى، ولأطيلن وحشة من أنس بغيرى، ولأعرضن عمن أحب حبيباً سواى؛ يا موسى إن لى عباداً إن ناجونى أصغيت إليهم، وإن نادونى أقبلت عليهم، وإن أقبلوا علىّ أدنيتهم منى وإن دنوا منى قربتهم إلىّ، وإن تقربوا منى واصلتهم وكفيتهم، وإن والونى واليتهم، وإن صافونى صافيتهم، وإن عملوا لى جازيتهم، فأنا مدبر أمرهم وسائس قلوبهم ومتولى أحوالهم، لم أجعل بقلوبهم راحة فى شىء لا فى ذكر، فهو شفاء لأسقامهم، وعلى قلوبهم ضياء، لا يستأنسون إلا بى، ولا يحيطون رحال قلوبهم إلا عندى، ولا يستقر بهم قرار فى الإيواء إلا إلىّ، اللهم ألحقنا بهم يا رب العالمين.

**(الحكاية السادسة والستون بعد المائتين عن بعضهم)** حكى أن رجلاً جاء إلى الفضيل ؓ وهو جالس فى المسجد، فسلم عليه ثم جلس عنده، فقال له الفضيل لم جئت؟ قال: للأنس بك يا أبا على، فقال الفضيل ما هى والله إلا لوحشة إما أن تقوم عنى وإلا قمت عنك، فقام الرجل * وعن إبراهيم بن أدهم ؓ قال: إن أدمت النظر فى مرآة التوبة بان لك قبح المعصية * وقال أقلوا معرفتكم من الناس، ولا تتعرفوا إلى من لم تعرفوا، وأنكروا من تعرفون

واهربوا منهم كهربكم من السبع الضارى، ولا تتخلفوا عن الجمعة والجماعة.
وقال بعضهم: أنتم تتعرفون بالمناكير ونحن ننكر المعاريف * وأنشد بعضهم:

**ولما بلوت الناس أطلب صاحبا أخا ثقة عند ارتكاب الشدائد**

**تفكرت فى الدنيا رخاء وشدة وناديت فى الأحياء هل من مساعد**

**فلم أر فيما ساءنى غير شامت ولم أر فيما سرنى غير حاسد**

* قلت وهذا المذكور عن إبراهيم بن أدهم وغيره هو أحد مذهبين للسلف رضي الله عنهم، منهم من لا يرى اتخاذ الإخوان والتعرف بالناس لأنه أقرب إلى السلامة من الآفات، وأبعد من تحمل الحقوق فى المخالطات، وأفرغ للاشتغال بالطاعات، ومنهم من يرى ذلك الظاهر أحاديث وردت فى الترغيب فى صحبة الإخوان المتقين الأخيار الذين تبقى صداقتهم فى الأخرى كما قال تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) اللهم اجعلنا منهم ❖ وقال أحمد بن أبى الحوارى رضي الله عنه لما سئل عن طريق النجاة قال: هيهات إن بيننا وبين تلك الطريق عقبات وتلك العقبات لا تقطع إلا بالسير الحثيث، وتصحيح المعاملة، وحذف العلائق الشاغلة.

**(الحكاية السابعة والستون بعد المائتين عن بعضهم)** قال بعضهم: كنا مع إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه فأتاه الناس فقالوا يا أبا إسحاق إن الأسد وقف على طريقنا فأتى إبراهيم إلى الأسد فقال له يا أبا الحارث إن كنت أمرت فينا بشىء فامض لما أمرت به، وإن لم تؤمر بشىء فتنح عن طريقنا، فأدبر الأسد وهو يهمهم، فقال إبراهيم وما على أحدكم أن يقول إذا أصبح وأمسى: اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام، واحفظنا بركنك الذى لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا * وقال إبراهيم الخواص رضي الله عنه: كنت فى البادية مرة فسرت فى وسط النهار فإذا أنا بسبع عظيم أقبل علىّ وقد نزلت تحت شجرة فاستسلمت، فلما قرب منى إذا هو يعرج، فهمهم وبرك بين يدى ووضع يده فى حجرى فنظرت فإذا يده منتفخة فيها قيح ودم، فأخذت خشبة وشققت الموضع الذى فيه القيح والدم وشددت على يده خرقة ومضى، فإذا أنا به بعد ساعة ومعه شبلان يبصبصان فحملا إلىّ رغيفين * وقال الخواص

أيضاً كنت فى طريق مكة فدخلت إلى خرابة بالليل فإذا فيها سبع عظيم فخفق فهنف بى هاتف اثبت، فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك.

**(الحكاية الثامنة والستون بعد المائتين: عن سفيان الثورى ﵁)** قال: خرجت حاجا أنا وشيبان الراعى، فلما صرنا ببعض الطريق إذا نحن بأسد قد عارضنا، فقلت لشيبان أما ترى هذا الكلب قد عرض لنا؟ فقال لا تخف يا سفيان فما هو إلا أن سمع الأسد كلام شيبان فبصبص وحرك ذنبه مثل الكلب، فالتفت إليه شيبان وعرك أذنه، فقلت له ما هذه الشهرة، فقال وأى شهرة هذه يا ثورى؟ لولا كراهة الشهرة ما حملت زادى إلى مكة إلا على ظهره * وحكى أن بعضهم كان فى بعض الجبال وكان إذا أصابه المطر والبرد يأتيه بعض الأسود ويبرك عليه ويدفئه.

**(الحكاية التاسعة والستون بعد المائتين عن المؤلف)** قال المؤلف غفر الله له: أخبرنى بعض الإخوان الصالحين قال: غضبت على نفسى يوماً فقلت لها: اليوم أرميك فى المهالك وكنت فى موضع قريب من الأسود، فجئت فاضطجعت بين شبلين صغيرين ثم أقبل أبوهما بعد ساعة وهو حامل فى فمه لحماً، فلما رآنى وضعه من فمه وجلس بعيداً منى، ثم أقبلت أمهما وهى حاملة لحماً أيضاً، فلما رأتنى رمت باللحم وصاحت وحملت على فتلقاها الأسد بيده ووضعها، فجلست لم يتحركا، فمكثا ساعة ثم جاء الأسد يمشى قليلاً قليلاً، فأخذهما بلطف ورمَاهما إلى أمهما واحداً بعد واحد ❖ قلت: وهذا من عجيب لطف الله تعالى بأوليائه ﵃ وعن سائر الصالحين.

**(الحكاية السبعون بعد المائتين عن بعضهم)** روى أن بعض المشايخ غضب عليه بعض الولاة، فأمر بإلقائه بين يدى الأسد، فأخذ الأسد يشمه ولا يضره، أو قال يبصبص له، فقيل للشيخ: كيف وجدت قلبك فى ذلك الوقت؟ فقال: كنت أتفكر فى سؤر السباع ولعابها، يعنى فى طهارته، وكلام العلماء فى ذلك ﵃ * وقيل: قصد جماعة من الفقهاء زيارة بعض الشيوخ، فلما أتوه صلوا خلفه، فسمعوه يلحن فى قراءته، فتغير اعتقادهم فيه؛ فلما ناموا أجنبوا كلهم تلك الليلة، فخرجوا فى السحر يغتسلون، ووضعوا ثيابهم عند بركة ماء هناك ونزلوا

فى الماء، فجاء الأسد وجلس على ثيابهم، فلاقوا شدة من شدة البرد، فجاء الشيخ وأخذ بأذن الأسد وقال: ما قلت لك لا تتعرض لضيفانى؟ ثم قال لهم: أنتم اشتغلتم بإصلاح الظاهر فخفتم الأسد، ونحن اشتغلنا بإصلاح الباطن فخافنا الأسد رضي الله عنه * قلت: سألت بعض الإخوان الصالحين المنقطعين فى البرارى، فقلت له: كيف كان حالك مع الأسود؟ فقال ألبست عيبة الله فكنت أسد الأسود، وكانت إذا رأتنى هربت، رضى الله تعالى عنهم * وفيهم قلت:

| | |
|---|---|
| هم الأسد حقاً والأسود تهابهم | وما النمر ما أظفار فهد ونابه |
| وما الرمى بالنشاب ما الطعن بالقنا | وما الضرب بالماضى الكمى ذبابه |
| من الله خافوا لا سواه فخافهم | جميع جمادات الورى ودوابه |
| لهم همم للقطاعات قواطع | لهم قلب أعيان المداد انقلابه |
| لهم كل شىء طائع ومسخر | فلا قط يعصيهم بل الطوع دأبه |
| بترك الهوى أمسوا يطيرون فى الهوا | ويمشون فوق الماء من جنابه |
| لقد شمروا فى نيل كل عزيمة | ومكرمة مما يطول حسابه |
| إلى أن جنوا ثمر الهوى بعد ما جنى | عليهم وصار الحب عذباً عذابه |
| وحتى استحال المر فى الحال حالياً | وحتى دنا النائى وهانت صعابه |
| عليهم من الرحمن أزكى تحية | وأفضل رضوان ولازال بابه |
| مدا الدهر مفتوحا لإكرام وافد | به أقبلت تقرى الفيافى ركابه |
| ولازال ذاك القرب والأنس والصفا | ولا حال من دون الحبيب حجابه |

**(الحكاية الحادية والسبعون بعد المائتين: عن بعضهم)** قال: سمعت سمنون يتكلم فى المحبة وهو جالس فى المسجد، إذ جاء طير صغير، فقرب منه، فلم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره على الأرض حتى سال منه الدم ثم مات، وتكلم يوماً فى المحبة، فتكسرت قناديل المسجد كلها * وقال الشيخ أبو الربيع المالقى رضي الله عنه: كنت فى بعض سياحاتى منفرداً، فقيض الله لى طيراً، إذا كان الليل ينزل قريباً منى يبيت يسامرنى، فكنت أسمعه فى

الليل ينطق: يا قدوس يا قدوس، فإذا أصبح صفق بجناحيه وقال: سبحان الرزاق * وقال السرى رضي الله عنه: كنت ليلة فى قرية من قرى الشام، وإذ بصوت يصيح: أسأت فلا أعود؛ فلما أصبحت سألت عن الصوت، فقيل لى إنه طائر، فقلت ما يقال له، قالوا فاقد إلفه، ثم سمعت فى الوقت صوتاً ولم أر شخصاً وهو ينشد ويقول:

**طيـر نحـيل بأرض الشـام أقلقـه ذكـر الحـبيب له نطق بإضـمـار**

**يقـول أخطأت حتى الصبح يسعده صـوت شـجى ويبكى وقت أسـحـار**

* وروى أن أبا مسلم الخولانى رضي الله عنه كان مع المسلمين فى غزاة بأرض الروم، فبعث الوالى سرية إلى موضع، وجعل الميعاد بينه وبينها يوماً معلوماً، فجاء الميعاد ولم تقدم السرية، فحزن الوالى والمسلمون، فبينما هم فى الحزن وأبو مسلم يصلى إلى رمحه المركوز فى الأرض، جاء طير وجلس على رأس الرمح وقال: إن السرية قد سلمت وغنمت، وسترد عليكم يوم كذا وقت كذا، قال أبو مسلم: من أنت يرحمك الله؟ فقال الطير: أنا مذهب الحزن عن قلوب المؤمنين، فجاءت السرية كما ذكر.

(**الحكاية الثانية والسبعون بعد المائتين: عن خير النساج رضي الله عنه**) قال: كنا فى المسجد، فجاء الشبلى رضي الله عنه فى حال سكره: أى فى حال ورد عليه، فنظر إلينا ولم يكلمنا، وتهجم على الجنيد رضي الله عنه وهو جالس فى بيته وعنده زوجته، فأرادت أن تستتر، فقال لها الجنيد لا بأس عليك، هو غائب لا علم له بك، فصفق الشبلى على رأس الجنيد، وأنشأ يقول:

**عـودونى الوصـال والوصل عـذب ورمـونى بالصـد والصـد صـعب**

**زعـمـوا حين عـاتبـوا أن جـرمى فــرط حــبى ومــا ذاك ذنب**

**لا وحسن الخضوع عند التلاقى مــا جــزا من يحب ألا يحب**

فاهتز الجنيد وقال: هو ذاك يا أبا بكر، فخر مغشيّاً عليه، ثم بعد ساعة بكى الشبلى، فقال الجنيد لامرأته استترى عنه فقد أفاق، رضي الله عنه ونفعنا به * وقال بعضهم: دخلت على الشبلى وهو ينتف اللحم من حاجبه بمنقاش، فقلت

له يا سيدى إنك تفعل هذا بنفسك ويعود ألمه إليك؟ فقال ويحك، لى ظهرت الحقيقة ولست أطيقها، فأنا أدخل على نفسى الألم لعلى أحس به. فيستتر ذلك عنى، فلا وجدت الألم ولا ستر ذلك عنى ولا لى به طاقة، وقال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه: كنت أسمع السرى رضي الله عنه يقول: قد يبلغ العبد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به، قال وكان فى قلبى من ذلك شىء حتى بان لى الأمر كذلك * قلت: ومما يشهد لصحة ذلك قوله تعالى (فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن) جاء فى التفسير: أنهن لم يشعرن بتقطيع أيديهن، وهذا فى محبة مخلوق، فكيف فى محبة الخالق جل وعلا؟ وما ينكر ذلك إلا من لم يذق ذلك، ولم يصدق بأحوال القوم، وكذلك يشهد له ما اشتهر عن بعضهم أنه ظهرت برجله الأكلة، فدخل عليه الحكماء وقالوا: إن لم تقطع رجله مات، فقالت أمه دعوه حتى يدخل فى الصلاة، فإنه لا يحس بشىء إذا دخل فيها، فتركوه حتى دخل فيها ثم قطعوا رجله، ولم يشعر بذلك رضي الله عنه ونفعنا به، وكذلك يشهد له ما اشتهر أن الشيخ أبا حفص النيسابورى الحداد رضي الله عنه سمع قارئاً يقرأ آية من القرآن، فورد على قلبه وارد غاب عن إحساسه، فأدخل يده فى النار وأخرج الحديدة المحماة بيده، فرأى تلميذ له ذلك، فصاح يا أستاذ ما هذا؟، فنظر أبو حفص إلى ما ظهر عليه، فترك الحرفة وقام من حانوته رضي الله عنه ونفعنا به * قال الشيوخ العارفون رضى الله تعالى عنهم الغيبة معناها غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لاشتغاله بما ورد عليه، ثم قد يغيب الشخص عن إحساسه بنفسه وغيره * قال أبو سعيد الخراز رضي الله عنه: تهت فى البادية فكنت أقول:

أتيه فلا أدرى من التيه من أنا ... سوى ما يقول الناس فىَّ وفى جنسى
أتيه على حسن البلاد وأنسها ... فإن لم أجد شخصاً أتيه على نفسى

فسمعت هاتفاً يهتف بى ويقول:

أيا من يرى الأسباب أعلى وجوده ... ويفرح بالتيه الدنىء وبالأنس
فلو كنت من أهل الوجود حقيقة ... لغبت عن الأكوان والعرش والكرسى
وكنت بلا حال مع الله واقفا ... تصان عن التذكار للجن والإنس

* قال الشيوخ رضى الله تعالى عنهم: الصحو رجوع من الغيبة إلى الإحساس، والسكر بوارد قوى، والفرق بين السكر والغيبة أن الغيبة تكون بوارد من ذكر عقاب أو ثواب ينشئان من شدة الخوف أو قوة الرجاء؛ وأما السكر فلا يكون إلا لأصحاب المواجيد، فإذا كوشف العبد بنعوت الجمال حصل له السكر وطرب الروح، وهام القلب * وأنشد:

**فصحوك من لفظى هو الوصل كله وسكرك من لحظى يبيح لك الشربا**

**فما مل ساقيها وما مل شارب عقار لحاظ كأسه يسكر القلبا**

قالوا: وإذا كوشف بأوصاف الجلال ظهرت من سلطان الحقيقة صفة القهر وأنشدوا:

**إذا طلع الصباح كنجم زاح تساوى فيه سكران وصاحى**

قال الله عز وجل (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا، وخر موسى صعقا).

**(الحكاية الثالثة والسبعون بعد المئتين عن بعضهم)** روى أنه كان شاب يصحب الجنيد رضي الله عنه، فكان إذا سمع شيئا من الذكر زعق، فقال له الجنيد يوما: إن فعلت ذلك مرّة أخرى لم تصحبنى، فكان إذا سمع يتغير ويضبط نفسه حتى يقطر من كلّ شعرة قطرة دم من بدنه، فلما كان بعض الأيام صاح صيحة تلفت فيها نفسه، رضي الله عنه. وقال الشيخ أبو علىّ الروذبارى رضى الله تعالى عنه: جزت يوما بقصر، فرأيت شابا حسن الوجه مطروحا وحوله ناس مجتمعون، فسألت عنه، فقالوا إنه جاز بهذا القصر فسمع جارية تغنى وتقول:

**كبرت همة عبد طمعت فى أن تراكا**

**أو ما حسب لعين أن ترى من قد رآكا**

فشهق ومات رحمه الله تعالى:

**(الحكاية الرابعة والسبعون بعد المئتين: عن بعضهم)** قال: دخل عمرو بن عثمان المكى رضي الله عنه أصبهان، وكان فى صحبته شاب من أهلها، وكان والده يمنعه من صحبة الصوفية، فمرض الشاب، ودخل عليه الشيخ عمرو ابن عثمان ومعه

قوّال، فنظر الشاب إلى الشيخ وقال: يا سيدى قل له يقول شيئا، فقال القوّال:

**مالى مرضت فلم يعدنى عائد     منكم ويمرض عبدكم فأعود**

فتمطى الشاب على فراشه وجلس وقال للقوّال زدنى، فقال:

**وأشدّ من مرضى علىّ صدودكم     وصدود عبدكم علىّ شديد**

فزاد به البرد إلى أن قام وخرج مع الجمع، فسئل عمرو بن عثمان رضى الله تعالى عنه عن ذلك؟ فقال: إن الإشارة إذا كانت قبل السماع كانت من فوق، فالعليل منها يشفى، وإذا كانت بعد السماع كانت من تحت، فالعليل منها يهلك. قال بعضهم: أراد إشارة المنادمة إذا وردت قبل السماع شفعت، وإذا وردت بعده أهلكت، لفقد القوّة كالمريض ينتكس مرضه بأدنى شىء، وإذا انتكس كان أشدّ عليه من ابتداء المرض، لفقد قوّته، وكثيرا ما يهلك بالانتكاس.

**(الحكاية الخامسة والسبعون بعد المئتين: عن بعض السلف)** قال: دخلت البادية مع خمسة نفر من الفقراء، وكان فيهم قوّال ينشد شيئا، وكان فى القوم فقير صاحب وجد، وكان دائما يقول للقوّال قل ثم يتواجد، فزجرته يوما وقلت له: كم هذا الوجد؟ فسكت عنى ولم يجبنى ورجع إلى حاله؛ فلما كان بعد مدة، نظرت إلى خلفى فإذا بذلك الفقير يرقص فى الهواء فرجعت إليه لأستحلّ منه مما زجرته، فغاب عنى وبقيت حسرة فقده فى قلبى، وسئل أبوالقاسم الجنيد رضي الله عنه: ما بال الإنسان يكون هادئا، فإذا سمع السماع اضطرب؟ فقال: إن سبحانه وتعالى لما خاطب الذرّ فى الميثاق الأوّل فى قوله تعالى (ألست بربكم؟ قالوا بلى) استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح، فإذا سمعوا السماع حرّكهم ذكر ذلك. وسئل أبو إسحاق إبراهيم الخوّاص رضي الله عنه: ما بال الإنسان يتحرّك عند سماع غير القرآن، ويجد ما لايجد فى سماع القرآن:؟ فقال: إن سماع القرآن صدمة لايمكن لأحد أن يتحرّك فيه لشدة غلبته وسماع القول ترويح فيتحرّك فيه. وسئل ذو النون رضي الله عنه عن السماع؟ فقال: وارد حقّ يزعج القلوب إلى الحقّ، فمن أصغى إليه بحقّ يحقق، ومن أصغى إليه بفسق تزندق. وقال أبو القاسم النصراباذى: السماع على قدر قوّة القلب وصفائه وكشفه من الله عجائب القرب والغيب. وقال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه: الرحمة تنزل على

الفقراء فى ثلاثة مواطن: عند السماع، لأنهم لايسمعون إلا عن حقّ، ولايقومون إلا عن وجد. وعند أكل الطعام، فإنهم لايأكلون إلا عن فاقة. وعند مجاراة العلم، فإنهم لايذكرون إلا صفة الأولياء.

**(الحكاية السادسة والسبعون بعد المئتين عن بعضهم)** روى أنه صاح الشبلى رضى الله تعالى عنه يوما فى السماع، فقيل له فى ذلك، فقال:

**لو يسمعون كما سمعت كلامها    خرّوا لعزّة ركعا وسجودا**

وسمع أيضا منشدا يقول:

**أسائل عن سلمى فهل من مخبر    يكون له علم بها أين تنزل**

فصاح وقال: والله ما فى الدارين عنه مخبر. وسمع أبو الحسين النورى رضى الله تعالى عنه منشدا يقول:

**مازلت أنزل من ودادك منزلا    تتحير الألباب دون نزوله**

فتواجد وهام فى الصحراء، ووقع فى أجمة قصب قد قطع، وبقيت أصوله مثل السيوف، فكان يمشى عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه، ثم وقع مثل السكران فورمت قدماه ومات، رحمة الله تعالى عليه.

**(الحكاية السابعة والسبعون بعد المئتين: عن أبى القاسم الجنيد رضي الله عنه)**

قال: كنت مع جماعة فى جبل طور سيناء، فنزلنا على عين ماء تحت دير النصارى، وكان معنا قوّال، فقال شيئا، فظهر وجد الأصحاب، فقاموا ورقصوا وصاحب الدير ينظر إلينا من فوق الدير وينادى ويقول: بالله عليكم وبحقّ الدين الحنيفى إلا جئتمونى، فلم يلتفت إليه منا أحد من طيب الوقت؛ فلما سكت الجمع وقعدوا، قال من منكم الأستاذ؟ فأشاروا إلىّ، فقال: يا أستاذ هذا الذى كنتم فيه من السماع والحركات والرقص خصوص فى دينكم أو عموم؟ فقلت لا بل خصوص بشرط الزهد فى الدنيا، فقال أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ، هكذا وجدت فى إنجيل عيسى عليه الصلاة والسلام أن الخواصّ من أمة محمد ﷺ يتحركون عند السماع بشرط الزهد فى الدنيا، ويكون لباسهم الصوف والملوّنات، يرضون من الدنيا بالبلغة، هكذا نقل عنه رضى الله تعالى عنه.

**(الحكاية الثامنة والسبعون بعد المئتين عن الجنيد ﵁)** حكى أن الجنيد ﵁ حضر ليلة فى جمع من الأصحاب فى دار دعى إليها، فلما دخل الدار، رأى شخصا أجنبيا بين الجماعة، فدعاه الجنيد وأعطاه بردته وقال له: امض بها إلى السوق وارهنها على منوين من السكر للفقراء فلما خرج الرجل من بينهم أغلق الباب دونه وناداه: يا فلان خذ البردة ولا ترجع إلى ههنا فقيل له فى ذلك، فقال اشتريت ببردتى لكم صفاء الوقت فى هذه الليلة بإخراج من ليس منكم من بينكم. وقال ﵁: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء: الزمان، والمكان، والإخوان. وروى عن بعضهم قال: كنت ليلة مع الأصحاب وهم مجتمعون للسماع، فلما قال القوّال سمعوا وقاموا ورقصوا، فأنكرت عليهم بقلبى، فرأيت تلك الليلة فى منامى كأنّ القيامة قد قامت ورأيت الصوفية يجوزون الصراط راقصين، والخلق قد انقطعوا عنهم، فانتبهت ونذرت مع الله تعالى نذرا أن لا أعود أنكر عليهم أبدا.

**(الحكاية التاسعة والسبعون بعد المئتين عن أبى الغيث)** روى عن الشيخ الجليل بحر الحقائق، وموضح الدقائق أبى الغيث بن جميل اليمنى قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه، ونفعنا به، أنه كان ينكر السماع، ويقاتل من يتعاطاه فى أوّل أمره ثم رجع عن ذلك، فى الآخر. وسببه أنه قدم عليه بعض المشايخ الكبار فى جمع من الفقراء عازمين على أن يدخلوا عليه قريته فى السماع، فأمر أهل قريته أن يخرجوا لقتالهم بالعيدان وخرج معهم، فلما تقاربوا والقادمون فى حال السماع أخذه حال، فصار يدور كما يدور أهل السماع الواجدون، فتعجب أصحابه منه وكلموه فى ذلك فقال: وعزّة من له العزّة، مادرت حتى رأيت السماء دارت. وأنشدوا:

**يرنحنى إليك الشوق حتى ... أميل من اليمين إلى الشمال**
**كما مال المعاقر عاودته ... حميا الكأس حالا بعد حال**
**ويأخذنى لذكراك ارتياح ... كما نشط الأسير من العقال**

يعنى بالمعاقر: الذى يشرب العقار وهى الخمر. وروى أنه كان بعض الفقهاء الكبار ينكر على الشيخ الكبير العارف تعالى محمد بن أبى بكر

الحكمى اليمنى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به، فقال الشيخ محمد للفقيه المنكر يوما فى حال السماع: يا فقيه ارفع رأسك، فرفع رأسه فرأى الملائكة تدور فى الهواء. وروى أن الفقيه الإمام العارف بالله رفيع المقال، الورع المشكور، السيد المشهور ذا الكرامات والمجد الأثيل، أحمد بن موسى بن عجيل اليمنى الذى قيل فيه: مثل أحمد بن موسى فى الأولياء، كمثل يحيى بن زكريا عليهما السلام فى الأنبياء، لم يعص ولم يهمّ بمعصية، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به. أنه سئل عن سماع الصوفية، فقال إن أبحه فلست من أهله، وإن أنكره فقد سمعه من هو خير منى. قلت: جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من جميع المعاصى، وفى جواز الصغائر عليهم سهوا اختلاف بين العلماء رضى الله تعالى عنهم، وعصمتهم المذكورة واجبة. وأما الأولياء رضى الله تعالى عنهم، فلا تجب عصمتهم، بل يجوز أن يكونوا محفوظين، ويجوز أن لايحفظ أحدهم منهم، ويجوز أن يحفظ بعضهم دون بعض. ولما كان ابن عجيل المذكور من صغره محفوظا، شديد الخوف كثير الاجتهاد، ملازما للزهد، دقيق الورع، مشهورا بهذه المذكورات وغيرها من المحاسن السنية، شبه هذا فى جنسه بهذا فى جنسه، وإذا شبه الأدنى فى جنسه بالأعلى فى جنسه فى وصف لم يكن الأدنى مساويا للأعلى ولامقاربا له فى ذلك الوصف، ولايلزم أيضا فى كون يحيى عليه الصلاة والسلام موصوفا بهذه الصفات من صغره أن يكون أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعين. وقيل للشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى الحسن بن سالم رضى الله تعالى عنه: هل تنكر على أهل السماع شيئا؟ فقال كيف أنكره وقد سمعت من هو خير منى، ومنهم عبدالله بن جعفر الطيار، ومعروف الكرخى، والسرىّ السقطى، وذو النون المصرى، وأبو الحسين النورى وأبو القاسم الجنيد والشبلى، رضى الله تعالى عنهم. وقال بعض الشيوخ الكبار: إن أنكرنا السماع أنكرنا على سبعين صدّيقا. وقال: بعض الفقهاء لبعضهم: ألم تسمع الجلاجل التى فى الدفّ؟ فقال: والله ما أسمع جلاجل، وإنما أسمعها تقول الله الله. وروى أن علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه سمع صوت ناقوس، فقالوا أتدرون ما يقول؟ فقالوا لا، فقال إنه يقول: سبحان الله حقا حقا، إن المولى صمد يبقى. وكذلك كان بعض الفقهاء

ينكر على الصوفية سماعهم، فدخل عليه بعضهم يومًا فوجده يدور فى بيته، فقال له يا فقيه، أراك تدور، فقال كانت مسئلة أشكلت علىّ، فاطلعت عليها الآن فملئت بذلك فرحا ولم أتمالك من الطرب، فقمت ودرت كما رأيت، فقال له يا فقيه هذا فرحك بمسئلة، فكيف تنكر على من فرح بالله تعالى. قلت: كم بين الفرح بالاطلاع على حكم من أحكام الله، والفرح بالاطلاع على تجلى جمال الله تعالى وكمال صفاته وامتلاء القلب بمحبته والشوق إلى لقاء ذاته والطرب بذكره الحالى العذب الزلال والغيبة بواردات الأحوال والمنازلة فى المقامات العوال، والشرب من راح المحبة التى فيها قائلهم، قال:

**هنيا لأهل الدير كم سكروا بها ... وما شربوا منها ولكنهم هموا**

**على نفسه فليبك من ضاع عمره ... وليس له منها نصيب ولا سهم**

وقال الأستاذ أبوالقاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه: رأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت: يا رسول الله، ما تقول فى السماعات التى نحضرها فى الليالى، وربما تبدو منا الحركات فيها، فقال ﷺ: ما من ليلة إلا وأحضر معكم، ولكن ابدءوا بالقرآن واختموا بالقرآن. قلت: لايغترّ جاهل بما ذكر عن الشيوخ فى السماع، فيحسب أنه يجوز لكل أحد، هيهات إنما هو لمن حدا به حادى الشوق إلى مواطن القرب فى الحضرة القدسية، خاليا عن هوى النفس والصفات الدنية، متصفا بما أنشده أهل الأحوال السنية:

**ولما حضرنا بالسرور بمجلس ... أضاءت لنا من عالم الغيب أنوار**

**وطافت علينا للعوارف خمرة ... يطوف بها في حضرة القدس خمار**

**تخامر أرباب العقول بلطفها ... فتبدو لنا عند المسرّة أسرار**

**فلما شربناها بأفواه كشفنا ... أضاءت لنا منها شموس وأقمار**

**رفعنا حجاب الأنس بالأنس عنوة ... وجاءت إلينا بالبشائر أخبارُ**

**وغبنا بها عنا ونلنا مرادنا ... ولم يبق منا بعد ذلك آثار**

**وخاطبنا في سكرنا عند محونا ... كريم قدير فائض الجود جبار**

**وكاشفنا حتي رأيناه جهرة ... بأبصار فهم لاتواريه أستار**

قلت: هذا هو السماع الحقيقى، وقد يجوز على غير هذا الوجه بشروط مذكورة فى تصانيف المشايخ السالكين العارفين، ومن أحسنها تصنيفا وترتيبا، وأتقنها تحقيقا وتهذيبا: كتاب «عوارف المعارف» للشيخ الجليل العالم الربانى شهاب الدين السهروردى ﷺ، وما أحسن ما قاله الشيخ العارف أبو عثمان الخيرى ﷺ: السماع على ثلاثة أوجه: فوجه منها للمريدين المبتدئين يستدعون بذلك الأحوال الشريفة، ويخشى عليهم الفتنة والمراءاة. والثانى للصادقين يطلبون الزيادة فى أحوالهم، ويستمعون فى ذلك ما يوافق أوقاتهم. والثالث لأهل الاستقامة من العارفين، فهؤلاء لايختارون على الله فيما يرد عليهم من الحركة والسكون، يعنى لايختارون لأنفسهم شيئا، بل واقفون مع اختيار الله لهم، رضى الله تعالى عنهم، وهذا القسم الثالث هو الذى أشار إليه بعضهم حيث قال: إنما يصحّ السماع لمن عالج نفسه بأنواع الرياضات وتزكية الصفات، وفطم النفس عن المحظورات، ونزّه سرائره وقلبه عن السموم والآفات، وتحققت له المعرفة بالأسماء والصفات، وعند ذلك يحتمل أن يصحّ له أخذ السماع من المشاهدات. قلت: وكذلك لايغترّ أحد رجلين: أحدهما يتوهم أن لى مشربا من موارد هؤلاء الذين ذكرت، فوالله إنى فقير إلى ورود مشربهم، ووالله والله إنى لمحتاج إلى واحد منهم يقع علىّ منه نظرة يكون فيها نفحة من نفحات الله تعالى. والثانى يعرف فقرى من ذلك الحال، ويتوهم أنى أدعيه بهذا الكلام الذى ذكرته عن هؤلاء الأقوام، فليعلم أنى لا أدعى ذلك، بل أعترف بالإفلاس والعدم. وفى ذلك قلت فيما تقدم حين أمدح جواهر نفوس أهل العطاء والوصول، وأذمّ فلوس إفلاس نفسى، وأنادى عليها وأقول:

| | |
|---|---|
| وكم من جوهر أحكى نفيس | ولى وصف حكمى وصف الفلوس |
| وكم أجلو على حسن ومالى | نصيب مثل ماشطة العروس |
| رضا يا نفس تستوفى نصيبا | بتسليم قضا بارى النفوس |
| فلو بالمدح قابلتى أمير | رجعتى منه بالمال النفيس |
| فكيف الظنّ بالرحمن معطى | عطايا ليس تحصى فى الطروس |
| حباكى مدح ساذات البرايا | وقد عافاك من مدح النحوس |

| | |
|---|---|
| ففى هذا له حمد عظيم | عليكى فاشكرى ساقى الكئوس |
| لأحباب حباهم واصطفاهم | كرام سادة غرّ رءوس |
| إذا ما اليافعىّ أمسى عُبيدا | لسادات فللأقدام بوسى |
| عسى يوما يقول الفضل ذوقى | حميا حبهم والفرش دوسى |
| إلهى لاتخيب سعى مدحى | لساداتى ولا معهم جلوسى |
| فحاشى جود رحمن كريم | يردّ القاصد الراجى ببوس |
| وصلى الله مولانا على من | يغيث الخلق فى يوم عبوس |

قلت: وإذ قد أشرت إلى نفى وهم هذين الرجلين المذكورين، فها أنا أشير إلى إثبات تحقيق الحال، وهو أن ذكرى لهم وحديثى عنهم بإخبارهم تلذذ بحكاياتهم وأشعارهم، كما أنشد بعض أخيارهم:

| | |
|---|---|
| إيه أحاديث نعمان وساكنه | إن الحديث عن الأحباب أسمار |
| أستنشق الريح عنكم كلما نفحت | من نحو أرضكم نكباء معطار |

ويحصل إن شاء الله تعالى المقصود المفظم بما قاله ﷺ، أعنى حديث الصحيحين المنتخب قوله ﷺ: «المرء مع من أحب»».

**(الحكاية الثمانون بعد المئتين: عن أحمد بن مقاتل العكى رحمه الله تعالى)** قال: لما دخل ذو النون المصرى بغداد، اجتمع إليه الصوفية ومعهم قوّال، فاستأذنوه بأن يقول بين أيديهم شيئا، فأذن فابتدأ يقول:

| | |
|---|---|
| صغير هواك عذّبنى فكيف به | إذا احتنكا وأنت جمعت فى قلبى |
| هوى قد كان مشتركا أما ترثى | لمكتئب إذا ضحك الخلىّ بكى |

قال: قام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطر منه ولايسقط على الأرض، ثم قام رجل من القوم يتواجد، فقال له ذو النون: الذى يراك حين تقوم وتقلبك، فجلس الرجل، قال الأستاذ أبو علىّ الدقاق رضي الله عنه: كان ذو النون رضي الله عنه صاحب إشراف على ذلك الرجل، حيث نبهه أن ذلك ليس مقامه، وكان ذلك

الرجل صاحب إنصاف حيث قبل ذلك منه، فرجع وقعد. وروى أن الإمام الشافعى رضي الله عنه سمع جارية تغنى وتقول:

**خليلىّ مـا بال المطايا كـأنهـا تراها على الأعقاب بالقوم تنكص**

فقال لابن عُلَيَّة وكان معه: كيف تسمع، أيطربك؟ فقال لا، فقال الشافعى: مالك حس. وحكى أن بعضهم قال ليلة إلى الصباح، يقوم ويسقط على هذا البيت والناس قيام يبكون

**بالله ردّوا فـؤاد مكتـئب ليس له من حبيبه خلف**

وقد تقدمت حكاية الفقير الذى مات لما سمع جارية تقول:

**فى سبيل الله ودّ كان منى لك يبذل كلّ يوم تتلوّن غير هذا لك أجمل**

**(الحكاية الحادية والثمانون بعد المئتين: عن أبى عبد الله بن الجلاء رضى الله تعالى عنه)** قال: كان بالمغرب شيخان لهما أصحاب وتلامذة يقال لأحدهما جبلة، والآخر زريق، فزار زريق يوما جبلة فى أصحابه، فقرأ رجل من أصحاب زريق شيئا، فصاح واحد من أصحاب جبلة ومات، فلما أصبحوا قال جبلة لزريق: أين الذى قرأ بالأمس فليقرأ آية، فقرأ، فصاح جبلة صيحة فمات القارئ، فقال جبلة: واحد بواجد والبادى أظلم، رضى الله تعالى عنهم أجمعين. قلت: يشبه هذه الحكاية، الحكاية الآتية بعدها إن شاء الله تعالى.

**(الحكاية الثانية والثمانون بعد المئتين عن المؤلف رحمه الله تعالى)** قال المؤلف رحمه الله تعالى: كان فى بلاد اليمن شيخان: أحدهما الشيخ الكبير العارف بالله أحمد بن الجعد، والآخر الشيخ الكبير العارف بالله تعالى سعيد المكنى أبا عيسى، وكان لكلّ واحد منهما أصحاب وتلامذة، فورد الشيخ أحمد المذكور فى جمع من أصحابه على الشيخ سعيد فى وقت جاء إلى زيارة القبور الشريفة، فوافقه الشيخ سعيد وأصحابه على الزيارة ومشوا، فلما بلغوا بعض الطريق، بدا للشيخ سعيد أن يرجع فى هذا الوقت، ويزور فى وقت آخر، فرجع هو وأصحابه إلى موضعه، وذلك فى حضرموت، واستمرّ الشيخ أحمد على عزمه حتى انتهى إلى مقصده، فزار ورجع والشيخ سعيد مكث أياما ثم خرج

هو وأصحابه للزيارة المذكورة، فالتقى الشيخان وأصحابهما فى الطريق، فقال الشيخ أحمد للشيخ سعيد: توجه عليه حقّ الفقراء فى رجوعك، فقال لا، ما توجه علىّ حقّ، فقال له الشيخ أحمد بلى، قم فانصف، فقال الشيخ سعيد: من أقامنا أقعدناه، فقال الشيخ أحمد، ومن أقعدنا ابتليناه، فأصاب كل واحد منهما ما قاله صاحبه، فصار الشيخ أحمد مقعدا إلى أن لقى الله، وصار الشيخ سعيد مبتلى فى جسمه ببلاء قطع جسمه حتى لقى الله، رضى الله تعالى عنهما. وهذه لعمرى أحوال تكلّ فى جنب قطعها السيوف القاطعة، وإنما يقطع الحالان معا إذا كان صاحباهما متكافئين أو قريبين من التكافؤ، فإن لم يكونا كذلك قطع القوىّ منهما دون الضعيف، وقد يقطع السابق دون المسبوق هذا الظاهر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

**(الحكاية الثالثة والثمانون بعد المئتين: عن بعضهم)** قال: احتبس على أهلى خروج الولد فمضيت إلى الشيخ أبى الحسن الدينورى رضي الله عنه بجام أتبرّك بخطه فيه؛ فلما كتب بسم الله الرحمن الرحيم انفلق الجام وسقط الشيخ مغشيا عليه، فأتيته بجام آخر، فكان منه ما كان من الأوّل، ثم جئته بثالث ورابع وخامس فقال: يا هذا اذهب إلى غيرى، فلو جئتنى بما أمكن أن تجىء به لم يكن إلا ما رأيت، فإنى عبد إذا ذكرت مولاى ذكرته بهيبة وحضور.

**(الحكاية الرابعة والثمانون بعد المئتين عن أبى تراب النخشبى)** حكى أن أبا تراب النخشبى رضى الله تعالى عنه كان معجبا ببعض المريدين، فكان يخدمه ويقوم بمصالحه، والمريد مشغول بعبادته، فقال أبو تراب له يوما: لو رأيت أبا يزيد؟ فقال أنا عنه مشغول، فلما أكثر عليه فى قوله: لو رأيت أبا يزيد، هاج وجد المريد فقال: ويحك وما أصنع بأبى يزيد، فقد رأيت الله عزّ وجلّ فأغنانى عن أبى يزيد. قال أبو تراب: فهاج طبعى فلم أملك نفسى، فقلت ويلك تغترّ بالله تعالى، لو رأيت أبا يزيد مرّة كان خيرا لك من أن ترى الله عزّ وجلّ سبعين مرّة، قال فبهت الفتى من قولى وأنكره وقال كيف ذلك؟ فقلت له إنك إنما ترى الله عزّ وجل عندك، فيظهر لك على مقدارك، وترى أبا يزيد عند الله، فيظهر لك على مقداره. قلت: يعنى يظهر لك من تجلى صفات الجلال والجمال وغيرهما على مقدار حال أبى يزيد، قال فعرف ما قلت،

فقال أحملنى إليه، فذكر قصة،قال فى آخرها، فوقفنا على تلّ ننتظره ليتحرّك إلينا من الغيضة، وكان يأوى إلى غيضة فيها سباع، قال: فمرّ بنا أبو يزيد وقد قلب فروة على ظهره، فقلت للفتى: هذا أبو يزيد فانظر إليه، فنظر الفتى إليه فصعق، فحرّكناه فإذا هو ميت، فقلت لأبى يزيد يا سيدى قتلت صاحبنا، أو قال قلت نظره إليك قتله، فقال لا، ولكن صاحبك كان صادقا، وأسكن فى قلبه سرّ لم ينكشف له وصفه، فلما رآنا انكشف له سرّ قلبه، فضاق عن حمله لأنه كان فى مقام الضعفاء المريدين، فقتله ذلك، رضي الله عنه، ونفع به آمين:

**(الحكاية الخامسة والثمانون بعد المئتين: عن يحيى بن معاذ رضي الله عنه)** قال: رأيت أبا يزيد فى بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيهما من عقبيه عن الأرض، ضاربا بذقنه على صدره، شاخصا بعينيه، لايطرف، قال: ثم سجد عند السحر، فأطال ثم قام، فقال: اللهمّ إن قوما طلبوك فأعطيتهم المشى على الماء، والمشى فى الهواء، وطئ الأرض، وانقلاب الأعيان، حتى عددّ نيفا وعشرين نوعا من كرامات الأولياء، فرضوا بذلك، وإنى أعوذ بك من ذلك، ثم التفت فرآنى، فقال يحيى؟ قلت نعم يا سيدى، قال منذ متى أنت ههنا؟ قلت منذ حين، فسكت، فقلت يا سيدى حدثنى بشىء، قال أحدثك بما يصلح لك، أدخلنى الحقّ فى الفلك السفلى فدوّرنى فى الملكوت السفلى، وأرانى الأرض وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلنى فى الفلك العلوى، وطوف فى السموات، وأرانى ما فيها من الجنان إلى العرش، ثم أوقفنى بين يديه فقال: سلنى أى شىء رأيت حتى أهبه لك، فقلت ما رأيت شيئا أستحسنه فأسألكه، فقال أنت عبدى حقا، تعبدنى لأجلى صدقا، لأفعلنّ ولأفعلنّ، فذكر أشياء، قال يحيى: فهالنى ذلك وعجبت منه، فقلت له: يا سيدى لِمَ لَمْ تسأله المعرفة وقد قال لك ملك الملوك سلنى ما شئت؟ قال فصاح بى صيحة وقال: اسكت ويلك، غرت عليه منى، لأنى لا أحبّ أن يعرفه سواه. وأنشد بعضهم.

**ولا تذكر إلىّ العامرية إننى ... أغار عليها من فم المتكلم**

**(الحكاية السادسة والثمانون بعد المئتين: عن بعضهم قال)** سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل فقال: لو أدخلت يدك فى فم التنين حتى تبلغ

الرسل لاتخاف مع الله غيره، قال فخرجت إلى أبى يزيد لأسأل عن التوكل، فدققت الباب، فقال أليس لك فى قول عبد الرحمن كفاية؟ فقلت افتح لى الباب، فقال إنك ما جئتنى زائرا وقد أتاك الجواب من وراء الباب ولم يفتح لى، فمضيت ولبثت سنة، ثم قصدته. فقال مرحبا جئتنى الآن زائرا، فبقيت عنده شهرا، فكان لايخطر بقلبى شىء إلا أخبرنى به.

**(الحكاية السابعة والثمانون بعد المئتين عن يحيى بن معاذ)** روى أن يحيى بن معاذ الرازى كتب إلى أبى يزيد رضى الله تعالى عنهما: إننى سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته، فكتب إليه أبو يزيد: غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روى بعد ولسانه خارج، وهو يقول هل من مزيد. وأنشدوا فى المعنى:

**عجبت لمن يقول ذكرت ربى وهل أنسى فادكر ما نسيت**
**شربت الحبّ كأسا بعد كأس فما نفد الشراب ولا رويت**

وروى أن شقيقا البلخى وأبا تراب النخشبى قدما على أبى يزيد رضى الله تعالى عنهم، فقدمت السفرة وشاب يخدم أبا يزيد، فقال له البلخى كل معنا يا بنىّ، أو قال يافتى، فقال إنى صائم فقال أبو تراب: كل ولك أجر صوم شهر، فأبى، فقال له شقيق كل ولك أجر صوم سنة، فأبى، فقال أبو يزيد دعوا من سقط من عين الله تعالى، فأخذ ذلك الشاب فى السرقة بعد سنة فقطعت يده، نعوذ بالله من سخط الله.

**(الحكاية الثامنة، والثمانون بعد المئتين: عن زيتونة خادمة أبى الحسين النورى، وخادمة أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنهم)** قالت: كان يوم بارد، فقلت للنورى أحمل إليك شيئا، فقال نعم، فقلت أىّ شىء تريد؟ فقال خبزا ولبنا فحملته إليه، وكان بين يديه فحم يقلبه بيده وقد اشتعلت النار، فأخذ يأكل الخبز واللبن يسيل على يده وعليها سواد الفحم، فقلت فى نفسى سبحانك ما أقذر أولياءك يا ربّ، ما فيهم أحد نظيف، قال فخرجت من عنده، فتعلقت بى امرأة وقالت سرقت لى رزمة ثياب، وجرّونى إلى الشرطى، فأخبر النورى بذلك، فخرج وقال للشرطى لاتتعرّض لها فانها ولية من أولياء الله

تعالى، فقال الشرطى كيف أصنع والمرأة تدعى، قالت فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة، فاسترد النورى المرأة وقال لها: أتقولين بعد هذا: ما أقذر أولياءك يا ربّ؟ قالت فقلت قد تبت.

**(الحكاية التاسعة والثمانون بعد المئتين: عن بعضهم)** قال: رأيت ذا النون رضى الله تعالى عنه، وقد تقاتل اثنان: أحدهما من أولياء السلطان، والآخر من الرعية، فعدا الذى من الرعية على الجندى، فكسر ثنيته، فتعلق الجندى به وقال بينى وبينك الأمير، فجازوا بذى النون، فقال لهم الناس: اصعدوا إلى الشيخ، فصعدوا إليه وعرّفوه بما جرى، فأخذ الثنية وبلها بريقه وردّها إلى فم الرجل فى الموضع الذى كانت فيه، فحرّك شفتيه فتعلقت بإذن الله عزّ وجلّ، فبقى الرجل يفتش فاه فلم يجد الأسنان إلا سواء. قلت: ويشبه هذه الحكاية، الحكاية الآتية بعدها إن شاء الله تعالى.

**(الحكاية التسعون بعد المئتين)** قال المؤلف غفر الله له: كان إنسان فى بلاد اليمن فى يده سَلعة دار بها على جمع من الصالحين ليدعو بذهابها عنه، فلم تذهب، فجاء إلى ابن عجيل المتقدّم ذكره رضى الله تعالى عنه فقال له: ادع الله لى أن يذهب عنى هذه السلعة، وإلا ما بقيت أحسن ظنى بأحد من الصالحين، فقال لاحول ولاقوّة إلا بالله العلىّ العظيم، هات يدك ومسح عليها ولفها بخرقة، وقال له لاتفتحها إلى أن تصل إلى منزلك، فمشى من عنده هو ورفقاؤه، ومرّوا فى طريقهم ببعض القرى، فدخلوها واشتروا منها غداءهم خبزا ولبنا، وفتوه فتا تسميه أهل اليمن ثرافة بالثاء المثلثة المضمومة، ثم بالراء والألف والفاء والهاء، وكانت سلعته المذكورة فى كفة اليمنى، فنسيها وفتح الخرقة وأكل، فلما فرغ من الأكل لم يجد لها أثرا ولم يتميز موضعها من سائر الكفّ. وهذا معنى الحكاية، وإن لم يكن لفظها بعينه. وأكل الثرافة المذكورة بشع، وهو بخلاف السنة، وفيه بشاعة وقبح، ولاسيما أكل كثير من الجهال فإنهم يتغالون فى ذلك، ويفتخر كلّ منهم بغلب صاحبه بالأكل، بأن يحمل فى كفه أكثر من الآخر، حتى يحكى أن الواحد منهم يحمل بكفه ثلاث مرّات نحو المدّ الشرعى أكلا يهول ويفجع وليست هكذا السنة بل السنة أن يأكل بصنعة وظرافة بحيث لايلطخ شِفتيه ولا يغرهما باللبن، ومثل هذا الأكل منه ما يكون

مكروها، ومنه ما يكون حراما؛ فالحرام إذا ظلم غيره بأكل شىء من نصيبه بشركة أو نحوها، ولم يرض ذلك الغير بذلك الأكل، والمكروه إذا لم يظلم أحدا؛ وهذه الخصلة وإن كانت فى أهل اليمن قبيحة، فلهم لعمرى كثير من المحاسن المليحة: منها ما شهدت به الأحاديث الصحيحة بنصوص صريحة، وذكر هذه الخصلة المذكورة لايحسن ههنا إلا على جهة التنبيه والنصيحة.

**(الحكاية الحادية والتسعون بعد المئتين عن المؤلف)** قال المؤلف غفر الله له: أخبرنى بعض الإخوان الصالحين أنه جاء إنسان إلى الفقيه الإمام الكبير العارف بالله محمد بن حسين الخبير البجلى رضى الله تعالى عنه، وقال: سرق لى ثور، فقال له تريد ثورك؟ قال نعم، قال اذهب إلى المكان الفلانى تجد فيه شيخا يحرث لا تفكه إلا بثورك، يعنى بذلك الشيخ شيخه المشهور كبير شيوخ اليمن محمد بن أبى بكر الحكمى المتقدم ذكره رضى الله تعالى عنه، فجاء إليه وقال له ردّ لى ثورى، ولازمه ملازمة جدّ متوهما أنه هو السارق، إذا كان لايعرف الشيخ المذكور فقال له الشيخ: من أمرك بهذا؟ فقال محمد بن الحسين، ثم قال خلصنى بثورى وخلنى من هذا الكلام، قال أخبرنى كيف صفة ثورك؟ قال تسرق ثورى وتزعم أنك لاتعرف صفته، فتبسّم الشيخ رضى الله تعالى عنه وقال: اذهب إلى المكان الفلانى تجد فيه ثورك مربوطا بشجرة فحله وخذه، فذهب إلى ذلك المكان فوجده فيه كما ذكر الشيخ، فأخذه ورجع فرحا مسرورا وجاء السارق ليأخذ الثور فلم يجده. فرجع محروما محزونا بل مأثوما مأزورا، ورجع الشيخ مبرورا مأجورا.

**(الحكاية الثانية والتسعون بعد المئتين: عن بعض السلف)** قال: كان لرجل على رجل مئة دينار بوثيقة إلى أجل، فلما جاء الأجل طلب الوثيقة فلم يجدها، فجاء إلى بنان الحمال فسأله الدعاء، فقال له أنا قد كبرت وأنا أحبّ الحلوى اذهب فاشتر لى رطل حلوى معقودا وجئنى به حتى أدعو لك، فذهب فاشترى له ما قال، ثم جاء به، فقال له بنان افتح القرطاس، ففتحه فإذا بالوثيقة فيه، فقال له بنان خذ وثيقتك، وخذ المعقود أطعمه صبيانك، فأخذهما ومضى، ولم يأخذ بنان منه شيئا، رضي الله عنه ونفعنا به. وقال بنان رضي الله عنه دخلت البرية وحدى فاستوحشت، فإذا بهاتف يهتف بى: يا بنان نقضت العهد لِمَ تستوحش، أليس حبيبك معك؟

**(الحكاية الثالثة والتسعون بعد المئتين: عن بكير صاحب الشبلى رضي الله عنه)**

قال وجد الشبلى رضي الله عنه فى يوم جمعة خفة من وجع كان فيه، فنهض إلى الجامع واتكأ على يدى حتى انتهينا إلى الوراقين، فتلقانا رجل جاء من الرصافة، فقال الشبلى سيكون لى غدا مع هذا الشيخ شأن. قال فلما كان الليل مات الشبلى رحمه الله تعالى، وقيل له فى درب السقايين شيخ صالح يغسل الموتى، فدلونى عليه فنقرت الباب نقرا خفيفا، وقلت سلام عليكم، فقال مات الشبلى؟ فقلت نعم، فخرج إلىّ وإذا به الشيخ الذى أشار إليه الشبلى، فقلت له لا إله إلا الله تعجبا، فقال: لا إله إلا الله تعجب من ماذا؟ قلت: قال لى الشبلى أمس لما لقيناك سيكون لى غدا مع هذا الشيخ شأن، فبحقّ معبودك من أين لك أن الشبلى قد مات؟ قال يا أبله فمن أين للشبلى أنه يكون له معى شأن اليوم؟ رضى الله تعالى عنهما. ولما حضرت الشبلى الوفاة قال: علىّ درهم مظلمة وقد تصدّقت عنه بألوف. فما على قلبى شىء أعظم منه.

**(الحكاية الرابعة والتسعون بعد المئتين عن بعضهم)** حكى أن امرأة إسرائيلية كان لها دار بجوار قصر الملك، وكانت تشين القصر. وكلما رام الملك منها أن تبيع الدار أبت أن تبيع منه، فخرجت المرأة فى سفر، فأمر الملك بهدمها. فلما جاءت المرأة من السفر قالت من هدم دارى؟ قيل لها الملك، فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: إلهى وسيدى ومولاى غبت أنا وأنت حاضر. وأنت للضعيف معين وللمظلوم ناصر. ثم جلست. فخرج الملك فى موكبه. فلما نظر إليها قال لها ما تنتظرين؟ قالت أنتظر خراب قصرك، فهزأ بقولها وضحك منها، فلما حل عليه الليل خسف به وبقصره، ووجد على بعض حيطان القصر مكتوبا هذه الأبيات.

**أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما يدريك ما صنع الدعاء**
**سهام الليل لاتخطى ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء**
**وقد شاء الإله بما تراه ... فما للملك عندكم بقاء**

وروى عن رجاء بن كثير رحمه الله تعالى قال: كنا قعودا عند شيخنا فى الكوفة نكتب الحديث عنه، فمرّت بنا امرأة عليها قميص صوف وكساء صوف، فقالت: السلام عليكم، ثم أشارت بيدها إلى قبة الملك وقالت: فرحوا بقصورهم،

واغتبطوا بسرورهم، وندموا على ما قدّموا فى قبورهم، فلا تغترّوا إنما نحن نزرع والموت حصادنا، والقبر بيدرنا، والقيامة موعدنا، فمن زرع خير حصد سرورا، ومن زرع شرّاً حصد ندامة، فصبر يسير فيه غنم كثير فى أيام قليلة تعقب راحة طويلة رضى الله تعالى عنها.

**(الحكاية الخامسة والتسعون بعد المئتين: عن عمرو بن دينار رحمه الله تعالى)** قال: كان رجل من بنى إسرائيل على ساحل البحر، فرأى رجلا وهو ينادى بأعلى صوته: ألا من رآنى فلا يظلمنّ أحدا، قال: فدنا منه وقال يا عبد الله ما خبرك؟ فقال اعلم أنى كنت رجلا شرطيا، فجئت يوما إلى هذا الساحل، فرأيت صيادا قد صاد سمكة، فسألته أن يهبها لى، فأبى، فسألته أن يبيعها منى فأبى، فضربت رأسه بسوطى وأخذت السمكة منه، فذهبت بها فى يدى معلقة، فبينما أنا ذاهب إلى منزلى قبضت السمكة على إبهامى، فرمت أن أخلص إبهامى منها فلم أقدر، فجئت إلى عيالى فعالجوا أن يخلصوا إبهامى منها فلم يقدروا إلا بعد تعب؛ وقيل إنما تعلقت بإبهامه عندما قدمت إليه ليأكلها، قال فأصبح إبهامى قد ورم ثم انتفخ، وانفتحت فيه عيون من آثار أنياب السمكة، فذهبت إلى طبيب محسن، فلما نظر إبهامى قال هذه أكلة بلاشك وإن لم تقطع إبهامك هلكت، فقطعتها، فوقع الداء فى ذراعى، فجئته، فقال إن لم تقطع ذراعك هلكت، فقطعت ذراعى، فوقع الداء فى عضدى، فلما رأيت ذلك خرجت من منزلى هاربا، فبينما أنا أسير فى البلاد وأصيح كالهائم، إذ رفعت لى شجرة عظيمة، فأويت إلى ظلها، فنعست عند أصلها، فأتانى آت فى منامى وقال لى: كم تقطع أعضاءك وترمى بها إربا إربا، اردد الحقّ إلى أهله فإنك تنجو، قال فانتبهت، وعلمت الحقّ، وأن ذلك من قبل الله عزّ وجلّ، فأتيت الصياد فوجدته قد طرح شبكته، فانتظرته حتى أخرجها، فإذا فيها سمك كثير، فقلت يا عبد الله أنا مملوك لك، قال ومن أنت يا ابن أخى؟ قلت أنا الشرطى الذى ضربت رأسك بالسوط وأخذت السمكة منك، وأريته يدى، فلما رآها استعاذ من بلاء الله وسخطه، وقال لى أنت فى حلّ، فتناثر الدود من عضدى، فلما هممت أن أنصرف قال قف ما كان منى هذا عدلا دعوت عليك فى سمكة لاخطر لها فاستجيب لى، فأخذ بيدى وذهب بى إلى منزله، فدعا

ابنا له فقال احفر ههنا فى هذه الزاوية، فحفر فأخرج منها جرّة فيها ثلاثون ألف درهم، فأمر ابنه فعدّ لى منها عشرة آلاف درهم، وقال استعن بها على زمانك، واجبر بها بعض مصائبك، ثم أمره فعدّ لى عشرة آلاف آخرى وقال اجعلها فى فقراء جيرانك وقرابتك فلما أردت أن أنصرف قلت: سألتك بالله أخبرنى كيف دعوت علىّ، قال: لما ضربت رأسى وأخذت السمكة منى نظرت إلى السماء وبكيت وقلت: يا ربّ خلقتنى وخلقته، وجعلته قويا وجعلتنى ضعيفا، ثم سلطته علىّ، فلا أنت منعته من ظلمى، ولا أنت جعلتنى قويا أمتنع من ظلمه، فأسألك بالقدرة التى بها خلقته وجعلته قويا وجعلتنى ضعيفا، أن تجعله عبرة لخلقك، رحمهما الله تعالى.

**(الحكاية السادسة والتسعون بعد المئتين: عن علىّ بن حرب رحمه الله تعالى)** قال: خرجت يوما أنا وبعض شباب الموصل إلى الشطّ، فركبنا فى زورق، فلما بعدنا من البلد، وتوسطنا الشطّ، إذا بسمكة كبيرة ظهرت من الشط إلى وسط الزورق، فقام الشباب ونزلوا إلى حافة الشط ليجمعوا حطبا برسم السمكة، فنزلت معهم، فبينما نحن نمشى على جانب الشطّ، وإذا بالقرب منا خرابة، فذهبنا إليها نبصر آثارها، وإذا فيها شاب مكتوف وآخر مذبوح إلى جانبه، وبغل واقف عليه قماش، فقلنا للشاب ما قصتك وما هذا المذبوح؟ فقال إنى كنت مكتريا مع هذا المكارى صاحب هذا البغل، فعدل بى إلى هذا المكان وكتفنى كما ترون، ثم قال لابدّ من قتلك، فعاهدته بالله تعالى لايظلمنى ولا يربح إثمى ولايعدمنى روحى بل يأخذ القماش وهو فى حلّ منه، وحلفت له بالله تعالى أنى لا أغمز عليه أحدا، ومازلت أناشده الله تعالى وهو لايفعل، فمدّ يده إلى سكين كانت فى وسطه ليجذبها، فتعسر عليه أن تخرج من غلافها، فمازال يجذبها حتى خرجت بصعوبة فما أخطأت حلقه فذبحته فهو كما ترون وأنا على حالتى هذه، قال فحللنا كتافه وأعطيناه البغل والقماش وراح، وعدنا إلى الزورق، فلما صعدنا قفزت السمكة إلى الشط، فذلك أعجب ما رأيت وسمعت، فسبحان اللطيف الخبير.

**(الحكاية السابعة والتسعون بعد المئتين: عن بعض الصالحين)** قال: بينما أنا أطوف بالكعبة إذا بجارية على كتفها طفل صغير وهى تنادى: يا كريم يا

كريم عهدك القديم، قال فقلت لها: ما هذا العهد الذى بينك وبينه؟ قالت: ركبت فى سفينة ومعنا قوم من التجار، فعصفت بنا ريح ففرقت السفينة وجميع من فيها، ولم ينج أحد منهم غيرى وهذا الطفل فى حجرى على لوح، ورجل أسود على لوح آخر؛ فلما أضاء الصبح نظر الأسود إلىّ وجعل يدفع الماء بيديه حتى لصق بى واستوى معنا على اللوح، وجعل يراودنى عن نفسى، فقلت يا عبد الله أما تخاف الله تعالى، نحن فى بلية لانرجو الخلاص منها بطاعته، فكيف بمعصيته؟ فقال دعى عنك هذا، فوالله لابدّ لى من هذا الأمر، قالت وكان هذا الطفل نائما فى حجرى، فقرصته قرصة فاستيقظ وبكى، فقلت له يا عبد الله دعنى أنوّم هذا ويكون من الأمر ما قدّره الله علينا، فمدّ الأسود يده إلى الطفل ورمى به فى البحر، فرمقت السماء بطرفى وقلت: يا من يحول بين المرء وقلبه، حل بينى وبين هذا الأسود بحولك وقوّتك إنك على كل شىء قدير، فوالله ما استوعبت الكلمات حتى ظهرت دابة من دوابّ البحر ففتحت فاها والتقمت الأسود وغاصت به فى البحر، وعصمنى الله منه بحوله وقوّته، وهو القادر على ما يشاء سبحانه وتعالى، قال: ومازالت الأمواج تدفعنى حتى رمتنى إلى جزيرة من جزائر البحر، فقلت فى نفسى آكل من بقلها وأشرب من مائها حتى يأتى الله بأمره، فلا فرج لى إلا منه، فمكثت أربعة أيام؛ فلما كان فى اليوم الخامس لاحت لى سفينة فى البحر على بعد، فعلوت على تلّ وأشرت إليهم بثوب كان علىّ، فخرج إلىّ منهم ثلاثة نفر فى زورق، فركبت معهم؛ فلما دخلت السفينة الكبرى إذا بالطفل الذى رمى به الأسود فى البحر عند رجل منهم، فلم أتمالك أن ارتميت عليه وقبلت بين عينيه، وقلت هذا والله ولدى وقطعة من كبدى، فقال لى أهل السفينة مجنونة أنت أم اختلّ عقلك؟ فقلت والله ما أنا مجنونة ولا اختلّ عقلى ولكن جرى من الأمر ما هو كذا وكذا وكذا، وذكرت لهم القصة إلى آخرها؛ فلما سمعوا منى ذلك أطرقوا رءوسهم وقالوا: ياجارية قد أخبرتينا بأمر تعجبنا منه، ونحن أيضا نخبرك بأمر تتعجبين منه، بينما نحن نجرى بريح طيبة إذا بدابة قد اعترضتنا ووقفت أمامنا وهذا الطفل على ظهرها، وإذا مناد ينادى: إن لم تأخذوا هذا الطفل من ظهرها وإلا هلكتم، فصعد واحد منا على ظهرها وأخذ الطفل، فلما دخل به فى السفينة غاصت الدابة فى البحر، وقد تعجبنا من هذا ومما أخبرتينا به، وقد عاهدنا

الله تعالى أن لايرانا على معصية بعد هذا اليوم، قالت فتابوا عن آخرهم، فسبحان الله اللطيف الخبير، جميل العوائد، سبحان مدرك الملهوف عند الشدائد. وفى هذا المعنى أقول:

**يا مدركا بسريع اللطف والفرج — عند الشدائد للملهوف ذى الحرج**
**كلمحة الطرف بل أدنى تغيث ولو — في قعر بحر وجوف الحوت في اللجج**
**عوائد منك يا رحمن جارية — على جميل بذى معروفك البهج**
**عودتناها وكم عودت من نعم — وكم بغوثك بعد البؤس مبتهج**
**فالخير منك نراه غير منقطع — والشرّ لسنا نراه غير منفرج**
**لك المحامد يا محمود أجمعها — هديتنا دين حقّ غير ذى عوج**
**بأحمد المجتبى صلى الإله على — بدر الدجا مع نجوم بعده سرج**

**(الحكاية الثامنة والتسعون بعد المئتين عن بعضهم)** روى أنه كان على عهد رسول الله ﷺ رجل يتجر من بلاد الشام إلى المدينة، ومن المدينة إلى بلاد الشام، ولايصحب القوافل توكلا على الله عزّ وجلّ، فبينما هو قد جاء من الشام إلى المدينة إذ عرض له لصّ على فرس، فصاح بالتاجر فوقف له التاجر وقال: شأنك بمالى وخلّ سبيلى، فقال له اللصّ المال مالى وإنما أريد نفسك قال له التاجر: ما تريد بنفسى، شأنك المال وخلّ سبيلى، فردّ عليه اللصّ مثل المقالة الأولى، فقال له التاجر: أنظرنى حتى أتوضأ وأصلى وأدعوى ربى عز وجلّ، قال افعل ما بدا لك، قال: فقام التاجر وتوضأ وصلى أربع ركعات، ثم رفع يديه إلى السماء، فكان من دعائه أن قال: يا ودود يا ودود يا ودود، ياذا العرش المجيد، يا مبدىء يا معيد، يافعالا لما يريد، أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك، وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك، وبرحمتك التى وسعت كل شىء، لا إله إلا أنت، يا مغيث أغثنى ثلاث مرّات، فلما فرغ من دعائه، إذا بفارس على فرس أشهب، وعليه ثياب خضر، وبيده حربة من نور؛ فلما نظر اللصّ إلى الفارس ترك التاجر ومرّ نحو الفارس؛ فلما دنا منه شدّ الفارس على اللصّ، فطعنه طعنة أرداه عن فرسه، ثم جاء إلى

التاجر فقال له قم فاقتله، فقال له التاجر من أنت؟ فما قتلت أحدا قط ولاتطيب نفسى بقتله، قال: فرجع الفارس إلى اللصّ فقتله، ثم رجع إلى التاجر وقال: اعلم أنى ملك من ملائكة السماء الثالثة حين دعوت المرّة الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقعة، فقلنا أمر حدث، ثم دعوت الثانية، ففتحت أبواب السماء ولها شرر عظيم كشرر النار، ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الملائكة الكرام وهو ينادى: من لهذا المكروب، فدعوت ربى أن يولينى قتله؛ واعلم يا عبد الله أن من دعا بدعائك هذا فى كلّ كربة وكلّ شدة وكلّ نازلة، فرّج الله تعالى عنه وأغاثه، قال: فجاء التاجر غانما سالما حتى دخل المدينة وجاء إلى النبىّ ﷺ فأخبره بالقصة، وأخبره بالدعاء، فقال النبىّ ﷺ: لقد لقنك الله أسماءه الحسنى التى إذا دعى بها أجاب، وإذا سئل بها أعطى. قلت: هذا الحديث ذكره جماعة من الأئمة العلماء فى تصانيفهم رضى الله تعالى عنهم.

**(الحكاية التاسعة والتسعون بعد المئتين عن بعضهم)** روى أنه كان فى الكوفة رجل مكارى تثق به التجار ويأمنونه على أموالهم، فسافر وحده فى وقت؛ فلما خرج من العمران لقيه فى الطريق رجل، فقال له أين تريد؟ فقال المكارى: أريد بلد كذا وكذا، فقال له الرجل: لولا قلة قدرتى على المشى لكنت رفيقك إليها، لكن إن شئت أعطيتك دينارا على أن تحملنى إليها على دابتك، فقال له المكارى أفعل، فأخرج له دينارا، فأخذه وحمله على دابته؛ فلما صار فى بعض الطريق عرض لهما طريقان، فقال الراكب لصاحب الدابة: أىّ الطريق نأخذ؟ قال الزم الجادة، فقال له الراكب أليس هذا الطريق أقصد وأخصب لدابتك، قال صاحب الدابة ما سلكتها قط، قال له الرجل أنا سلكتها مرارا كثيرة، قال فسر حيث شئت، فسار ساعة من النهار حتى دقت تلك الطريق ورمتهم إلى واد موحش فيه جيف القتلى كثيرة، فقال صاحب الدابة أرى هذا الطريق قد انقطع، فنزل الرجل عن الدابة وأخرج سكينا وقصد المكارى ليقتله فقال له لاتفعل ودونك البغل وما عليه، قال لا والله لا آخذ البغل حتى أقتلك، فقال له سألتك بالله العظيم إلا ما تركتنى وأخذت البغل بما عليه، فقال لابدّ من قتلك إلا أن يسبقنى ملك الموت، قال: فدعنى أختم عملى

بركعتين ولاتعجل، فضحك من كلامه وقال: قم فافعل، فإنه فعل مثل ذلك كل من ترى من الجيف فى هذا الوادى، فما نفعتهم صلاتهم ولا خلصتهم منى، فعجل صلاتك، فقام يصلى، فكبر ثم قرأ فاتحة الكتاب ثم تلجلج ولم يدر ما يقول فنهره وقال عجل لا أم لك، فألهمه الله عزّ وجل أن يقول: (أم من يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء) فرفع صوته وهو يبكى، فإذا بفارس قد خرج من بطن الوادى وبيده رمح وفى رأسه سنان، كأنه كوكب مضىء، فجاء وقصد الرجل أسرع من اللحظة، فطعنه طعنة من ورائه خرّ بها على وجهه، ثم التهبت فى مكانه الذى وقع فيه النار؛ فلما رأى ذلك صاحب الدابة، خرّ ساجدا لله تعالى ما شاء الله، ثم رفع رأسه ومضى إلى الفارس وقال له: سألتك بالله الذى رحمنى بك فى هذا المكان من أنت؟ فقال الفارس: أنا عبد (أم من يجيب المضطرّ إذا دعاه) اذهب حيث شئت فلا بأس عليك. وأنشد بعضهم:

| | |
|---|---|
| لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا | وقمت أشكو إلى مولاى ما أجد |
| وقلت يا أملى فى كل نائبة | ومن عليه لكشف الضرّ أعتمد |
| أشكو إليك أمورا أنت تعلمها | مالى على حملها صبر ولا جلد |
| وقد مددت يدى بالذل مبتهلا | إليك يا خير من مدّت إليه يد |
| فلا تردّنها يا ربّ خائبة | فبحر جودك يروى كلّ من يرد |
| ثم الصلاة على المختار من مضر | محمد المصطفى ما مثله أحد |

**(الحكاية الثلاث مئة عن بعضهم)** روى أنه كان شاب من بنى إسرائيل لم ير فى زمانه أحسن منه، وكان يبيع القفاف، فبينما هو ذات يوم يطوف بقفافه، إذ خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بنى إسرائيل؛ فلما رأته رجعت مبادرة، فقلت لابنة الملك: إنى رأيت شابا بالباب يبيع القفاف لم أر شابا قط أحسن منه، فقالت لها أدخليه، فخرجت إليه وقالت: يا فتى ادخل نشتر منك، فدخل فأغلقت الباب دونه، ثم دخل بابا آخر فكذلك حتى أغلقت ثلاثة أبواب ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحرها، فقال اشتروا حاجتكم فقالت: إنا لم ندعك لها إنما دعوناك لكذا وكذا، يعنى تراوده عن نفسه، فقال لها: اتقى الله، قالت إن لم تطاوعنى على ما أريد أخبرت الملك أنك إنما دخلت

علىّ تراودنى عن نفسى، فوعظها فأبت، فقال: ضعوا لى وضوءا، فقالت أعلىّ تتعلل؟ يا جارية ضعى له وضوءا فوق الجوسق مكان لايستطيع أن يفرّ منه، قال: اللهمّ إنى دعيت إلى معصيتك وإنى أختار أن أرمى بنفسى من أعلى الجوسق ولا أرتكب المعصية، ثم قال: بسم الله، وألقى بنفسه من أعلى الجوسق، فأهبط الله تعالى إليه ملكا من الملائكة، فأخذ بضبعيه، فوقع قائما على رجليه؛ فلما صار فى الأرض قال: اللهمّ إن شئت رزقتنى رزقا تغنينى به عن بيع هذه القفاف، فأرسل الله تعالى إليه جرابا من ذهب، فأخذ منه حتى ملأ ثوبه، فلما صار فى ثوبه قال: اللهمّ إن كان هذا رزقا رزقتنيه فى الدنيا فبارك لى فيه، وإن كان ينقص مما لى عندك فى الأخرى فلا حاجة لى فيه، قال فنودى إن هذا الذى أعطيناك جزء من خمسة وعشرين جزءا من أجر صبرك على إلقائك نفسك من هذا الجوسق، فقال: اللهمّ لا حاجة لى فيما ينقصنى مما لى عندك فى الأخرى، فرفع ذلك عنه، وقيل للشيطان لعنه الله تعالى: هلا أغويته؟ يعنى بارتكاب الفاحشة، فقال كيف أقدر أن أغوى من بذل نفسه لله عزّ وجلّ رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين. ولله در القائل:

| | |
|---|---|
| **وسائل عنهم ماذا تقدمهم؟** | **فقلت فضل به عن غيرهم بانوا** |
| **صانوا النفوس عن الفحشاء وابتذلوا** | **منهنّ فى طرف العلياء ما صانوا** |

**(الحكاية الأولى بعد الثلاث مئة عن بعضهم)** حكى أن بعض الأخيار الأمناء استودعه بعض الملوك جوهرة نفيسة، فوضعها ذلك الأمين فى موضع فى بيته، فظفر بها ابن له صغير، فضربها بحجر، فانكسرت أربع فلق، فدخل على ذلك الرجل من الغمّ والخوف من الملك ما لايطيق، فعزم على الهرب، فلقيه شخص فقال له: أراك محزونا، فذكر له قصته وما أصابه من الضيق والخوف، فعلمه هذه الأبيات الأربعة:

| | |
|---|---|
| **وكم لله من لطف خفىّ** | **يدقّ خفاه عن فهم الذكىّ** |
| **وكم يسر أتى من بعد عسر** | **وفرج كربة القلب الشجىّ** |
| **وكم أمر تساء به صباحا** | **وتأتيك المسرّة بالعشىّ** |
| **إذا ضاقت بك الأحوال يوما** | **فثق بالواحد الفرد العلى** |

وقال له قلها وكرّرها، فالفرج يأتيك من الله تبارك وتعالى، ففعل ما أمر به، فبينما هو كذلك إذا برسول الملك قد جاء وقال له: إن سرّية الملك حدث فيها وجع، وقال الحكماء تكسر جوهرة أربع فلق، وتطرح فى ماءوتشربه، والملك يقول لك انظر لنا صانعا عارفا يكسر لنا اجوهرة التى عندك أربع فلق لاتزيد ولاتنقص، وأكد عليه فى ذلك، فقال السمع والطاعة، وانفرج عنه الكرب والغمّ، وذهب عنه الخوف والهمّ، وحمد الله وشكره على ما أولاه فى ذلك من النعم باللطف الخفىّ والكرم، ثم حمل تلك الفلق الأربع إلى الملك، فرأى الملك له صنيعا فى ذلك وإحسانا، فأنعم عليه وأحسن إليه، فعاد بالجائزة مسرورا آمنا مما كان محذورا، فسبحان اللطيف الكريم الرحمن الرحيم الذى يكشف الأحزان والشرور، ويخلفها بالإحسان والسرور، سبحانه ما أقرب فرجه من المضطرّين، ورحمته من المحسنين، تبارك الله ربّ العالمين.

**(الحكاية الثانية بعد الثلاث مئة عن بعضهم)** حكى أن بعض الملوك غضب على بعض الفقراء، فبنى له قبة وجعله فيها وسدّ بابها، ولم يترك لها منفذا، ومنعه من الطعام والشراب؛ فلما كان بعد ثلاثة أيام، وجد ذلك الفقير خارجا فى عافية طيبا مسرورا، فأخبر الملك بذلك، فقال هاتوه، فلما حضر بين يديه، قال له الملك: بالذى نجاك من هذه الشدة وفرّج عنك هذه الكربة، وانقذك مما كنت فيه، قل لى ما سبب خلاصك؟ فقال له الفقير: دعاء دعوت به، قال وما هو؟ قال قلت: اللهمّ إنى أسألك يا لطيف يا لطيف يا لطيف، يا من وسع لطفه أهل السموات والأرضين، أسألك اللهمّ أن تلطف بى من خفىّ خفىّ خفىّ لطفلك الخفىّ الخفىّ الخفىّ، الذى إذا لطفت به لأحد من عبادك كفى، فإنك قلت وقولك الحقّ المبين (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوىُّ العزيز) رضى الله تعالى عنه.

**(الحكاية الثالثة بعد الثلاث مئة: عن سرىّ السقطى رحمه الله)** قال: كان يسكن فى جوارى رجل من أهل القرآن صالح ورع، وكان فقيرا ذا علة، فاشتدت به الفاقة والضيعة فى بعض أيامه، فوقع فى نفسه أن يكتب حاله فى ورقة ويرفعها إلى الله عزّ وجلّ، فكتبها؛ فلما أدركه الليل انتصب فى محرابه يصلى ويدعو ويشير بالورقة إلى السماء، فلم يزل كذلك أكثر ليله، فمسه

السهر وأعياه القيام، فجلس يصلى قاعدا إلى أن بقى من الليل قليل، فغلب عليه النوم، فرأى فى منامه رجلا حسن الوجه يقول له: يا أبا البشر ما هذه الغفلة التى لحقتك، ترفع إلى ربك عزّ وجلّ سوادا فى بياض، قال: فكيف أصنع؟ قال: إذا أردت ذلك، فاستمدّ بيد الشكر من بحر الذكر بقلم الصبر، واكتب على قلبك ببياض الفكر على أرهب الطلب، قال قلت فماذا أكتب؟ قال قل: يا من أفضاله أفضل من أفضال المفضلين، وإنعامه أنعم من إنعام المنعمين؛ يا من عجز عن شكره شكر الشاكرين، قد جرّبت غيرك من المأمولين بغيرى من السائلين، فإذا كلّ قاصد إلى غيرك مردود، وكلّ طريق إلى سواك مسدود، وكلّ خير عندك موجود، وعند سواك معدوم ومفقود، قال قلت يا سيدى ما أحسن هذا، قال فإن بقى فى بياض بصيرتك وصرح عزيمتك من بقية، فاكتب: يا من إليه توسلت، وعليه فى السرّاء والضرّاء عوّلت، حاجاتى مصروفة إليك، وآمانىّ موقوفة لديك، كلّ ما وفقتنى له من خير أعمله وأطيقه، فأنت دليلى عليه وطريقه، قال فقلت يا سيدى وهذا حسن، قال فإن بقى فى بياض بصيرتك وصرح عزيمتك بقية فاكتب: ياقديرا لاتئوده المطالب، ويامَلكا يرغب إليه كلّ راغب، مازلت مصحوبا منك بالنعم، جاريا على عادات الإحسان والكرم، يامن بكرمه يبلغ الكرم، ومن حمده يزيد النعم، قال فقلت ياسيدى وهذا أحسن؛ قال فإن بقى فى بياض بصيرتك وصرح عزيمتك بقية فاكتب: يا من جعل الصبر عونا على بلائه، وجعل الشكر مادا لنعمائه، أسألك صبرا جميلا على المحن، وتوفيقا للشكر على المنن، فقد عظمت محنتك عن صبرى، وجلت نعمتك عن شكرى، فتفضل على إقرارى بعفو أنت أوسع له وأقدر على، فإن لم يكن لذنبى عذر تقبله، فاجعله ذنبا يغفر، ثم قال: يا أبا البشر قم فى مقام التبتل، وقف موقف التصل، متعرّضا للتفضل بخشوع التذلل، وللقبول بلسان التوسل إلى العزيز المتفضل، قال وقلت ياسيدى ما أحسن هذا؟ قال هو من دعاء خاصة الملك أفهمت؟ قلت نعم إن شاء الله، ثم مسح بيده على بطنى وصدرى فانتبهت وأنا ذاكر لما خاطبنى به، وما ذهب عنى منه حرف. قال السرىّ: حدثنا أبو البشر عند صلاة الفجر بهذا الحديث، فاستحسناه وكتبناه، رضى الله تعالى عنه.

**(الحكاية الرابعة بعد الثلاث مئة: عن بعض أهل العراق)** قال: كنت أقرأ عند أبى بكر بن مجاهد المقرى رضى الله تعالى عنه، فدخل عليه شيخ عليه ثياب رثة، فسأله أبو بكر عن حال أولاده، فقال: يا أبا بكر جاءتنى البارحة ابنة ثالثة، وطلب منى أهلى دانقا يشترون به سمنا وعسلا يحنكونها به، فلم أقدر عليه، فبت مهموما مغموما محزونا، فرأيت النبىّ ﷺ فى المنام، فقال: يا فلان لاتغتمّ ولا تحزن، إذا كان غدا ادخل على علىّ بن عيسى وزير الخليفة، فأقرئه منى السلام وقل له بعلامة أنك صليت علىّ عند قبرى أربعة آلاف مرّة يدفع إليك مئة دينار عينا. قال الراوى، فقال لى أبو بكر يا عبد الله فى هذا فائدة وقطع على القرّاء، وأخذ بيد الشيخ ودخل به على الوزير فرأى الوزير مع ابن مجاهد شيخا لم يعرفه، فقال له من أين هذا يا أبا بكر؟ فقال يدنيه الوزير ويسمع كلامه، قال: ما خطبك أيها الشيخ؟ فقال إن أبا بكر يعلم أن لى ابنتين وجاءتنى ابنة ثالثة البارحة فطلب منى أهلى دانقا يشترون به سمنا وعسلا يحنكونها به، فلم أقدر عليه، فبت مهموما، فرأيت النبىّ ﷺ فى المنام وهو يقول لى كذا وكذا، وذكر ما تقدم، قال: فاغرورقت عينا علىّ بن عيسى بالدموع وقال: صدق الله ورسوله وصدقت، أنت رجل صالح، هذا شىء ما كان يعلم به إلا الله ورسوله، يا غلام هات الكيس فأحضره بين يديه، فأخرج منه ثلاث مئة دينار، وقال هذه المئة التى قال لك رسول الله ﷺ، وهذه مئة أخرى بشارة، وهذه مئة أخرى هدية لك، فخرج الرجل ومعه ثلاث مئة دينار، وقد زال عنه همه وغمه وحزنه. قلت: وكما حصل لهذا الّرجل من رحمة الله تعالى وبركة رسول الله ﷺ حصل ذلك الخير لوزير الخليفة علىّ بن عيسى المذكور، إذ ترك الوزارة، وعلو الرياسة، وظلم السلطنة، وعظمة الجبابرة، وذهب إلى مكة وجاور بها، فما ذكره رسول الله ﷺ وخصه بذلك بذلك إلا لما علم الله ورسول ما يئول إليه أمره من الخير. وذلك أنه روى أن على بن عيسى ركب فى موكب عظيم، فجعل الغرباء يقولون من هذا؟ من هذا؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق إلى كم تقولون من هذا من هذا؟ هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون، فسمع علىّ بن عيسى ذلك، فرجع إلى منزله، فاستعفى من الوزارة وذهب إلى مكة وجاور بها رحمه الله.

**(الحكاية الخامسة بعد الثلاث مئة عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه)** قال: رأيت النبى ﷺ فى ليلة القدر، وكانت ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان ليلة جمعة، فقال لى يا علىّ طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كلّ نفس، قال فقلت يا رسول الله، وما ثيابى؟ قال اعلم أن الله قد خلع عليك خمس خلع: خلعة المحبة، وخلعة المعرفة، وخلعة التوحيد، وخلعة الإيمان، وخلعة الإسلام؛ فمن أحب الله هان عليه كل شىء، ومن عرف الله صغر فى عينيه كل شىء، ومن وحد الله لم يشرك به شيئا، ومن آمن بالله أمن من كل شىء، ومن أسلم الله لم يعصه، وإن عصاه اعتذر إليه، وإن اعتذر إليه قبل عذره، قال: ففهمت عند ذلك تفسير قوله تعالى (وثيابك فطهر) انتهى كلامه. قلت: إنما قال رسول الله ﷺ: «ومن أحب الله هان علىه كل شىء» لأن المحب يذل نفسه لمحبوبه، فكل ما أصابه من تعب وشدّة هان عليه فى رضا محبوبه، ولأنه لا يرى فى الوجود إلا فعل المحبوب، ذى الفضل والكرم والجود وكلّ ما يفعل المحبوب محبوب، وإنما قال ﷺ: «من عرف الله صغر فى عينيه كلّ شىء» لأن العارف بالله شهد من جلال الله وعظمته وكبريائه وقدرته ما صغر سواه من جميع بريته، ومع هذا يعظم ويكرم ويشرف ويحترم من اصطفاه الله وعظمه وشرّفه وكرّمه من الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام وسائر المصطفين من الأنام تعظيما لائقا بمخلوق مخصوص بالاصطفاء والمحبة ليس بينه وبين تعظيم الخلق نسبة، وإنما قال ﷺ: «ومن وحد الله لم يشرك به شيئا» لأن التوحيد ينافيه الشرك، والمراد بهذ الشرك الشرك الخفىّ الذى يعرفه العارفون بالله تعالى ويحترزون منه، لئلا يقدح فى توحيدهم الحقيقى الخاص. وأما الشرك الجلى فيعرفه أهل التوحيد الخاصّ والعام، ويقدح فى التوحيدين معا. ومما يقدح فى التوحيد الخاصّ دون العام محبة غير الله تعالى لغير الله كمحبوبات النفس وشهواتها المباحات إذا لم يقصد بها الاستعانة على طاعة الله تعالى. وأما محبة غير الله تعالى لله عزّ وجل، فلا تقدح فى التوحيدين معا، وللنفس أغراض وحظوظ دقيقة خفية فى بعض الأعمال لايفطن لها ولايحترز منها إلا الرجال أهل المقامات والأحوال، هى عندهم من الشرك الخفى. من ذلك ما قال بعضهم: من عبد الله طمعا

فى جنته أو خوفا من ناره، فقد أشرك به، ولكن يعبده لكونه أهلا لأن يعبد ولو لم يخلق جنة ولا نارا، تبارك وتعالى؛ وكذلك حبّ المنزلة عند الخلق، وخوف الخلق، واعتقاد بنفعهم وضرّهم، والرجوع فى الشدائد إليهم، وغير ذلك مما يطول فيه الكلام؛ وقد تكون حظوظ النفس المذكورة مع كونها مباحة مندوبا إليها فى ظاهر الشرع إذا استعملها العارفون بغير نية صالحة، نزلوا عن مقامهم العالى بسببها، كما روينا عن الشيخ أبى الغيث رضي الله عنه أنه رآه بعض الفقراء فى المنام فوق جبل عال ثم رآه بعد ذلك أسفل الجبل، فسأله عن ذلك، فقال له الشيخ اصبر حتى ترى رؤيا ثالثة، وتعال أعبر لك الجميع، فمكث سنة ثم رأى الشيخ برأس الجبل فى مكانه الأول، فأخبر الشيخ بذلك، فقال الشيخ نعم كان لى منزلة عند الله تعالى ومقام، فدنوت ذات ليلة إلى أم الفقراء، يعنى زوجته، فقبلتها قبلة بشهوة نفس لم يكن لله تعالى فيها نية منى، فنزلت عن ذلك المقام كما رأيت، ثم لم أزل أكد وأجتهد سنة حتى رجعت إلى مقامى كما رأيت رضى الله عنه وعن سائر الأولياء، ونفعنا بهم، وإنما قال ﷺ: «ومن آمن بالله أمن من كل شىء» يعنى من آمن بالله الإيمان الكامل، لأن من حصل له الإيمان الكامل حصل له التوكل الكامل، واستولى على قلبه خوف الله تعالى وهيبته وجلاله وعظمته وكبرياؤه وقدرته وقهره وسطوته، فلم ير فى الوجود معطيا ولا مانعا ولا ضارا ولا نافعا ولا خافضا ولا رافعا ولا مفرقا ولا جامعا إلا الله الواحد الرب الماجد، ذا الأسماء الحسنى والصفات العلى سبحانه وتعالى، فلم يَخِفْ سواه ولم يرج إلا إياه، إذ كل الوجود فى قبضته، لايتحرّك متحرّك إلا بإرادته، وكلّ خير وشرّ ونفع وضرر بقضاء وقدر؛ فالحركات والسكنات والإرادات والخطرات من جميع المخلوقات فى جميع الأمكنة والأوقات بقضاء رب الأرض والسموات، علم ذلك علماء الظاهر بقواطع الأدلة المعقولات والمنقولات، وعلمه علماء الباطن بقواطع الأدلة اليقينية الحاصلة بالمكاشفات والمشاهدات، فلما شاهدوا الكل منه لم يخافوا سواه، ولم يرجوا إلا إياه، وإنما قال ﷺ: «من أسلم لله لم يعصه، وإن عصاه اعتذر إليه، وإن اعتذر إليه قبل عذره» لأن من أسلم إسلاما صحيحا حقيقيا فقد استسلم لله وسلم نفسه له وانقاد لطاعته فلا يعصيه، لأن العصيان ينافى الانقياد للطاعة والإذعان، فإن

أزله الشيطان فى معصية سبق بها القدر تاب إلى المولى واستغفر وأناب وإذا اعتذر مع توبة صادقة قبل المولى الكريم بفضله عذره، وتاب عليه برحمته وكرمه، وجاد عليه بالمغفرة. اللهم يا ذا الجود والفضل العظيم، يا معروفا بالمعروف والإحسان القديم، صلّ وسلم أفضل الصلاة والتسليم على رسولك سيدنا محمد النبى الكريم واجعلنا متصفين بالأفعال كما جعلتنا واصفين بالأقوال، ووفقنا لمحاسن الأدب وصالح الأعمال، وجد علينا بالمعرفة الشاملة والتوبة الكاملة، والعطية السنية الفاضلة، فإنك أنت التوّاب الرحيم ذو الجلال والإكرام، والفضل الواسع العميم برحمتك يا أرحم الراحمين.

**(الحكاية السادسة بعد الثلاث مئة: عن أبى الحسن الشاذلى أيضا رضى الله تعالى عنه)** قال: وقع لى تردّد فى بدايتى بين الانقطاع إلى الله تعالى فى البرارى والقفار، وبين الرجوع إلى العمران وصحبة العلماء والأخيار، فوصف لى ولىّ من أولياء الله تعالى فى رأس جبل، فقصدته فوصلت إليه بعد ما أمسيت، فقلت ما أدخل عليه فى هذه الليلة إلى الصبح، فبتّ على باب المغارة، فسمعته يقول من داخل المغارة: اللهمّ إن أناسا من عبادك سألوك أن تسخر لهم خلقك، فسخرته لهم، فرضوا منك بذلك، وأنا أسألك أن تعوج علىّ خلقك حتى لايكون لى ملجأ إلا إليك يا ربّ العالمين، فقلت يا نفس اسمعى من أىّ بحر يغترف هذا الشيخ، فلما أصبحت دخلت عليه فسلمت عليه وملئت منه رعبا وقلت له يا سيدى كيف حالك؟ فقال أشكو إلى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حرّ التدبير والاختيار، فقلت له يا سيدى: أما حرّ التدبير والاختيار فأنا أعرفه وأنا فيه الآن، فما برد الرضا والتسليم ولم تشكو ذلك؟ فقال أخاف أن تشغلنى حلاوتهما عنه، فقلت له ياسيدى سمعتك تقول: اللهمّ إن أناسا من عبادك سألوك وذكرت ما تقدم، فتبسم وقال يابنىّ عوض ما تقول سخر لى، قل كن لى أترى من كان له يحتاج إلى شىء آخر فما هذه الجناية؟ رضى الله تعالى عنه. قال المؤلف كان الله له: وقد سمعت بعض المشايخ الأجلة الملاح الجامعين بين العلم والصلاح إذا سأل منه إنسان الدعاء يقول له: كان الله لك،وهذه الكلمة لعمرى وإن صغر لفظها فقد كبر قدرها، إذ هى مع وجازتها جامعة لكل المطلوبات، فإذا من كان له الله أعطاه المحبوبات

وكفاه المرهوبات، ولكن من كان لله كان الله له، كما أنّ من آثر الله آثره الله، ومن رضى عن الله رضى الله تعالى عنه، وكذلك سائر الصفات المحمودات التى لايقدر على الاتصاف بها إلا من اصطفاه الله لحضرة قدسه، وصفاه من كدورات نفسه، ونحن نستغفر الله من أقوال بلا أفعال، ونسأله التوفيق وصلاح الحال، وحسن الخاتمة فى المآل إنه المنان الجواد المفضال.

**(الحكاية السابعة بعد الثلاث مئة: عن بعضهم)** قال: كنت أنا والشيخ نصر الخرائطى ليلة فى موضع، فتذاكرنا شيئا من العلم؛ فقال الخرائطى: الذاكر لله سبحانه فائدته فى أول ذكره أن يعلم أن الله تعالى ذكره، فبذكر الله له ذكر الله، قال فخالفته فى ذلك، فقال لو كان الخضر عليه الصلاة والسلام هنا لشهد بصحة ذلك، فلما تلفظ بهذا اللفظ إذا نحن بشخص يجىء بين السماء والأرض حتى وصل إلينا، فسلم وقال: صدق الذاكر لله تعالى بفضل ذكر الله سبحانه له ذكره، قال فعلمنا أنه الخضر ﷺ. قلت: وذكر السلام على الخضر مما اختلف فيه، وكذلك سائر الذين اختلف فى نبوتهم؛ فبعض العلماء قال: يجوز السلام عليهم، وبعضهم قال: لايجوز ذلك، بل هو مخصوص بالأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام. وأما غيرهم فيقتصر فيهم على الترضى والقائل الأول كأنه يقول المختلف فى نبوّتهم وإن نزلوا عن درجة الأنبياء، فقد ارتفعوا عن درجة غيرهم، فلهم منزلة بين منزلتين، فكذلك لهم دعاء بين دعاءين، أعنى يدعى للأنبياء والملائكة بالصلاة، والصحابة وسائر الأولياء والعلماء بالترضى، ولهؤلاء المذكورين بما بينهما وهو السلام، وهذا القول لا بأس به إن شاء الله، بل هو حسن وإن كان قول الأكثرين على خلافه، والخلاف فى مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه فى هذا معروف عند من يعرف المذهب، والله أعلم.

**(الحكاية الثامنة بعد الثلاث مئة: عن الشيخ أحمد بن عطاء الله ﷺ)** قال: كلمنى جمل فى مسيرى إلى مكة، وذلك أنى رأيت الجمال المحملة عليها المحامل والأثقال، وقد مدّت أعناقها فى الليل، فقلت سبحان من يحمل عنها ما هى فيه، فالتفت إلى جمل منها وقال: قل جلّ الله، فقلت جلّ الله. وقال الشبلى رضى الله تعالى عنه: اعتقدت وقتا أنى لا آكل إلا من الحلال. فكنت

أدور فى البرارى، فرأيت شجرة تين، فمددت يدى إليها لآكل، فنادتنى الشجرة احفظ عليك عقدك لا تأكل منى فإنى ليهودى.

**(الحكاية التاسعة بعد الثلاث مئة: عن بعض السلف رضي الله عنه)** قال: غاب ابنى محمد، فوجدنا عليه وجدا شديدا، فأتيت معروفا الكرخى رضي الله عنه، فقلت له يا أبا محفوظ إنه قد غاب عنى ابنى وأمه واجدة عليه، فقال ما تشاء؟ فقلت ادع الله أن يردّه، فقال اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك، ائت بمحمد، قال أبوه فأتيت باب الشام، فإذا هو واقف، فقلت يا محمد، فقال يا أبت كنت الساعة بالأنبار. قلت: كان معروف رضى الله تعالى عنه معروفا بإجابة الدعوة، وقد ذكر أن الدعاء مستجاب عند قبره، وأهل بغداد يسمونه الترياق المجرّب، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية العاشرة بعد الثلاث مئة عن بعضهم)** روى أن امرأة جاءت إلى بعض المشايخ وقالت: إن ابنى قد أسره أهل الروم، ولا أقدر على مال أكثر من دويرة، ولا أقدر على بيعها، فلو أشرت إلى من يفديه بشىء فإنه ليس لى ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار، فقال نعم انصرفى حتى أنظر فى أمره إن شاء الله، وأطرق الشيخ ساعة إلى الأرض وحرّك شفتيه، ثم جاءت المرأة بعد مدة ومعها ابنها، وأخذت تدعو للشيخ وتقول قد رجع سالما، وله حديث عجيب يحدثك به، فقال الشاب: كنت بين يدى ملك الروم مع جماعة من الأسرى، وكان له إنسان مستخدمنا كل يوم يخرجنا إلى الصحراء للخدمة، ثم يردّنا وعلينا قيود. فبينما نحن راجعون من العمل بعد المغرب مع صاحبه الذى كان يحفظنا انفتح القيد من رجلى ووقع على الأرض ووصف اليوم والساعة، فوافق الوقت الذى جاءت فيه المرأة إلى الشيخ ودعا فيه لها، قال فنهض إلى الذى كان يحفظنى وصاح على كسرت القيد، فقلت لا بل سقط من رجلى، فتحير وأخبر صاحبه وأحضر الحداد وقيدونى؛ فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلى ثانيا فتحيروا فى أمرى فدعوا رهبانهم، فقالوا لى ألك والدة؟ قلت نعم، فقالوا وافق دعاءها بالإجابة، وقالوا أطلقك الله فلا يمكننا تقييدك، فردّونى واصطحبونى إلى ناحية المسلمين.

**(الحكاية الحادية عشرة بعد الثلاث مئة عن بعضهم)** حكى أنه كان فى طبرستان أمير ظالم يفتض الأبكار سفاحا، فلما كان فى بعض الأيام جاءت عجوز باكية إلى الشيخ أبى سعيد القصاب، فقالت له ياشيخ أغثنى فلى بنت عاتق جميلة، وقد أرسل إلىّ هذا الظالم لأصلح حالها ليأتى إلى منزلى ويفتضها، وقد جئتك عسى أن تدعو دعوة تكفّ شرّه عنا، فأطرق الشيخ ثم رفع رأسه وقال: يا عجوز إن الأحياء لم يبق فيهم من يستجاب له دعوة، فاذهبى إلى مقابر المسلمين، فإنك ستجدين هناك من يقضى حاجتك، فذهبت إلى مقابر المسلمين، فلقيها شاب حسن الصورة جميل الثياب طيب الرائحة، فسلمت عليه، فردّ عليها السلام وقال لها: ما حالك؟ فأخبرته بما جرى، فقال ارجعى إلى الشيخ أبى سعيد، فقولى له يدعو لك فإنه يستجاب له، فقالت الأحياء يدلونى على الموتى، والموتى يدلونى على الأحياء وليس أحد يغيثنى فإلى من أذهب؟ فقال انصرفى إليه وقد قضيت حاجتك بدعائه، فرجعت إليه فأخبرته بالحال، فأطرق مفكرا حتى عرق، فصاح صيحة وسقط على وجهه، وإذا الصوت قد وقع فى المدينة أن الأمير قد ركب يتوجه إلى دار العجوز لافتضاض ابنتها، فكبت به فرسه فعثر واندقت عنقه، وفرّج الله عنها وعن الناس بدعوة الشيخ؛ فلما أفاق الشيخ أبو سعيد قيل له: قال أحلتها على المقابر ولم تقض حاجتها فى أول مرة؟ فقال كرهت أن يسفك دمه بدعوتى، فأحلتها على أخى الخضر عليه الصلاة والسلام، فردّها إلى يعرفنى جواز الدعاء عليه. وأنشدوا:

**أمــا والله إن الظلم شــؤم ... ومــازال المسىء هو الظلوم**

**إلى ديان يوم الدين نمضى ... وعند الله تجتمع الخصوم**

**(الحكاية الثانية عشرة بعد الثلاث مئة عن المؤلف)** قال المؤلف كان الله له: أخبرنى بعض الأخيار فى بعض البلدان قال: حبس المطر عنا وتعب الناس، فخرج إنسان منا يشترى ماء، فاشتراه غاليا، فلقى فقيرا لايعرفه، فقال للفقير أما تنظر هذا الحال الذى نحن فيه، فادع الله لنا، قال فقال الفقير وبأىّ شىء أدعو لكم؟ قال قلت بالغيث، قال فاحمر وجهه وسكت ساعة ثم صاح صيحة

عظيمة، ثم خلانى وذهب، فما بلغت منزلى ولا أفرغت الماء الذى اشتريته إلا وقد جاء المطر وجرى السيل، رضي الله عنه ونفعنا به. قلت: وقد تقدم الكلام فى مقدمة الكتاب أن كرامات الأولياء من هذه الأمة من آثار معجزات النبى ﷺ ومن تتماتها، وهى لعمرى عيون تجرى فى سائر الأقطار من بحره الزاخر التيار. وفى هذه الوجاهة فى استسقاء الغمام الساكب قال فيه ﷺ عمه أبو طالب:

**وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل**

ﷺ وشرف وكرم وعظم.

**(الحكاية الثالثة عشرة بعد الثلاث مئة: عن بعضهم)** قال: كنا نمشى مع الشيخ أبى سعيد الخراز رضي الله عنه على ساحل بحر صيدى، فرأى أبو سعيد شخصا من بعيد، فقال اجلسوا لايخلو هذا من أن يكون وليا من أولياء الله تعالى، قال فما لبثا أن جاء شاب حسن الوجه وبيده ركوة ومعه محبرة وعليه مرقعة، فالتفت إليه أبو سعيد منكرا عليه لحمله المحبرة مع الركوة، فقال له: يافتى كيف الطريق إلى الله عزّ وجلّ، فقال: يا أباسعيد أعرف إلى الله طريقين: طريقا خاصا، وطريقا عاما. فأما الطريق العام فالذى أنت عليه وأصحابك. وأما الطريق الخاص فهلم ثم مشى على الماء حتى غاب عن أعيننا، فبقى أبوسعيد حيران مما رأى من كرامة الله عزّ وجلّ للشاب رضي الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين.

**(الحكاية الرابعة عشرة بعد الثلاث مئة: عن بعض المشايخ)** قال: مررت يوما على شاطئ الفرات، فعرضت لنفسى شهوة السمك الطريّ، فإذا الماء قد قذف بسمكة نحوى، وإذا رجل يعدو ويقول أشويها لك، فقلت نعم، فشواها فقعدت وأكلتها. وقال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه: جئت مسجد الشونيزية فرأيت فيه جماعة من الفقراء يتكلمون فى الآيات، يعنى في الكرامات، فقال فقير منهم أعرف رجلا لو قال لهذه الأسطوانة كونى ذهبا نصفك وفضة نصفك كانت. قال: الجنيد فنظرت فإذا الأسطوانة نصفها فضة ونصفها ذهب. وقال بعضهم: كنت عند ذى النون المصرى رضي الله عنه فتذاكرنا طاعة الأشياء للأولياء، فقال ذو النون: من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور فى أربع زوايا البيت، ثم يرجع إلى مكانه فيفعل، قال فدار السرير فى أربع زوايا البيت وعاد إلى مكانه،

وهناك شاب قاعد فأخذ يبكى حتى مات فى الوقت رضي الله عنه. وكان الفضيل بن عياض رضي الله عنه على جبل من جبال منى، فقال لو أن وليا من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أن يميد لماد فتحرّك الجبل فقال اسكن. فلم أردك بها إنما ضربت مثلا فسكن، رضي الله عنه.

**(الحكاية الخامسة عشرة بعد الثلاث مئة: عن أبى عمر الزجاجى)** قال: دخلت على الجنيد رضى الله تعالى عنه وكنت أريد الحجّ، فأعطانى درهما صحيحا، فشددته على مئزرى، فلم أدخل منزلا إلا وجدت فيه رفقا، ولم أحتج إلى الدرهم، فلما حججت ورجعت ودخلت على الجنيد فمدّ يده وقال: هات فناولته الدرهم، فقال كيف كان الختم، فقلت: كان الختم نافذا. وقال أبونصر السراج رحمه الله تعالى: دخلنا تستر فرأينا فى قصر سهل بن عبد الله رضي الله عنه بيتا كان الناس يسمونه بيت السباع، فسألنا الناس عن ذلك، فقالوا كانت السباع تجىء إلى سهل، وكان يدخلها هذا البيت ويضيفها ويطعمها اللحم، قال أبونصر: ورأيت أهل تستر كلهم متفقين على هذا لاينكرونه وهم الجمّ الغفير. وروى أن أكثر أهل الرحبة ينكرون كرامات الأولياء، فركب الشيخ جابر الرحبى رضى الله تعالى عنه أسدا يوما ودخل الرحبة وقال أين الذين يكذبون أولياء الله تعالى، قال فكفوا بعد ذلك. قلت. وروى أنه خرج الشيخ أبو الغيث اليمنى رضي الله عنه فى بدايته يوما يحتطب، فجاء الأسد فافترس حماره، فقال له تأكل حمارى فعلى أى شىء أحمل حطبى. وعزّة المعبود ما أحمله إلا على ظهرك، فحمل الحطب على ظهره وساقه إلى باب البلد. ثم حط الحطب عنه وقال له اذهب.

**(الحكاية السادسة عشرة بعد الثلاث مئة عن المؤلف)** قال المؤلف - كان الله له - من المشهور أن الفقراء قالوا يوما للشيخ أبى الليث رضى الله عنه نشتهى اللحم، فقال اصبروا إلى اليوم الفلانى وكان يوم سوق تأتيه القوافل؛ فلما جاء ذلك اليوم جاء الخبر أن قطاع الطريق أخذوا القافلة ثم جاء بعض القطاع الحرامية بحب وجاء آخر بثور، فقال الشيخ للفقراء تصرفوا فيه، فتصرفوا وأحضروا العيش، فتنحى الفقهاء، فدعاهم الفقراء للأكل فامتنعوا، فقال الشيخ للفقراء كلوا فان الفقهاء ما يأكلون الحرام، فلما فرغوا من الأكل جاء إنسان إلى الشيخ وقال ياسيدى إنى نذرت للفقراء كذا وكذا من الحب

فأخذه الحرامية، وجاء آخر إليه أيضا وقال: نذرت للفقراء ثورا فنهب، فقال لهما الشيخ: قد وصل إلى الفقراء متاعهم، فبقى الفقهاء يضربون يدا على يد متندمين على عدم موافقة الفقراء. وكان ﷺ صباغا، أعنى صباغا للقلوب يصبغ الناس وينقلهم من الصفات الدنية إلى الصفات السنية. وروى أنه وقفت بين يديه مغنية فغشى عليها ووقعت؛ فلما أفاقت طلبت التوبة وصحبت الفقراء، وكانت من المترفهات، فقال لهاالشيخ إنا نذبحك فتصبرين على الذبح؟ فقالت نعم، فأمرها أن تسقى الماء للفقراء، فمكثت ستة أشهر تحمل الماء على ظهرها، ورآها الشيخ قد تبدلت عن حالها الأوّل، ثم قالت للشيخ: إنى قد اشتقت إلى ربى، فقال لها الشيخ: يوم الخميس تلقين ربك، فماتت يوم الخميس رحمها الله تعالى. وفى الشيخ أبى الغيث رضى الله تعالى عنه قلت:

**لنا سيد كم ساد بالفضل سيدا ... بكلّ مكان ثم كلّ زمان**

**إذا أهل الأرض فاخروا بشيوخهم ... أبو الغيث فينا فخر كل يمانى**

**(الحكاية السابعة عشرة بعد الثلاث مئة عن المؤلف)** قال المؤلف ـ كان الله له ـ ومن المشهور أيضاً ما سمعناه ورواه الكبار من الشيوخ عن الشيخ الكبير العارف الربانى المربى عيسى المعروف بالهتار اليمنى ﷺ ونفعنا به أنه مر يرما على امرأة بغىّ، فقال لها بعد العشاء آتيك ففرحت بذلك وتزينت وتعجب من سمع منه ذلك، فلما كان بعد العشاء دخل عليها فصلى ركعتين فى البيت، ثم خرج، فقالت له أراك خرجت، فقال حصل المقصود، فتمزّقت عن حالها وخرجت بعد الشيخ تائبة، وخرجت عن كل ما تملكه، فزوّجها الشيخ ببعض الفقراء وقال اعملوا الوليمة عصيدة ولاتشتروا لها إداما، ففعلوا ذلك وأحضروه ألى الشيخ، فذهب إنسان إلى أمير رفيق لتلك المرأة، فقال له إن فلانة تابت، قال إيش تقول؟ قال إى والله تابت وقد تزوجّها بعض الفقراء، وأولموا بعصيدة وقد أحضروها وما معهم إدام، فأخرج له قارورتين فيهما خمر، وقال اذهب بهما إلى الشيخ وسلم عليه وقل له سرّنى ما سمعت، وبلغنى أن ما عندكم إدام للوليمة، فخذوا هذا فتأدموا به، وأراد يستهزئ بالفقراء ويفضحهم؛ فلما دنا رسول الأمير من الشيخ قال له أبطأت، ثم تناول إحدى القارورتين منه وخضها

ثم صبها على العيش، ثم فعل بالأخرى كذلك، ثم قال للرسول اجلس فكل، قال الرسول فطعمت سمنا لم أر أطيب منه، ثم رجع إلى الأمير وأخبره بالقصة، فجاء الأمير فرأى شيئا حيره، فتاب أيضا على يد الشيخ المذكور نفع الله به و(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم).

**(الحكاية الثامنة عشرة بعد الثلاث مئة عن بعضهم)** حكى أن رجلا من بنى إسرائيل عبد الله عشرين سنة ما عصاه فيها طرفة عين ثم عصاه عشرين سنة ما أطاعه فيها طرفة عين، فلما كان بعض الأيام نظر فى المرآة، فرأى شيبا فى لحيته، فقال آه آه أشيب وعيب، وعزتك لا عدت إلى معصيتك، وقام من وقته وتطهر للتوبة؛ فلما جنه الليل قال: إلهى أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة، فياليت شعرى إن رجعت إليك هل تقبلنى، فسمع صوتا من جانب البيت يسمع الصوت ولايرى الشخص وهو يقول: أحببتنا فأحببناك، وأطعتنا فأطعناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإن رجعت إلينا قبلناك. وأنشدوا:

**أخلقت وجهى المعاصى عند علام الغيوب سيدى شؤم المعاصى**

**أبعدت منك نصيبى سيدى قسوة قلبى حيرت كل طبيب**

**يا طبيبا للأطبا أنت عونى وطبيبى**

**اشفنى هب لى إلهى توبة تمحو ذنوبى**

**(الحكاية التاسعة عشرة بعد الثلاث مئة: عن عبد الله بن الفضيل رضي الله عنه)** قال: حضرت عند السرى السقطى رضي الله عنه وهو يجود بنفسه، فلحظنى بعينه فرآنى أبكى، فقال لى مالك تبكى يا أبا محمد؟ فقلت مما أرى بك، فقال لا تبك فإنى قد حسبت حسابى مع الله عز وجل، كنت أطلبه عشرين سنة حتى وجدته؛ فلما وجدته استخدمنى فخدمته عشرين سنة ثم أبكانى، فبكيت عليه عشرين سنة، ثم شوقنى فاشتقت إليه عشرين سنةً، ثم أفنانى ففنيت به عشرين سنة، وأنا الآن أؤمل أن أراه فأبقى له وبه ومعه، فينبغى يا أبا محمد أن تهنينى. وقال بعضهم: دخلت على سرى السقطى رضي الله عنه، فرأيته يكنس بيته بخرقة، ويتمثل بهذين البيتين:

**وما رمت الدخول عليه حتى حللت محلة العبد الذليل**

**وأغمضت الجفون على قذاها وصنت النفس عن قال وقيل**

وقال الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه: من عرف الله من طريق المحبة بغير خوف هلك فى البسط والإدلال، ومن عرفه من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش، ومن عرفه من طريق المحبة والخوف معا أحبه الله وأكرمه وقربه وفهمه ومكنه وعلمه، قلت: يشهد لصحة قول الفضيل ما اشتهر عن المشايخ الكبار المحبين العارفين أنهم لم يزالوا وجلين خائفين، رضى الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم.

**(الحكاية العشرون بعد الثلاث مئة عن بعض السلف)** قال بعض السلف: بينما عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يسيح فى بعض بلاد الشام اشتد به المطر والرعد والبرق، فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه، فرفعت له خيمة من بعيد، فأتاها، فاذا هو بامرأة فحاد عنها، فاذا هو بكهف فى جبل، فأتاه فإذا فى الكهف سبع، فوضع يده عليه، ثم قال: إلهى جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لى مأوى فأجابه الجليل تعالى: مأواك عندى فى مستقر رحمتى، لأزوجنك يوم القيامة مئة حوراء خلقتها بيدى، ولأطعمن فى عرسك أربعة آلاف عام كل يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا احضروا عرس عيسى ابن مريم ﷺ. وقال عبد الواحد بن زيد رضى الله تعالى عنه: مررت براهب فى صومعة، فقلت لأصحابى قفوا، فكلمته وقلت له ياراهب، فكشف سترا على باب صومعه، فقلت له ما علم اليقين؟ فقال: ياعبد الواحد إن أحببت أن تعلم علم اليقين فاجعل بينك وبين شهوات الدنيا حائطا من حديد وأرخى الستر.

**(الحكاية الحادية والعشرون بعد الثلاث مئة: عن عبدالواحد بن زيد رضى الله تعالى عنه)** قال: مررت بصومعة راهب من رهبان الصين، فناديته يا راهب، فلم يجبنى، فناديته ثانية فلم يجبنى، فناديته ثالثة فأشرف على وقال يا هذا ما أنا براهب، إنما الراهب من رهب الله عز وجل فى سمائه، وعظمه فى كبريائه، وصبر على بلائه، ورضى بقضائه، وحمده على آلائه، وشكره على نعمائه، وتواضع لعظمته، وذل لعزته، واستسلم لقدرته، وخضع لهيبته، وفكر فى حسابه وعقابه؛ فنهاره صائم، وليله قائم، قد أسهره ذكر النار، ومسئلة الجبار، فذلك هو الراهب، وأما أنا فكلب عقور، حبست نفسى بهذه الصومعة

عن الناس لئلا أعقرهم بلسانى، فقلت: ياراهب ما الذى قطع الخلق عن الله عز وجل بعد أن عرفوه؟ فقال: يا أخى لم يقطع الخلق عن الله عز وجل بعد أن عرفوه إلا حب الدنيا وزينتها، لأنها محل الذنوب والمعاصى، والعاقل من رمى بها عن قلبه، وتاب إلى الله تعالى من ذنبه، وأقبل على ما يقربه من ربه.

**(الحكاية الثانية والعشرون بعد الثلاث مئة عن بعضهم)** روى أن عيسى ابن مريم ﷺ صحبه رجل وقال: يانبى الله أكون معك فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر، فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة، فأكلا رغيفين وبقى رغيف، فقام عيسى ﷺ إلى النهر فشرب منه ثم رجع فلم يجد الرغيف، فقال للرجل من أخذ الرغيف؟ قال لا أدرى، فانطلق ومعه الرجل، فرأى ظبية ومعها ولدان لها، فدعا واحدا فأتاه فذبحه واشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل ثم قال له بعد ما ذبحه وأكلا منه ثم بإذن الله عز وجل فقام، فقال للرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ قال لا أدرى فانطلقا حتى انتهيا إلى مفازة، فجمع عيسى ﷺ ترابا وكثيبا، ثم قال له كن ذهبا بإذن الله عز وجل، فصار ذهبا، فقسمه ثلاثة أقسام، فقال ثلث لى وثلث لك وثلث للذى أخذ الرغيف، فقال أنا الذى أخذت الرغيف، قال فكله لك، وفارقه عيسى ﷺ، فانتهى إليه رجلان فى المفازة ومعه الذهب، فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه، فقال هو بيننا أثلاثا، فقبلا ذلك، فقال يذهب واحد إلى القرية حتى يشترى لنا طعاما، فذهب واحد واشترى طعاما وقال فى نفسه: لأى شىء أقاسمهما فى هذا المال؟ أنا أجعل فى هذا الطعام سما فأقتلهما وآخذ هذا المال جميعه فجعل فيه السم، وقالا هما فيم بينهما لأى شىء نجعل له الثلث إذا رجع إلينا قتلناه واقتسمنا المال نصفين؛ فلما رجع إليهما قتلاه ثم أكلا الطعام فماتا، فبقى ذلك المال فى المفازة، وأولئك الثلاثة قتلى عنده، فمر عليهم عيسى ﷺ كشفت له الدنيا فى صورة عجوز شمطاء عليها من كل زينة، فقال لها كم تزوجت؟ قالت لا أحصيهم، قال فكلهم ماتوا عنك أو كلهم طلقوك؟ قالت بل كلهم قتلت، فقال عيسى ﷺ: بؤسا لأزواجك الباقين كيف لايعتبرون بالماضين؟ كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد، فلا يكونون منك على حذر؟ قال الفضيل رضى الله تعالى عنه: بلغنى أن رجل عرج بروحه فى المنام، فرأى

امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلى والثياب الفاخرة، وإذا بها لايمر بها أحد إلا جرحته، فإذا هى إن أدبرت كانت أحسن شىء رآه الناس، وأن أقبلت كانت أقبح شىء رآه الناس، عجوز زرقاء شمطاء عمشاء، قال: فقلت لها أعوذ بالله منك، فقالت لا والله لايعيذك الله منى حتى تبغض الدرهم، قلت من أنت؟ قلت أنا الدنيا، نعوذ بالله منها.

**(الحكاية الثالثة والعشرون بعد الثلاث مئة: عن إبراهيم بن بشار رضى الله تعالى عنه)** قال: كنت مع إبراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه فى سفر، وليس معنا شىء نفطر عليه ولابنا حيلة، قال فرآنى الشيخ مغتما، يعنى ابن أدهم، فقال لى يا ابن بشار ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة فى الدنيا والآخرة؟ لايسألهم الله يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن صدقة ولا عن صلة رحم ولا عن مواساة، وإنما يسأل ويحاسب هؤلاء المساكين، يعنى الأغنياء، ثم قال: إن الأغنياء فى الدنيا فقراء فى الآخرة، أعزة فى الدنيا أذلة يوم القيامة، ولاتغتم ولاتحزن، فرزق الله مضمون سيأتيك، نحن والله ملوك الأغنياء تعجلنا الراحة فى الدنيا والآخرة، ولانغتم ولانحزن ولانبالى على أى حال أصبحنا وأمسينا إذا أطعنا الله تعالى، ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتى، فما لبثنا إلا ساعة وإذا نحن برجل قد جاءنا بثمانية أرغفة وتمر كثير فوضعه بين أيدينا وقال: كلوا رحمكم الله، فسلم إبراهيم من صلاته وقال: كل يامغموم يا حزين، فمر بنا سائل، فقال أطعمونى شيئا لوجه الله تعالى، فأعطاه إبراهيم ثلاثة أرغفة وتمرا وأعطانى ثلاثة أرغفة وتمرا وأكل هو رغيفين، وقال: المواساة من أخلاق المؤمنين، ثم أنشأ يقول:

**أخى نحن والله الملوك حقيقة　　لنا الملك فى الدارين والعز والغنى**

**نولى ونعزل والملوك جميعهم　　لنا خدم والذل يجزون والعنا**

**(الحكاية الرابعة والعشرون بعد الثلاث مئة عن الشبلى رضي الله عنه)** قال: خرجت ذات يوم أريد البادية، فرأيت شابا صغير السن نحيل الجسم أشعث أغبر، عليه ثياب رثة وهو جالس فى الجبانة يمرغ خدية بين القبور، وجعل يرمق السماء تارة بعد تارة، ويحرك شفتيه، والدموع تسيل من عينيه وهو

مستغرق فى الدعاء والذكر والاستغفار، ولايشغله شاغل عن التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد والتعظيم، فلما رأيت الشاب على تلك الحالة مالت نفسى إليه وطابت على لقائه، فتركت الطريق التى أروح عليها وقصدت نحوه؛ فلما رآنى أقبلت إليه انتفض من مكانه وقام يمشى هاربا منى، فنهضت نفسى فى اتباعه لعلى ألحقه، فلم أقدر على إدراكه، فقلت له رفقا يا ولى الله، فقال والله لا أفعل، فقلت بحقه إلا ما صبرت، فأشار بأصبعه لا أفعل وقال الله، فقلت له إن كان حقا ما تقول أرنى صدقك مع الله تعالى، فنادى بصوت عال الله الله الله، ووقع على الأرض مغشيا عليه، فدنوت منه وحركته، فإذا هو ميت من ساعته، فتوهمت من ذلك وتعجبت من حاله وصدقه مع الله تعالى، وقلت يختص برحمته من يشاء، وقلت لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، ثم تركته فى موضعه وسرت إلى حى من أحياء العرب لآخذ فى جهازه وإصلاح شأنه، فلما رجعت إليه حجب عنى فطلبته فى مكانه فلم أجد له أثرا ولاسمعت له خبرا فبقيت متحيرا، وقلت حجب عنى هذا الشاب، ومن سبقنى إليه؟ فسمعت قائلا يقول: يا شبلى قد كفيت أمر الفتى وماتولاه إلا الملائكة، فعليك أنت بعبادة ربك، وأكثر الصدقة من مالك، فما بلغ الفتى ما بلغ إلا بصدقته يوما فى الدهر، فقلت سألتك بالله إلا ما أخبرتنى ما هى تلك الصدقة؟ فقال لى: يا شبلى إن هذا الفتى كان فى أول عمره عاصيا مذنبا فاسقا زانيا، فعرض الله عليه رؤيا أفزعته وأقلقته، وهى أنه رأى فى المنام أن إحليله قد رجع ثعبانا ودار بفيه، ثم أطلق من فيه لهيب النار فأحرقه حتى عاد كالفحمة السوداء، فانتبه فزعا مرعوبا، وخرج فارا بنفسه مشتغلا بعبادة ربه، وله اليوم منذ رجع إلى طاعة ربه اثنتا عشرة سنة وهو على حالة التضرع والبكاء والخشوع والخوف، فلما كان بالأمس وقف له سائل سأله قوت يوم، فخلع ثيابه وسلمها إليه، ففرح السائل بذلك وبسط كفيه ودعا له بالمغفرة، فأجاب الله تعالى دعاءه ببركة الصدقة التى أفرحه بها كما جاء فى الحديث «اغتنموا دعوة السائل عند فرحة قلبه بالصدقة».

**(الحكاية الخامسة والعشرون بعد الثلاث مئة: عن أبى جعفر بن خطاب رضى الله تعالى عنه ـ وكان يقال إنه من الأبدال)** قال: وقف على بابى سائل،

فقلت لزوجتى هل معك شىء؟ قالت: أربع بيضات، فقلت ادفعيهن إلى السائل ففعلت، فلما انصرف السائل أهدى إلى بعض الإخوان مخلاة فيها بيض، فقلت لزوجتى كم فيها من بيض؟ فقالت ثلاثون بيضة، فقلت لها ويحك أعطيت السائل أربع بيضات فجاءك ثلاثون، أين حساب هذا؟ فقالت هن أربعون إلا أن عشرا مكسورات، فجاء بكل واحدة منهن عشر على صفتها. وحكى أن امرأة تصدقت برغيف على سائل، ثم خرجت تحمل غداء زوجها وكان يحصد زرعه، فمرت بروضة ومعها ابن لها، وإذا سبع قد التقم ابنها، فاذا يد قد لطمت السبع فقذف الطفل من فيه، وإذا بمناد تسمع صوته ولاترى شخصه يقول: خذى ولدك فقد جازيناك لقمة بلقمة.

**(الحكاية السادسة والعشرون بعد الثلاث مئة عن الجنيد)** حكى عن الجنيد رضي الله عنه أنه قال: خرجت يوما فى بعض الغزوات، وكان قد أرسل إلى أمير الجيش شيئا من النفقة، فكرهت ذلك ففرقته على محاويج الغزاة، فلما كان فى بعض الأيام صليت الظهر وجلست متفكرا فى ذلك نادما على قبوله وتفريقى إياه، فغلبنى النعاس فرأيت قصورا تبنى مزخرفة، ونعما طائلة، فسألت عنها؟ فقيل لى هذه لأصحاب المال الذى فرقته فى الغزاة، فقلت فمالى معهم شىء؟ فقيل ذلك القصر وأشاروا إلى قصر عظيم من أحسن القصور وأعظمها، فقلت فكيف فضلت عنهم؟ فقيل أولئك أخرجوا المال وهم يتوقعون الثواب عليه، فكان هذا جزاءهم وأنت فرقت ذلك المال خائفا وجلا محاسبا نفسك نادما، فضاعف الله تعالى لك ذلك على ثواب سعيك. وأنشد بعضهم:

**إذا كانت الدنيا تعد نفيسة ... فدار ثواب الله أعلى وأنبل**

**وإن كانت الأرزاق قسما مقدرا ... فقلة سعي المرء في الرزق أجمل**

**وإن كانت الأجساد للموت أنشئت ... فقتل امرئ فى الله بالسيف أفضل**

**وإن كانت الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل**

**(الحكاية السابعة والعشرون بعد الثلاث مئة عن قاضى بالرى)** حكى أنه كان بالرى قاض غنى، فجاءه فقير يوم عاشوراء فقال له: أعز الله القاضى أنا رجل فقير ذو عيال، وقد جئتك مستشفعا بحرمة هذا اليوم لتعطينى عشرة

أمنان خبزا وخمسة أمنان لحما ودرهمين، فوعده القاضى بذلك إلى وقت الظهر، فجاءه فدافعه إلى العصر؛ فلما جاءه وقت العصر لم يعطه شيئا، فذهب الفقير منكسرا فمر بنصرانى جالس بباب داره، فقال له بحق هذا اليوم وحرمته أعطنى شيئا، فقال النصرانى وما هذا اليوم؟ فذكر له الفقير شيئا من صفاته وحرمته، فقال له النصرانى: اذكر حاجتك فقد أقسمت بعظيم الحرمة. فذكر له الخبز واللحم والدرهمين، فأعطاه من الخبز عشرة أقفزة حنطة ومن اللحم مئة من، ومن الدراهم عشرين درهما، وقال هذا لك ولعيالك مادمت حيا فى كل شهر كرامة لهذا اليوم، فذهب الفقير إلى منزله، فلما كان الليل ونام القاضى سمع هاتفا يقول له ارفع رأسك، فرفع رأسه فرأى قصرا مبنيا بلبنة من ذهب ولبنة من فضة، وقصرا آخر من ياقوتة حمراء يرى ظاهره من باطنه، وباطنه من ظاهره، فقال إلهى ما هذان القصران؟ فقيل له هذان كانا لك، لو قضيت حاجة الفقير، فلما رددته صار لفلان النصرانى، قال فانتبه القاضى مرعوبا ينادى بالويل والثبور، فغدا إلى النصرانى، فقال له ماذا فعلت البارحة من الخير؟ فقال له وكيف ذلك؟ فذكر له الرؤيا، ثم قال له يعنى الجميل الذى عملته مع الفقير بمئة ألف، فقال له النصرانى إنى لا أبيع ذلك بملء الأرض كلها، وما أحسن المعاملة مع هذا الرب الكريم، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، وأن دينه هو الحق. وأنشدوا فى معنى ذلك:

**لا يلحقنك ضجرة من سائل ... فدوام عزك أن ترى مسئولا**

**لا تصرفن بالرد وجه مؤمل ... فلخير يومك أن ترى مأمولا**

**واعلن بأنك عن قليل صائر ... خبرا فكن خبرا يروق جميلا**

**تلقى الكريم فتستدل ببشره ... وترى العبوس على اللئيم دليلا**

وأنشدوا أيضا:

**يا طالب العفو هذا يوم عاشورا ... يوم غدا فضله فى الناس مشهورا**

**ما إن دعا ربه داع لحاجته ... إلا وعاد بما يهواه مسرورا**

**ولا أتى الله فيه مذنب خجل ... إلا وأصبح ذاك الذنب مغفورا**

فتب إلى الله فيه وابغ رحمته ... من قبل توقف يوم العرض مذعورا
وأنت فى فرق مضن وفى عرق ... تقرأ كتابك بين الخلق منشورا
فاسأل إلهك فيه فضل رحمته ... وقف على بابه خجلان مكسورا

**(الحكاية الثامنة والعشرون بعد الثلاث مئة عن حبيب العجمى)** يروى عن حبيب العجمى، رضى الله عنه أنه اشترى نفسه من ربه أربع مرات بأربعين ألف درهم، أخرج عشرة آلاف، وقال يارب اشتريت منك نفسى بهذه، ثم أخرج عشرة آلاف أخرى فقال يارب إن كنت قبلت تلك فهذه شكر لها، ثم أخرج عشرة آلاف ثالثة وقال إلهى إن لم تقبل الأولى والثانية فاقبل هذه، ثم أخرج عشرة آلاف رابعة وقال إلهى إن كنت قبلت الثالثة فهذه شكر لها. وروى أنه أصاب الناس مجاعة، فاشترى حبيب رضى الله تعالى عنه طعاما وفرقه على المساكين، ثم خاط أكيسة فجعلها تحت رأسه، ثم دعا الله تبارك وتعالى فجاءه أصحاب الطعام يتقاضونه، فأخرج تلك الأكيسة فإذا هى مملوءة دراهم، فوزنها فإذا هى قدر حقوقهم، فدفعها إليهم. وروى أنه أتاه مرة سائل وقد عجنت امرأته عجينا وذهبت تجىء بنار لتخبزه، فقال للسائل خذ العجين فأخذه، فجاءت امرأته وقالت أين العجين؟ فقال لها ذهبوا به يخبزونه، فلما أكثرت عليه أخبرها، فقالت سبحان الله، إنه لابد لنا من شىء نأكله، فإذا برجل قد جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزا ولحما، فقالت ما أسرع ما ردوه عليك قد خبزوه وجعلوا معه لحما رضى الله تعالى عنه ونفعنا به. قلت: وسنذكر فى الحكاية الآتية ما يشبه هذه إن شاء الله تعالى.

**(الحكاية التاسعة والعشرون بعد الثلاث مئة عن المؤلف)** قال المؤلف كان الله تعالى له: كنا جماعة فى بعض الأسفار جمعت بيننا فى الطريق الأقدار، فمررنا فى بعض الأيام بقرية فنزلنا فيها وأرسل الجماعة حين دخلوها واحدا منهم، فاستعار برمة فقصدوا فيها عصيدة وأكلوها إلا واحدا منهم، فإنه غاب عنهم ولم ينادوه يأكل معهم ومعه قليل من الدقيق، فلم يجد من يصنعه له من صاحب معروف أو صديق فخرج يدور بدقيقه بين البيوت لعل أحدا يصنع له ذلك القوت فلم يجد، فبينما هو كذلك يدور وإذا بشخص ضعيف مضرور

جمعت القدرة بينهما بواسطة اللطف الخفى من غير وعد، ونادى لسان حال الحكمة الإلهية: هذا رزق هذا الضعيف ورزقك يأتى فيما بعد، فدفع إليه رزقه ورجع إلى رفقته بلا غداء فبينما هو غائب عن علم الغيب، وإذا باللطيف قد قيض له إنسانا دعاه من بين الجماعة، فأطعمه ثريدا ولحما سمينا فى تلك الساعة حتى شبع وقوى على المشى الكثير، فسبحان الكريم اللطيف الخبير.
أيتها النفس الهلوعة الضعيفة اليقين، أما تصدقين ويحك بوعد الحق المبين، أما تثقين ويلك بضمان خير ضمين، أما توقنين بقول أصدق القائلين (أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها - وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين - وفى السماء رزقكم وما توعدون) ثم أتبع ذلك بقسم عظيم، أقسم به العظيم رب العالمين، مع أن قوله حق، ووعده صدق لايحتاج إلى يمين، فقال عز من قائل (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) أما تعلمين أن وعده الوفى ولطفه الخفى قد ضمنا للعباد فى جميع البلاد بسط أيادى الجود فى جميع الوجود، وساق مطايا الأرزاق من خزائن رحمة الرزاق، القدر السابق فى القدم بسوط القدرة، وقادها بزمام اللطف والكرم حتى دخلت فى باب الإيجاد بعدما خرجت من باب العدم، وسارت فى الوجود إلى أن وصلت إلى من له بالقسمة السابقة حصلت، وقطعت قلاص مواهب الخواص فيافى قفار عالم التقليب والتلوين، حتى وصلت إلى سرادقات عالم التقريب والتمكين، فبركت فى مبارك البركات بالمواهب الجليلة، فحط عنها تحف الفوائد وطرف العوائد الجميلة، ثم حمل تلك التحف والطرف خدام القدرة، ودخلوا بها إلى حضرة أهل الحضرة، فنالوا بتلك المواهب أعز المطالب، من المقامات العالية والمعارف الغالية خصهم بها المولى الكريم (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم) وأنشد لسان الحال فى الحال:

| | |
|---|---|
| **تبارك من عم الوجود بجوده** | **ومن منه فيض الفضل للخلق يغمر** |
| **ومن خص أهل القرب صفوة خلقه** | **بفضل عظيم وصفه ليس يقدر** |
| **فللقوم أعلام الولايات أعلمت** | **بمجد وخلعات الكرامات تزهر** |

**(الحكاية الثلاثون بعد الثلاث مئة: عن بعض الصالحين)** قال: دخلت مسجدا من المساجد أصلى فيه ركعتين، فإذا رجل عابد ورجل من التجار جالس، فسمعت العابد يقول: ياسيدى ومولاى أشتهى عليك اليوم أن تشبعنى من لون كذا وكذا من الطعام، ولون كذا وكذا من الحلواء، فقال التاجر: والله لو سألنى لأعطيته ولكن هذا يحتال على ويرائينى حتى أعطيه، والله لاأعطيه شيئا؛ قال فلما فرغ من دعائه نام فى ناحية المسجد، وإذا برجل قد دخل المسجد ومعه قعبة مغطاة، فنظر فى المسجد يمينا وشمالا، فرأى العابد نائما فى ناحية المسجد، فأتى إليه فأيقظه، وترك القعبة بين يديه والتاجر ينظر إليه، فوجد اللون الذى اشتهاه من الطعام والحلواء، فأكل منه قدر ما اشتهى وغطاه ورده، فقال التاجر للذى جاء بالقعبة: سألتك بالله هل تعرف هذا الرجل قبل هذا اليوم؟ قال لا والله ما أعرفه، وإنما أنا رجل حمال وكانت قد اشتهت على زوجتى وابنتى هذا اللون منذ سنة، فما طالت يدى إليه، فلما كان اليوم حملت لرجل وأعطانى مثقالا من الذهب، فاشتريت به لحما وغيره، وأتيت به إلى منزلى، فصنعته زوجتى، فغلبتنى عيناى، فنمت فرأيت النبى ﷺ فقال لى: قد قدم عليكم ولى من أولياء الله تعالى وهاهو فى المسجد، وقد اشتهى مما عملته لأهلك، فاحمله إليه يأكل منه شهوته، ويجعل الله تعالى لك البركة فيما بقى. وأنا الكفيل لك بالجنة، فانتبهت وجئت به كما ترى، فقال التاجر قد سمعته يسأل الله تعالى ذلك، ثم قال له كم أنفقت على هذا الطعام؟ قال مثقالا، فقال التاجر خذ منى عشرة مثاقيل واجعل لى فى أجرك قيراطا، قال لا، قال خذ عشرين مثقالا، قال لا، قال خذ خمسين مثقالا، قال لا، قال خذ مئة مثقال، قال لا،والله لابعت شيئا مما ضمنه لى رسول الله ﷺ وتكفله ولو أعطيت الدنيا جميعا، فلو كان لك نصيب من أجر شهوة هذا الولى لكنت سبقتنى أنت إليه، ولكن الله يختص برحمته من يشاء، قال فندم التاجر حيث لاينفعه الندم، وخرج من المسجد كالواله على ما فاته.

**(الحكاية الحادية والثلاثون بعد الثلاث مئة عن إبراهيم الخواص رضى الله تعالى عنه)** قال: كنت فى مسجد، فرأيت فقيرا ساكتا ثلاثة أيام لم يتحرك ولم يطعم ولم يشرب، وكنت أرقبه وأصبرمعه، فعجزت عنه فتقدمت

إليه وقلت له ماتشتهى، قال خبزا حارا ومصليا، فخرجت وتكلفت طول نهارى حتى أحصل على ما قال، فلم يتفق لى، فعدت إلى المسجد وأغلقت الباب، فلما كان بعد حين من الليل دق علينا الباب، ففتحته، فإذا بإنسان معه خبز حار ومصلية، فسألته عن السبب، فقال اشتهى على صبيانى هذا، فتخاصمنا وحلفنا أن لايأكل هذا إلا أهل المسجد، قال إبراهيم: فقلت إلهى إذا كنت تريد أن تطعمه فلم أتعبتنى طول النهار؟ رضى الله تعالى عنهما.

**(الحكاية الثانية والثلاثون بعد الثلاث مئة عن عابد)** حكى أن عابدا اعتكف فى مسجد ولم يكن له معلوم، فقال له الإمام لو اكتسبت لكان خيراً لك وأفضل، فلم يجبه حتى أعاد عليه القول ثلاثا، فقال له فى الرابعة بجوار المسجد رجل يهودى قد ضمن لى كل يوم رغيفين، فقال له إن كان صادقا فى ضمانه فقعودك فى المسجد خير لك، فقال ياهذا لو لم تكن إمام تقف بين يدى الله تعالى وبين عباده مع هذا النقص فى التوحيد لكان خيرا لك، تفضل ضمان يهودى على ضمان الله عز وجل؟ وأنشدوا فى هذا المعنى لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه:

**أتطلب رزق الله من عند غيره     وتصبح من خوف العواقب آمنا**

**وترضى بصراف وإن كان مشركا     ضمينا ولاترضى بربك ضامنا**

**(الحكاية الثالثة والثلاثون بعد الثلاث مئة: عن بعض الصالحين)** قال: إن الله تعالى لما أظهر الخلق فى القدم أظهر لهم الصنائع كلها ثم خيرهم فيها، فاختار كل إنسان صنعته، فلما أبداهم إلى الوجود أجرى على لسان كل واحد ما اختار لنفسه، قال: وانفردت طائفة فلم تختر شيئا، فقال لها اختارى، فقالت ما أعجبنا شىء رأيناه فنختاره، فأظهر لهم مقامات العبادة، فقالت قد اخترنا خدمتك يامولانا، فقال وعزتى وجلالى لأسخرنهم لكم، ولأجعلنهم لكم خداما، وعزتى وجلال لأشفعنكم غدا فيمن عرفكم وخدمكم وفيهم قال القائل:

تشاغل قوم بدنياهم وقوم تخلوا لمولاهم فألزمهم باب مرضاته

وعن سائر الخل أغناهم يصفون بالليل أقدامهم وعين المهيمن ترعاهم

**فما يعرفون سوى حبه     وطاعته طول محياهم**

**فطوبى لهم ثم طوبى لهم     وطوباهم ثم طوباهم**

❖ وقيل: دخل جماعة على أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه، فقالوا له أنطلب أرزاقنا؟

فقال إن علمتهم أين هى فاطلبوها، فقالوا أنسأل الله تعالى ذلك؟ فقال إن علمتم أنه ينساكم فذكروه، فقالوا ندخل بيوتنا ونتوكل، فقال التجربة مع الله تبارك وتعالى شك، قالوا فما الحيلة؟ قال ترك الحيلة.

**(الحكاية الرابعة والثلاثون بعد الثلاث مئة)** حكى أنه خرج بعض المريدين فى طلب الرزق، فسعى حتى تعب، فوجد خربة فجلس ليستريح، فبينما هو يتصفح الجدران، إذ نظر فى بعضها لوحا من رخام أخضر مكتوب فيه بخط أبيض هذه الأبيات:

**لما رأيتك جالسا مستقبلا ... أيقنت أنك للهموم قرين**

**ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبدا، وما هو كائن سيكون**

**سيكون ما هو كائن فى وقته ... وأخو الجهالة متعب محزون**

**فلعل ما تخشاه ليس بكائن ... ولعل ما ترجوه سوف يكون**

**يسعى الحريص فلا ينال بحرصه ... حظا ويحظى عاجز ومهين**

**فارفض لها وتعر من أثوابها ... إن كان عندك للقضاء يقين**

**هون عليك وكن بربك واثقا ... فأخو التوكل شأنه التهوين**

**طرح الأذى عن نفسه فى رزقه ... لما تيقن أنه مضمون**

قال فقرأها ورجع إلى منزله ولم يهتم فى الرزق بعدها رضى الله تعالى عنه.

وقيل: إن أبا يزيد رضى الله تعالى عنه صلى خلف إمام فى بعض المساجد، فلما سلم الإمام قال يا أبا يزيد من أين تأكل؟ فقال أبو يزيد اصبر حتى أعيد الصلاة التى صليتها خلفك حيث شككت فى رازق المخلوقين، فإنه لاتجوز الصلاة خلف من لايعرف الملك الرزاق تبارك وتعالى:

**(الحكاية الخامسة والثلاثون بعد الثلاث مئة: عن أبى القاسم الجنيد ﷺ)**

قال: بتّ ليلة عند السرى ﷺ، فلما كان فى بعض الليل قال لى ياجنيد أنت

نائم؟ قلت لا، قال الساعة أوقفنى الحق عز وجل بين يديه وقال لى: ياسرى خلقت الخلق كلهم، فادعوا محبتى، فخلقت الدنيا، فاشتغل بها من كل عشرة آلاف تسعة آلاف عنى بالدنيا وبقى ألف، وخلقت الجنة فاشتغل بالجنة عنى من الألف تسع مئة وبقى مئة فسلطت عليهم شيئا من البلاء، فاشتغل عنى من المئة تسعون بالبلاء وبقى عشرة، فقلت لهم أنتم لا الدنيا أردتم، ولا فى الآخر رغبتم، ولا من البلاء هربتم، فماذا تريدون؟ قالوا إنك لتعلم مانريد، فقلت: إنى سأنزل عليكم من البلاء ما لاتطيقون ولا تحمله الجبال الرواسى، أفتثبتون لذلك؟ فقالوا أليس أنت الفاعل بنا وقد رضينا، بك نحمل وفيك نحمل ولك نحمل ما لاتطيقه الجبال، فقلت لهم أنتم عبيدى حقا رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم. وفى رواية أخرى: قال ياسرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى، فخلقت الدنيا فهربت منى تسعة أعشارهم وبقى معى العشر، فخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر، فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر. وبقى معى عشر عشر عشر، فقلت للباقين معى: لا الدنيا أردتم، ثم ذكر نحو ما فى الرواية الأولى، وقال الجنيد رضى الله تعالى عنه: نظر يوما إلى جسد السرى رضي الله عنه كأنه جسد سقيم دنف مضنى، فقال لو شئت لقلت هذا من محبته، ثم غشى عليه وإذا وجهه كأنه قمر مشرق بعد أن كان وجهه أصفر، ثم اعتل فدخلت عليه أعوده، فقلت له كيف تجدك؟ فقال:

**كيف أشكو إلى طبيبى ما بى والذى بى أصابى من طبيبى**

قال فأخذت المروحة أروحه، فقال لى كيف يجد روح المروحة، من جوفه محترق من داخل ثم أنشأ يقول:

**القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع، والصبر مفترق**
**كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق**
**يا رب إن كان لى شىء به فرج فامنن على به ما دام بى رمق**

❖ وحكى أنه لما توفى السرى رضى الله تعالى عنه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك؟ قال غفر لى ولمن حضر جنازتى وصلى على، فقال الرائى فإنى ممن حضر جنازتك وصلى عليك، قال فأخرج درجا ونظره فيه فلم ير لى

فيه اسما، قلت بلى قد حضرت، فنظر فإذا اسمى فى الحاشية رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية السادسة والثلاثون بعد الثلاث مئة عن بعضهم)** روى أن يونس ﷺ قال لجبريل صلى الله عليهما وسلم: دلنى على أعبد أهل الأرض، فأتى به إلى رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وهو يقول: متعتنى بهما حيث شئت، وسلبتنيهما حيث شئت، وأبقيت لى فيك الأمل يا بار يا وصول، فقال يونس ﷺ: يا جبريل سألتك أن ترينى صواما قواما، فقال: قد كان قبل البلاء هكذا، وقد أمرت أن أسلبه عينيه، فأشار إليهما فسالتا، فقال متعتنى بهما حيث شئت، وسلبتهما حيث شئت، أبقيت لى فيك الأمل يا بار يا وصول، فقال جبريل عليه الصلاة والسلام هلم تدعو وندعو معك ليرد الله عليك يديك ورجليك وبصرك وتعود على العبادة التى كنت عليها، فقال ما أحب ذلك، قال ولم؟ قال إذا كان محبته فىَ هذا فمحبته أحب إلى، فقال يونس عليه الصلاة والسلام ما رأيت أحدا أعبد من هذا، فقال جبريل عليه الصلاة والسلام هذه طريق لايوصل إلى رضا الله تعالى بشىء أفضل منها، وأنشدوا:

**قالت لطيف خيال زارها ومضى ... وبالله صفه ولا تنقص ولا تزد**

**فقال خليته لو مات من ظمأ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد**

**قالت صدقت الوفا في الحب عادته ... يابرد ذاك الذى قالت على كبدى**

**(الحكاية السابعة والثلاثون بعد الثلاث مئة: عن شقيق البلخى رضي الله عنه)**
قال: طلبنا خمسا فوجدناها فى خمس، طلبنا بركة القوت فوجدناها فى صلاة الضحى، وطلبنا ضياء القبور فوجدناه فى صلاة الليل، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه فى قراءة القرآن، وطلبنا عبور الصراط فوجدناه فى الصوم والصدقة، وطلبنا ظل العرش فوجدناه فى الخلوة رضي الله عنه ونفعنا به. وقال بعض العلماء: قلت فى آخر مجلس اللهم اغفر لأقسانا قلبا وأجمدنا عينا، وأقربنا بالمعصية عهدا، وكان عندنا رجل مؤنث مذنب، فوقف وقال: أعد هذا الدعاء ثانيا: أنا أقساكم قلبا وأجمدكم عينا، وأقربكم بالمعصية عهدا، فادع الله تعالى كى يتوب على، قال فرأيت فى الليلة الثانية كأنى واقف بين يدى الله سبحانه

وتعالى وهو يقول لى: سرنى حيث أوقعت الصلح بينى وبين عبده، قد غفرت لك وله ولأهل مجلسك أجمعين. وحكى عن بعض الصالحين أنه رؤى بعد موته، فقيل له ما فعل الله بك، قال أعطانى كتابى بيمينى، فمررت بزلة فاستحيت أن أقرأها فقلت إلهى لاتفضحنى، فقال حين عملتها ولم تستح منى، قد غفرت زلتك وأدخلتك الجنة برحمتى وكرمى، سبحان الستار الحليم الجواد الكريم.

**(الحكاية الثامنة والثلاثون بعد الثلاث مئة: عن أبى عبد الله بن شجاع الصوفى رحمه الله تعالى)** قال: كنت بمصر أيام سياحتى، فاشتقات نفسى إلى النساء، فذكرت ذلك لبعض إخوانى، فقال لى هنا امرأة صوفية لها ابنة جميلة قد ناهزت البلوغ، قال فخطبتها، وتزوجت بها، فلما دخلت إليها وجدتها مستقبلة القبلة تصلى، فاستحييت أن تكون صبية فى مثل سنها تصلى وأنا لا أصلى، فاستقبلت القبلة فصليت ما قدر لى حتى غلبتنى عينى، فنمت فى مصلاى ونامت فى مصلاها؛ فلما كان فى اليوم الثانى كان مثل ذلك أيضا، فلما طال على ذلك قلت يا هذه هل لاجتماعنا هذا معنى، قالت له أنا فى خدمة مولاى، ومن له حق لا أمنعه، قال فاستحييت من كلامها وتماديت على أمرى نحو الشهر، ثم بدا لى السفر، فقلت يا هذه قالت لبيك، قلت إنى قد أردت السفر، قالت مصاحبا بالعافية والسلامة من كل ما تكره، وأعطاك كل ماتحب، فقمت فلما صرت عند الباب قامت فقالت ياسيدى كان بيننا فى الدنيا عهد لم يقض بتمامه عسى فى الجنة إن شاء الله تعالى يقضى، ثم قالت استودعتك الله تعالى خير مستودَع، فودعتها وخرجت، وسألت عنها بعد سنتين، فقيل لى هى على أفضل مما تركتها عليه من العبادة والاجتهاد رضى الله تعالى عنهما. وقال بعض الفقراء: كانت لى امرأة من أولياء الله تعالى، وكان إذا ورد عليها الحال لا أقدر أمد يدى إليها، ولا أستطيع أن أتمكن من حاجتى بها لقوة حالها وشدة هيبتها، فتقول عند ذلك من هو الرجل منا ومن المرأة؟ فإذا ذهب عنها الحال تمكنت ونلت منها ما شئت رضى الله تعالى عنها وعن جميع الأولياء.

**(الحكاية التاسعة والثلاثون بعد الثلاث مئة: عن ذى النون رضي الله عنه)** قال: اجتمعت فى جبل لبنان بامرأة متعبدة وهى كالشن البالى كأنها تخبر عن أهل

المقابر، ذات اجتهاد وعبادة، لم أر قط مثلها فى العبادة، فسألتها أين وطنك؟ فقالت مالى وطن إلا النار، أو يعفو العزيز الغفار؟ فقلت يرحمك الله تعالى، هل من وصية أو فائدة، قالت اجعل كتاب الله تعالى لك مائدة، وجالس وعده ووعيده، وشمر عن ساق الجد بالعزائم الحميدة، ودع ما يتعلق به البطالون من الأمل الكاذب الذى لاتحقيق لهم فيه، ولايدرون كيف العواقب فوالله لايرد هذا المنزل إلا المضمرون، ولايفوز بالسبق إلا المشمرون، فخذ يا أخى لنفسك فحمدت الله تعالى بمحامد لم أسمع مثلها قط، وصلت على رسول الله ﷺ بصلاة لم أسمع مثلها قط، ودعت بدعاء حسن رضى الله تعالى عنها.

**(الحكاية الأربعون بعد الثلاث مئة: عن ذى النون أيضا رضى الله تعالى عنه)** قال: رأيت ببعض سواحل الشام امرأة، فقلت لها من أين أقبلت؟ فقالت: من عند أقوام (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) فقلت أين تريدين؟ قالت إلى (رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله) فقلت صفيهم لى، فأنشأت تقول:

| | |
|---|---|
| **قوم همومهم بالله قد علقت** | **فما لهم همم تسمو إلى أحد** |
| **فمطلب القوم مولاهم وسيدهم** | **يا حسن مطلبهم للواحد الصمد** |
| **ما إن ينازعهم دنيا ولاشرف** | **من المطاعم واللذات والولد** |
| **ولا لباس لثوب فائق أنق** | **ولا لروح سرور حل فى بلد** |
| **فهم رهائن غدران وأودية** | **وفى الشوامخ تلقاهم مع العدد** |

رضى الله تعالى عنها.

**(الحكاية الحادية والأربعون بعد الثلاث مئة: عن ذى النون أيضا رضى الله تعالى عنه)** قال: بينما أنا مار على شاطىء البحر إذا بجارية مكشوفة الرأس مسفرة الوجه بلا خمار، فقلت لها يا جارية استرى وجهك بخمار، فقالت وما يصنع الخمار بوجه قد علاه الصفار؟ ثم قالت إليك عنى يا بطال، فإنى شربت البارحة بكأس المحبة، فبت مسرورة، فأصبحت اليوم من حب مولاى مخمورة، فقلت يا جارية أوصينى، قالت: ياذا النون عليك بالسكوت ولزوم البيت، والرضا بالقوت إلى أن تموت، رضى الله تعالى عنها.

**(الحكاية الثانية والأربعون بعد الثلاث مئة: عن بعض السلف)** قال: رأيت شابا فى سفح جبل عليه آثار القلق ودموعه تجرى، فقلت من أنت؟ قال عبد أبق من مولاه، قلت فتعود وتعتذر، قال العذر يحتاج إلى إقامة حجة، فكيف يعتذر المقصر؟ قلت تتعلق بمن يشفع لك، قال كل أهل الشفاعة يخافون منه، قلت من هو؟ قال مولى ربانى صغيرا فعصيته كبيرا، فواحيائى من حسن صنعه إلى وقبح عملى، ثم صاح صيحة وخر ميتا فخرجت عجوز فقالت: من أعان على قتل البائس الحيران رحمه الله تعالى؟ فقلت أقيم عندك أعينك على تجهيزه قالت خله ذليلا بين يدى قاتله عساه يراه بغير معين فيرحمه، ويقبله بكرمه وجوده.

**(الحكاية الثالثة والأربعون بعد الثلاث مئة عن بعضهم)** روى أن سليمان بن عبد الملك رحمه الله تعالى قال لأبى حازم رضي الله عنه: يا أبا حازم مالنا نكره الموت؟ قال لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فإنكم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب، قال صدقت يا أبا حازم، ليت شعرى ما لنا عند الله غدا؟ قال اعرض عملك على كتاب الله عز وجل، قال وأين أجده من كتاب الله تعالى؟ قال: من قوله تبارك وتعالى (إن الأبرار لفى نعيم، وإن الفجار لفى جحيم) قال سليمان: وأين رحمة الله؟ قال (قريب من المحسنين) قال سليمان ليت شعرى كيف العرض على الله تعالى؟ قال أبو حازم أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله فرحا مسرورا. وأما المسىء فكالآبق يقدم على مولاه خائفا محسورا، فبكى سليمان. وسئل أبو حازم رضى الله تعالى عنه: كيف تصلى؟ قال إذا قرب وقت الصلاة أسبغت الوضوء بتمام فروضه وسننه، ثم أستقبل القبلة وأمثل البيت الحرام بين حاجبى، والجنة عن يمينى، والنار عن شمالى، والصراط تحت قدمى، والله سبحانه وتعالى مطلع على، وأظن أن صلاتى تلك لا أصلى بعدها وأكبر بتعظيم وأقرأ بتفكير وأركع بتذلل وأسجد بتواضع وأسلم على التمام وأقوم على الوجل، ثم لا أدرى أتقبل منى أم يضرب بها وجهى؟ قال له السائل: منذ كم تصلى هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين سنة، قال: وددت لو صليت فى عمرى كله صلاة واحدة من هذه الصلاة، فأكون من الفائزين.

**(الحكاية الرابعة والأربعون بعد الثلاث مئة: عن صالح المرى رضى الله تعالى عنه)** قال: رأيت فى محراب داود عليه الصلاة والسلام عجوزا عليها مدرعة شعر، وقد كف بصرها وهى تصلى وتبكى، قال فتركت صلاتى ووقفت أنظر إليها فلما فرغت من صلاتها رفعت وجهها إلى السماء وجعلت تنشد:

**أنت سؤلى وعصمتى فى حياتى … أنت ذخرى وعمدتى فى مماتى**

**يا عليما بما أكن وأخفى … وبما فى بواطن الخطرات**

**ليس لى مالك سواك فأرجو … لدفع العظائم الموبقات**

قال فسلمت عليها وقلت لها ما الذى أوجب ذهاب عينيك؟ قالت بكائى على ما فرطت فى مخالفته ومعصيته وما كان من تقصيرى من ذكره فى خدمته، فإن عفا عنى عوضنى فى الآخرة خيرا منهما، وإن لم يعف عنى فما حاجتى بعين تحترق فى النار، قال فبكيت رحمة لها، فقالت يا صالح أيخف عليك أن تقرأ على شيئا من كتاب مولاى، فقد طال وعزته شوقى إليه، قال فقرأت (وما قدروا الله حق قدره) فقالت يا صالح من خدمه حق خدمته، ثم صرخت صرخة يتصدع قلب من سمعها، وسقطت على وجهها، وإذا بها قد فارقت الدنيا، قال ثم إنى رأيتها بعد ذلك فى المنام وهى فى حالة حسنة، فسألتها عن أمرها كيف كان؟ فقالت لما قبضت أوقفنى بين يديه، وقال أهلا بمن قتلها الأسف على تقصيرها فى خدمتى، ثم ولت وهى تقول:

**جاد لى بالذى أؤمل منه … وحبانى بكل ما أرتجيه**

**فى نعيم ولذة وسرور … أبدا عنده أخلد فيه**

رضى الله تعالى عنها.

**(الحكاية الخامسة والأربعون بعد الثلاث مئة عن المؤلف)** قال المؤلف كان الله تعالى له وغفر له: أخبرنى الشيخ على التكرورى المدفون فى القرافة رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وببركته أنه حضر فى وقت ميعاد السماع، فورد عليه وارد ولبث مدة أخرى أنهارا من خمر يسقاها ولايروى، ليست من خمر الدنيا، رأى ذلك فى اليقظة، ثم صار بعد ذلك يرى نورا، وكان حين يسقى يجد قوة

وأحوالا لولا أنه كان يمسكه عند ذلك سبعة من الرجال الأقوياء لهام ورمى نفسه فى المهالك، وحين رأى النور وجد ضعفا، وسألنى أى الحالين أفضل، فقلت هذا شىء لم يبلغه حالى فكيف أتكلم فى شىء لا أعرفه؟ وأنشد بعضهم:

**سقونى وقالوا لا تغن ولو سقوا جبال حنين ما سقونى لغنت**

❖ قلت: والظاهر والله أعلم أن رؤية النور المذكور من قبيل المعرفة، وشرب الخمر المذكور من قبيل المحبة، والمعرفة أفضل من المحبة عند الأكثرين من شيوخ الطريق أهل التحقيق. وقال سمنون المحب فى المحبة أفضل وقال: ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة لقوله ﷺ «المرء مع من أحب» قال العارفون: المحبة استهلاك فى لذة، والمعرفة شهود فى حيرة وفناء فى هيبة. وقال الشبلى رضي الله عنه: المحب إن سكت هلك، والعارف إن لم يسكت هلك. وقال أبو يزيد رضي الله عنه: العارف طيار، والزاهد سيار. وقال الشيخ أبو عبدالله القرشى رضي الله عنه: حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شىء.

**(الحكاية السادسة والأربعون بعد الثلاثة مئة عن أبى الربيع المالقى)** قال الشيخ أبو الربيع المالقى رضى الله تعالى عنه: كنت ليلة فى المسجد مع الشيخ أبى محمد سيد بن على الفخار رضى الله تعالى عنه، وكان من أدبى معه أن لا أقوم لوردى حتى يقوم، فقام ليلة وتوضأ وأنا مستيقظ فى مضجعى، ثم استقبل القبلة وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم أخذ فى ورده يتلو القرآن، فرأيت الحائط قد انشق وخرج منه شخص بيده زبدية بيضاء فيها شهد أبيض، فكلما فتح فمه لقمه ذلك الشخص لقمة من ذلك الشهد، فتعجبت مما رأيت، فاشتغلت به عن وردى، فلما أصبحت قلت يا سيدى رأيت كذا وكذا، فذرفت عيناه بالدموع وقال لى ذاك طيب القرآن يا أبا سليمان.

**(الحكاية السابعة والأربعون بعد الثلاث مئة: عن إبراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه)** قال: أتيت بعض البلاد، فنزلت فى مسجد، فلما كان العشاء الأخيرة وصلينا أتى إمام المسجد بعد انصراف الناس، فقال قم فاخرج حتى أغلق الباب، فقلت أنا رجل غريب أبيت ههنا، فقال الغرباء يسرقون القناديل والحصر، فلا نترك أحدا يبيت فيه ولو كان إبراهم بن أدهم، قلت له أنا

إبراهيم بن أدهم، وكانت ليلة شاتية، فقال كفى ما أنت فيه حتى تكذب، ثم قال أكثرت، وعدا على رجلى فجرنى على وجهى حتى رمانى على باب تنور حمام ومضى، فقمت فرأيت الوقاد الذى يوقد فى المستوقد، فقلت أبيت عنده، فنزلت فوجدت رجلا عليه قطعتا خيش، فسلمت عليه فلم يرد السلام، بل أشار أن اجلس، فجلست وهو خائف وجل ينظر تارة عن يمينه، وتارة عن شماله، فداخلنى الخوف منه، فلما فرغ من وقوده التفت إلى وقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فقلت عجبا لِمَ لَمْ تسلم على حين سلمت عليك؟ فقال يا هذا كنت أجير قوم فخفت أن أسلم فأشتغل بالسلام فآثم وأخون، فقلت له فرأيتك تنظر عن يمينك وشمالك أتخاف؟ قال نعم، قلت مم؟ قال من الموت لاأدرى من أين يأتى أمن يمينى أم من شمالى؟ قلت فبكم تعمل كل يوم؟ قال بدرهم ودانق، قلت فما تصنع؟ قال أتقوت بالدانق أنا وأهلى، وأنفق الدرهم على أولاد أخ لى، قلت أمن أمك وأبيك؟ قال بل أحببته فى الله عز وجل ومات، فأنا أقوم بأهله وأولاده، فقلت له هل دعوت الله عز وجل فى حاجة فأجابك؟ قال لى حاجة أنا منذ عشرين سنة أدعو الله عز وجل فيها وما قضاها، قلت وما هى؟ قال لى بلغنى أن فى العرب رجلا تميز عن الزاهدين وفاق العابدين، يقال له إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه دعوت الله عز وجل فى رؤيته وأموت بين يديه، فقلت أبشر يا أخى، فقد قضى الله تعالى حاجتك وقبل دعوتك، وما رضى لى أن آتيك إلا سحبا على وجهى، قال فوثب من مكانه وعانقنى وسمعته يقول: اللهم إنك قد قضيت حاجتى وأجبت دعوتى، اللهم اقبضنى إليك، فأجاب الله تعالى دعوته الثانية فى الحال وسقط ميتا رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما آمين.

**(الحكاية الثامنة والأربعون بعد الثلاث مئة: عن الشيخ أبى يزيد القرطبى رضى الله تعالى عنه)** قال: سمعت فى بعض الآثار أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار، فعملت ذلك على رجاء بركة الوعد، فعملت منها لأهلى، وعملت منها أعمالا ادخرتها لنفسى، وكان إذ ذاك فى بيت معنا شاب يقال إنه يكاشف فى بعض الأوقات بالجنة والنار، وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه، وكان فى قلبى منه شىء، فاتفق أن

استدعانا بعض الإخوان إلى منزله، فبينما نحن نتناول الطعام والشراب وهو معنا، إذ صاح صيحة منكرة، واجتمع فى نفسه وهو يقول: يا عم هذه أمى فى النار وهو يصيح بصياح عظيم لايشك من سمعه أنه عن أمر؛ فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت فى نفسى اليوم أجرب صدقه، فألهمنى الله تعالى السبعين ألفا، ولم يطلع على ذلك أحد إلا الله تعالى، فقلت فى نفسى الأثر حق، والذين رووه لنا صادقون، اللهم إن السبعين الألف فداء هذه المرأة أم هذا الشاب من النار، فما استتمت الخاطر فى نفسى حتى قال لى يا عم هاهى أخرجت، الحمد لله رب العالمين، فحصلت لى الفائدتان: إيمانى بصدق الأثر، وسلامتى من الشاب وعلمى بصدقه رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما، وأنشد الشيخ أبو العباس بن العريف رضى الله تعالى عنه لنفسه:

**سلوا عن الشوق من أهوى فإنهم ... أدنى إلى النفس من وهمى ومن نفسى**

**مازلت مذ سكنوا قلبى أصون لهم ... لحظي وسمعى ونطقى إذ هم أنسى**

**فمن رسول إلى قلبى ليسألهم ... عن مشكل من سؤال الصب ملتبس**

**لأنهضن إلى حشرى بحبهم ... ولا أكون كمن قد خانهم ونسى**

❖ قلت: قد غيرت بعض ألفاظ النصف الأخير من البيت الرابع فإنه قال فيه:

**◆ لابارك الله فيمن خانهم ونسى ◆**

فكرهت هذا الدعاء، لأنا وعموم الخلق ما عدا الخواص لم نزل خائنين ناسين، وإنما قوله يناسب حاله وحال غيره من الصديقين والصادقين، وقد حذفت أيضا من أبياته بيتين قبل البيت الأخير لمصلحة رأيتها، وهى خوف أن يتطرق إلى الإنكار من ليس له فهم معانى أهل الأسرار رضى الله تعالى عنهم، وجعلنا منهم، ونفعنا بهم.

**(الحكاية التاسعة والأربعون بعد الثلاث مئة: عن أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه)** قال: أرقت ليلة فقمت إلى وردى، فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة، فأردت أن أنام فلم أرقد فقعدت فلم أطق القعود، ففتحت الباب وخرجت وإذا رجل ملتف بعباءة مطروح على الطريق، فلما أحس بى رفع رأسه

وقال يا أبا القاسم إلى الساعة، فقلت يا سيدى من غير موعد؟ فقال بلى سألت محرك القلوب أن يحرك إلىَّ قلبك، قلت قد فعل فما حاجتك؟ قال متى يصير داء النفس دواءها؟ فقلت إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها، فأقبل على نفسه، فقال لها اسمعى فقد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات، فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد، فقد سمعت، فانصرف عنى ولم أعرفه ولم أقف عليه رضى الله تعالى عنهما، وقال الشيخ خير النساج رضى الله تعالى عنه: كنت جالسا فى بيتى، فوقع لى أن الجنيد بالباب، فنفيت ذلك عن قلبى، فوقع ثانيا وثالثا، فخرجت فإذا بالجنيد، فقال لِمَ لَمْ تخرج من الخاطر الأول، رضى الله تعالى عنهما.

**(الحكاية الخمسون بعد الثلاث مئة عن بعضهم)** روى أنه كان كرز الجرجانى رضى الله تعالى عنه يجتهد فى العبادة، فقيل له فى ذلك، فقال كم بلغكم مقدار يوم القيامة؟ قالوا مقدار خمسين ألف سنة، قال فكم بلغكم عمر الدنيا؟ قالوا سبعة آلاف سنة، قال أفيعجز أحد أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم، قلت: هذا بالنسبة إلى عمر الدنيا المذكورة. وأما بالنسبة إلى عمر الواحد إذا عمر مئة سنة مثلا، فإنه يكون جميع عمره بالنسبة إلى يوم القيامة خمس عشر العشر، وقال أحمد بن أبى الحوارى رضى الله تعالى عنه: دخلت على أبى سليمان الدارانى رضي الله عنه فوجدته يبكى، فقلت له ما يبكيك؟ فقال يا أحمد ولم لاأبكى، وإذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه، وافترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم وقطرت فى محاريبهم، أشرف الجليل سبحانه، فنادى جبريل عليه السلام بعينى من تلذذ بكلامى، ثم يناديهم ما هذا البكاء، هل رأيتم حبيبا يعذب أحبابه، أم كيف يجمل بى أن أعذب أقواما إذا جنهم الليل تملقوا إلىّ؟ فوعزتى إذا وردوا على يوم القيامة لأكشفن لهم عن وجهى حتى ينظروا إلى وأنظر إليهم رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم، وقيل: كان بعضهم يسأل ربه تبارك وتعالى أن يكرمه ويستره، فقام ليلة إلى الصباح يصلى ويبتهل إلى الله تعالى، فنظر إليه بعض أصحابه، فرأى فوق رأسه قنديلا معلقا من النور يتشعشع لناظريه، فقيل له فى ذلك، فقال:

**يا صاحب السر إن السر قد ظهرا ... ولا أريد حياة بعد ما اشتهرا**

ثم سجد فقبضه الله فى سجوده، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الحادية والخمسون بعد الثلاث مئة: عن إبراهيم بن شبيب رحمه الله تعالى)** قال: كنا نتجالس فى يوم الجمعة بعد صلاتها، فإذا رجل عليه ثوب واحد ملتحف به، فجلس إلينا والقى مسئلة، فما زلنا نتكلم فى الفقه حتى انصرفنا، ثم جاءنا فى الجمعة المقبلة فأحببناه وسألناه عن منزله، فأخبرنا به، وسألناه عن كنيته فقال أبو عبد الله، فرغبنا فى مجلسه، فمكثنا كذلك زمانا، ثم انقطع عنا، فاجتمعنا إليه وأتينا قريته وسألنا عنه، فقالوا ذاك أبو عبد الله الصياد ذهب يصطاد والآن يأتى، فقعدنا ننتظره، فاذا هو قد أقبل متزرا بخرقة، وعلى كتفه خرقة، ومعه أطيار مذبوحة وأطيار أحياء؛ فلما رآنا تبسم إلينا، فقلنا قد كنت عمرت مجلسنا، فما غيبتك عنا؟ قال إذا أصدقكم كان لى جار كنت أستعير منذ ذلك الثوب الذى كنت آتيكم به وقد سافر، ثم قال هل لكم أن تدخلوا المنزل فتأكلوا من رزق الله تعالى؟ قال فدخلنا وقعدنا، فدخل إلى امرأته وسلم إليها الأطيار المذبوحة وأخذ الأطيار الأحياء فباعها فى السوق واشترى خبزا، وجاء وقد صنعت امرأته ذلك وهيأته، فقدم إلينا خبزا ولحم طير وملحا، فأكلنا وخرجنا، فقال الجماعة بعضهم لبعض الا تنظرون إلى حال هذا الرجل وما هو فيه من الفقر، مع فضله وصلاحه وأنتم قادرون على أن تجمعوا له ما يقوم بحاله؟ قال فاتفقوا على أن يجمعوا له ما يقوم بحاله وما يستعين به، وانصرفنا راجعين على عزم أن نأتيه بالذى وعدوا به وهو خمسة آلاف درهم؛ فلما مررنا بالمريد إذا بأمير البصرة محمد بن سليمان قاعد فى منظرة له، فقال يا غلام ائتنى بإبراهيم بن شبيب، قال فأتيته فسألنى عن قصتنا ومن أين أقبلنا، فصدقته الحديث فقال أنا أسبقكم إلى بره، ثم استدعى بعشرة آلاف درهم ودفعها إلى غلام له فراش، وأمره أن يمشى بها معى إليه، ففرحت بذلك وقمت مسرعا؛ فلما أتيت الباب سلمت، فأجابنى أبو عبد الله ثم خرج إلى، فلما رأى الفراش والبدرة على عنقه تغير وجهه وقال مالى ولك يا هذا، أتريد أن تفتننى؟ فقلت يا أبا عبد الله اقعد حتى أخبرك، إن القصة كيت وكيت، وإنه كما تعلم أحد الجبارين، يعنى الأمير، فالله الله فى نفسك، قال فازداد على غيظا وقام ودخل

وأغلق الباب فى وجهى، ورجعت إلى الأمير ولم أجد بدا من الصدق فأخبرته، فقال حرورى والله ياغلام على بالسيف، ثم قال له اذهب مع هذا الغلام إلى هذا الرجل فاضرب عنقه وائتنى برأسه، فقلت له أصلح الله الأمير، الله الله فى هذا الرجل فوالله لقد رأينا رجلا ما هو من الخوارج، ولكننى أذهب فآتيك به، قال ومقصودى بذلك الافتداء منه، فاطمأن لذلك، فمضيت حتى أتيت الباب فسلمت، فاذا المرأة تبكى، فقلت ماشأنكم وشأن أبى عبد الله؟ فقلت وما حاله؟ قالت دخل فنزع ما عليه وتوضأ ثم صلى وسمعته يقول: اللهم اقبضنى إليك ولاتفتنى، ثم تمدد وهو يقول ذلك، فلحقته وقد قضى نحبه وها هو ميت، فقلت لها يا هذه إن لنا قصة عظيمة فلا تحدثوا فيه شيئا، فجئت الأمير فأخبرته الخبر، فقال أنا أركب فأصلى على هذا، وشاع خبره بالبصرة، فشهده الأمير وعامة أهل البصرة رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين.

**(الحكاية الثانية والخمسون بعد الثلاث مئة: عن محمد بن السماك رضى الله تعالى عنه)** قال: كان لى جار بالكوفة له ولد يصوم النهار ويقوم الليل، وكان إذا جنه الليل يبكى، وينشد ويقول:

**لما رأيت الليل أقبل خاشعا ... بادرت نحو مؤنسى بنحيبى**

**أبكى فتقلقنى إليه صبابتى ... فأبيت مسرورا بقرب حبيبى**

فإذا كان آخر الليل يبكى ويقول:

**فدرت فى الليل إذ لاحت معالمه ... ما كان أنسى به فيه لمولايا**

**ضمنت فى القلب حبا قد كلفت به ... والله يعلم ما مكنون أحشايا**

وقال محمد بن السماك وكان أبوه شيخا كبيرا، فسألنى يوما أن أكلم ولده برفق بنفسه، فبينما أنا ذات يوم جالس على باب دارى ومعى جماعة من أصحابى، إذ مر الغلام فناديته: يافتى أقبل إلينا، فأقبل فتأملته، فإذا هو قد صار كالشن البالى، فلو هبت الريح لرمت به من شدة الضعف، فسلم وجلس، فقلت له حبيبى إن الله تعالى قد افترض عليك طاعة أبيك كما افترض عليك طاعته، ونهاك عن معصية أبيك كما نهاك عن معصيته، وإن أباك قد أمرنا

بأمر فتأذن لنا فى الكلام، فقال يا عم لعلك تريد أن تأمرنى بتقصير فى العمل، وبترك المبادرة إلى الله عز وجل، فقلت له: لا وَالله بدون هذا تدرك هذا الشأن الذى تطلب إن شاء الله تعالى، فقال هيهات ياعم، إنى بايعت على هذا الشأن فتية من الحى على السباق إلى الله عز وجل جدوا واجتهدوا، ودُعوا فأجابوا، ولم يبق غيرى، وإنما عملى يعرض عليهم فى كل يوم مرتين، فما يقولون إذا رأوا فيه خللا أو تقصيرا، ثم قال يا عم إنى بايعت على هذا الشأن فتية جعلوا الليل لهم مطية، فقطعوا بها عرض المفاوز، وسموا بها ذرى الشواهق، فإذا أصبحوا نظرت إليهم قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر، وفصلت أعضاؤهم بخناجر التعب، خمص البطون من السرى، لايقر بهم القرار، ولا يجاورون الأشرار، دُعوا فأجابوا الملك الجبار، قال ابن السماك فتركنا والله فى حيرة ومضى، فما كان إلا ثلاثة أيام حتى قيل قد مات الفتى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به، وفى أمثاله قال القائل:

**تجـــــوَّع لـلإلـه لـكـى يـراه ... نحيل الجسم من طول الصيام**

**وقــام لـربـه فـى الليل حـــتـى ... أضـرّ بجـسـمـه طول القـيـام**

**سيجـزى فى جنان الخلد حورا ... نواعم قـاصـرات فى الخـيـام**

**ويلهـو مـع حـسـان نـاعـمـات ... جـــوار الله فى دار الســـلام**

**(الحكاية الثالثة والخمسون بعد الثلاث مئة: عن بعض السلف)** قال: أن قوما أمروا امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خيثم رضى الله تعالى عنه لعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب والحلى وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه من الطيب، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهى سافرة، فقال لها الربيع كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين، أم كيف بل لو قد سألك منكر ونكير؟ فصرخت صرخة ووقعت مغشيا عليها، قال فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق.

**(الحكاية الرابعة والخمسون بعد الثلاث مئة: عن الحسن رضى الله تعالى عنه)** قال: كانت امرأة بغى من زمن بنى إسرائيل، لها ثلث الحسن، لاتمكن من نفسها إلا بمئة دينار، وأنه أبصرها عابد فأعجبته، فذهب يعمل بيده ويعالج فجمع مئة دينار، ثم جاء إليها وقال إنك أعجبتينى، فانطلقت فعملت بيدى وعالجت حتى جمعت لك مئة دينار، فقالت له ادخل، فدخل وكان لها سرير من ذهب، فجلست على سريرها ثم قالت له هلمّ، فلما جلس منها مجلس الرجل من المرأة ذكر مقامه بين يدى الله تعالى، فأخذته رعدة، فقال لها اتركينى أخرج ولك المئة دينار، قالت ما بدا لك وقد زعمت أنى أعجبتك، فلما قدرت على فعلت الذى فعلت، قال خوفا من الله ومن مقامى بين يديه، وقد بغضك إلى، فأنت أبغض الناس إلى، فقالت إن كانت صادقا فما لى زوج غيرك، فقال دعينى أخرج فقالت لا، إلا أن تجعل لى أنك تتزوج بى، قال عسى أن يكون ذلك فتقنع بثوبه، ثم خرج إلى بلده فارتحلت بعده نادمة على ما كان منها حتى قدمت بلده، فسألت عن اسمه ومنزله، فدلت عليه، وكانت تعرف بالملكة، فقيل له إن الملكة قد جاءتك، فلما رآها شهق شهقة فمات رحمه الله، قال فسقط فى يدها، فقالت أما هذا فقد فاتنى، فهل له من قريب، قالوا أخوه رجل فقير، فقالت أنا أتزوج به حبا لأخيه، فتزوجته، فيسر الله منها سبعة أبناء كلهم صالحون.

**(الحكاية الخامسة والخمسون بعد الثلاث مئة: عن رجاء بن عمرو النخعى)** قال: كان فى الكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد، وكان أحد الزهاد، فنزل فى جوار قوم من النخع، فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها وهام بها عقله، ونزل بها مثل الذى نزل به فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبر أبوها أنها مسماة لابن عم لها، فاشتد عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى، فأرسلت إليه أنه قد بلغنى شدة محبتك وقد اشتد بلائى بك، فإن شئت زرتك وإن شئت سهلت لك أن تأتينى إلى منزلى، فقال للرسول لا واحدة من هاتين الخصلتين (إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم) أخاف نارا لايخبو سعيرها ولايخمد لهيبها؛ فلما انصرف الرسول إليها وأبلغها ما قال، قالت وأراه مع ذلك زاهدا يخاف الله، والله ما أحد أحق بهذا الأمر من أحد،

وإن العباد فيه لمشتركون، ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها ولبست المسوح وجعلت تتعبد، وهى مع ذلك تذوب وتنحل حبا للفتى وأسفا عليه حتى ماتت، فكان الفتى يأتى إلى قبرها، فرآها فى منامه وكأنها فى أحسن منظر، فقال لها كيف أنت ومالقيت؟ فقالت:

**نعم المحبة يا حبى محبتنا      حبا يقود إلى خير وإحسان**

فقال على أثر ذلك: إلام صرت؟ فقالت:

**إلى نعيم وعيش لا زوال له      فى جنة الخلد ملك ليس بالفانى**

فقال لها اذكرينى هناك فإنى لست أنساك، فقالت ولا أنا والله أنساك، ولقد سألت ربى مولاى ومولاك، فأعنى على ذلك بالاجتهاد، ثم ولت مدبرة، فقال لها متى أراك؟ قالت ستأتينا عن قريب، فلم يعش الفتى بعد تلك الرؤيا إلا سبع ليال، رحمة الله عليهما.

**(الحكاية السادسة والخمسون بعد الثلاث مئة: عن كعب الأحبار رحمة الله تعالى)** أن رجلا من بنى إسرائيل أتى فاحشة، فدخل نهرا يغتسل فيه، فناداه الماء يافلان أما تستحى، ألم تتب من هذا الذنب وقلت إنك لاتعود إليه، فخرج من الماء فزعا وهو يقول: ما بقيت أعصى الله أبدا، فأتى جبلا فيه اثنا عشر رجلا يعبدون الله عز وجل، فلم يزل معهم حتى قحط موضعهم، فنزلوا يطلبون الكلأ، فمروا على ذلك النهر، فقال لهم ذلك الرجل: أما أنا فلست بذاهب معكم، قالوا ولم؟ قال لأن ثم من اطلع منى على خطيئة، فأنا أستحى منه أن يرانى فتركوه ومضوا، فناداهم النهر: ألا أيها العباد ما فعل صاحبكم؟ قالوا زعم أن ههنا من قد اطلع منه على خطيئة فهو يستحى منه أن يراه، قال سبحان الله العظيم إن أحدكم يغضب على ولده أو على بعض قراباته، فإذا تاب ورجع إلى ما يحب أحبه، وإن صاحبكم قد تاب ورجع إلى ما أحب فأنا أحبه فائتوه وأخبروه، واعبدوا الله على شاطئى. فأخبروه فجاء معهم فأقاموا يعبدون الله زمانا، ثم إن صاحب الفاحشة توفى، فناداهم النهر يا أيها العباد والعبيد الزهاد غسلوه من مائى وادفنوه على شاطئى حتى يبعث يوم القيامة من قربى، ففعلوا ذلك به وقالوا نبيت ليلتنا هذه على قبره، فإذا أصبحنا سرنا،

فباتوا على قبره؛ فلما جاء وقت السحر غشيهم النعاس فأصبحوا وقد أنبت الله عز وجل على قبره اثنتي عشرة سروة، وكان أول سرو أنبته الله على وجه الأرض، قالوا ما أنبت الله عز وجل هذا السرو فى هذا المكان إلا وقد أحب الله عبادتنا فيه، فأقاموا يعبدون الله عز وجل عند قبره، كلما مات واحد منهم دفنوه إلى جانبه إلى أن ماتوا كلهم، قال كعب الأحبار: فكان بنو إسرائيل يحجون إلى قبورهم رضى الله تعالى عنهم.

**(الحكاية السابعة والخمسون بعد الثلاث مئة: عن كعب الأحبار أيضا رضي الله عنه)** قال: انطلق رجلان من بنى إسرائيل إلى مسجد من مساجدهم فدخل أحدهما وجلس الآخر خارجا، فجعل يقول ليس مثلى يدخل بيت الله، وقد عصيت الله، فكتب صدِّيقا، قال: وأصاب رجل من بنى إسرائيل ذنبا فحزن عليه وجعل يجيء ويذهب ويقول بم أرضى ربى بم أرضى ربى؟ فكتب صديقا، وحكى عن الشبلى رضي الله عنه أنه قال: كنت فى قافلة بالشام، فخرج الأعراب فأخذوها، وجعلوا يعرضونها على أميرهم، فخرج جراب فيه سكر ولوز، فأكلوا منه ولم يأكل الأمير، فقلت له لم لاتأكل؟ فقال أنا صائم، فقلت تقطع الطريق وتأخذ الأموال وتقتل النفس وأنت صائم؟ فقال ياشيخ أترك للصلح موضعا؛ فلما كان بعد حين رأيته يطوف حول البيت وهو محرم، وقد أنحلته العبادة حتى صار كالشن البالى، فقلت له أنت ذاك الرجل، فقال نعم ذلك الصيام أوقع الصلح بينى وبينه رحمة الله تعالى عليه.

**(الحكاية الثامنة والخمسون بعد الثلاث مئة: عن الأصمعى رحمة الله تعالى)** قال: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينما أنا فى بعض سككها، إذ طلع أعرابى جلف جاف على قعود له، متقلد بسيفه وبيده قوس، فدنا وسلم على وقال ممن الرجل؟ قلت من بنى الأصمع، قال أنت الأصمعى؟ قلت نعم، قال ومن أين أقبلت؟ قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن، قال وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟ قلت نعم، قال اتل على شيئا منه، فقلت له انزل على قعودك، فنزل فابتدأت بسورة الذاريات حتى انتهيت إلى قوله تعالى (وفى السماء رزقكم وما توعدون) قال يا أصمعى هذا كلام الرحمن عز وجل؟ قلت إى والذى بعث محمدا ﷺ بالحق إنه لكلامه الذى أنزله على نبيه ﷺ، فقال

لى حسبك ثم قام إلى راحلته فنحرها وقطعها بجلدها، وقال أعنى على تفريقها، ففرقناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه، فكسرهما وجعلهما تحت الرمل وولى مدبرا نحو البادية وهو يقول (وفى السماء رزقكم وما توعدون) فأقبلت على نفسى باللوم وقلت لِمَ لَمْ تتنبهى لما انتبه له هذا الأعرابى، فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة المشرفة، فبينما أنا أطوف بالكعبة إذ هتف بى هاتف بصوت دقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابى نحيلا مصفرا، فسلم على وأخذ بيدى فأجلسنى من وراء المقام وقال لى اتل على كلام الرحمن، فأخذت فى سورة الذاريات؛ فلما انتهيت إلى قوله تعالى (وفى السماء رزقكم وما توعدون) صاح الأعرابى أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، ثم قال، وهل غير هذا؟ قلت نعم، يقول الله عز وجل (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) فصاح الأعرابى صيحة وقال سبحان الله، من أغضب الجليل حتى حلف، ألم يصدقوه حتى ألجئوه إلى اليمين، قالها ثلاثا، فخرجت فيها نفسه، رحمة الله تعالى عليه.

**(الحكاية التاسعة والخمسون بعد الثلاث مئة عن عطاء الأزرق)** حكى أنه خرج عطاء الأزرق إلى الجبانة يصلى بالليل، فعرض له لص، فقال اللهم اكفنيه كيف شئت، فيبست يداه ورجلاه، فجعل يبكى ويصيح: والله لا أعود أبدا، فأطلق فاتبعه وقال أسألك بالله من أنت؟ قال أنا عطاء، فلما أصبح جعل يسأل: أتعرفون رجلا صالحا يخرج بالليل إلى الجبانة يصلى؟ قالوا نعم عطاء السلمى، فذهب إلى عطاء السلمى فدخل عليه وقال: إنى جئتك تائبا من قضية كذا وكذا، فادع الله لى، فرفع عطاء يديه إلى السماء وجعل يبكى ويقول: ويحك ليس ذاك أنا إنما ذاك عطاء الأزرق رضى الله تعالى عنهما وعن جميع الصالحين ونفعنا بهم أجمعين آمين، وروى أنه دخل الشيخ أبو الحسن النورى رضى الله تعالى عنه فى الماء ليغتسل، فجاء اللص وأخذ ثيابه ومشى، ثم بعد ساعة رجع اللص بالثياب وقد يبست يده، فلبس النورى ثيابه وقال: إلهى رددت على ثيابى فاردد عليه يده، فعوفى ومشى من ساعته، رضى الله تعالى عنه.

(الحكاية الستون بعد الثلاث مئة: عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى) قال: قحط بنو إسرائيل على عهد موسى ﷺ، فسألوه أن يستسقى لهم، فقال اخرجوا معى إلى الجبل، فخرجوا، فلما صعدوا الجبل، قال موسى: لا يتبعنى رجل أصاب ذنبا، فانصرفوا جميعا إلا رجلا أعور يقال له برخ العابد، فقال له موسى ألم تسمع ما قلت؟ قال بلى قال فلم تصب ذنبا؟ قال ما أعلمه إلا شيئا أذكره لك فان كان ذنبا رجعت، قال ما هو؟ قال مررت فى طريق فإذا باب حجرة مفتوح، فلمحت بعينى هذه الذاهبة شخصا لاأعلم ما هو أرجل أم امرأة؟ فقلت لعينى أنت من بين بدنى سارعت إلى الخطيئة، لاتصحبينى بعدها أبدا فأدخلت أصبعى فقلعتها، فإن كان هذا ذنبا رجعت، قال موسى ليس هذا ذنبا، ثم قال له استسق يابرخ فقال قدوس قدوس ما عندك لاينفد وخزائنك لاتفنى وأنت بالبخل لا ترمى، فما هذا الذى لاتعرف به، اسقنا الغيث الساعة الساعة، قال فانصرفا يخوضان فى الوحل برحمة الله عز وجل.

(الحكاية الحادية والستون بعد الثلاث مئة عن بعضهم) حكى أنه لحق بنى إسرائيل قحط أيضا على عهد موسى ﷺ، فاجتمع الناس إليه، فقالوا يا نبى الله ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث، فقام معهم فخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفا أو يزيدون، فقال موسى ﷺ إلهى اسقنا غيثك، وانشر علينا رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرضع والبهائم الرتع، والشيوخ الركع، فما زادت السماء إلا صحوا، ولا الشمس إلا حرا، فقال موسى إلهى إن كان قد خلق جاهى عندك، فأنا أسألك بجاه النبى الأمى محمد ﷺ الذى تبعثه فى آخر الزمان اسقنا، فأوحى الله عز وجل إليه: ما خلق جاهك عندى، وإنك عندى وجيه، ولكن فيكم عبد يبارزنى بالمعاصى منذ أربعين سنة، فناد بالناس حتى يخرج من بين أظهركم؛ فبه منعتكم الغيث فقال موسى إلهى وسيدى أنا عبد ضعيف وصوتى ضعيف، فأين يبلغ إليهم وهم سبعون ألفا أو يزيدون أو ينقصون، فأوحى الله عز وجل إليك منك النداء وعلى البلاغ، فقام مناديا وقال يا أيها العبد العاصى الذى يبارز الله عز وجل منذ أربعين سنة بالمعاصى، اخرج من بين أظهرنا فبك منعنا المطر، فقام العبد العاصى فنظر ذات اليمين وذات الشمال، فلم ير أحدا خرج، فعلم أنه المطلوب، فقال فى نفسه: إن أنا

خرجت من بين هؤلاء الخلق افتضحت على رءوس بنى إسرائيل، وإن قعدت معهم منعوا لأجلى" فادخل رأسه فى ثيابه نادما على فعاله وقال: إلهى وسيدى عصيتك أربعين سنة وأمهلتنى، وقد أتيتك طائعا فاقبلنى، فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء، فأمطرت كأفواه القرب، فقال موسى إلهى وسيدى بماذا سقيتنا ولم يخرج من بين أظهرنا أحد، فقال يا موسى سقيتكم بالذى به منعتكم، فقال موسى إلهى أرنى هذا العبد الطائع فقال يا موسى إنى لم أفضحه وهو يعصينى أفأفضحه وهو يطيعنى، ياموسى إنى أبغض النمامين أفأكون نماما.

**(الحكاية الثانية والستون بعد الثلاث مئة عن بعضهم)** حكى أن ثلاثة نفر خرجوا يستسقون فى زمن داود عليه السلام، فقال أحدهم: اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا، وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا، وفى هذا المعنى قلت:

| | |
|---|---|
| **تعاليت ربى أنت إذ قد أمرتنا** | **بعفو وصفح عن مسىء لنا ظلم** |
| **وها نحن ربى قد ظلمنا نفوسنا** | **وأنت الذى بالعفو أولى وبالكرم** |

وقال الثانى: اللهم إنك أمرتنا أن نعتق عبيدنا إذا شابوا فى خدمتنا، وقد شبنا فى خدمتك فتفضل علينا بعتقنا، وأنشدوا فى هذا المعنى:

| | |
|---|---|
| **إن الملوك إذا شابت عبيدهم** | **في رقهم أعتقوهم عتق أبرار** |
| **فأنت أولى بذا يا سيدى كرما** | **قد شبت فى الرق أعتقنى من النار** |

وقال الثالث: اللهم إنك أمرتنا أن لانرد المساكين إذا وقفوا ببابنا، وهانحن مساكين قد وقفنا ببابك، فجد علينا بفضلك وإحسانك وعظيم امتنانك، وأنشدوا:

| | |
|---|---|
| **أتيناك فى ركب المطامع والرجا** | **وقد كاد جيش اليأس يذهب بالأمل** |
| **فإن جدت بالعفو الذى أنت أهله** | **هزمنا سرايا عسكر الخوف والوجل** |

❖ وأنشدوا أيضا:

| | |
|---|---|
| **أتيناك نرجو الفضل فامنن تفضلا** | **علينا وجد ياذا المكارم والعلى** |
| **فأنت الذى يرجى ويكثر فضله** | **إذا انسدت الأبواب وانقطع الرجا** |

❖ وأنشد بعضهم:

قـــدمت عليك رب البـــرايا فـــأمن روعـــتى يوم القـــدوم
فكيف لا أخــــاف ولى ذنوب قـدمت بهـا على الملك العظيم
ومــــا قـــدمت بين يدى زادا ولكنى قـــدمت على كـــريم

**(الحكاية الثالثة والستون بعد الثلاث مئة عن بعضهم)** حكى أنه لما ولى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الخلافة، قال رعاء الشاء فى رأس الجبال: من هذا الخليفة الصالح الذى قد قام على الناس؟ فقيل لهم وما أعلمكم بذلك؟ قالوا إنه إذا قام خليفة صالح كف الذئاب والأسد عن شياهنا، وقال العمرى رضى الله تعالى عنه لهارون الرشيد رحمه الله تعالى وهو يسعى وقد صعد الصفا ياهارون، قال له لبيك يا عم، قال ارم بطرفك إلى التراب، قال قد فعلت، قال انظر إليهم كم هم؟ قال ومن يحصيهم؟ قال فكم فى الناس مثلهم؟ قال خلق لايحصيهم إلا الله، قال اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم، فانظر كيف تكون؟ فبكى هارون ثم قال العمرى: وأخرى أقولها، قال قل يا عم، قال والله إن الرجل ليسرف فى ماله فيستحق الحجر عليه، فكيف بمن أسرف فى مال المسلمين؟ ثم مضى وهارون يبكى، وقال أيضا رضى الله تعالى عنه: من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الله، فلو أمر ولده أو بعض مواليه لم يطعه، وقال أيضا رضي الله عنه: من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله بأن ترى ما يسخطه فتجوز ولا تأمر ولا تنهى خوفا ممن لايملك لك ضرا ولانفعا.

**(الحكاية الرابعة والستون بعد الثلاث مئة عن بعض المشايخ)** حكى عن بعض المشايخ أنه كانت عنده دنيا واسعة ينفقها فى وجوه الخير، فقال له بعض أصحابه يوما يا سيدى أخرج هذه الدنيا كلها عنك وتجرد عنها، فذلك أليق بك كما هو عادة المشتغلين بالله المعرضين عما سواه، فقال له الشيخ دونك أنفق جميع ما ترى عندى ولاتدع شيئا، فأخرج الفقير جميع ذلك وأنفقه كله فى يومه فلما كان اليوم الثانى أقبلت الدنيا من كل مكان إلى الشيخ، واجتمع عنده أكثر مما كان، فقال الشيخ للفقير: إذا كان الله تعالى يريد شيئا فلا

نقدر نخرج عن إرادته، وقال بعضهم: إذا كان حب الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها، وإذا سكن حب الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة، لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة، وقال السيد الجليل الإمام النبيل الولى المقرب سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنه: إن الدنيا نذلة، وهى إلى كل نذل أميل، وأنذل منها من أخرها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها، ووضعها فى غير سبيلها، وقال إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لاينبغى أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله.

**(الحكاية الخامسة والستون بعد الثلاث مئة: عن بعض السلف)** قال: كان لقمان عبدا حبشيا لرجل جاء به إلى السوق ليبيعه، فكان لقمان كلما جاء إنسان يشتريه قال له ما تصنع بى؟ فإذا قال له أصنع بك كذا وكذا، قال حاجتى إليك أن لاتشترينى، حتى جاء رجل، فقال له لقمان ماتصنع بى؟ قال أصيرك بوابا على بابى، قال اشترنى، فاشتراه وجاء به إلى داره، وكان لمولاه ثلاث بنات يبغين فى القرية، أراد أن يخرج إلى ضيعة له، فقال له إنى قد أدخلت إليهن طعامهن وشرابهن وما يحتجن إليه، فإذا خرجت فأغلق الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه حتى أجىء؛ فلما خرج فعل ما أمره به مولاه، فقالت له البنات افتح الباب، فأبى عليهن، فشججنه ورجعن، فغسل الدم وجلس، فلما قدم سيده لم يخبره، ثم أراد سيده الخروج أيضا، وقال له إنى قد أدخلت إليهن ما يحتجن إليه، فلا تفتح الباب؛ فلما خرج خرجن إلى لقمان وقلن له افتح الباب فأبى، فشججنه ثانية ورجعت، فجلس، فلما أتى مولاه لم يخبره بشىء، فقالت الكبيرة منهن ما بال هذا العبد الحبشى أولى بطاعة الله عز وجل منى؟ والله لأتوبن، فتابت؛ فقالت الصغرى مابال هذا العبد الحبشى وهذه الكبرى أولى بطاعة الله عز وجل منى والله لأتوبن، فتابت، فقالت: الوسطى ما بال هذا العبد الحبشى وهاتين الأختين أولى بطاعة الله عز وجل منى، والله لأتوبن، فتابت، فقال غواة القرية ما بال هذاالعبد الحبشى وبنات فلان أولى بطاعة الله تعالى منا؟ والله لنتوبنّ، فتاب الجميع إلى الله سبحانه وتعالى، وصاروا عباد القرية، رحمهم الله تعالى.

(الحكاية السادسة والستون بعد الثلاثة مئة: عن الشبلى رضى الله تعالى عنه) أنه كان يقول: ليست شعرى ما اسمى عندك يا علام الغيوب وما أنت بى صانع ياغفار الذنوب، وبم تختم عملى يا مقلب القلوب؟ ثم أنشد:

ليت شعرى كيف ذكرى عند من يعلم سرى أجميل أم قبيح

أم بخير أم بشر ليت شعرى كيف حالى يوم إحضارى وحشرى

ليت شعرى كيف موتى بيقين أم بكفر أترى يقبل قولى

أم ترى يشرح صدرى ليت شعرى أين أمضى لنعيم أم لجمر

فدعوا مدحى ووصفى فأنا أعرف قدرى

وقال بعضهم: رأيت الشبلى قائما يتواجد، وقد خرق ثوبه وهو يقول:

شققت جيبى عليك شقا وما لجيبى عليك حقا أردت قلبى فصادفته

يداى بالجيب إذ توقى لو كان قلبى مكان جيبى لكان للشق مستحقا

(الحكاية السابعة والستون بعد الثلاث مئة: عن حاتم الأصم رضى الله تعالى عنه) قال: من دخل فى مذهبنا فليجعل على نفسه أربع خصال من الموت: موتا أبيض وهو الجوع، وموتا أسود، وهو احتمال الأذى من الخلق، وموتا أحمر وهو العمل ومخالفة الهوى، وموتا أخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض، وحكى عن عبدالواحد بن زيد رضى الله تعالى عنه قال: رأيت راهبا وعليه مدرعة شعر سوداء، فقلت له ما الذى حملك على لبس السواد؟ قال هو لباس المحزونين، وأنا من أكبرهم، فقلت له ومن أى شىء أنت محزون؟ قال لأنى أصبت فى نفسى، وذلك أنى قتلتها فى معركة الذنوب فأنا حزين عليها، ثم أسبل دمعه فقلت له: ما الذى أبكاك الآن؟ قال: ذكرت يوما مضى من أجلى لم يحسن فيه عملى، فبكائى لقلة الزاد وبعد المفازة، وعقبة لابد من صعودها، ثم لاأدرى أين يهبط بى، إلى الجنة أم إلى النار؟ ثم أنشد.

يا راكبا يطوى مسافة عمره بالله هل تدرى مكان نزولكا

شمر وقم من قبل حطك فى الثرى فى حفرة تبلى يطول حلولكا

**(الحكاية الثامنة والستون بعد الثلاث مئة: عن سفيان الثورى رضي الله عنه)** قال:
قال لى محمد بن واسع رضى الله تعالى عنه يوما: هل توافقنى فى زيارة رجل من أولياء الله عز وجل؟ قلت له نعم، فدخل الدار وخرج ومعه كسرة خبز فخرجنا من البصرة ثم انتهينا إلى منزله وهو بعيد من العمران ووقفنا ببابه، فسمعنا بنيات له يخاصمنه فى شأنهن وما هن فيه من رثاثة الحال، فقال لهن إن الذى خلقكن وشق أفواهكن وخلق لكن أضراسا وبطونا، أرحم بكن منكن لأنفسكن، قال فاستأذنا عليه، فقال من هذا؟ فقلنا محمد وسفيان، فخرج إلينا وقال ما الذى جاء بكما؟ فقال محمد بن واسع: كسرة أتيت بها لتلك البنات، فقال هاتها جئت بها فى وقتها، فدخلنا وجلسنا معه حتى سمعنا استئذان رجل، فقال من هذا؟ قال مالك بن دينار، فخرج إليه وقال ما الذى جاء بك؟ فقال أتيت بدرهمين لتلك البنات، فقال سبقك بها محمد بن واسع، جاءهن بما يكفيهن اليوم، قال فخذهما واخبأهما لهن إلى غد، فقال أتخوفنى يا مالك، والله لاتدخل إلى، قال سفيان فقال لى محمد ترى مقام هذا الرجل وما هو فيه من رثاثة الحال، فقلت هذا من الفضلاء، قال أجل، قلت من الزهاد؟ قال أجل، قلت من العباد؟ قال أجل، فلم أذكر له المقامات وهو يقول أجل أجل حتى قال هذا من الفقراء الصابرين رضى الله تعالى عنهم، ونفعنا بهم.

**(الحكاية التاسعة والستون بعد الثلاث مئة: عن بعض الصالحين)** قال:
رأيت شابا عليه عباءة وبيده ركوة، فقال لى إنى إنسان أقصد الورع فلا آكل إلا ما ألقاه الناس، فربما أجد قشرة شيء قد سبقنى إليها النمل، فألقيه وأتناول تلك القشرة، فهل على فى ذلك شيء؟ قال فقلت فى نفسى ما بقى على وجه الأرض من يتورع بمثل هذا الورع، فنظرت فإذا الرجل واقف على أرض من فضة بيضاء وقال لى الغيبة حرام، وغاب عن بصرى، قيل: معنى الحكاية أنه لما ترك ما حجب الخلق عن الله أكرمه الله بنور الإشراق، أو قال بنور الإشراف حتى نطق عما خطر بقلبه من الإنكار، ثم أخفاه الله تعالى عنه بشؤم الاعتراض، وهكذا سنة الله فى أوليائه أن يسترهم عمن لايبلغ رتبتهم، ولايصل إلى منزلتهم، وقال الشيخ أبوالخير الأقطع رضي الله عنه: ما بلغ أحد إلى حالة شريفة ومرتبة عالية إلا بملازمة الموافقة ومعاناة الأدب وأداء الفرائض وصحبة الصالحين وخدمة الفقراء الصادقين، رضى الله تعالى عنهم، ونفع بهم أجمعين.

**(الحكاية السبعون بعد الثلاث مئة: عن بعضهم)** قال: اجتمع جماعة من الفقراء فذهبوا يزورون رجلا أسود كان ناطورا يقال له مقبل، فمضيت معهم، فدخلنا إلى مكان فيه باذنجان كثير، وفيه رجل أسود قائم يصلى، فسلمنا وجلسنا إلى أن سلم، فأخرج كيسا فيه كسر خبز يابس وملح جريش، وقال: كلوا، فأكلنا، وأخذ الجماعة يذكرون كرامات الأولياء وهو ساكت، فقال له بعض الجماعة يامقبل قد زرناك فما تحدثنا بشيء؟ فقال أى شيء أنا وأى شيء عندى أخبركم به، أنا أعرف رجلا لو سأل الله أن يجعل هذا الباذنجان ذهبا لفعل، قال فوالله ما استتم كلامه حتى رأينا الباذنجان يتقد ذهبا، فقال له بعضهم يا مقبل لاسبيل لأحد أن يأخذ من هذا الباذنجان أصلا واحدا، فقال له خذ، فأخذ أصلا فقلعه بعروقه وجميع ما فيه من ذهب، فوقعت من الأصل باذنجاته صغيرة وشيء من الورق، فأخذته وبقاياه معى إلى يومى هذا، ثم صلى مقبل ركعتين وسأل الله تعالى أن يعيده كما كان ففعل، وعاد مكان ذلك الأصل المقطوع أصل آخر باذنجان، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به.

**(الحكاية الحادية والسبعون بعد الثلاث مائة عن بعضهم)** روى عن عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه أنه قيل له لما حضرته الوفاة: تركت أولادك فقراء لاشيء لهم، فقال أولادى أحد رجلين: إما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجا وهو يتولى الصالحين، وإما رجل مكب على المعاصى فلا أقويه على معاصى الله عز وجل، وكان ﷺ يؤتى بالحلة قبل أن يلى الخلافة بألف درهم فيقول: ما أحسنها لولا خشونة فيها، ويؤتى بالحلة وهو فى الخلافة بأربعة دراهم، أو بستة فيقول، ما أحسنها لولا نعومة فيها، فقيل له فى ذلك؟ فقال: إن لى نفسا تواقة ذواقة إذا تاقت إلى شيء وذاقته تاقت إلى ما فوقه، فلم تزل تتوق وتذوق إلى أن ذاقت الخلافة فتاقت إلى ما فوقها فلم نجد شيئا فوقها إلا ما عند الله فى الدار الآخر فتاقت إليه، ولايمكن الوصول إليه إلا بترك الدنيا، ﷺ ونفعنا به، وسئل حاتم الأصم رضى الله تعالى عنه ونفعنا به: فيم أفنيت عمرك؟ فقال فى أربعة أشياء: علمت أنى لا أخلو من نظر الله تعالى طرفة عين فاستحييت أن أعصيه، وعلمت أن لى رزقا لايجاوزنى وقد ضمنه لى فوثقت به وقعدت عن طلبه، وعلمت أن على فرضا لا يؤديه غير فاشتغلت به،

وعلمت أن لى أجلا يبادرنى فبادرته، واستعددت للدار الآخر، فأنا مشغول بما ألقاه من كرم الله وثوابه وعقابه.

**(الحكاية الثانية والسبعون بعد الثلاث مئة: عن إبراهيم بن الأشعث رحمه الله)** قال: سمعت الفضيل بن عياض ﷺ ليلة وهو يقرأ سورة محمد ﷺ ويبكى ويردد هذه الآية الكريمة (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) وجعل يقول: وتبلو أخبارنا، ويردد وتبلو أخبارنا، ويقول: إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا، إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا، إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا وسمعته يقول تزينت للناس يافضيل وتصنعت للناس وتهيأت لهم ولم تزل ترائى حتى عرفوك فقالوا رجل صالح، فقضوا لك الحوائج، ووسعوا لك فى المجالس، وعظموك وبجلوك بخلاف غيرك خيبة لك، ما أسوأ حالك إن كان هذا شأنك وفعالك؛ وسمعته يقول: إن قدرت أن لاتعرف فافعل، وما عليك أن لم يثن عليك عند الناس، وما عليك أن تكون مذموما عندهم إذا كنت عند الله محمودا، وما تدرى ما أنت غدا ملاق خيبة أو سرورا، أما تذكر فعالك؟ أما تقصر آمالك، أما تترك أشغالك وأثقالك؟ فلست تدرى ما يكون حالك، بخ بخ (كلمة تعجب) لك إن قيل نجوت، وآه آه إن قيل سقوت، اللهم تب علينا وسامحنا بلطفك يا عظيم، أدخل عظيم جرمنا فى عظيم عفوك وكرمك يا أرحم الراحمين.

**(الحكاية الثالثة والسبعون بعد الثلاث مئة: عن محمد بن واسع رضى الله تعالى عنه)** قال: أقمت أشتهى كبدا مشويا أربعين سنة. فقلت يوما أخرج إلى الجهاد فلعل أن يقع فى سهمى شاة فآكل منها شهوتى، فخرجت مع الناس إلى الجهاد فقاتلنا فى المشركين وغنمنا، وأخذت فى سهمى شاة، فسألت بعض أصحابى أن يشوى لى كبدها فأخذنى هجعة فنمت فرأيت ملائكة نزلوا من السماء فكتبوا فلان خرج مجاهدا ليقال شجاع، وهذا خرج لغنيمة، وهذا خرج للمفاخرة، قال ثم وقفوا على وقالوا شهوانى مسكين، اشتهى كبدا مشويا، فقلت بالله لاتفعلوا فأنا تائب إلى الله عز وجل ثم قلت يا رب لا أعود يا رب لا أعود يارب لا أعود ثلاثا إنى تائب إليك من سائر الشهوات، ﷺ.

**( الحكاية الرابعة والسبعون بعد الثلاث مئة عن النخشبى)** قال أبو تراب النخشبى رضى الله تعالى عنه: ما تمنت نفسى شيئا من الشهوات إلا مرة واحدة تمنت نفسى خبزا وبيضا وأنا فى سفر، فعدلت إلى قرية فقام واحد وتعلق بى وقال: هذا كان مع اللصوص، فضربنى سبعين درة ثم عرفنى رجل منهم فقال هذا أبوتراب النخشبى، فاعتذروا إلى وحملنى رجل إلى منزله وقدم لى خبزا وبيضا، فقلت لنفسى كلى سبعين درة، وأنشدوا:

**إذا طالبتك النفس يوما بشهوة ... وكان عليها للخلاف طريق**

**فخالف هواها ما استطعت فإنما ... هواها عدو والخلاف صديق**

◆ وقال بعض الصالحين عرضت على الدنيا بزينتها وزخارفها وشهواتها فأعرضت عنها ثم عرضت على الآخرة بحورها وقصورها وزينتها فأعرضت عنها، فقيل لى لو أقبلت على الدنيا حجبناك عن الآخرة، ولو أقبلت على الآخرة حجبناك عنا، فها نحن لك وقسمتك من نجوت، وآه آه إن قيل شقوت، اللهم تب علينا وسامحنا بلطفك يا عظيم، أدخل عظيم جرمنا فى عظيم عفوك وكرمك يا أرحم الراحمين.

وقال أبوزيد البسطامى رضي الله عنه: رأيت ربى فى المنام، فقلت: كيف أجدك؟ فقال فارق نفسك وتعال، وقال أحمد بن خضرويه رأيت رب العزة فى المنام فقال لى يا أحمد كل الناس يطلبون النبى إلا أبا يزيد فإنه يطلبنى، وقال إبراهيم بن أدهم رضى الله تعاى عنه: رأيت جبريل عليه السلام فى المنام وبيده قرطاس فقلت ماتصنع به؟ قال: أكتب أسماء المحبين، فقلت: أكتب تحتهم من المحبين إبراهيم بن أدهم، فنودى ياجبريل اكتبه أولهم رضى الله تعالى عنه.

**(الحكاية الخامسة والسبعون بعد الثلاث مئة؛ عن المؤلف)** قال المؤلف كان الله له: رأيت قبرا فى بعض البلاد يزار فزرته وسألت عنه أهل البلد فقالوا كان فى هذا البلد رجل غريب فقير فمرض ثم مات فكفنه إنسان من أهل البلد يعرفه، فلما كان الليل رآه ذلك الإنسان الذى كفنه فى المنام، وقد خرج من قبره وجاء بحلة من حرير وقال: خذ هذه الحلة عوض الثوب الذى كفنتنى فيه، ثم استيقظ من منامه والحلة عنده، وهذه الحكاية مشهورة فى

ذلك البلد مستفيضة عندهم، قال أبو القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه: والناس فى محبة الله عز وجل عام وخاص: فالعوام أحبوه لكثرة نعمه ودوام إحسانه إلا أن محبتهم تقل وتكثر. وأما الخواص فأحبوه لما عرفوا من صفاته وأسمائه الحسنى، واستحق المحبة عندهم لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم، وقال أبوتراب النخشبى رضي الله عنه فى علامات المحبة هذه الأبيات:

**لا تخدعن فللمحب دلائل ... ولديه من تحف الحبيب وسائل**

**منها تنعمه بمر بلائه ... وسروره حقا بما هو فاعل**

**فالمنع منه عطية مقبولة ... والفقر إكرام وبر عاجل**

**ومن الدلائل أن نرى من عزمه ... طوع الحبيب وإن ألح العاذل**

**ومن الدلائل أن يرى متبسما ... والقلب فيه من الحبيب بلابل**

**ومن الدلائل أن يرى متفهما ... لكلام من يحظى لديه السائل**

**(الحكاية السادسة والسبعون بعد الثلاث مئة: عن بعض الصالحين)** قال: كان لى صديق ابتلاه الله بالجذام حتى ذهبت يداه ورجلاه وعيناه، فأتيت به المجذومين وجعلته معهم، وكنت أتعاهده، فغفلت عنه أياما ثم ذكرته فأتيته وقلت إنى غفلت عنك، فقال إن لى من لايغفل عنى، فقلت والله ما ذكرتك، فقال إن لى من يذكرنى، ثم قال إليك عنى، فقد شغلتنى عن ذكر الله، فما لبث غير أيام يسيرة وتوفى، فأخرجت كفنا فيه طول، فقطعت ما فضل عنه وكفنته ودفنته، فبينما أنا فى منامى إذا برجل قد وقف على لم أر أحسن منه وجها ولاصورة، وقال بخلت علينا بكفن طويل، دونك كفنك وقد رددناه عليك، وقد كفنا فى السندس والإستبرق، قال فاستيقظت من منامى وإذا أنا بالكفن عند رأسى، رضى الله تعالى عنه، ونفعنا به وبجميع الصالحين آمين.

**(الحكاية السابعة والسبعون بعد الثلاث مئة عن بعضهم)** حكى أن شابا كان يحضر مجلس بعض علماء السلف والوعاظ، وكان الشاب إذا سمع الواعظ يقول: ياستار يهتز كما تهتز السعفة، فقيل له فى ذلك، فقال الشاب: اعلموا أنى كنت أخرج فى زى النساء وأحضر كل موضع فيه وليمة أو عرس

تجتمع فيه النساء، فحضرت يوما عرسا لبنت بعض الملوك، فسرق عقد لبنت الملك، فصاحوا أن أغلقوا الباب وفتشوا النساء، ففتشوهن واحدة واحدة حتى لم يبق إلا امرأة واحدة وأنا، فدعوت الله عز وجل وأخلصت النية والتوبة، وقلت إن نجوت من هذه الفضيحة لاأعود إلى مثل هذا أبدا، فوجدوا العقد مع المرأة التى بقيت، فقالوا أطلقوا المرأة الأخرى، يعنونى، فأطلقونى وحالى مستور، فمن حينئذ إذا سمعت ذكر الستار أذكر ستره على، ويأخذنى ما رأيتم من الاهتزاز، اللهم ياستار العيوب، وياغفار الذنوب، ويامقلب القلوب، وياكاشف الكروب استر عيوبنا واغفر ذنوبنا وأصلح قلوبنا واكشف كروبنا وهمومنا وغمومنا، وارزقنا حسن الخاتمة يا كريم برحمتك يا أرحم الراحمين.

**(الحكاية الثامنة والسبعون بعد الثلاث مئة: عن ذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه)** قال: رأيت امرأة تسيح على طريق التوكل، وعليها مدرعة من شعر ومقنعة من صوف، فقلت لها يرحمك الله ليس السياحة للنساء، فقالت إليك عنى يامغرور، ألست تقرأ كتاب الله تعالى؟ قلت بلى، قالت اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) فعلمت أنها ملية بالعلم، فقلت لها بأى شىء عرفت الله؟ قالت عرفت الله بالله، وعرفت مادون الله بنور الله، فقلت لها ما هو اسم الله الأعظم؟ قالت هو اسم الله الأعظم، رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها، وقال السرى رضى الله تعالى عنه: اشتريت جارية للخدمة فكانت تخدمنى دهرا طويلا وهى تكتم أمرها، ولها محراب تصلى فيه؛ فلما كان فى بعض الليالى وجدتها وهى تصلى تارة وتناجى ربها تارة، فسمعتها تقول بحبك لى إلا فعلت لى كذا وكذا، فناديتها عند ذلك يا هذه لاتقولى هكذا، ولكن قولى بحبى إياك، فقالت ياسيدى لولا حبه إياى ما أقعدك وأقامنى؛ فلما أصبحت دعوت بها وقلت: إنك لاتصلحين لخدمتى، بل تصلحين لخدمة مولاك الأكبر، اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى، ثم وصلتها بشىء وسرحتها وندمت على مفارقتها، رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها.

**(الحكاية التاسعة والسبعون بعد الثلاث مئة: عن أبى عامر الواعظ رحمه الله تعالى)** قال: رأيت جارية ينادى عليها بثمن لاقدر له، فنظرت إليها

فإذا بها قد لصق بطنها بظهرها وتلبد شعرها، واصفر لونها، فاشتريتها رحمة لها، فقلت لها اذهبى بنا إلى السوق لنأخذ حوائج رمضان، فقالت الحمد لله الذى جعل الأشهر عندى شهرا واحدا، ولم يجعل لى شغلا بالدنيا، قال فكانت تصوم النهار وتقوم الليل، فلما قرب العيد، قلت لها إذا كان الصباح فبكرى بنا إلى السوق لنأخذ حوائج العيد، فقالت يامولاى ما أعظم شغلك بالدنيا، ثم دخلت وأقبلت على صلاتها، ولم تزل تتلو آية بعد آية حتى بلغت قوله تعالى (ويسقى من ماء صديد) الآية فلم تزل تكررها حتى صاحت صيحة فارقت فيها الدنيا، رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها.

**(الحكاية الثمانون بعد الثلاث مئة عن بعض الصالحين)** قال بعض الصالحين: خرجت إلى السوق ومعى جارية حبشية، فأجلستها فى مكان منه، وقلت لها لاتبرحى حتى أعود إليك، فذهبت ثم عدت إلى المكان فلم أجدها فيه، فانصرفت إلى منزلى وأنا شديد الغضب عليها، فجاءتنى وقالت لى يامولاى لاتعجل على، فإنك أجلستنى بين قوم لايذكرون الله، فخشيت أن ينزل بهمخسف وأنا معهم، فقلت لها هذه الأمة قد رفع عنها الخسف إكراما لنبيها محمد ﷺ، فقالت إن رفع عنها خسف المكان فما رفع عنها خسف القلوب؛ يامن خسف بمعرفته وقلبه وهو فى غفلة من بلائه وكربه، وبادر إلى حميتك ودوائك قبل موتك وفنائك، ثم أنشدت:

**هلموا بنا نذرى الدموع تأسفا ... بلاء المعاصى فوق كل بلاء**

**لعل إلهى أن يمن بجمعنا ... فقد طال فى سجن الفراق عنائى**

**فيا مهجتى لاتتركى الحزن ساعة ... ويامقلتى هذا أوان بكائى**

**(الحكاية الحادية والثمانون بعد الثلاث مئة: عن أبى الحسين الديلمى رحمه الله تعالى)** قال: وصف لى إنسان أسود بأنطاكية يتكلم على القلوب فقصدته، فلما رأيته أبصرت معه شيئا من المباحات يريد أن يبيعه، فساومته وقلت له بكم تبيعه هذا؟ فنظر إلى ثم قال: اقعد حتى أبيع هذا وأعطيك شيئا من ثمنه فإنك جائع منذ يومين، قال وكنت جائعا منذ يومين فتغافلت كأنى لم أسمع ما قال، وذهبت عنه وساومت غيره، ثم عدت إليه وقلت له بكم تبيع

هذا؟ فنظر إلى وقال اقعد فإنك جائع منذ يومين حتى إذا بعنا نعطيك من ثمنه شيئا، قال فوقع فى قلبى منه هيبة، فلما باع ذلك أعطانى منه شيئا ومضى، ومضيت خلفه لعلى أستفيد منه شيئا يقوله، فالتفت إلى وقال إذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله إلا أن يكون لنفسك فيها حظ فتحجب عن الله، ومن علم أن الله كافيه لايستوحش من إعراض الخلق عنه، ولايستأنس بإقبال الخلق عليه ثقة بأن الذى قسم له لايفوته وإن أعرضوا عنه والذى لم يقسم له لايصل إليه وإن أقبلوا عليه.

**(الحكاية الثانية والثمانون بعد الثلاث مئة عن بعضهم)** حكى عن بعضهم أنه دخل على بعض الفقراء فلم يجد فى بيته شيئا من المتاع، فقال له أما لك شىء من المتاع؟ قال بلى لنا داران: إحداهما دار أمن، والأخرى دار خوف، فما يكون لنا من الأموال ندخره فى دار الأمن، يعنى نقدمه لدار الآخرة، فقال له إنه لابد لهذا المنزل من متاع، فقال إن صاحب هذا المنزل لايدعنا فيه، وقيل الدنيا عارية أو وديعة، ولابد للمعير أن يرجع فى عاريته وللمودع أن يأخذ وديعته وأنشدوا:

**وما المال والأهلون إلا وديعة ... ولابد يوما أن ترد الودائع**

**(الحكاية الثالثة والثمانون بعد الثلاث مئة: عن بعض الصالحين)** قال: كان بالبصرة رجل يقال له ذكوان، وكان سيدا فى زمانه، فلما حضرته الوفاة لم يبق أحد بالبصرة إلا شهد جنازته، قال فلما انصرف الناس من دفنه نمت عند بعض القبور، وإذا ملك قد نزل من السماء وهو يقول: يا أهل القبور قوموا لأخذ أجوركم، فانشقت القبور عن أهلها وخرج كل من كان فيها، فغابوا ساعة ثم جاءوا وذكوان فى جملتهم وعليه حلتان من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر، وبين يديه غلمان يسبقونه إلى قبره، وإذا ملك ينادى هذا عبد كان من أهل التقوى. فبنظرة واحدة وصلت إليه المحن والبلوى، فامتثلوا فيه أمر المولى؛ فقرب من جهنم فخرج إليه منها لسان أو قال ثعبان فلدغ بعض وجهه، فاسود ذلك الموضع ونادى ياذكوان لم يخف عن المولى من أمرك شىء، هذا النفخة بتلك النظرة ولو زدت لزدناك، فبينما أنا كذلك وإذا برجل قد أطلع رأسه من قبره فقال: يا هؤلاء ما أردتم فوالله لقد مت منذ تسعين سنة فما

ذهبت مرارة الموت منى حتى الآن، فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت، قال وبين عينيه أثر السجود، وأنشدوا:

**أفلست تدرى أن يومك قد دنا ... أولست تدرى أن عمرك ينفد**

**فعلام تضحك والمنية قد دنت ... وعلام ترقد والثرى لك مرقد**

**(الحكاية الرابعة والثمانون بعد الثلاث مئة: عن بعض الصالحين)** قال: خطر لى أن أزور رابعة العدوية رضى الله تعالى عنها وأنظر أصادقة هى فى دعواها أم كاذبة؟ فبينما أنا كذلك وإذا بفقراء قد أقبلوا ووجوههم كالأقمار وروائحهم كالمسك، فسلموا على وسلمت عليهم، وقلت من أين أقبلتم؟ فقالوا: ياسيدى حديثنا عجيب، فقلت لهم وما هو؟ فقالوا نحن من أبناء التجار المتمولين، فكنا عند رابعة العدوية رضى الله تعالى عنها فى مصر، فقلت وما سبب ذهابكم إليها؟ قالوا كنا ملتهين بالأكل والشرب فى بلدنا، فنقل لنا حسن رابعة العدوية وحسن صوتها وقلنا لابد أن نذهب إليها ونسمع غناءها وننظر إلى حسنها، فخرجنا من بلدنا إلى أن وصلنا إلى بلدها فوصفوا لنا بيتها وذكروا لنا أنها قد تابت، فقال أحدنا إن كان قد فاتنا حسن صوتها وغنائها فما يفوتنا منظرها وحسنها، فغيرنا حليتنا ولبسنا لبس الفقراء وأتينا إلى بابها، فطرقنا الباب فلم نشعر إلا وقد خرجت وتمرغت بين أقدامنا وقالت: لقد سعدت بزيارتكم لى، فقلنا لها وكيف ذلك؟ قالت عندنا امرأة عمياء منذ أربعين سنة، فلما طرقتم الباب قالت إلهى وسيدى بحرمة هؤلاء الأقوام الذين طرقوا الباب إلا ماردت على بصرى، فرد الله عليها بصرها فى الوقت، قال فعند ذلك نظر بعضنا إلى بعض وقلنا ترون إلى لطف الله بنا لم يفضح سريرتنا؟ فقال الذى أشار علينا بلبس الفقراء: والله لاعدت أقلع هذا اللباس من على وأنا تائب إلى الله عز وجل على يدى رابعة، فقلنا له نحن وافقناك على المعصية، ونحن أيضا نوافقك على الطاعة والتوبة، فتبنا كلنا على يديها وخرجنا عن أموالنا جميعها وصرنا فقراء كما ترى، رضى الله تعالى عنهم.

**(الحكاية الخامسة والثمانون بعد الثلاث مئة: عن بشر بن الحارث رضى الله تعالى عنه)** قال: رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال لى يابشر أتدرى لم رفعك

الله من بين أقرانك؟ قلت لا يارسول الله، قال باتباعك لسنتي، وخدمتك للصالحين، ونصحك لإخوانك، ومحبتك لأصحابى وأهل بيتى، هو الذى بلغك منازل الأبرار، وقيل: تعلق رجل بامرأة فى بغداد فتعرض لها، فأبت أن تمكنه من نفسها، وكل من جاء ليخلصها منه طعنه بسكين معه، وكان رجلا شديدا، فبينما الناس حوله والمرأة تصيح فى يده، إذ مر بشر بن الحارث رضى الله تعالى عنه، فدنا منه وحك كتفه بكتفه، فوقع الرجل إلى الأرض وهربت المرأة ومضى بشر، فدنا الناس من الرجل فإذا هو يرشح عرقا كثيرا، فسألوه عن حاله، فقال ما أدرى، ولكن حك كتفى شيخ وقال: إن الله ناظر إليك وإلى ماتعمل، فصعقت لقوله وهبته هيبة شديدة، ولا أدرى من ذلك الرجل؟ فقيل له ذاك بشر بن الحارث، فقال واسوأتاه كيف ينظر إلى بعد اليوم، وحُمَّ الرجل من يومه ومات يوم السابع، رحمه الله تعالى.

**(الحكاية السادسة والثمانون بعد الثلاث مئة عن النورى رحمه الله تعالى)** حكى أنه خرج أبو الحسين النورى رضى الله تعالى عنه من بيته ليلة، فوجد حارسا قد تعلق برجل وامرأة خلف الدرب وهو يقول لهما: لابد أن أرفعكما إلى الوالى، فدنا منهم أبو الحسين وقال للحارس: خل عنهما واسترهما فأبى الحارس، فضمن له شيئا يدفعه إليه، فأبى فأخرج من كمه منديلا فيه دراهم، ونزع رداءه ودفع الجميع إليه، وقال خل عنهما وخذ هذا كله وأنا أجىء معك تسلمنى إلى الوالى كما شئت، فقال له الحارس على أنك لاتنكر ما أقول فيك؟ قال نعم، فأخذ ذلك وخلى سبيلهما، وجعل الحارس ثوبا فى عنق الشيخ وجعل يقوده حتى وقف على صاحب الشرطة، فقال إنى وجدت هذا مع امرأة خلف الدرب، فقال الوالى لأبى الحسين ماتقول؟ قال نعم كنت أنا وهو وامرأة معنا، فقال ليس وجهك وجه من يفعل هذا، ثم قال للحارس أصدقنى وإلا عاقبتك فحدثه بالحديث، فتاب الوالى والحارس، ومضى الشيخ أبو الحسين رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية السابعة والثمانون بعد الثلاث مئة: عن سهل بن عبد الله رضى الله تعالى عنه)** قال: صعدت جبل قاف، فرأيت سفينة نوح مطروحة فوقه،

وقيل لأبى يزيد ﷺ هل بلغت جبل قاف؟ فقال جبل قاف أمره قريب، بل جبل كاف وجبل صاد وجبل عين وهى جبال محيطة بالأرض، حول كل أرض جبل بمنزلة حائطها وجبل قاف بهذه الأرض أصغر الأرضين، وهو أيضا أصغر الجبال، وهو جبل من زمردة خضراء وقيل: إن خضرة السماء من خضرته، وروى أن الدنيا كلها خطوة للوالى، وحكى أن وليا من أولياء الله تعالى احتاج إلى النار فرفع يده إلى القمر فاقتبس منه جذوة فى خرقة كانت معه.

**(الحكاية الثامنة والثمانون بعد الثلاث مئة عن بعض السلف)** حكى أن بعض السلف نام فى وقت متوسد، فأتاه آت فى منامه فقال له قل، قال ما أقول؟ قال قل:

**يا حـــر إنك إن توســـد لينا    وســدت بعـد الموت صم الجندل**

**فاعمل لنفسك فى حياتك صالحا    فلتندمن غــدا إذا لم تفـعل**

وقال ابن المبارك ﷺ: إن الصالحين فيما مضى كانت نفوسهم تواتيهم على الخير عفوا، وإن أنفسنا لاتكاد تواتينا إلا على كره، فينبغى لنا أن نكرهها، قلت: يعنى بقوله عفوا مطاوعة من غير جهد وعقوبة، وقال بعض السلف: يا ابن آدم إن كنت لاتريد أن تأتى الخير إلا عن نشاط فإن النفس إلى السآمة والفتور والملل أقرب، ولكن المؤمن هو المشدد، والمؤمن هو المتوقى، والمؤمن هو العجاج إلى الله بالليل والنهار، والله مازال المؤمنون يقولون ربنا ربنا ربنا فى السر والعلانية حتى استجاب لهم، وقال الشيخ أبو الربيع الملاقى رضى الله تعالى عنه: سيروا إلى الله عرجا ومكاسير ولاتنتظروا الصحة، فإن انتظار الصحة بطالة.

**(الحكاية التاسعة والثمانون بعد الثلاث مئة: عن صالح المرى رضى الله تعالى عنه)** قال خرجت يوما أريد زيارة أبى جهير الضرير، وكان قد خرج من البلد وبنى له مسجدا يتعبد فيه فبينما أنا فى بعض الطريق إذا أنا بمحمد بن واسع، فقال لى إلى أين؟ فقلت أريد أبا جهير، قال وأنا أريده، فمضينا وإذا نحن بحبيب العجمى، فقال أين تريدان؟ قلنا أبا جهير، قال وأنا أريده، فمضينا وإذا نحن بمالك بن دينار رضى الله تعالى عنه، فقال لنا أين تريدون؟ فقلنا أبا جهير، فقال وأنا أريده، وإذا بثابت البنانى رضى الله تعالى عنه فقال

مثل ما قالوا، وأجاب بمثل ما أجابوا، وقال الحمد لله الذى جمعنا، قال فمضينا من غير ميعاد، فلما انتهينا إلى موضع حسن قال لنا ثابت البنانى: تعالوا نصل هنا ركعتين حتى يشهد لنا يوم القيامة عند ربنا عز وجل، ثم أتينا منزل أبا جهير رضى الله تعالى عنه فجلسنا وكرهنا أن نستأذن عليه، حتى إذا كان وقت الظهر خرج فأذن وأقام الصلاة وصلى، فصلينا معه، وقام إليه محمد بن واسع فقال: من أنت؟ قال أنا أخوك محمد بن واسع، قال أنت الذى يقال إنك أفضل أهل البصرة صلاة؟ فسكت، ثم قام إليه ثابت البنانى فقال له من أنت؟ قال ثابت البنانى قال أنت الذى يقال إنك أكثر أهل البصرة صلاة؟ فسكت، ثم قام إليه ثابت البنانى فقال له من أنت؟ قال ثابت البنانى قال أنت الذى يقال إنك أكثر أهل البصرة صلاة؟ فسكت، ثم قام إليه مالك بن دينار فقال من أنت؟ قال مالك بن دينار، قال بخ بخ (كلمة تعجب) أنت الذى يقال إنك أزهد أهل البصرة؟ فسكت، ثم قام إليه حبيب العجمى فقال من أنت؟ قال حبيب العجمى، قال أنت الذى يقال إنك مستجاب الدعاء؟ فسكت؛ قال صالح المرى ثم قمت إليه فقال من أنت؟ قلت صالح المرى، قال أنت الذى يقال إنك أحسن أهل البصرة صوتا؟ ثم قال: إنى كنت إلى صوتك مشتاقا، هات اقرأ على خمس آيات من كتاب الله عز وجل، قال صالح فاستفتحت فقرأت (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين)، فلما انتهيت إلى قوله تعالى (هباء منثورا) شهق شهقة وغشى عليه، فلما أفاق قال: أعد على قراءتك، فأعدت عليه، فشهق شهقة أخرى فارق الدنيا رحمة الله عليه، فخرجت زوجته وقال: من أنتم؟ فأخبرناها، فقالت (إنا لله وإنا إليه راجعون) مات أبو جهير؟ قلنا نعم آجرك الله فيه، فمن أين علمت؟ قالت من كثرة ما سمعت منه يقول فى دعائه: اللهم أحضر موتى أولئك، فعلمت أنكم لم تجتمعوا إلا لموته، فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه، رضى الله تعالى عنه وعنهم.

**(الحكاية التسعون بعد الثلاث مئة: عن أبى سليمان المغربى رضى الله تعالى عنه)** قال: كنت أحمل الحطب من الجبل وأتقوت من ثمنه، وكان طريقى فيه التوقى والتحرى، فرأيت فى المنام جماعة من البصريين منهم الحسن البصرى وفرقد السبخى ومالك بن دينار، رضى الله تعالى عنهم، فسألتهم عن

علم حالى؛ فقلت أنتم أئمة المسلمين، دلونى على الحلال الذى ليس لله تعالى فيه تبعة، ولا للخلق فيه منة، فأخذوا بيدى وأخرجونى من طرسوس إلى برج فيه حبارى، فقالوا لى هذا الحلال الذى ليس لله عز وجل فيه تبعة ولا لمخلوق فيه منة فمكثت آكل منه ثلاث أشهر شواء ومطبوخا فى دار السبيل، فظهر لى حديثه، فقلت هذه فتنة، فخرجت من دار السبيل ومكثت آكله ثلاثة أشهر أخرى، فأوجد لى الله قلبا طيبا حتى قلت إن كان أهل الجنة فى هذا القلب فهم والله العظيم فى شىء طيب، وما كنت آنس بكلام الخلق فخرجت يوما إلى بعض الصهاريج فجلست عنده، وإذا أنا بفتى قد أقبل من ناحية لامش يريد طرسوس، وقد بقى معى قطعيات من ثمن الحطب الذى كنت أجىء به من الجبل، فقلت أنا قد قنعت بالحبارى، أعطى هذه القطعيات لهذا الفقير إذا دخل طرسوس يشترى بها شيئا يأكله، فلما دنا منى أدخلت يدى إلى جيبى حتى أخرج الخرقة، فإذا بالفقير قد حرك شفتيه وإذا كل ما حولى من الأرض ذهب متقد يكاد يخطف بصرى، ولبسنى منه هيبة عظيمة، فجاز فلم أقدر أن أسلم عليه من هيبته، ثم رأيته بعد ذلك فى بعض الأيام خارج طرسوس جالسا تحت برج من الأبرجة وبين يديه ركوة فيها ماء، فسلمت عليه ثم استدعيت منه موعظة فمد رجله وقلب الماء ثم قال: إن كثرة الكلام تنشف الحسنات كما أنشفت الأرض هذا الماء قم يكفيك هذا، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به.

**(الحكاية الحادية والتسعون بعد الثلاث مئة: عن بعض السائحين فى جبال بيت المقدس)** قال: نزلت على رجل فقال: امض بنا نعزى جارا لنا مات أخوه، فذهبت معه إليه، فإذا برجل جزع لايقبل العزاء، فقلنا له يا هذا اتق الله عز وجل واعلم أن الموت سبيل لابد لنا منه وهو آت على الخلق أجمعين، قال قد علمت أن الأمر على ما تقولون: ولكنى أجزع على ما يمسى أخى فيه ويصبح، فقلنا له ياسبحان الله هل أطلعك الله على الغيب؟ قال لا، ولكنى لما دفنته وسويت عليه التراب إذا بصوت من القبر يقول أوّه، فقلت أخى والله أخى، فكشفت التراب فقيل لى يا عبد الله لاتكشفه، فرددت عليه التراب، فلما ذهبت أقوم قال أوّه، قلت أخرى والله أخى، ثم كشفت التراب فقيل لى لاتفعل، فرددت عليه التراب كما كان، فلما ذهبت أقوم إذا به يقول أوّه، فقلت والله

لاتركت نبشه، فنبشته فإذا هو مطوق فى وسطه بطوق من نار وقد التمع عليه القبر نارا فطمعت أن أقطع هذا الطوق، فضربته بيدى لأقطعه فذهبت أصابعى قال ثم أظهر لنا يده فاذا أصابعه الأربع قد ذهبت، قال فأتيت الأوزاعى رضى الله تعالى عنه فحدثته وقلت له: يا أبا عمرو يموت اليهودى والنصرانى وغيرهم من الكفار فلا يرى فيهم مثل هذا، ويموت هذا على التوحيد والإسلام ويرى هذا فيه؟ قال نعم، أولئك لاشك أنهم من أهل النار، وإنما يريكم الله عز وجل هذا فى أهل التوحيد لتعتبروا؛ اللهم سامحنا واعف عنا والطف بنا يا لطيف.

**(الحكاية الثانية والتسعون بعد الثلاث مئة: عن أبى جعفر الفرغانى رضى الله تعالى عنه)** قال: كنت عند بعض إخواننا من الصوفية بالدينور فجاء قوم من الأكراد ليشتروا لهم متاعا ثم قالوا لو علمت لمن تشترى هذا المتاع لسارعت إلى شرائه، فقال لهم حدثونى، قالوا نعم فأومئوا إلى رئيس لهم كانوا معه، فقال هذا سيد الحى وكانت له زوجة فولدت له عدة من البنات، فقال لها وهى حامل إن ولدت بنتا فأنت طالق، وقضى أنا رحلنا رحلة الشتاء نريد نحو المراغة ونواحيها، فبينما نحن نسير ذات يوم ضرب المرأة الطلق، فأخذت ماء كأنها تتوضأ به فولدت جارية، فأخذتها ولفتها فى خرقة وتركتها عند كهف جبل وجاءت وأظهرت أن ذلك الحمل إنما كان ريحا وقد انفش، ثم غبنا عن ذلك الموضع ستة أشهر ثم رجعنا، فنزلنا بذلك المكان فأخذت المرأة ماء ومضت نحو الكهف الذى تركت الصبية فيه، فلما قربت منه إذا غزالة قائمة عند الصبية وهى ترضع، فلما أبصرتها الغزالة استوحشت وذهبت، وجاءت الأم إلى الصبية، فأخذتها فبكت الصبية وشهقت، فوضعتها وتنحت ناحية، فرجعت الغزالة فلم تزل ترضع وهى ساكنة؛ فجاءت المرأة إلى الحى فأخبرتهم بذلك وسمع زوجها فمضى أهل الحى بأجمعهم إلى الكهف فرأوا الغزالة ترضع الصبية، فلما أحست بهم تنحت فبكت الصبية فأخذها النساء، ولم يزلن يرفقن بها حتى سكنت وأنست وجاءوا بها إلى الحى، وبقيت الغزالة تنظر من بعيد حتى رحلنا، وهذاالمتاع الذى نريد نشتريه جهاز لها وقد زوجها أبوها من رجل صالح، سبحان اللطيف الخبير المنان القدير.

**(الحكاية الثالثة والتسعون بعد الثلاث مئة: عن الشيخ أبى بكر بن إسماعيل الفرغانى رضي الله عنه)** قال: كنت أدفع إلى شدة الفاقة أياما كثيرة، وربما كنت أسقط مغشيا على، وكنت حينئذ قليل الدراية، كنت أنظر إلى أظافر أصابعى كمدة من الجوع، فقلت ذات يوم: يارب علمتنى اسمك الأعظم سألتك به إذا حلت بى فاقة متلفة، فبينا أنا فى بعض الأيام بدمشق على باب البريد جالس، فرأيت رجلين قد دخلا المسجد، فوقع فى نفسى أنهما ملكان، فوقفا بحذائى، فقال أحدهما للآخر تريد أن أعلمك اسم الله الأعظم؟ فقال له الآخر نعم، فأصغيت إليهما فقال هو أن تقول يا الله، فقلت قد تعلمت ورجعت كما كنت، فقال أحدهما ليس كما تقول أنت، ولكن بصدق اللجأ، قال الشيخ أبو بكر: صدق اللجأ أن يكون مثل الغريق فى لجة البحر لم يبق له شىء يتعلق به ولا له ملجأ إلا الله عز وجل، وحكى أنه جاء بعض الفقراء إلى بعض الشيوخ الذين يعرفون الاسم الأعظم فقال له علمنى الاسم الأعظم، قال وهل فيك أهلية لذلك؟ قال نعم، قال اذهب إلى باب البلد واجلس هناك، فما جرى من شىء هناك أعلمنى به. فخرج إلى حيث أمره، وإذا بشيخ حطاب قد أقبل ومعه حمار عليه حطب، فتعرض له الجندى، فأخذ حطبه وضربه، فرجع الفقير إلى الشيخ وهو حزين فأخبره بالقصة، فقال لو كنت تعرف الاسم الأعظم ماذا كنت تصنع بالجندى؟ قال كنت أدعو عليه بالهلاك، قال فذلك الشيخ الحطاب هو الذى علمنى الاسم الأعظم، قلت: يعنى أنه لايصح الاسم الأعظم إلا لمن هو متصف بهذه الصفة أعنى الصبر والحلم والرحمة للخلق وسائر الصفات المحمودة التى تخلق بها أهل الاصطفاء، رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية الرابعة والتسعون بعد الثلاث مئة: عن الشيخ يوسف بن حمدان رضى الله تعالى عنه)** قال: خرجت إلى مكة على طريق البصرة ومعى جماعة من الفقراء، وفيهم شاب كنت أغار عليه من حسن صحبته ومراعاة حاله واشتغاله بذكر ربه عز وجل ودوام مناجاته، فلما وصلنا المدينة اعتل الشاب علة شديدة وانفرد عنا، فصرت إليه مع جماعة من أصحابى نتعرف خبره، فلما رأيناه وشدة وما به، قال بعض الجماعة لو أحضرنا له طبيبا ينظر إليه ويصف علته فلعله يكون عنده دواؤه؟ فسمع الشاب مقالته، فتبسم من

ذلك وقال: يا مشايخى وأحبابى ما أقبح المخالفة بعد الموافقة، من أراد الله تعالى له حالا وأراد هو حالا غيره أليس قد خالف الله عز وجل فى إرادته؟ قال فخجلنا من كلامه، فنظر إلينا وقال: لو عرفتم داء القتيل من ذى سلوان لطلبتم لداء القتيل دواء، إن الأمراض والأسقام فيها تطهير وتكفير وتذكير، وداء القتيل مشاهدة النفس وموافقة الهوى، ثم أنشد يقول:

| | |
|---|---|
| بيـــد الله دوائـــى | وبـعـلـم الله دائـــى |
| إنمـا أظلـم نفـســى | باتبــاعـى لهـــوائى |
| كلمـــا داويت دائـى | غـلـب الـداء دوائـــى |

رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الخامسة والتسعون بعد الثلاث مئة: عن بعضهم)** قال: أدركتنى ضائقة وخوف شديد، فخرجت هائما، فسلكت طريق مكة بلا زاد ولا راحلة، فمشيت ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع اشتد بى العطش والحر وخفت على نفسى التلف ولم أجد فى البرية شجرة أستظل بها، فوكلت أمرى إلى الله وجلست مستقبلا للقبلة، فغلبنى النوم فنمت وأنا جالس، فرأيت شخصا فى المنام قد مد يده إلى وقال أعطنى يدك، فمددت يدى إليه فصافحنى وقال: أبشر أنت تسلم وتصل إلى بيت الله الحرام وتزور قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، فقلت له من أنت يرحمك الله فقال لى أنا الخضر، فقلت له ادع لى، فقال قل: يالطيفا بخلقه يا عليما بخلقه ياخبيرا بخلقه الطف بى يالطيف يا عليم يا خبير، ثلاث مرات، فقلت ذلك، فقال هذه تحفة بها غنى إلى الأبد، فاذا لحقك ضائقة أو نزل بك نازلة تقولها تكفى وتشفى ثم غاب عنى وأنا أسمع شخصا ينادى ياشيخ ياشيخ، فانتبهت فإذا برجل راكب على راحلته فقال لى يا هذا رأيت لى شابا صفته كذا وكذا؟ فقلت له ما رأيت أحدا، فقال لى: خرج شاب من أهلنا منذ سبعة أيام وأخبرنا أنه توجه إلى الحج، ثم قال لى إلى أين تقصد؟ فقلت له حيثما شاء الله تعالى، فأناخ راحلته ونزل عنها ومديده إلى جراب فأخرج منه قرصين من الخبز السميذ بينهما حلوى، ونزل بسطيحة مملوءة ماء وقال اشرب، فشربت وأكلت قرصا واحدا اكتفيت به، ثم

قال لى اركب، فركبت وركب أمامى، وسرنا ليلتين ويوما فالتحقنا بالقافلة، فسأل عن الشاب فأخبر أنه فى القافلة فتركنى ومضى، ثم أتانى بعد ساعة والشاب معه، قال ياولدى هون الله على الاجتماع بك باجتماعى بهذا الرجل، ثم ودعتهما وانصرفت، فلحقنى الرجل بكاغدة فناولنى إياها وقبل يدى وانصرف، فوجدت فيها خمسة دنانير مضروبة، فاكتريت منها إلى مكة وتزودت ببقيتها، وحججت تلك السنة وزرت النبى ﷺ ورجعت إلى الخليل عليه السلام وكلما أدركتنى ضائقة أو نازلة أذكر تلك الكلمات التى علمنى الخضر عليه السلام وأعترف بفضله ومنته وأشكر الله تعالى على نعمته.

**(الحكاية السادسة والتسعون بعد الثلاث مئة عن بعض الفقراء)** حكى عن بعض الفقراء قال: خرجت يوما قصد البرية على نية السياحة والخلوة مع الله عز وجل فسرت ثلاثة أيام، فلما كان فى اليوم الرابع أدركنى فى باطنى قلق وزيادة حركة فى ظاهرى، فبينما أنا كذلك لم أشعر إلا وفاجأنى قدوم رجلين كهلين حسنين فسلما على فرددت عليهما السلام، فقالا لى ما اسمك؟ فقلت عبد الله، فقال أحدهما: ونحن عبيد الله نقصد الله فمشينا جميعا، فلما كان الوقت صلاة الظهر نظر إلى أحدهما وقال هو الوقت؟ قلت نعم، قال تصلى بنا، فقلت تحملا عنى ذلك ويصلى أحدكما، فصلى بنا أحدهما وانصرف، وتركع كل واحد منا، فلما فرغ الذى أم بنا من التركع قدم إلينا طبقا عليه قطف عنب وتين لم أر أحسن منه، وقال بسم الله، فأكلنا حاجتنا ومشينا، فلما كان اليوم الثانى حان وقت صلاة الظهر، فنظر إلى وقال هو الوقت؟ قلت نعم، قال تصلى بنا قلت تحملا ذلك عنى، فقال لصاحبه صل، فصلى الآخر وانصرف وتركع كل منا، فلما فرغ الإمام من الركوع قدم طبقا فيه عنب وتين، وقال بسم الله، فأكلنا ثم تركنا الباقى وانصرفنا، فلما كان اليوم الثالث وقع لى أنهما يقولان تصلى بنا ويجب على موافقتهما، فرفعت طرفى إلى السماء وقلت: اللهم إنك ولى النعم من غير استحقاق، وأنا عبدك ضعيف غير مستحق للنعم، وقد رجعت إليك فيما أقصده إنك على كل شىء قدير، فلما حان الوقت نظر إلى أحدهما وقال هو الوقت؟ قلت نعم، قال تصلى بنا؟ قلت إن شاء الله، فأقام أحدهما الصلاة، فتقدمت وصليت بهما، وانصرفت وصليت ركعتين،

ونظرت عن يمينى فرأيت الطبق بعينه وعليه قطف عنب وتين ورمان، فحملته إليهما فأكلا وأكلت معهما، ثم تركنا باقية وانصرفنا، فشكرت الله تعالى على ما أولى من نعمه من غير استحقاق، ثم أقمنا بعد ذلك أربعين يوما كل منا متوجه إلى مقصوده، نجتمع فى أوقات الصلوات وكل منا يتقدم يصلى يوما، فإذا سلم قدم طبقا فيه ماذكرت، وكنت معهما على ذلك آتى بالطبق فيه العنب والتين والرمان، فلما كان بعد الأربعين قال لى: الخلفة عليك الله، فقلت وعليكما، وانصرف كل منا ولم يسأل أحد منا صاحبه عن شىء ثم بقيت بعدهما مدة على ذلك الحال تتجدد نعمة الله علىَّ فى كل يوم ظاهرا وباطنا وكل وقت أشكر الله فيه تزيد نعمه على وإحسانه.

**(الحكاية السابعة والتسعون بعد الثلاث مئة عن بعض المشايخ)** حكى عن بعض المشايخ بمكة قال: كنت منفردا فى بعض الجبال فى مغارة وربما كنت أقيم الشهر أو أقل أو أكثر لا أرى فى ذلك الجبل أحدا من الإنس، وكان قوتى من المباح، إذا أخذنى الجوع أخرج من المغارة إلى ظاهر الجبل أتناول حاجتى وأرجع، فلما كان فى بعض الأيام خرجت وإذا بى أنظر فارسا قد أقبل وحده من صدر البرية، فلما رأيته دخلت المغارة وتركته، فلما كان بعد ساعة إذا هو بالباب ينادى باسمى، فقمت وخرجت إليه، فسلم على، فقلت له من الإنس أنت؟ قال نعم، فقلت من أين أنت ومن عرفك باسمى؟ فقال أنا من أبناء الملوك، خرجت للصيد منذ ثلاثة أيام، فانقطعت عن أصحابى وتهت فى البرية ولحقنى العطش وأشرفت على الهلاك، فلم أشعر إلا ورجل عليه أطمار قد أتانى وبيده ركوة فسقانى منها، وناولنى قبضة من حشيش فأكلتها، فوجدتها ألذ ما يكون من البقولات، فلما فرغت قال لى يا محمد هل تبت قبل هذا اليوم؟ قل ياسيدى الساعة أتوب على يديك، فقبلت يديه وتبت على يديه، وقمت على قدمىَّ وقلت ياسيدى اسأل الله أن يقبلنى، فرفع طرفه إلى السماء وقال: يارب محمد بحرمة نبيك محمد ﷺ ارحم محمدا وتب على محمد واقبل محمدا، ودمعت عيناه، فوجدت حلاوة دعائه فى قلبى وعقدت مع الله تعالى أن لا أرجع إلى ما خرجت منه حتى أموت، وقال لى اركب فأبيت، فحلف لابد أن أركب، وركبت ومشى أمامى حتى أرانى مكانك وعرفنى باسمك، وقال

اجلس عنده، فإنه يرشدك إلى الخير، قال الشيخ فقلت له فما تصنع بالفرس؟ فقال لاحاجة لى به، فأطلقت الفرس ودخلت به المغارة وقدمت إليه من المباح الذى أتناول منه فأكل وجلسنا إلى الليل، فقلت له يابنى ليس العبادة بالشركة، وكان بالقرب منا مغارة فأشرت له بالجلوس فيها، فجلس وكنت أجتمع معه فى كل ثلاثة أيام، وكلما جاع خرج إلى الجبل يتناول حاجته من المباح ويرجع وكان بالقرب منا عين ماء، وكان الفرس يرعى ويرجع إلينا فى كل ليلة فلما كان يوم من الأيام، وإذا بالشاب قد دخل على وهو مذهول، فقلت له ما شأنك؟ فقال رأيت الساعة فى المنام أبى وأمى وهما يجريان ورائى من مكان إلى مكان وبأيديهما شمعتان موقدتان وكلما قربا منى يخرج عليهما شخص وبيده جوهرة كبيرة ويقول لهما سألتكما بالله أن ترضيا على ولدكما وتتركاه لله، فإنه قد فر إلى الله تعالى وخذا منى هذه الجوهرة، ولم يزل معهما كذلك حتى قالا له: نحن عنه راضون والجوهرة بشارة لك، فانتبهت وأنا على هذا الحال، فقلت لا يابنى هذا ثمرة توبتك قد أراكها الله تعالى، فسر بما قلت له، ولم يزل كذلك إلى ليلة من الليالى، فرأيت النبى ﷺ فى المنام وقد دخل على المكان الذى أنا فيه وقال لى: اخرج أنت والشاب إلى العمارة لينتفع بكما وتنتفعا، فلما أصبحت دخلت على الشاب وأخبرته بذلك، فقال ياسيدى رأيت البارحة فى المنام كأن فى يدى اليمنى حبلا ورجلا حسن الصورة إلى جانبى يحله عنى، وقال اسمع ما أمرت به، فقلت له يابنى الحمد لله على هذا، فنزلت والشاب معى حتى دخلنا إلى مدينة من ديار بكر والفرس يتبعنا، فدخلنا إلى رباط فى تلك المدينة قد مات الشيخ الذى قد كان فيه من يومين، فلما وقع بصرهم على قالوا هذا هو الرجل، فسكت، فقالوا ياشيخ أنت تكون فى هذا المكان، ثم أقبل شيخ حسن الصورة فسلم على وقال: ياسيدى تقيم عندنا لله تعالى، فقلت: على خيرة الله، فأعطينا الفرس فقيرا قدم علينا فى ذلك اليوم وأخبرناه بصفته، وأقمت معهم أنا والشاب فى الرباط عشرين سنة لم يعلم أحد كيف قصة الشاب، ولا من أين هو، حتى مات رحمه الله تعالى، فخرجت من الرباط إلى الحج ونيتى المجاورة بمكة، قال الراوى: أقام الشيخ بها ثلاث سنين، ومات ودفن بالبطحاء رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وبجميع الأولياء والصالحين.

(الحكاية الثامنة والتسعون بعد الثلاث مئة: عن بعض الفقراء) قال: كنت فى بدء إرادتى صحبت بعض المشايخ، فكان يأمرنى بالخدمة، وكنت متلذذا بأمره، فأرسلنى يوما إلى القصاب لأحمل لحما للفقراء، فابتعت منه حاجتى وحملتها، والتفت إلى جانبى فرأيت رجلا يسوق دابة محملة، فوكزنى فسقطت على مسمار فى حانوت القصاب، فأصاب جنبى، فحملنى عنه صاحب الحانوت، ووجدت منه ألما كثيرا، فبينما نحن مشغولون بربط الجرح، وإذا بصاحب الدابة قد وقف علينا ومعه ثلاثة رجال من العوام وقال: سقطت منى صرة فيها عشرة دنانير كانت فى رأسى، فحمل القصاب وحملنى رجلين آخرين إلى صاحب المدينة، وقال هؤلاء الذين أخذوا الصرة، فضرب كلا من أصحابى ضربا شديدا، ثم ضربت من جملتهم، فكان الضرب يقع علىّ الجرح، ثم نظر أحد العوام إلى الإناء الذى فيه اللحم، فوجد الصرة فيه، فقالوا هذا السارق، فقال صاحب المدينة نقطع يده، فأمر بالزيت فأغلى، واجتمعت على الخلائق بالضرب والسب وأنا بين يدى أربعة رجال، ونادى مناد: احضروا السارق فقد طاب الزيت، وأنا مسلم أمرى لمن بيده ملكوت كل شىء، ولطمنى أحد الرجال لطمة حتى غبت عن الحس، وأنا صابر فى ذلك البلاء، راجع إلى الله تعالى فى ذلك الأمر، وقال يالص ياسارق، ثم جذبنى حتى سقطت على وجهى، فخررت ساجدا، فشهدت النبى ﷺ ينظر إلى وهو يتبسم، فما استويت قائما إلا وقد زال عنى ما كنت فيه، ثم فى الوقت نادى مناد: الذى أمسكتموه خادم الشيخ، فنظروا إلى وقالوا لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، ثم خر الرجال الذين كنت معهم على رجلى، وأتى صاحب البلدة مسرعا وقبل رجلى وقال: ياسيدى سألتك بالله العظيم إلا ماغفرت لنا، ثم أتى صاحب الصرة وتضرع وبكى وقال: ياسيدى عنى ترضى، فقلت لهم يغفر الله لى ولكم، هذه سابقة أظهرت سريرة كامنة فى وقتها، ثم انكشفت الصرة وظهر أن العشرة الدنانير وحمل الدابة التى كان يسوقها الرجل الذى سقطت منه الدنانير رسالة إلى الشيخ، واتفق أن الشيخ وجماعة الفقراء فى ذلك الوقت الذى كنت فيه كانوا فى الاستغفار لقضية وقعت بين الفقراء، ولم يخرج أحد من الجماعة حتى وقفت بالباب واللحم معى والصرة، فسلمتها للشيخ وأخبرته بالقصة،

فقال الشيخ: من صبر تجمل وتكمل، ثم قال: يابنى كنت مع الفقراء مرتقبا حالتك هذه، لأن علمها تقدم، ثم قال لى يامحمد كانت هذه الحالة سببا لكمالك فى طريقك، فسافر الآن حيث شئت رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية التاسعة والتسعون بعد الثلاث مئة: عن بعضهم)** قال: دخلت البادية على نية السياحة، فأقمت فيها أياما لم أطعم فيها طعاما ولاشرابا، فعطشت واشتد بى العطش، فعدلت إلى قصر وقع بصرى عليه فى جانب البرية؛ فلما قربت إذا بوحش خرج منه، فدخلت إلى القصر وإذا برجل ملقى على ظهره، متوجها إلى القبلة، فحركته فوجدته ميتا، وقد هم الوحش أن يأكل منه، فاشتغلت بتجهيزه، وخرجت لأحفر له وأنا لاأستطيع من كثرة العطش، فبينما أنا كذلك، وإذا برجل قد أقبل من صدر البرية، فسلم على وقال لى جهزت الفقير؟ قلت لاياسيدى، قال بسم الله تمضى معى إلى رأس الجبل، فإن فيه عين ماء، فمضيت معه حتى وصلنا إلى العين، فوجدنا على الماء قربة مطروحة، وكنت على تلك الحالة من العطش، فشربت حتى رويت، وكان مع الرجل ركوة، فملأنا القربة ورجعنا إلى الفقير فغسلناه وكفناه فى مرقعة كانت عليه، وصلينا عليه ودفناه، فلما فرغنا من دفنه نظر إلى الرجل وقال لى: هذا الفقير، وأشار بيده إلى الفقير، كان من الرجال الأكابر وهو لايعرف لأنه كان يتقى مولاه فأخفاه، ثم غاب عنى كأنه قد اختطف من جانبى، فوقفت على القبر وقرأت شيئا من القرآن وأهديته إلى الفقير، وسألت الله تعالى بحرمته فأجابنى، ووجدت بركته زمانا طويلا، رضي الله عنه، ونفعنا به وبجميع الصالحين.

**(الحكاية الأربعة مئة عن المؤلف)** قال المؤلف كان الله له: أخبرنى بعض السادات أنه كان منعزلا فى بعض السواحل مدة طويلة يعبد الله عز وجل، فلما حضر يوم عيد الفطر خرج إلى بعض القرى ليحضر صلاة العيد مع المسلمين، قال فلما صليت معهم صلاة العيد، رجعت إلى مكانى، فوجدت فيه إنسانا يصلى ولم أجد له أثرا فى الرمل على باب الخلوة، فتعجبت من أين دخل، ثم إنه بكى بكاءا طويلا، وبقيت أفكر أى شىء أقدم له لكونه يوم عيد وهو وارد على أيضا فلم أجد شيئا فالتفت إلى وقال: يافلان لاتتفكر فى هذا، ففى الغيب مالا يعلم، ولكن إن كان عندك ماء فقربه، فقمت لآتيه بإبريق،

فوجدت عند الإبريق رغيفين كبيرين حارين كأنهما الساعة خرجا من الفرن ولوزا كثيرا، فحملت كل ذلك إليه، فكسر الخبز وصب اللوز بين يدى وقال كل، وأخذ يناولنى من اللوز وأنا آكل، ولم يأكل هو معى شيئا سوى لوزة أو لوزتين، قال فتعجبت فى نفسى، واستغربت وجود ذلك الطعام، وقال لى لاتستغرب هذا فإن لله عبادا أينما كانوا وجدوا ما أرادوا، فازددت منه تعجبا ونويت فى نفسى أن أطلب منه المؤاخاة، فقال: لاتعجل بطلب المواخاة فأنا لابد أن أعود إليك إن شاء الله تعالى، قال ثم غاب عنى فى الوقت، ولم أدر أين ذهب، فازددت عجبا على عجب، فلما كانت الليلة السابعة من شوال أتانى وواخانى رضى الله تعالى عنهما، قال المؤلف: كان الله له: وأخبرنى أيضا السيد المذكور قال كنت فى خلوة فرأيت فى بعض الليالى وأنا قاعد مستيقظ بعد صلاة العشاء رجلين معى فى الخلوة، وكان الباب مغلقا من داخل ولم أدر من أين دخلا، قال فتحدثا معى ساعة وتذاكرنا أحوال الفقراء، وكان ذلك فى بلاد الشام، فذكرا لى إنسانا فى الشام وأثنينا عليه وقالا نعم الرجل، لو كان يعرف من أين يأكل، ثم قال لى سلم لنا على صاحبك فلان وسمها لى بعض الناس، قال فقلت ومن أين تعرفانه وهو فى الحجاز؟ فقالا ما يخفى علينا، قال ثم تقدما إلى المحراب فحسبتهما يريدان أن يصليا، فخرجا من الحائط رضى الله تعالى عنهما وعنه ونفعنا بهم وبجميع الصالحين، وتفضل علينا بفضله وجاد علينا بلطفه وكرمه وجوده إنه جواد كريم، قال المؤلف كان الله له: وأخبرنى أيضا السيد المذكور أنه دخل عليه شيخان فى الخلوة فى بعض سواحل الشام فى شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة بعد صلاة العصر، ولم يدر من أين دخلا عليه ولا من أى البلاد أتياه، قال فداخلنى منهما شيء، فلما سلما على وصافحانى استأنست بهما وذهب ما كنت وجدت منهما، فقلت لهما من أين جئتما؟ فقالا لى سبحان الله ومثلك يسأل على هذا؟ ثم قدمت لهما كسيرات يابسة من خبز شعير، فقالا لى ماجئناك لهذا؟ قال: فقلت لأى شيء جئتما؟ قالا: جئنا نوصيك بتبليغ السلام إلى فلان وسميا لى الشخص الذى أوصيت بتبليغ السلام إليه قبل هذا، قال وقالا لى قل له أبشر، فقلت وأنتما تعرفانه وهل اجتمعتما به؟ فقالا نعم، اجتمعنا به، ولم يجتمع بنا، قال

فقلت فهذه البشارة أذن لكما فيها؟ فقالا نعم، وذكرا أنهما أتيا من عند إخوان لهما فى المشرق، قال ثم غابا عنى فى الوقت فلم أرهما، رضى الله تعالى عن الجميع ونفعنا بهم، قلت: وهذه البشارة تؤيد ما رآه الشيخ المبشر المذكور، رأى فى النوم فيما تقدم اثنين من الصالحين يقولان له، لاتبلعك الأرض، أو قالا لاتبلعنا الأرض حتى تجرك إلينا، وما رآه له أيضا بعض المشايخ الأخيار من أولاد المشايخ الكبار، قال رأيت رجلا فى الحجر ورأسه مع رأس الكعبة، فقال سلم على فلان وقل له يصبر حتى نأتيه كلنا، قال فقلت له ومن أنت؟ فقال الخضر رضوان الله عليه ونفعنا والمسلمين ببركته، وكذلك قال بعض الصالحين: قيل لى فى منامى، قل لفلان أبشر بفوق ما تطلب، فما أخرنا ذلك عنك إلا تمحيصا، ثم قال ما كان فى آخر العمر كان خيرا وأسلم عاقبة، اللهم عاملنا بما أنت له أهل، ولا تعاملنا بما نحن له أهل، قال المؤلف كان الله له: وأخبرنى أيضا المذكور قال: رأيت فى بعض سواحل الشامل شابا قريبا منى، فمكثنا ثلاثة أيام لم يأتنى ولم آته، ثم خطر لى أنى آتيه وأتحدث معه، فذهبت إليه وسلمت عليه، وأحرمت بركعتين وأنا أنظر إليه بجنبى، فبينما أنا فى الصلاة حجب عنى فلم أر شيئا سوى سجادته ونعليه، قال: وكذلك كنت أرى منهم فى بعض البرارى كثيرا؛ فمنهم من يحتجب فى الحال عنى بالحال، ومنهم من يظهر لى ويكلمنى رضي الله عنه وعنهم ونفعنا بالجميع آمين، قلت: وهذا السيد المذكور صلى بوضوء واحد اثنى عشر يوما وله إلى تاريخ تأليف هذا الكتاب خمس عشرة سنة لم يضع جنبه على الأرض، ويمكث أياما عديدة لايأكل فيها شيئا، وإذا أكل أكل شيئا يسيرا خشنا يابسا، وما أكل معى قطعة لحم فى منى إلا بعد شدة موافقة. وذكر لى أن له عدة سنين يحج بغير اختياره لما يرى من المنكرات والآفات، ولكن يؤمر بالحج فما يجد منه بدا، رضي الله عنه ونفعنا به.

**(الحكاية الأولى بعد الأربع مئة: عن بعضهم)** قال: سافرت إلى العراق على قصد السياحة ورؤية المشايخ، فرأيت مدينة، فمشيت نحوها وقصدت مكانا آوى إليه، فأويت إلى خربة فى طرف المدينة، فيه آثار دائرة، فجلست قليلا، ثم نامت عيناى، فهتف بى هاتف فى المنام وقال لى: قم إلى جانبك فى الحائط خبيئة فخذها، فليس لها وارث وهى ملكك، فاستيقظت ونظرت إلى

جانبى، فرأيت عصا، فحفرت بها فى المكان قليلا، فوجدت خرقة ففتحتها فوجدت فيها خمس مئة دينار، فصررتها فى طرف ثوبى وخرجت من ذلك المكان، ففكرت فيما أفعل فيها، فقلت أنفق منها على الفقراء، ثم قلت أشترى بها حوانيت وأوقفها على الفقراء، وخطر لى غير ذلك، فنمت تلك الليلة، فرأيت النبى ﷺ فى المنام، فسلم على وقال: يافقير إرادة وطلب زيادة من الدنيا لايكونان معا، ثم جمع أصبعه السبابة والتى تليها، ثم قال لى امض بما معك إلى الشيخ أبى العباس من أهل الجزيرة الخضراء فى بغداد فى مسجد كذا وكذا وسلمها إليه، قال فانتبهت من منامى وجددت وضوئى ثم صليت وخرجت من ساعتى إلى بغداد، فوصلت إلى الشيخ فى المكان الذى هو فيه، فاجتمعت وسلمتها إليه وأخبرته بالقصة، فقال منذ كم قيل لك هذا؟ قلت منذ سبعة أيام، فقال لى يابنى رأيت النبى ﷺ منذ سبع ليال وقال لى: إذا وصل إليك فقير ومعه رسالة، فاقبلها منه وتصرف فيها، ثم قال: يابنى اعلم أن لنا سبعة أيام ولم يكن عندنا ما نقتات به، ولإنسان علينا دين قد ألح علينا فى طلبه، وقد سد الله هذه الفاقة على يديك، ثم قال لى سألتك بالله أن تقيم عندنا، وإحدى بناتى هدية إليك، فقلت ياسيد فكيف لى بذلك وأنا مشغول بما شغلنى الله تعالى به؟ وقد أخبرتك بما أخبرنى النبى ﷺ، فقال لى: الضيافة ثلاثة أيام، فقلت نعم، فأقمت عنده ثلاثة أيام لم يفارقنى إلا فى وقت يتصرف فيه، ثم ودعته وانصرفت رضى الله تعالى عنهما.

**(الحكاية الثانية بعد الأربع مئة: عن بعض الفقراء)** قال: دخلت مدينة فى مدائن خراسان فمشيت فى السوق، فلقينى شاب حسن الصورة، فسلم على واتبعنى حتى خرجت من السوق، فقال لى تكون ضيفى لوجه الله تعالى، فمشيت معه، فأدخلنى دارا حسنة وفيها آثار خير، ثم غاب عنى ليلا، وأتى معه شيخ كبير فقال لى، هذا والدى ادع له، فسلمت على الشيخ ثم جلست، فأتى بطعام فأكلنا ثم غسلنا أيدينا، ثم هممت بالخروج؛ فقال الشاب أنت ضيفى ثلاثة أيام، فأقمت عنده ثلاثة أيام فى كل يوم يزداد فى إكرامى، فلما كان اليوم الرابع قصدت وداعهما وأخرج، فقال الشيخ يابنى أنت ضيفى هذا النهار، فأقمت عند الشيخ ذلك اليوم؛ فلما كان فى غد قلت الخليفة عليكما

الله، فتبعنى الشاب حتى خرجت إلى ظاهر المدينة فودعنى وناولنى صرة وخبزا وحلواء، وقال ياسيدى هذه زوادة، فاقبلها لله تعالى، فحملتها ومشيت يومين، ثم دخلت مدينة أخرى وقصدت الفقراء بالذى معى أوصله إليهم؛ فبينما أنا كذلك، وإذا أنا بشيخ حسن الصورة قد استقبلنى فى الطريق، فسلمت عليه وقلت: هذا ولى الله، وكان وقت الصلاة، فدخلت المسجد فصليت وجلست، فأدركتنى سنة فنمت، فهتف بى هاتف وقال لى الصرة التى معك أعطها للشيخ صالح الذى مر عليك، فهو من عباد الله الصالحين، فانتبهت من منامى وخرجت فى الوقت لطلبه، وقلت: اللهم بحرمته عليك اجمع بينى وبينه، فما استتممت كلامى إلا وقد استقبلنى فى الطريق وبيده إبريق ماء قد حمله من النهر، ففتحت الصرة، فوجدت فيها خمسة دنانير وخمسة دراهم، فجمعتها وقبلت يده ودفعتها إليه، فأخذها من يدى وقال: يابنى من رأى غير الله لم ينل من الله شيئا، فقلت ياسيدى ادع الله لى، فقال يحفظك الله ويحفظ عليك ويحفظ بك، فقلت أوصنى، فقال: عليك بالإخلاص وحفظ العهد فيما بينك وبين الله تعالى ثم تركنى وانصرف، رضى الله تعالى عنه.

**(الحكاية الثالثة بعد الأربع مئة عن رجل باع نفسه فى حق الفقراء)**

حكى أن رجل باع نفسه للفقراء فى حق الفقراء، فقيل له لم فعلت هذا، ولم تبيع نفسك؟ فقال: ياقوم ما فعلت ذلك إلا لأمر أطلعنى الله عليه، كنت نائما فرأيت فى المنام ملكين قد وقفا بين يدى، فسألنى أحدهما فقال: ما تقول فى قول الله تعالى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) قلت الله أعلم، قال لابد أن تقول، قلت من كان عبدا لله لم يكن للعدو عليه سلطان، فقال الآخر: ما صفات العبد؟ قلت الله أعلم، قال لابد أن تقول، قلت: صفات العبد امتثال أوامر سيده، مجتنبا لنواهيه فى كل حال، ثم غاب عنى فلما أصبحت فكرت فى حالى، فلم أر نفسى أهلا للعبودية ولا للمراقبة، ولم أر أحدا له الصفات المحمودة إلا هذه الطائفة، فقلت أبيع نفسى لهم فأكون من عبيد العبيد، فبعتها لهم وها أنا عبد من عبيد عبيدهم، ثم بكى وقال: وحقه ما رأيت نفسى أهلا لمجالسته ولا لمراقبته ولا ممن يصلح لخدمته رحمة الله عليه، وحكى أيضا عن بعض الفقراء قال: كنت يوما متفكرا فى نفقة العيال، فاشتغل قلبى ساعة،

فنمت لأستريح، فرأيت فى منامى كأنى فى جزيرة فى وسط بحر، فقلت من أين يصلنى ما آكل وما أشرب فى هذا المكان؟ فهتف بى هاتف وقال لى يا هذا لو كان رزقك خلف سبعة أبحر لأتاك، فانتبهت مسرورا وزال عنى ماكنت أجد، ثم بعد ذلك جاءتنى رسالة على يد بعض الأصحاب من رجل لم يخطر ببالى، فقلت صدق الله تعالى فى قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) رحمه الله.

**(الحكاية الرابعة بعد الأربع مئة عن بعض المشايخ)** حكى عن بعض المشايخ أنه قال: كانت لى زوجة وكنت مشغوفا بها، فبينما أنا عندها فى بعض الأيام فى البيت نائم أدركتنى حالة فى المنام، فسمعت ما نطقت به، وعاينت حالتى، وكانت حالة عظيمة، فلما أفقت، قالت ما شأنك ياسيدى؟ فقلت ما رأيت، قالت خيرا، فسكت عنها ثم خرجت وخليتها، فقالت لخادم لنا ناد لى أمى وأختى، قال فناداهما، فاجتمعت بهما، وقالت جرى لزوجى كذا وكذا، وأخبرتهما بالقصة وقالت والله لابقيت له زوجة أبدا، فهو مجنون ولا أقيم معه فى الدار، فعذلها أهلها على ذلك وقصدوا ردها فأبت، فقالوا تقيمين فى الدار حتى نجتمع به، فلما علمت بذلك أتيت إليها وقل لها ما مقصودك؟ قالت الفراق وإلا قتلت نفسى وأنت السبب فى ذلك، فقلت لها أمهلينى سبعة أيام، فقالت نعم، ثم إنى وجدت مشقة كبيرة فى فراقها، فقصدت رضاها بشئ كثير من الدنيا، فأبت، فأرسلت جماعة من الأهل إليها فأبت؛ فلما تيقنت عزمها على ما ذكرت لحقنى وله وتغيرت أحوالى وتشوش خاطرى، ولم أجد من يحمل عنى ذلك؛ فلما بقى من الأجل ليلة واحدة وقد اشتد بى الحال وضاقت بى الأرض رجعت إلى الله تعالى، وفوضت أمرى إليه، وعزمت على أن ما يفعل الله تعالى أرضى به، ثم دعوت بهذه الكلمات: اللهم يا عالم الخفيا، وياسامع الأصوات، يا من بيده ملكوت الأرض والسموات، ويا مجيب الدعوات استغثت بك واستجرت بك، يا مجير أجرنى ثلاث مرات، ثم جلست حتى كان النصف الأخير من الليل وأنا مستقبل القبلة، واذا بها قد دخلت مسرعة وقبلت رجلى وقالت سألتك بالله العظيم ارض عنى، فقد تبت مما كنت أطلبه منك، وقد رجعت إلى الله تعالى، فاسأله أن يقبل توبتى فقلت لا أرضى عنك حتى

تخبرينى بسبب هذا؛ فقالت: كنت البارحة مصرة على ذلك العزم، فأتانى رجل فى المنام وبيده اليمنى سوط وفى الأخرى سكين، وقال لى إن لارجعت عن هذا الأمر وإلا قتلتك بهذه السكين، ثم جلدنى ثلاث جلدات، فانتبهت مرعوبة وحرارة ذلك الضرب فى قلبى، فقعدت ساعة ثم نمت، فرأيت الرجل بعينه قد أتانى بيده السوط والسكين وقال لى أما حذرتك ووعظتك وأمرتك، ثم رفع يده على فانتبهت مرعوبة وأتيت إليك مسرعة لتقبل توبتى وترضى عنى وتسأل الله لى، ثم كشفت عن جسدها فرأيت أثر ثلاث ضربات، فقلت لها الله يتوب عليك وعلى، وقد رضيت عنك فى الدنيا وفى الآخرة، فقالت صداقى هبة لك شكرا لله عز وجل، وعندى عشرون دينارا من حلى هى وثيابى للفقراء شكر الله، فلما أصبحت فعلت ذلك، ثم نظرت أنا فعل الله بى ولطفه وعلمت أن ذلك ثمرة الرضا بحكم ما يفعل، وتيقنت أن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى، ثم أقمت معها بعد ذلك سبع سنين، وأنا فى أكمل مسرة حامدا راضيا بما يفعل الله، ثم ماتت رحمة الله عليها، فرأيتها بعد موتها فى المنام فى أجمل صورة، وعليها من الحلى والحلل ما لاأطيق وصفه، فقلت لها ما فعل الله بك وماذا لقيت من ربك؟ فقال كما ترى وأنا منتظرة لقاءك، رضى الله تعالى عنك كما رضيت عنى، وحكى أيضا عن بعض الفقراء قال: كانت لى جارية، وكنت إذا أمرتها بأمر تمتثله، فقلت لها يوما يا جارية هل لك أن تنشدينى شيئا من الشعر؟ قالت نعم يا سيدى، فقلت لها قولى، فأنشدت:

**فلولاك يا ليلى ولولاك يا نعمى ولولاك ما طبن ولا طابت الدنيا**

فقلت أحسنت يا جارية، فما تقولين جائزة هذا البيت يكون عتقك عوضا عنها وأعطيك شيئا من الدنيا، فقالت: ياسيدى أنت مقصودى وعتقى نعمة على فلست أشتغل بالنعمة عن المنعم، فقلت لها أنت حرة لوجه الله تعالى، وكل ما فى المنزل فهو ملك لك، ثم ملأنى كلامها، فخرجت إلى السياحة من وقتى وتركتها، فغبت عنها سنة كاملة وكلامها كلما مر بخاطرى يقع فى باطنى كالحديد، وعاينت فى تلك الحركة ما لايحد ولايوصف، ثم رجعت إلى المكان الذى كنا فيه فوجدتها على حالة مرضية تواصل سبعة أيام وتأكل فى الشهر أربعة أيام، فتزوجت بها وأقامت عندى سنة تراقب أحوالى وتلازم خدمتى، ثم ماتت فى السنة الثانية رحمة الله عليها.

**(الحكاية الخامسة بعد الأربع مئة: عن أبى الحارث الأولاسى رضى الله تعالى عنه)** قال: شهدت الفداء فى الأسرى، فكنت أرى كل أسير إذا خرج من المركب أخذ من مال السلطان، فقلت بالله تعالى ما فى هؤلاء القوم رجل يتقى هذا المال، فلما كان بعد أيام نزل شيخ، فعرضوا عليه دنانير وخلعا وطعاما، فلم يأخذ منهم شيئا، فقلت فى نفسى الله أكبر واتبعته حتى لحقته، فعرضت عليه دراهم معى من جهة طيبة وقلت الحمد لله الذى لم يخل الأرض من ولى له، فلم يقبل الدراهم، وضرب بيده إلى حصى فى الساحل فإذا هو ياقوت أحمر وأصفر، فقال لى من كان حاله مع مولاه مثل حالى لايحتاج إلى دراهم، فقلت له ياحبيبى، أى شىء كنت تعمل فى بلد الروم وهذا حالك معه؟ قال نعم أقول لك أسأت فيما بينى وبينه، وتركت الأدب فعاقبنى بالأسر، فتبت إليه، فرجع إلى، فاستحييت منه أن أخرج من بلد الروم وأترك فيه المسلمين، فتأخرت لخروجهم، رضى الله تعالى عنه.

**(الحكاية السادسة بعد الأربع مئة: عن بعضهم)** قال: كنت بمكة، فجاءنى رجل من أهل اليمن، فقال لى جئتك بهدية، ثم قال لرجل كان معه: حدثه ما كان منك، فقال: خرجت من صنعاء حاجا، فشيعنى جماعة، وقال لى رجل منهم إذا زرت النبى ﷺ فاقرأ عليه منى السلام وعلى صاحبيه رضى الله تعالى عنهما وعن سائر الصحابة، قال فدخلت المدينة ونسيت ما استودعنى الرجل من السلام؛ فخرجنا إلى ذى الحليفة لنحرم، فلما أردنا الإحرام ذكرت أمانتى، فقلت لصحابى احتفظوا براحلتى حتى أرجع إلى المدينة فى حاجة، فقالوا الساعة ترحل القافلة ونخشى أنك لا تلحق، قلت فخذوا معكم راحلتى، فدخلت المدينة، فسلمت على النبى ﷺ وعلى صاحبيه رضى الله تعالى عنهما عن الرجل، فأدركنى الليل واستقبلنى إنسان، فسألته عن الرفقة، فقال قد رحلت فرجعت إلى المسجد وقلت أقيم إلى أن تجتزئ رفقة أخرى ونمت؛ فلما كان آخر الليل رأيت النبى ﷺ وأبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما، فقال أبو بكر: يا رسول الله هذا الرجل، فالتفت ﷺ إلى وقال أبو الوفاء، فقلت يا رسول الله كنيتى أبو العباس، فقال لى أنت أبو الوفاء، وأخذ بيدى فوضعنى فى المسجد الحرام، فأقمت بمكة ثمانية أيام حتى وردت الرفقة رضى الله تعالى عنه، ونفعنا به وبجميع الصالحين.

**(الحكاية السابعة بعد الأربع مئة: عن بعض الصالحين)** قال: صعدت جبل لبنان مع نفر نلتمس رجلا من العباد الزهاد المقيمين فيه، فسرنا ثلاثة أيام، فضربت على رجلى، فجلست على جبل شامخ ومضى أصحابى يدورون فى الجبل على أنهم يرجعون إلى فلم يعودوا وبقيت وحدى إلى غد ذلك اليوم، وطلبت ماء لأتطهر به للصلاة، فوجدت أسفل الجبل عينا، فتوضأت منها وقمت أصلى، فسمعت صوت قارئ، فلما فرغت من الصلاة اتبعت الصوت فوجدت كهفا فدخلته، فإذا فيه رجل ضرير جالس، فسلمت عليه، فرد على السلام وقال لى أجنى أنت أم إنسى؟ فقلت بل إنسى، فقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له، ما رأيت ههنا إنسيا منذ ثلاثين سنة غيرك، ثم قال لى لعلك تعبت اطرح نفسك، فدخلت داخل الكهف، فرأيت ثلاثة قبور صفا، فنمت عندها؛ فلما كان وقت صلاة الظهر صاح بى: الصلاة يرحمك الله، ولم أر رجلا أعرف بأوقات الصلاة منه، فصليت معه ثم قام يصلى، فلم يزل يصلى إلى العصر، فلما صلى العصر نهض قائما يدعو، فسمعته يقول فى دعائه: اللهم أصلح أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد ﷺ، فلما صلينا المغرب، قلت له من أين لك هذا الدعاء؟ قال من دعا به كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من البدلاء، فقلت من علمك هذا؟ فقال لايحتمل إيمانك ذلك، قال المؤلف كان الله له: وقال الشيخ الإمام العارف بالله تعالى عالى المقام أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه وغيره من الكبار العارفين: من قال كل يوم اللهم اغفر لأمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم استر أمة محمد، اللهم اجبر أمة محمد، كتب من الأبرار رضى الله تعالى عنهم، قالوا وهو دعاء الخضر عليه السلام، رجعنا إلى تمام الحكاية، قال: فلما صلينا العشاء قال لى تأكل؟ فقلت نعم، قال ادخل داخل الكهف فكل ما تجد، فدخلت فوجدت صخرة عليها جوز وزبيب وخرنوب وتفاح وتين وحبة الخضراء، كل واحد من ذلك فى ناحية، فأكلت منه ما أردت، فلما كان وقت السحر أوتر، وذلك أنه لم ينم فى ليلته ثم أكل مما كان هناك، وجلس حتى صلينا الفجر فنام وهو جالس إلى أن طلعت الشمس وارتفعت نحو رمحين، ثم قام فتوضأ ودخل الكهف، فقلت له من أين هذه الفاكهة، فما رأيت أطيب منها، قال فسترى ذلك معاينة، فدخل طائر جناحاه

أبيضان وصدره أحمر ورقبته خضراء، وفى منقاره حبة زبيب وبين رجليه جوزة، فوضع الزبيبة على الزبيب والجوزة على الجوز، فلما أحس بجناحيه قال لى رأيته؟ قلت نعم، قال هذا الطائر يأتينى بهذه الفاكهة منذ ثلاثين سنة، قلت كم يتردد إليك فى اليوم؟ قال سبع مرات، فعددت فإذا به تردد فى اليوم خمس عشرة مرة، فعرفته بذلك، فقال قد زادك مرة اجعلنا فى حل، ورأيت عليه من اللباس من لحاء شجر شبه الموز، فقلت له من أين لك هذا؟ فقال يأتينى هذا الطائر فى كل يوم عاشوراء بعشر قطع من هذا اللحاء، فأصنع منه قميصا ومئزرا، وكانت عنده مسلة يخيط بها اللحاء ورأيت تحته مما قد خلق من ذلك مفروشا، وأيت عنده حجرا يصب عليه الماء، ثم يأخذ الماء الذى ينزل منه، فيمسح به الشعر الذى ينبت عليه فيحلقه، وكنت عنده جالسا فدخل عليه سبعة نفر أعينهم مشقوقة بالطول حمر، وكانت ثيابهم شعورهم، فقال لى بالفارسية لاتجزع منهم فإنهم من مسلمى الجن، فقرأ عليه أحدهم سورة طه وآخر سورة الفرقان، وآخر تلقن من سورة الرحمن آيات، ثم خرجوا؛ وسمعته وهو ساجد فى بعض الأيام يقول فى سجوده: اللهم امنن على بإقبالى عليك وإصغائى إليك وإنصاتى لك والفهم عنك والبصيرة فى أمرك، والنفاذ فى خدمتك وحسن الأدب فى معاملتك، ورفع صوته فقلت له من أين لك هذا الدعاء؟ فقال ألهمته، ولقد كنت أدعو به فى بعض الليالى فسمعت هاتفا يهتف بى يقول: إذا دعوت بهذا الدعاء ففخم فإنه مستجاب، فأقمت عنده أربعة وعشرين يوما، ثم قال لى حدثنى بقصتك كيف وصلت إلى ههنا؟ فحدثته، فقال لو علمت أن قصتك هذه ما تركتك عندى هذه المدة، لأنك قد شغلت قلوب إخوانك، وقد ندموا على ما فرطوا فى أمرك، ورجوعك إليهم أفضل من مقامك عندى، فقلت له فإنى ما أعرف الطريق فسكت، فلما كان وقت زوال الشمس قال قم حتى تمضى، فقلت له أوصنى بوصية، فقال لى: عليك بالجوع والأدب، فإنى أرجو أن تلحق بالقوم، وأهدى لك أيضا هدية اطلب يوم الزيارة بعد العصر بين زمزم والمقام رجلا ووصفه لى، ثم قال إذا لقيته فاقرأ عليه السلام واسأله يدعو لك، ثم خرج من الكهف وأنا معه، وإذا بسبع قائم على باب الكهف، فتكلم معه بكلام لم أفهمه، ثم قال لى اتبعه، فإذا وقف فانظر عن

يمينك أو عن يسارك، فإنك تجد الطريق، فسار السبع أمامى ساعة ثم وقف، فنظرت عن يمينى، فإذا أنا على عقبة دمشق، فدخلت الجامع فلقيت بعض من كان معنا، فحدثته الحديث وخرجنا جميعا ومعنا خلق كثير حتى صرنا إلى ذلك الجبل وذلك الموضع بعينه وطلبنا الكهف ثلاثة أيام فلم نجده، فقالوا لى هذا شىء كشف لك وغطى عنا، فكنت أحج كل سنة، وألتمس الرجل الذى وصفه لى، فما كنت أراه حتى كان بعد ذلك بثمان سنين، رأيت ذلك الرجل على ما وصفه لى بين زمزم والمقام بعد العصر، فسلمت عليه، فرد على السلام، فسألته الدعاء، فدعا لى بدعوات، فقلت له: إن ابراهيم الكرمانى يقرئك السلام، فقال لى وأين رأيته؟ قلت فى جبل لبنان، فقال لى: رحمه الله تعالى، فقلت له أو قد مات؟ قال نعم الساعة دفنته عند إخوانه فى الغار الذى كان فيه، وصلينا عليه، فبينما نحن نغسله إذا بالطائر الذى كان يأتيه بقوته قد سقط، فلم يزل يضرب بجناحيه حتى مات، فدفناه عند رجليه، ثم قام الرجل فدخل الطواف فلم أره بعد ذلك، رضى الله تعالى عن الجميع ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية الثامنة بعد الأربع مئة: عن بعضهم)** قال: ركبت فى مركب البحر ومعى رفيق لى: فلما سار المركب سكنت الريح، فطلبوا مرسى وقربوا المركب من الساحل، وكان، إلى جنبى شاب حسن الوجه، فنزل إلى الساحل ودخل بين أشجار على شاطىء البحر، ثم رجع إلى المركب؛ فلما غابت الشمس قال لى ولصاحبى: إنى ميت الساعة ولى إليكما حاجة قلنا ما هى؟ قال إذا أنا مت فكفنانى بما فى هذه الرزمة، وخذا هذه الثياب التى على ومخلاتى، فإذا دخلتما مدينة صور، فأول من يلقاكما ويقول لكما هاتا الأمانة فادفعاها إليه؛ فلما صلينا المغرب حركنا الرجل فإذا هو قد مات، فحملناه إلى الشط وأخذنا فى غسله وفتحنا الرزمة، فإذا فيها ثوبان أخضران مكتوبان بالذهب، وثوب أبيض فيه صرة فيها شىء كأنه الكافور، ورائحته رائحة المسك، فغسلناه وكفناه فى ذلك الكفن، وحنطناه بما كان فى الصرة من الطيب، وصلينا عليه ودفناه، فلما دخلنا مدينة صور استقبلنا غلام أمرد حسن الوجه، عليه ثوب شرب، وعلى رأسه منديل ديبقى، فسلم علينا وقال: هاتا الأمانة، فقلنا له نعم وكرامة، ولكن ادخل معنا هذا المسجد نسألك عن مسئلة، قال: نعم، فدخل معنا

المسجد، فقلنا له أخبرنا عن الميت، ومن أنت، ومن أين له ذلك الكفن؟ فقال أما الميت فكان من البدلاء من الأربعين وأنا بدله، وأما الكفن فإنه جاء به الخضر عليه السلام، وعرفه أنه ميت، ثم لبس الثياب التى كانت معنا، ودفع إلينا الثياب التى كانت عليه، وقال بيعاها وتصدقا بثمنها إن لم تحتاجا إلى لبسها، فأخذناها ودفعنا السراويل إلى المنادى يبيعه، فلم نشعر إلا والمنادى قد جاء ومعه جماعة فأخذونا إلى دار كبيرة، وإذا فيها جماعة وإذا بشيخ يبكى وصراخ النساء فى الدار، فلما وصلنا إلى الشيخ سألنا عن السراويل والتكة، فحدثناه الحديث، فخر ساجدا لله تعالى، ثم رفع رأسه وقال: الحمد لله الذى أخرج من صلبى مثل هذا، ثم صاح بأمه وقال لنا حدثاها الحديث، فحدثناها، فقال لها الشيخ: احمدى الله تعالى الذى رزقك مثله، فلما كان بعد سنين بينما أنا واقف بعرفات، وإذا أن بشاب حسن الوجه عليه مطرف خز، فسلم على وقال أتعرفنى؟ قلت لا، فقال أنا صاحب الأمانة الصورى، ثم ودعنى وغاب عنى وقال لولا أن أصحابى ينتظروننى لأقمت معك، فمضى وتركنى، فإذا أنا بشيخ خلفى من أهل المغرب كنت أعرفه يحج كل سنة، فقال لى من أين تعرف هذا الشاب؟ فقلت هذا يقال إنه من الأبدال الأربعين، فقال هو اليوم من العشرة، وبه يغاث الناس والعباد رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وبأمثاله.

**(الحكاية التاسعة بعد الأربع مئة عن بعض المشايخ)** قال بعض الشيوخ: دخلت أنا وعشرة نفر فى جبل لكام، فسرنا فيه أياما، وانحدرنا إلى واد فإذا فيه بحيرة ماء عذب، وإذا على شاطىء البحيرة مسجد من حجر أبيض، وإذا بعين ماء من حجر تحت المسجد تجرى إلى البحيرة فجلسنا فيه، فلما كان وقت الظهر جاء رجل فأذن، ثم دخل فسلم علينا وصلى ركعتين، ثم أقام الصلاة، فدخل شيخ ومعه ثلاثون رجلا، فتقدم إلى المحراب وصلى بنا، ثم انصرفوا ولم يكلمونا، فلما كان وقت العصر صلينا نحن ولم نرهم؛ فلما كان وقت المغرب جاء الرجل فأذن وأقام الصلاة فتقدم الشيخ فصلى بنا، ثم قاموا يصلون إلى أن غاب الشفق الأحمر، ثم أذن وأقام وصلى بنا الشيخ العشاء ثم انصروا ولم يكلمونا ولم نكلمهم، فلما كان بعد ساعة جاء رجل منهم معه شىء فوضعه فى زاوية المسجد، ثم قال لنا: هلموا رحمكم الله، فقمنا إليه، فإذا

نحن بمنديل أبيض لم نر مثله تحته مكبة من زمرد أخضر، فكشفناها فإذا بمائدة من ياقوت أحمر عليها طعام يشبه الثريد، فأكلنا منه، فكنا نأكل ولم ينقص منه شيء، فلما كان وقت السحر جاء ذلك الرجل فحمل المائدة، ثم أذن وأقام الصلاة، فتقدم الشيخ فصلى بنا وجلس فى محرابه، فختم القرآن، فحمد الله وأثنى عليه، ودعا بدعاء حسن، ثم قال إن الله تعالى افترض على خلقه فريضتين فى آية واحدة، والخلق عنها غافلون، فقلت: وما هى رحمك الله؟ فقال لى تقدم جبرك الله، فقدمنى على الجماعة وقال لى نعم يابنى جبرك الله، قال الجليل جل جلاله (إن الشيطان لكم عدو) فوصفه بالعداوة لنا، ثم قال (فاتخذوه عدوا) فهذا أمر منه لنا أن نتخذه عدوا، قال: فقلت له كيف نتخذه عدوا ونتحصن منه؟ فقال: اعلم رحمك الله، أن الله جل جلاله جعل لكل مؤمن سبعة حصون، فقلت وما هذه الحصون؟ قال: الحصن الأول من ذهب، وهو معرفة الله تعالى، وحوله حصن من فضة وهو الإيمان بالله، وحوله حصن من حديد وهو التوكل على الله، وحوله حصن من حجارة وهو الشكر والرضا عن الله وحوله حصن من فخار وهو الأمر والنهى والقيام بهما، وحوله حصن من الزمرد وهو الصدق والإخلاص فى جميع الأحوال، وحوله حصن من لؤلؤ رطب وهو أدب النفس، فالمؤمن من داخل هذه الحصون، وإبليس من ورائها ينبح كما ينبح الكلب، والمؤمن لايبالى به لأنه قد تحصن بهذه الحصون، فينبغى للمؤمن أن لايترك أدب النفس فى أحواله، ولايتهاون به فى كل ما يأتيه، فإن من ترك أدب النفس وتهاون بها يأتيه الخذلان من فوق لتركه الأدب، ولا يزال إبليس نعوذ بالله منه يعالجه ويطمع فيه حتى يأخذ منه الحصن الأول، ثم لايزال يأخذ منه حصنا بعد حصن إذا ترك الأدب ويطمع فيه؛ ويأتيه الخذلان من الله تعالى لتركه حسن الأدب حتى يأخذ منه جميع الحصون السبعة ويرده إلى الكفر فيخلد فى النار، نعوذ بالله من جميع ذلك ونسأله التوفيق وحسن الأدب، قال فقلت له: أوصنى بوصية، قال نعم جبرك الله اجتهد فى رضا خالقك بقدر ما تجتهد فى رضا نفسك، واعمل فى دنياك بقدر مقامك فيها، واعمل لربك بقدر حاجتك إليه، وأطع إبليس لعنه الله بقدر نصحه لك، وهى الخديعة منه، وارتكب من المعاصى بقدر طاقتك على النار،

واحفظ لسانك عما لاترجو فيه ثوابا كما تحفظ نفسك من سلعة لاترجو فيها ربحا واترك أربعة لأربعة، ثم لاتبالى متى مت اترك الشهوات إلى الجنة والنوم إلى القبر، والراحة إلى الصراط، والفخر إلى الميزان، ثم قام ومشى وأقمنا يومنا ذلك؛ فلما كان الليل جاء الرجل ومعه تلك المائدة وعليها مثل ذلك الطعام، فأكلنا وأقمنا عندهم ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع ودعنا الشيخ وقال فى آخر كلامه لنا: يا فتيان استروا المكان يستركم الله فى الدنيا والآخرة، فانصرفنا من عندهم، وسرنا فى واد على جانبه أشجار مثمرة من كل لون من الثمر، فرأينا من بعيد على شاطىء النهر كريكيا قائما، فقربنا منه فإذا هو مطموس العينين، فبقينا نتعجب من أمره، فبينما نحن قيام إذ أقبلت نحلة سوداء خلفها نحل كثير، فلما وصلت إلى الكركى دبت، ففتح منقاره، فوضعت النحلة فيه عسلا، ولم يزل النحل يدخلن واحدة بعد واحدة، ويصببن العسل فى فمه ولم يبق منهن شىء، فامتلأ فمه من العسل، فأطبق عليه منقاره فسقط منه شىء من العسل، فأخذته وأكلته وانصرفنا رضى الله تعالى عنه وعن جميع الصالحين ونفعنا بهم، قلت: ذكر الشيخ المذكور رضى الله تعالى عنه أن الشيطان نعوذ بالله منه، لايزال يأخذ الحصون المذكورة حتى يرد العبد إلى الكفر، فيخلد فى النار، نعوذ بالله من ذلك، وما قاله فى نهاية الحسن والتحقيق ولكن قد يستولى الشيطان على بعض الحصون المذكورة دون بعض، فيؤدى العبد إلى الفسق دون الكفر فيستحق النار من غير تخليد، وقد لا يؤديه إلى الفسق، ولكن يرده إلى أضعف الإيمان فلا يستحق النار، ولكن يستحق النزول عن مقام أهل الإيمان الكامل، وفى هذا التفاوت بحسب تفاوت الحصون المذكورة، فليس أخذ حصنىّ المعرفة والإيمان كأخذ بقية الحصون المذكورة، وبقية الحصون تتفاوت أيضا، فليس أخذ حصنى الصدق والإخلاص كأخذ حصنى الأمر والنهى، وكذلك سائر الحصون، والكلام فيها يطول، ولكن مهما بقى حصن الإيمان وحصن التوكل الكاملين للعبد لم يقدر عليه الشيطان، لقوله تعالى (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وهؤلاء هم المتصفون بالعبودية الكاملة لقوله تعالى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان)، وهم المؤمنون حقا لقوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله

وجلت قلوبهم) إلى قوله تعالى (وعلى ربهم يتوكلون) ثم قال فى آخر وصفهم (أولئك هم المؤمنون حقا) وقد يكون أخذ حصن واحد مؤديا إلى الكفر، موقعا فى التخليد فى النار كحصن الإيمان، ولكن لايقدر على الوصول إلى أخذ حصن الإيمان حتى يأخذ الحصون التى حوله إن كانت موجودة فنسأل الله الكريم التوفيق والهدى، والسلامة من الزيغ والردى.

**(الحكاية العاشرة بعد الأربع مئة: عن بعضهم)** قال: كنت جالسا فى مسجد رسول الله ﷺ ومعى رجل من أهل البحرين يقال له خير، فدخل علينا من باب المسجد سبعة أنفس، فقال خير: الحق بالقوم لايفوتوك، فإنهم أولياء فقمت خلفهم فإذا هم عند قبر النبى ﷺ قيام، فتقدمت إليهم، فالتفت إلى واحد منهم، فداخلنى الرعب حتى بلت، فخرج القوم وخرجت معهم، فالتفت إلى واحد منهم وقال لى: إلى أين تأتى؟ ارجع فإنك لاتلحقنا، فقال له واحد منهم دعه لعل الله يجبره، فقال له: ماله أربعون سنة، فقال دعه لعل الله يجبره فيلحقه بدرجة القوم، فسرت معهم، فكنت أرى ونحن نسير كأن الجبال والأرض تطوى، فنرى من بعيد جبلا فنجوزه، ونرى سهلا من بعيد فنجوزه فى الحال وكنت أسمع دبيب الأرض مثل الرحا، وكنت أرى كنوز الأرض تظهر لنا وتغيب عنا حتى وصلنا إلى واد كثير الشجر كثير النبات، فإذا أقوام يصلون بواد نحوا من سبعين رجلا، فبتنا فى ذلك الوادى، فلما أصبحنا وطلعت الشمس قمنا، فإذا نحن بمدينة عليها سور أبيض من حجارة قطعة واحدة ونهر عظيم يدخل إليها، وليس للمدينة باب إلا من الموضع الذى يدخل منه الماء، وعليه شباك من ذهب، فدخلناها جميعا ونحن نحو من مئة نفس، فإذا فيها قباب من ذهب، وتحتها عمد من ذهب وفضة، وفيها أنهار من ذهب يجرى فيها الماء وأشجار بين القباب مثمرة، وأرضها مفروشة بنبات الريحان، وفيها طيور من كل لون، وثمار كثيرة وتفاح وزن كل تفاحة نحو من خمسة أرطال بالبغدادى، وكل تلك الفاكهة لاتشبه فاكهة الدنيا فى الطعم واللون والريح، وكنا نأكل من التفاح وغيره، وكان أحدنا يأكل فى الوقت مئة ومئتين ولا يشبع من التفاح والسفرجل والرمان والكمثرى، ومن كل نوع من الثمار إلا النخل، فأقمنا بها أربعين يوما ليس لنا فيها عمل إلا الصلاة والأكل، وكنا لانحتاج إلى وضوء

ولاشرب ماء ولا نوم، فلما كان بعد الأربعين خرجنا منها، فأخذت منها ثلاث تفاحات فلم يمنعونى، فخرجنا من الموضع الذى يدخل منه الماء، وكنا دخلنا منه؛ فلما سرنا ساعة قالوا لى أين تريد نوصلك؟ فقلت الموضع الذى أخذتموه، وسألتهم عن اسم المدينة، فقال لى واحد منهم، هذه مدينة الأولياء خلقها الله عز وجل نزهة لأوليائه فى دار الدنيا، فمرة تظهر لهم باليمن، ومرة تظهر لهم بالشام، ومرة بالكوفة، ولم يدخل هذه المدينة من لم يبلغ الأربعين غيرك؛ فلما كان بعد ساعة انتهينا إلى موضع، فقلت ما هذا الموضع؟ قالوا اليمن، وكنت آخذ من التفاح قطعة صغيرة فما أحتاج إلى طعام أياما كثيرة، ولم يزل معى التفاح آكل منه إلى أن دخلت مكة فلقيت الكنانى فأعطيته من التفاح واحدة، فلما كان اليوم الثانى لقينى رجل فقال لى لم فعلت هذا، ولم حدثت بما رأيت؟ فقد أخذنا ما أعطيت الكنانى ورددناه إلى مكانه، فلقيت الكنانى فقال كانت عندى فى حق، فلما أمسيت ذهبت لآكل منها فلم أجدها، قلت: وقد تقدمت فى هذا الكتاب حكاية تشبه هذه وليست هى هى، وفى كل واحدة منهما أشياء ليست بالأخرى، وكل ذلك ممكن فى قدرة الله تعالى وسائغ فى كرامات أوليائه، رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم أجمعين.

**(الحكاية الحادية عشرة بعد الأربع مئة: عن الشيخ أبى عمران الواسطى رضى الله تعالى عنه)** قال: خرجت من مكة أريد زيارة قبر النبى ﷺ، فلما خرجت من الحرم أصابنى عطش شديد حتى أيست من نفسى، فجلست تحت شجرة أم غيلان آيسا من نفسى فإذا فارس قد أقبل على فرس أخضر، وسرجه ولجامه وثيابه وآلته خضر، وفى يده قدح أخضر، فيه شراب أخضر، فدفعه إلى: وقال لى اشرب، فشربت ثلاث مرات لم ينقص مما فى القدح شىء، ثم قال لى أين تريد؟ فقلت المدينة لأسلم على النبى ﷺ وأسلم على صاحبيه رضى الله عنهما، فقال إذا وصلت وسلمت على النبى ﷺ وعليهما، فقل لهم رضوان يقرئكم السلام، وكذلك روى أيضا عن بعض الصالحين قال: كنت جالسا فى بيت المقدس عند منبر سليمان عليه السلام يوم الجمعة بعد صلاة العصر، وإذا أنا برجلين يشبه أحدهما خلقنا والآخر طويل عظيم الخلق، كان عرض جبهته أكثر من ذراع، وكان فيه ضربة قد خيطت، فجلس الذى يشبهنا

عندى وسلم على، وجلس الآخر بعيدا منى فقلت له من أنت يرحمك الله؟ قال أنا الخضر؟ فقلت ومن ذلك الرجل؟ قال أخى إلياس، فداخلنى ما يداخل مثلى، فقال لى لابأس عليك نحن نحبك، ثم قال لى: من صلى العصر يوم الجمعة ثم استقبل القبلة فقال: ياالله يارحمن إلى أن تغرب الشمس، ثم سأل الله تعالى شيئا أعطاه إياه، فقلت له آنستنى آنسك الله بذكره، هل كل ولى فى الأرض تعرفه؟ قال المعدودين، قلت وما معنى المعدودين؟ قال إنه لما قبض النبى ﷺ شكت الأرض إلى ربها سبحانه وتعالى، فقالت بقيت لايمشى على نبى إلى يوم القيامة، فأوحى الله تعالى إليها إنى سأجعل من هذه الأمة رجالا مثل الأنبياء، قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال فقلت له كم هم؟ قال ثلاث مئة وهم الأولياء، وسبعون، هم النجباء وأربعون وهم أوتاد الأرض، وعشرة وهم النقباء، وسبعة وهم العرفاء، وثلاثة وهم المختارون، وواحد وهو الغوث، فإذا مات الغوث اختير من الثلاثة واحد فجعل فى مرتبته، واختير من السبعة واحد فجعل فى الثلاثة، واختير من العشرة واحد فضم إلى السبعة ومن الأربعين إلى العشرة، ومن السبعين إلى الأربعين، ومن الثلاث مئة إلى السبعين، واختير من الدنيا واحد إلى الثلاث مئة يعنى من أهل الدنيا هكذا إلى يوم ينفخ فى الصور، ومنهم من قلبه مثل قلب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، ومنهم من قلبه مثل قلب نوح وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فقلتُ له مثل قلب إبراهيم تعظيما له؟ قال نعم، ومثل قلب جبريل وادود وسليمان عليهم الصلاة والسلام، أما سمعت قول الله سبحانه (فبهداهم اقتده) فما مات نبى إلا وعلى طريقته رجل يسلكها إلى يوم القيامة، فلو أن الأربعين اطلعوا على قلوب العشرة لرأوا قتلهم ودماءهم حلالا وكذلك السبعون لو اطلعوا على قلوب الأربعين لرأوا قتلهم ودماءهم حلالا أما ترى ما كان من قصة موسى معى؟ قال فقلت له مم طعامك؟ قال من الكرفس والكمأة، قلت فما طعام إلياس؟ قال رغيفان من الحوارى كل ليلة، قلت وأنت وهو أين مقامكما؟ قال فى جزائر البحر، قلت وهل تجتمعان؟ قال نعم اذا مات ولى صلينا عليه، وإذا كان موسم الحج أجتمعنا فيه، فيأخذ من شعرى وآخذ من شعره، قلت فعرفنى أسماء هؤلاء القوم الذين سميتهم فأخرج درجا من كمه

فيه أسماء القوم كلهم قد كتبهم، ثم قام فقمت معه، فقال لى إلى أين؟ فقلت أمشى معك، فقال لاسبيل لك إلى ذلك، فقلت إلى أين تقصد؟ فقال وما تريد من ذلك؟ فقلت أصلى معك وأتبرك، فقال إنى أصلى الغداة بمكة، ثم أجلس فى الحجر عند الركن الشامى إلى أن تطلع الشمس، ثم أطوف بالبيت سبعا، ثم أصلى خلف المقام ركعتين، ثم أصلى الظهر بالمدينة والعصر ببيت المقدس والمغرب بطور سيناء والعشاء على سد ذى القرنين ثم لاأزال أحرس إلى الغداة، عليه وعلى جميع المذكورين السلام.

**(الحكاية الثانية عشرة بعد الأربعة مئة: عن بعض المشايخ)** قال: ورد على كتاب من أبى بكر محمد بن الشقيق يذكر فيه ما فى رقبته من الأمانات، ويسألنى الدعاء أن يخلصه الله تعالى منها فى الدنيا، فخرجت من المنزل أريد صلاة الظهر، فلما فتحت الباب إذا برجل عليه ثياب خضر وعليه تاج من جوهر وله شعاع، فسلم على وقال ما عزمك أن تكتب إلى محمد الشقيق؟ فقلت له ما تأمر به، فقال اكتب إليه بعد يومنا هذا إلى تمام ستة عشر يوما يكون فى قبره، فقلت له أحكيه عنك؟ فقال لا اكتب إليه فإنه يصدقك، فتكتب إليه ثلاثة كتب اعرفه فيها بمنيته، فلما وصلت إليه هيأ وصيته وفرغ منها، وفى اليوم السادس عشر من اليوم الذى كتب إليه مات رحمه الله تعالى، فرأيته فى المنام، فقال لى جزاك الله من أخ خيرا وكان بينى وبينه معاهدة أن من سبق منا إلى الجنة يشفع فى صاحبه، فقلت له العهد الذى بينى وبينك، فقال أنا على ذلك، وقد وهب لى ممن لم يكن بينى وبينه معاهدة خلق لايحصون، فقلت وأنا؟ قال أنت أخصهم وأفضلهم، رضى الله تعالى عن جميع الصالحين ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية الثالثة عشرة بعد الأربعة مئة: عن بعضهم)** قال: خرجت من عدن مع رفقة لى، فلما جن علينا الليل أصابنى شىء فى رجلى فبقيت وحدى على شاطىء البحر، فجلست على الساحل ولم يكن معى شىء وكنت صائما، فبينما أنا كذلك وقد مهدت لنفسى لأنام، فإذا أنا برغيفين وبينهما طائر مشوى، فأخذت الطائر فتركته ناحية، فإذا أنا بأسود فى يده عمود من حديد، فقال لى كل يا مرائى، فأكلت بعض الطائر مع رغيف، وأخذت الرغيف الآخر

وما بقى من الطائر فجعلته فى خرقة معى ووضعته عند رأسى ونمت، فانتبهت وإذا الخرقة تحت رأسى وما فيها شىء، وقال أيضا: رأيت الغوث وهو القطب رضى الله تعالى عنه بمكة سنة خمس عشرة وثلاث مئة على عجلة من ذهب، والملائكة يجرون العجلة فى الهواء بسلاسل من ذهب، فقلت إلى أين تمضى؟ فقال إلى أخ من إخوانى اشتقت إليه، فقلت لو سألت الله تعالى أن يسوقه إليك؟ فقال وأين ثواب الزيارة؟ قال واسم هذا القطب أحمد بن عبدالله البلخى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به، قلت: وسيأتى الكلام على هذه الحكاية فى آخر الكتاب فى فصل الجواب عن إنكار بعض المنكرين، والله الموفق.

**(الحكاية الرابعة عشرة بعد الأربعة مئة: عن بعض المشايخ)** قال: كنت جالسا ومعى جماعة من الصالحين بمكة وفينا رجل هاشمى، فغشى عليه، فلما أفاق قال أما رأيتم ما رأيت؟ قلنا ما رأينا شيئا، قال رأيت الملائكة محرمين يطوفون حول الكعبة، فقلت لهم من أنتم؟ قالوا ملائكة، فقلت كيف حبكم لله تعالى؟ فقالوا نحن حبنا جوانى وحبكم برانى، فقلت يعنون حبنا من داخل وحبكم من خارج: قال: ودخلت فى وقت من الأوقات إلى قبة بيت المقدس بالليل فبت فيها، فبينما أنا قائم أصلى إذا بالقبة انشقت نصفين، فبقيت مشقوقة حتى أبصرت السماء، فنزل منها خلق لايحصى عددهم إلا الله تعالى وهم يقولون: سبحان من هو هو، سبحان من ليس إلا هو، أهيا شراهيا فلم يزالوا يقولون هذا، فلما كان آخر الليل قال لى واحد منهم كان إلى جانبى: ما قصتك؟ قلت أحببت أن أصلى فى هذا الموضع بالليل من أنتم؟ فقالوا نحن الملائكة، دخلنا أمس البيت المعمور ولانعود إليه إلى يوم القيامة، وذلك أنه يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون إلى يوم القيامة، فإذا دخلوا فى يومهم ساروا فى تلك الليلة إلى بيت المقدس وإلى الصخرة، ثم يمضون إلى بيت الله الحرام، فيطوفون به أسبوعا (سبعة أشواط) ويصلون خلف المقام ركعتين، ثم يمضون إلى المدينة فيسلمون على النبى ﷺ ثم يرجعون إلى مصافهم، فلما صعدوا انضمت القبة وأصبح الصبح. وعن بعضهم قال: كنت بجبل النور بالمصيصة، فدخل رجلى عظم عظيم، فاجتهدت فى نفسى كل الجهد أن أخرجه فلم أقدر على ذلك، وبقى فى رجلى أياما كثيرة حتى ورمت

وانتفخت واسودت وصارت مثل الزق، فبقيت ملقى تحت شجرة، فغلبتني عيناى، فنمت فوجدت رائحة، ففتحت عينى فاذا بحية سوداء قد وضعت فمها على الموضع الذى فيه العظم وجعلت تمصه وترمى القيح والدم، فغمضت عينى، فلم تزل تمص وترمى الدم حتى وصلت إلى العظم، فحركته وأخرجته، ثم أحسست بشىء لين مسح على رجلى، فلا أدرى ذلك لسانها أو ذنبها، فجلست فإذا أنا بالدم والعظم مطروحين وأنا لا أدرى أى الرجلين كانت تؤلمنى، وزال ما عندى من الألم، والحمد لله على ذلك حمدا كثيرا، فسبحان الله اللطيف الخبير، الذى هو على كل شىء قدير.

**(الحكاية الخامسة عشرة بعد الأربع مئة: عن بعض الصالحين)** قال: وصف لى بباب من الأبواب ثلاثة نفر من البدلاء العشرة، فقصدتهم وسألت عنهم، فإذا واحد منهم إمام بالجامع فرأيت عليه ثيابا جميلة وبزة حسنة، وله عمامة كبيرة يديرها، واسمه إبراهيم، واسم الآخرين الحسن والحسين، فجئت إلى إبراهيم الإمام بين المغرب والعشاء، فسلمت عليه وقلت له إنى قصدتك، ففرح بى، فلما صلينا العشاء أخذ بيدى ومضينا إلى منزله، وإذا قصر عظيم وحاشية كثيرة، فقدم لنا مائدة كبيرة عليها طعام كثير، فجلس معنا الحسن والحسين ولم يجلس معنا إبراهيم، فأكلنا، وسألتهما عنه فقالا لى إنه لا يأكل إلا اللبن، فلما كانت وقت النوم فرش له فرش كثيرة، فنام عليه، فلم أزل أراقبه، فلما كان فى بعض الليل نزل عن الفراش فصلى ركعتين من غير أن يتوضأ، فقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب، وقل يا أيها الكافرون وفى الأخرى فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، فلما سلم قال: لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير كله، وهو على كل شىء قدير، اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. قالها ثلاثا رافعا بها صوته، ثم صلى ركعتين أخريين، فقرأ فى الأولى منهما الفاتحة، وقل أعوذ برب الفلق، وفى الثانية الفاتحة، وقل أعوذ برب الناس، فلما سلم قال مثل ما قال من الذكر المذكور ثلاث مرات، ثم صلى ركعتين أخريين فقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب، وآية الكرسى، وفى الأخرى فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد ثلاث مرات، ثم

رجع بعد الذكر المذكور إلى فراشه، فلما كان وقت الفجر قام وأذن وصلى ركعتى الفجر من غير أن يجدد وضوءا، ثم خرج إلى الصلاة، فأقمت عندهم شهورا على هذا فلما كان يوم عرفة قال لى اقرأ اليوم سورة الأنبياء وسورة الحج، وكلما مررت بذكر نبىّ من الأنبياء فصلّ عليه وعلى محمد ﷺ فإنك إذا فعلت ذلك أعطاك الله تعالى ثواب من حجّ إلى بيته الحرام؛ فلما صلى الضحى جاءنى الحسن وأخذ بيدى من المسجد فجئنا إلى الدار، فإذا القوم تهيئوا للإحرام، فدفع إلىّ إزارين وقال لى انو الإحرام، ثم خرجنا من الدار وقد حملوا معهم سطلا صغيرا مملوءا دراهم صحاحا، فلما جاوزنا المقابر صلينا ركعتين وقال لى انو الحجّ، فنويت، ثم لبوا فلبيت معهم، وسجدوا فسجدت معهم؛ فلما كان بعد ساعة رفعوا رءوسهم ورفعت رأسى معهم، فرأيت جبالا وأرضا لا أعرفها، ورأيت جمالا وناسا سائرين، فقال لى إبراهيم هؤلاء قوم خارجون من منى يريدون عرفة، ثم أخذوا بيدى فسرنا حتى وافينا مسجد عرفات، فاشتروا ماء فاغتسلنا، واشتروا تمرا وخبزا، فقال لى إبراهيم: كل، فقلت إنى صائم، فقال لا تخالف نبيك محمدا ﷺ فقد أفطر فى مثل هذا اليوم؛ فلما كان عند غروب الشمس دفعوا إلىّ السطل وفيه الدراهم، فقال لى إبراهيم خذ هذا فاستعن به على أمرك وعليك بالشام، ثم افترقنا فلم أرهم بعد ذلك، رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم * قلت: قوله أفطر فى مثل هذا اليوم، يعنى أن النبى ﷺ أفطر يوم عرفة بعرفة فى حجة الوداع، والسنة للواقفين الإفطار على الصحيح ولغيرهم الصيام، وصومه يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده، هكذا فى الحديث، وإنما شرع الفطر للواقفين لأنه أعون على الدعاء والعبادة المشروعة فى ذلك اليوم من الأذكار والتلبية وغير ذلك.

**(الحكاية السادسة عشرة بعد الأربع مئة عن بعض الشيوخ)** قال بعض الشيوخ: اعتللت علة شديدة أيست من نفسى وأيس منى من رآنى، فبينما أنا فى أشد ما كنت، رأيت فى المنام فى ليلة جمعة كأن رجلا دخل علىّ فجلس عند رأسى، ودخل بعده خلق كثير، وكانوا فى وقت الدخول يشبهون الطيور، فلما جلسوا صاروا فى صورة الآدميين، فلم يزالوا يدخلون وعينى إلى الباب فلما انقطع دخولهم رفع ذلك الرجل رأسه وقال قصدى هذا البلد لعيادة ثلاثة،

أحدهم هذا وأومأ بيده إليّ، والآخر هو صالح الخلقانى بضم الخاء المعجمة وبالقاف وبعد الألف نون، ثم ياء النسبة، ولم أكن أعرفه قبل ذلك، وامرأة لم يسمها ثم وضع يده على جبينى وقال: بسم الله ربى الله حسبى الله توكلت على الله اعتصمت بالله فوضت أمرى إلى الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله، ثم قال لى استكثر من قراءة هذا الكلمات، فإن فيها شفاء من كل سقم، وفرجا من كل كربة، ونصرا على كل عدو، وأول من تكلم بهذه الكلمات حملة العرش عليهم الصلاة والسلام حين أمروا بحمله، ولايزالون يقولون ذلك إلى يوم القيامة، فقال له رجل كان جالسا عن يمينه أو قال عن يساره: يا رسول الله فإن قالها عند لقاء العدو؟ فقال بخ بخ (كلمة تعجب) فيه فتح ونصر وبشرى، فظننت أنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقلت يا رسول الله هذا الصديق فقال هذا عمى حمزة رضي الله عنه، ثم أومأ بيده إلى من كان عن يساره ﷺ، وقال: هؤلاء الشهداء، ثم أومأ بيده إلى من وراءه وقال: وهؤلاء الصالحون، ثم خرج فانتبهت وقد خرجت من علتى وبرئت منها، وأصبحت أصحَّ مما كنت، والحمد لله ربّ العالمين.

**(الحكاية السابعة عشرة بعد الأربع مئة: عن بعضهم)** قال: لقيت بالبصرة رجلا يعرف بالمسكى وذلك لشدة ما كان يوجد منه من ريح المسك حتى إنه إذا دخل المسجد الجامع يعرف أنه قد جاء من شدة الرائحة، وإذا مرّ فى الأسواق كذلك، فقصدته وبتّ عنده وقلت له يا أخى أنت تحتاج إلى مال كثير فى ثمن الطيب، فقال ما اشتريت طيبا قط ولا تطيبت بطيب قط، وأنا أحدثك بحديثى لعلنى إذا متّ تترحم علىّ إذا ذكرتنى، كان مولدى ببغداد وكان أبى موسرا يعلمنى كما يعلم الناس أولادهم، وكنت من أحسن الناس وجها وكان بى حياء، فقيل لأبى لو أجلست ابنك فى السوق لينشط؟ فأجلسنى فى دكان بزاز، وكنت أجلس عنده طرفى النهار، فلما كان بعض الأيام جاءت عجوز فطلبت منه متاعا مترفعا، فأخرج لها ما طلبت، فقالت له وجه معى إنسانا حتى نأخذ ما نحتاج إليه وندفع له الثمن ونردّ الباقى معه، فقال تنشط وامض معها، فقلت نعم، فمضيت معها حتى أدخلتنى إلى قصر عظيم فيه قبة وعلى بابه خدم وحجاب؛ فلما وصلت إلى صحن الدار إذا أنا ببنيان عظيم فيه قبة عليها ستارة، فقالت لى: ادخل القبة فاجلس فيها، فدخلت، فإذا أنا بجارية

على سرير عليه فرش وشي، وكل ذلك مذهب لم أر أحسن منها، وعليها من كل الحليّ، فنزلت عنه وضربت بيدها في صدري وجذبتني إليها، فقلت لها: الله الله، قالت لا بأس عليك لك عندي ما تحبّ فقلت لها إني حاقن، فصاحت بالجواري فإذا بهنّ قد أقبلن، فقالت لهن قدام مولاكنّ إلى الخلاء، فلما دخلت الخلاء لم أجد فيه مسلكا أفرّ منه، فحللت سراويلي وتغوّطت في كفي ومسحت به وجهي ويدي وقلبت عيني، فدخلت جارية بيدها ماء ومنديل، فصحت في وجهها كالمجنون فولت هاربة مني وقالت: مجنون، فجاء الجواري ومعهن بساط فأدرجني فيه وحملني وطرحني في بستان، فلما علمت أنهن مضين، قمت فغسلت ثيابي ووجهي وسائر بدني ومضيت إلى منزلي ولم أحدث به أحدا، فرأيت تلك الليلة في منامي رجلا، فقال لي أين يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الله منك، أتعرفني؟ قلت لا، قال أنا جبريل، فمسح بيده على وجهي وبدني، فمن ذلك الوقت صار لبدني رائحة المسك تفوح على ثيابي، فهذه الرائحة من يد جبريل عليه السلام.

**(الحكاية الثامنة عشرة بعد الأربع مئة عن بعض الصالحين)** قال بعض الصالحين: كان بعبدان رجل من العباد يعرف بالبدوي، فسألت عنه فقيل لي توفي، وقال الحفار لما مات البدوي حفرت قبره، فلما بلغت إلى اللحد أردت أن أسويه فبينما أنا أسويه إذ سقطت لبنة من لحد قبر، يليه، فنظرت في القبر الذي سقطت منه اللبنة فإذا بشيخ جالس في القبر عليه ثياب بيض تتقعقع، وفي حجره مصحف من ذهب مكتوب بالذهب وهو يقرأ فيه، فرفع رأسه إليّ وقال لي أقامت القيامة رحمك الله؟ قلت لا فقال ردّ اللبنة إلى موضعها عافاك الله، فرددتها رضي الله تعالى عنه ونفعنا به * وقال بعضهم ركبت في زورق من البصرة أريد الأبلة ومعي ثلاثة نفر يشيعونني، فلما سرنا ساعة رفع الملاح المقذاف وجلس، فقال أصحابي للملاح مالك؟ فأومأ إليهم أن اسكتوا، فلم يكن إلا ساعة وقد وصلنا الأبلة، وكان معه زوارق فوصلت قريبا من العصر، فحدث أصحاب زورقنا أصحاب الزوارق أننا وصلنا في ساعة، فمضوا إلى الملاح وسألوه؟ فقال اسكتوا، رأيت فارسا أقبل راكبا على دابة لم أر أحسن منه ولا من دابته، فطرح في صدر الزورق سلسلة من ذهب وكان يسير والزورق يجري خلفه على الماء، فخشيت أن أكلمكم فيذهب عني ما رأيت.

(الحكاية التاسعة عشرة بعد الأربع مئة عن بعض المشايخ) قال بعض المشايخ: خرجت أنا وأبو علىّ البدوى نريد زيارة أخ من إخواننا، فدخلنا البرّية فأصابنا جوع، فإذا بثعلب يحفر الأرض ويخرج منها كمأة ويرمى بها إلينا، فأخذنا منها حاجتنا، ثم سرنا فإذا نحن بسبع عظيم نائم، فلما قربنا منه إذا هو ضرير، فوقفنا عليه نتعجب من أمره، وإذا بغراب معه قطعة لحم كبيرة فضرب بجناحه على أذن السبع، ففتح فمه فطرح فيه القطعة اللحم، فقال لى أبو علىّ هذه الآية لنا ليست للسبع، فسرنا فى تلك البرية أياما، فإذا بكوخ فيها فقصدناه فإذا فيه عجوز كبيرة ليس عندها شىء، وعلى باب الكوخ حجر منقور، فسلمنا عليها وجلسنا عندها فإذا هى مشغولة بعبادة ربها، فلما غابت الشمس خرجت من الكوخ بعد أن صلت المغرب ومعها رغيفان عليهما بعض من تمر، فقالت ادخلوا الكوخ فخذوا مالكم فيه، فدخلنا فإذا نحن بأربعة أرغفة وقطعتين من تمر، وما فى ذلك الموضع نخل ولا تمر، فأكلنا، فلما كان بعد ساعة جاءت سحابة فأمطرت على الحجر حتى امتلأ، ولم يسقط منه خارجا قطرة واحدة، فقلنا لها كم لك هاهنا؟ قالت سبعين سنة هكذا حالى مع مولاى فى قوتى وشرابى كما ترون، فقلنا هذا الماء على هذه الحالة؟ فقالت كل ليلة تجىء هذه السحابة فى الصيف والشتاء وهذان الرغيفان والتمر، ثم قلت أين تريدون؟ قلنا نريد أبا نصر السمرقندى نزوره، فقالت رجل صالح أبا نصر، تعال إلى القوم فإذا أبو نصر قائم عندنا، فسلم علينا وسلمنا عليه، ثم قالت إذا أطاع العبد مولاه أطاعه مولاه، رضى الله تعالى عنها وعن الجميع ونفعنا بهم آمين.

(الحكاية العشرون بعد الأربع مئة: عن بعضهم) قال: خرجت أنا ورجل يقال له محمد العابد من بيت المقدس يوم الجمعة نريد الرملة، فأشرفنا على العقبة وإذا نحن بصوت يقول: ما أوحش الإنسان إذا لم تكن أنيسه، وما أضيق الطريق إذا لم تكن دليله، فأشرفنا فإذا نحن بامرأة عليها جبة من شعر وخمار من صوف وفى يدها عصا، فسلمنا عليها فردت علينا السلام، وقالت إلى أين؟ فقلنا إلى الرملة، فقالت وما تصنعون فيها؟ قلنا لنا بها أحباب، قالت وأين الحبيب الأكبر من قلوبكم؟ قلنا هو حبيبنا وحبيب المؤمنين، فقالت هو حبيبكم وحبيب المؤمنين باللسان، وهو حبيبى بلسانى وقلبى، فقلنا إنا نراك امرأة

حكيمة إلا أنا نرى فيك زلة، قالت وما هى؟ قلنا امرأة شابة تسافر بغير محرم، فقالت (إن وليى الله الذى نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين) فأخرجت دراهم من كسائى ودفعتها إليها، فقالت من أين لك هذه؟ قلت أنا رجل مباحى، آخذ من الأشياء المباحة، فقالت نعم كسب الضعيف، قلت وما ضعفى؟ قالت ضعف اليقين، قلنا وما علامة اليقين؟ فقالت ما تبلغ درجة اليقين حتى تضع المقراض على لحمك الذى ربيته على غير رضاه فتذيبه حتى ينبت لحم آخر يرضاه، فقلنا لها لكل شىء علامة ودلالة، فما دلالتك؟ فضربت بيدها الأرض فأخذت كفّ حصى، ثم قالت خذ يا ضعيف اليقين، فأخذها محمد فإذا هى دنانير، فقالت له خذها فما دخلت فى كفة ميزان ولا فى كف بنى آدم قبلك ثم قالت لى إنما لم أعطك إياها لكونك فررت منها، ثم قالت أين تريدون؟ قلنا الرملة، فقالت هذه الرملة؟ فإذا نحن بحيطان الرملة، فدخلناها والناس قد انصرفوا من صلاة الجمعة، فأخذ محمد الدنانير وبنى بها مسجدا بعسقلان، وهو معروف إلى يومنا هذا بمسجد المباحى، رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية الحادية والعشرون بعد الأربع مئة عن بعض الصالحين)** قال بعض الصالحين: خرجت من الليل وحدى وأنا عليل وعلىّ حمى شديدة وأصابنى عطش، فلما بلغ بى الجهد عدلت إلى شجرة المقل، فطرحت نفسى تحتها آيسا من الحياة، فإذا أنا برجل معه أربعة أرغفة، بين اثنين منها طائر مشوى، وبين اثنين خبيص، وكان عند رأسى ركوة، فذهب بها إلى البحر فملأها وتركها عندى، فإذا ماء أبرد من الثلج وأحلى من العسل، فزالت عنى الحمى وما كنت أجده، ثم جلس عندى وأخذت آكل، فقام وقال قد جاءت الرفقة وعلىّ شغل غيرك، فالتفت فإذا نحو من عشرين جمالا فقمت إليهم وغاب عنى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به * وقال بعضهم أيضا كنت بمصر وكان بى فاقة فدخلت بعض المساجد، فإذا أنا بشاب جالس، فدفع إلىّ صرّة فيها قطع، وقال لى خذ شعرك واغسل ثيابك، فجئت إلى حجام فأخذت من شعرى فدفعت إليه قطعتين، فلما صارتا فى كفه قبلهما وقال: مرحبا أنا فى طلبك منذ ثلاثين سنة، من أين لك هذه القطع؟ فإنها ليست من قطع الدنيا، لها نور عظيم من القدرة، فحدثته بقصتها، فأخذ بيدى ومضينا إلى ذلك

المسجد فلم نجد الشاب، فصار الحجام لى صديقا، فقال لى يوما سمعت سهل ابن عبد الله يقول: علامة الولىّ ثلاث: إذا أراد موضعا يكون فيه من غير حركة وإذا أراد أخا من إخوانه يحمل إليه، وإذا اشتغل بعبادة أو سبب من الأسباب يجىء ملك يتكلم على شبهه فيحسب الناس أنه ذلك وهو الملك؛ قال: فلما كان بعد أيام قال لى سهل بن عبد الله إذا صليت العصر فتعال حتى تأخذ من شعرى وتنقص من دمى، فلما صليت العصر مضيت معه إلى مسكنه، فأخذت من شعره ونقصت من دمه وقعدت أنا وهو، ثم طبخنا له قدرا فلما أذن المغرب قال لى: إذا صليت المغرب فتعال حتى تأكل معى، فلما صليت المغرب جاءنى رجل من أصحابه فقال لى أىّ شىء فاتك؟ قد تكلم علينا سهل من العصر إلى هذا الوقت بكلام لم أسمع مثله قطّ، فقلت له احتفظوا بما سمعتم فإنه ليس من كلام سهل بل هو من كلام ملك، فعلمت أن سهلا تكلم بمقامه رضى الله تعالى عنه ونفعنا به * قلت: هذا واضح لأن سهلا لم يزل مع هذا الحجام من العصر إلى المغرب، فلم يبق إلا ما ذكر سهل أن الولىّ إذا اشتغل بعبادة أو سبب من الأسباب يجىء ملك فيتكلم على شبهه على ما تقدم، وقوله: فعلمت أن سهلا تكلم بمقامه، يعنى تكلم بشىء هو مقامه.

**(الحكاية الثانية والعشرون بعد الأربع مئة عن سهل بن عبد الله)** روى عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنت بمكة فدخلت الطواف، فرأيت رجلين أحدهما آخذ بيد الآخر، فقال أحدهما للآخر قل: يا حىّ يا نور روح سمع آذان قلبى، أو قال نور روح بصر عيون قلبى، بحق الفحول عليك يا مروح الأرواح، فدخلت بينهما وسلمت عليهما وقلت قد سمعت الكلمات وحفظت الألفاظ من أنتما رحمكما الله تعالى؟ فقال أحدهما أنا الخضر وهذا أخى إلياس، اذهب فلن يضرّك ما فاتك بعد حفظك لهؤلاء الكلمات، وإياك أن تدعو بها فى شىء من أمر الدنيا، سلام الله عليهما ونفعنا بهم أجمعين. **وروى** أيضا عن أبى جعفر رضي الله عنه قال كنت فى مركب صاعدا من البصرة إلى بغداد، وكان معى رجل فى المركب لا يأكل ولا يشرب ولا يصلى، فقلت له أى شىء أنت؟ فقال هو نصرانى، فقلت له لم لا تأكل؟ فقال أنا متوكل، فقلت وأنا أيضا متوكل، فلأى شىء قعودنا ههنا الساعة يفتح القوم سفرتهم ويدعوننا إلى طعامهم، قم بنا

نخرج ونمشى فى البر، فقال على شريطة أنا إذا دخلنا بلدا لا تدخل أنت مسجدا ولا أنا كنيسة، فقلت له لك ذلك، فلحقنا المساء فى قرية، فقعدنا على مزيلة، فجاءنا كلب أسود وفى فمه رغيف، فوضعه قدام النصرانى فأكله ولم يلتفت إلىّ ولا عرض علىّ، ثم سرنا ثلاثة أيام فى كل ليلة يأتيه كلب برغيف فيأكله، فلما كان الليلة الرابعة أمسينا بقرية، فقمت أصلى المغرب، فجاء رجل ومعه طبق عليه طعام ودورق فيه ماء، فسلم علىّ فلما فرغت من الصلاة وضعه قدامى، فقلت له احمله إلى ذلك الرجل وعدت إلى صلاتى، فأتانى النصرانى ومعه الطبق، فلما سلمت قال اعرض علىّ دينك فإنى أراه خيرا من دينى، فقلت وكيف علمت ذلك؟ قال إنه كان يوجه إلىّ برزقى مع كلب مثلى فكنت آكل ما يجىء به إلىّ، ووجه إليك بإنسان مثلك بعد ثلاث فآثرتنى على نفسك، فعلمت أن دينك خير من دينى، ثم أسلم رحمه الله تعالى، والحمد لله الذى هدانا للإسلام، وجعلنا من أمة محمد ﷺ.

**(الحكاية الثالثة والعشرون بعد الأربع مئة عن بعض المشايخ)** حكى عن بعض المشايخ قال: قال لى أبو بكر بن الشق بطرسوس إنى سمعت من أبى الخير شيئا ما يقبله قلبى منه، قلت له وما هو؟ قال ذكر أنه لقى عيسى ابن مريم عليه السلام، فقلت له أنا أحكى لك حكاية تصديقا لقول أبى الخير، سمعت محمد بن حامد وقد ذكر قول النبى ﷺ «كيف أخاف على أمة أنا أولهم وعيسى آخرهم» صلوات الله وسلامه عليهما، فقال لى ابن حامد: إن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل ثلاث مرّات، يظهر فى أول مرّة للأولياء، وفى الثانية للصلحاء، وفى الثالثة ينزل بيت المقدس، فيراه الخاص والعامّ، فقال ابن الشفق فدخل داره وركب دابته وخرج علينا، فقلنا له أين تريد؟ فقال إلى أبى الخير استحله، فقلت له اجلس إلى غد، قال لا فإنى أخاف الموت، وذلك كان بعد أيام رجع إلى طرسوس فدخلت إليه، فقال رجعت بأعجب مما مضيت فيه، وذلك أنى وصلت وقد صلى أبو الخير العصر وهو فى محرابه، فلما صرت بباب المسجد قال يا أبا بكر ارجع فقد جعلناك فى حلّ، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين * **وحكى** أيضا عن عمران السندى رضى الله تعالى عنه قال: كنت بمصر فى الجامع الفلانى، فخطر بقلبى

التزوج وقوى عزمى عليه، فخرج من القبلة نور لم أر مثله، فإذا بيد فيها نعل من ياقوتة حمراء وشراكها من زمرد أخضر مرصعة باللؤلؤ، وإذا بهاتف يقول هذه نعلها فكيف لو رأيتها؟ فذهبت من قلبى شهوة النساء * **وقال** محمد الوراق رحمه الله: كان رجل أسود يقال له مبارك يعمل فى المباح، وكنا نقول له ألا تتزوج يا مبارك؟ فيقول أسأل الله أن يزوّجنى من الحور العين، قال فغزونا، فأخرج يده من تحت صدره وأشار إلينا بثلاث أصابع يقول ثلاثا.

**(الحكاية الرابعة والعشرون بعد الأربع مئة عن بعضهم)** روى عن أبى أحمد الحملاسى رحمه الله قال: كانت لى أمّ صالحة، فقالت لى يوما وقد عضنا الفقر وسوء الحال: يا بنىّ إلى متى نكون فى مثل هذه الشدة؟ فما كان وقت السحر قلت: اللهمّ إن كان لى فى الآخرة شىء فعجل لى منه فى الدنيا، فرأيت نورا فى زاوية البيت، فقمت إليه فرأيت رجل سرير من ذهب مرصع بالجوهر، فقلت لها خذى هذا وخرجت إلى الجامع أحدّث نفسى إلى من أدفع شيئا منه لأصحاب الجواهر وكيف أعمل؟ فلما رجعت قالت لى أمى يا بنى اجعلنى فى حلّ فإنى لما خرجت نمت فرأيت كأنى دخلت الجنة، فرأيت قصرا على بابه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، هذا لأبى أحمد الحلاسى، فقلت لابنى؟ قال لى قائل نعم، فدخلته ودرت فى بيوته فرأيت فى بيت منها أسرة وبينها سرير مكسور، فقلت ما أسمج هذا السرير من بين الأسرة، فقال لى قائل أنت أخذت رجله، فقلت ردّوها فى موضعها، فانتبهت وقد غابت، فالحمد لله على ذلك، ورضى الله تعالى عنهما. والحلاسى بضم الحاء وكسر السين المهملتين * **وروى** أيضا عن بعضهم قال: كنت فى بلاد الروم، فصحبنا رجل فرأيناه لا يأكل ولا يشرب فقلت له ما رأيتك تأكل شيئا من القوت منذ أحد عشر يوما، فقال إذا دنا فراقى منكم حدثتكم حديثى، فلما دنا الفراق قلت له حدثنا ما وعدتنا، قال غزونا فى أربع مئة فخرج علينا العدو فقتل أصحابى، فجرحت أنا فكنت بين القتلى، فلما كان وقت الغروب أحسست برائحة فائحة من قبل الجو، ففتحت عينى فإذابجوار عليهن ثياب ما رأيت مثلها، وفى أيديهن كاسات يصببن فى أفواه القتلى، فغمضت عينى حتى وصلن إلىّ فقالت واحدة منهن اصببن فى حلق هذا وعجلن قبل أن تغلق أبواب

السماء فنبقى فى الارض، فقالت أخرى أسقيه وفيه رمق؟ فقالت لها الأخرى أسقيه لا بأس عليك يا أختى، فصبت فى حلقى فأنا منذ شربت ذلك الشراب لا أحتاج إلى طعام ولا شراب.

**(الحكاية الخامسة والعشرون بعد الأربع مئة: عن بعض الشيوخ)** قال: دخلت بلاد الهند فوصلت إلى مدينة، فرأيت فيها شجرة تحمل تمرا يشبه اللوز له قشرتان، فإذا كسرت خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ كتابة خَلقية، وأهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها إذا منعوا الغيث، ويتضرّعون بها عندها، فحدثت بهذا الحديث أبا يعقوب الصياد، فقال لى ما أستعظم هذا، كنت بالأبلة فاصطدت سمكة مكتوب على أذنها اليمنى: لا إله إلا الله، وعلى اليسرى: محمد رسول الله ﷺ، فلما رأيتها قذفت بها إلى الماء رضى الله تعالى عنهما * **قلت**: إنما قذف بها احتراما لها لما عليها من اسم الله ورسوله * **وعن بعضهم** قال: ركبت فى البحر وكان إلى جانبى رجل به علة البطن، فقام بالليل والمركب يسير، فأخذت بيده، فلما قعد على العود الذى يجلس عليه للوضوء ضربته موجة فرمت به إلى البحر، فرجعت والناس كلهم قيام، ولم يعلم به غيرى، فلما صليت الفجر وإذا بالرجل إلى جانبى، فقلت له أليس قد وقعت فى البحر؟ فقال بلى، فقلت حدثنى كيف كانت قصتك بعدى؟ فقال لما وقعت فى الماء لم أبلغ إلى قرار البحر حتى جاءنى طائر عظيم، فأدخل رقبته بين رجلىّ فشالنى من الماء ونظر إلى المركب وقد سار، فطار بى حتى وضعنى على مقدم المركب ووضع منقاره على أذنى وقال بلسان عربى: كان ذلك فى الكتاب مسطورا.

**(الحكاية السادسة والعشرون بعد الأربع مئة: عن بعض أهل الروم)** قال: كان سبب إسلامى أنه غزانا المسلمون، فكنت أساير جيشهم فوجدت منهم غرة فى الساقة، فأسرت نحو عشرة نفر وحملتهم على البغال بعد أن قيدتهم، وجعلت مع كل واحد منهم رجلا موكلا به، فرأيت فى بعض الأيام رجلا من الأسرى يصلى، فقلت للموكل به فى ذلك، فقال لى إنه فى كل وقت صلاة يدفع إلىّ دينارا، فقلت وهل معه شىء؟ قال لا ولكنه إذا فرغ من صلاته ضرب بيده إلى الأرض ودفع إلىّ ذلك، قال فلما كان من الغد لبست ثيابا خلقانا وركبت

فرسا دونا، وسرت مع الموكل به لأتعرف صحة ذلك، فلما دنا وقت صلاة الظهر أومأ إلىّ أنه يدفع إلىّ دينارا متى تركته يصلى، فاشرت إليه باصبعين أنى لا آخذ إلا دينارين فأومأ إلىّ برأسه نعم، فلما فرغ من صلاته رأيته ضرب بيده الأرض فرفع إلىّ منها دينارين فلما، كان وقت صلاة العصر أشار كالمرة الأولى فأشرت إليه أنى لا آخذ إلا خمسة دنانير، فأشار إلىّ بالإجابة، فلما فرغ من صلاته فعل كفعله الأول، فدفع إلىّ خمسة دنانير، فلما صلى فعل كما تقدم ودفع إلىّ عشرة، فلما نزل وأصبحنا دعوت به وسألته عن خبره وخيرته فى رجوعه إلى بلد الإسلام، فاختار الرجوع، فأركبته بغلا ودفعت إليه زادا وحملته بنفسى على البغل، فقال لى أماتك الله تعالى على أحب الأديان إليه، فوقع فى قلبى من ذلك الوقت الإسلام فانفذت معه جماعة من وجوه أصحابى وأوصيتهم بإيصاله إلى أول بلد من بلاد الإسلام، ثم دفعت إليه دواة وبياضا، وجعلت بينى وبينه علامة، يكتب بها إلىّ إذا وصل إلى مأمنه، وكان بيننا وبين ذلك الموضع مسيرة أربعة أيام، فلما كان اليوم الخامس رجعوا، فخشيت أن يكونوا قتلوه، فسألتهم عنه، فقالوا لما فارقناك وصلنا معه فى ساعة واحدة وأقمنا فى رجعونا أربعة أيام.

**(الحكاية السابعة والعشرون بعد الأربع مئة عن الشعبى)** روى عن الشعبى، رضى الله تعالى عنه قال: أقبل قوم من اليمن متطوعين بالجهاد فى سبيل الله تعالى، فهلك حمار رجل منهم فترحلوا منطلقين، وأرادوا أن ينطلق معهم وعرضوا عليه دابة فأبى، ثم قام وتوضأ وصلى ركعتين وقال: اللهمّ إنى جئت مجاهدا فى سبيلك ابتغاء مرضاتك، وأشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور وإنى أطلب منك أن تبعث لى حمارى، ثم قام إليه فضربه، فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وألجمه وركبه وأجراه حتى لحق أصحابه، فقالوا له ما شأنك؟ قال سألت الله تعالى أن يبعث لى حمارى فبعثه، قال الشعبى فرأيت ذلك الحمار يباع فى الكناسة، فذهب رجل من جلساء الشعبى إلى محلته فروى هذا عن الشعبى فكذّبوه، وقالوا يحيى حمارا بعد الموت إنه يكذب على الشعبى، قم معنا إليه، فذهب معهم إلى الشعبى، فقال يا أبا عمرو ألست حدثتنى بهذا الحديث؟ فقال متى كان ذلك؟ فقال القوم قد علمنا أنه يكذب على أبى عمرو،

فلما رجعوا قال له الرجل يا أبا عمرو أليس قد حدثتنى به؟ فقال له الشعبى: ويحك هل تباع الإبل فى سوق الدجاج، رضى الله تعالى عنه * **قلت** أنكر الإمام الشعبى رضى الله تعالى عنه على هذا الرجل لكونه حكى كرامة عظيمة لقوم لا تقبلها عقولهم ولا تبلغ إليها أفهامهم، ومثل رأس مالهم فى العلم برأس مال التجار فى الدجاج، ومثل رأس مال من **يعقلها** ويقبلها فى العلم برأس مال التجار فى الإبل، وهذا تساهل منه فى التمثيل بالإبل بل ذلك أعزّ وأرفع وأعلى وأغلى من الجواهر النفاس، ومثل رأس مال المنكرين أقلّ وأصغر وأدنى وأحقر من فلوس النحاس، وإلى الفريقين أشار النبىّ المختار بقوله ﷺ «لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم».

**(الحكاية الثامنة والعشرون بعد الأربع مئة عن الشيخ عبد الواحد بن زيد)** روى عن الشيخ عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه قال: قصدت بيت المقدس فاضللت الطريق فإذا أنا بامرأة قد أقبلت إلىّ، فقلت لها يا غريبة أنت ضالة؟ قالت كيف يكون غريبا من يعرفه، وكيف يكون ضالا من يحبه؟ ثم قالت: خذ رأس عصاى وتقدم بين يدىّ، فأخذت رأس عصاها ومشيت بين يديها سبعة أقدام أو أقل أو أكثر، فإذا أنا بمسجد بيت المقدس فدلكت عينى وقلت لعل هذا غلط منى، فقالت يا هذا سيرك سير الزاهدين، وسير سيرى العارفين، فالزاهد سيار، والعارف طيار، ومتى يلحق السيار الطيار؟ ثم غابت عنى فلم أرها بعد ذلك رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما بحق سيدنا محمد وآله آمين.

**(الحكاية التاسعة والعشرون بعد الأربع مئة: عن إبراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه)** قال: مررت براعى غنم، فقلت له: هل عندك شربة من ماء أو من لبن؟ قال نعم أيهما أحب إليك؛ قلت الماء، فضرب بعصاه حجرا صلدا لا صدع فيه، فانفجر من الماء، قال فشربت منه فإذا هو أبرد من الثلج وأحلى من العسل، فبقيت متعجبا، فقال الراعى لا تتعجب فإن العبد إذا أطاع مولاه أطاعه كل شىء، رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما وبجميع الصالحين * **وروى أيضا** عن حسن البصرى رضي الله عنه قال: خرج سلمان الفارسى رضى الله تعال عنه من المدائن ومعه ضيف، فإذا بظباء تسير فى الصحراء وطيور تطير فى الهواء، فقال سلمان ليأتنى ظبى وطير منكن سمينان فقد جاءنى ضيف

وأحب إكرامه، فجاء كلاهما، فقال الرجل: سبحان الله أو قد سخر لك هذا الطير فى الهواء؟ فقال سلمان رضى الله تعالى عنه أفتعجب من هذا، هل رأيت عبدا أطاع الله فعصاه شيء؟ رضى الله تعالى عنه ونفعنا به.

**(الحكاية الثلاثون بعد الأربع مئة عن بعضهم)** قال عبد الواحد بن زيد رضى الله تعالى عنه: سافرت أنا وأيوب السختيانى رضى الله تعالى عنهما قال: فبينما نحن نسير فى بعض طريق الشام إذا نحن بأسْود قد أقبل يحمل كارة حطب، فقلت له يا أسود من ربك؟ فقال لمثلى تقول هذا، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: إلهى حوّل هذا الحطب ذهبا فإذا هو ذهب، ثم قال أرأيتم هذا؟ قلنا نعم، فقال اللهمّ رده حطبا، فصار حطبا كما كان أوّلا، ثم قال سلوا العارفين فإن عجائبهم لا تفنى. قال أيوب فبقيت متحيرا خجلا من العبد الأسود، واستحييت منه حياء ما استحييت مثله قبل ذلك من أحد قط، ثم قلت: أمعك شيء من الطعام، فأشار بيده فإذا بين أيدينا جام فيه عسل أشدّ بياضا من الثلج، وأطيب ريحا من المسك، وقال: كلوا فوالذى لا إله غيره ليس هذا من بطن نحل، فأكلنا فما رأينا شيئا أحلى منه، فتعجبنا، فقال ليس بعارف من تعجب من الآيات، فمن تعجب منها فاعلم أنه بعيد من الله، ومن عبد الله على رؤية الآيات فإنه جاهل بالله، رضى الله تعالى عنه وعن جميع الأولياء والصالحين ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية الحادية والثلاثون بعد الأربع مئة: عن الواسطى رضى الله عنه)** قال: بينما أنا أسير فى البادية فإذا أنا بأعرابى جالس منفرد، فدنوت منه وسلمت عليه فردّ علىّ السلام فأردت أن أكلمه، فقال اشتغل بذكر الله فإن ذكره شفاء القلوب، ثم قال: كيف يفتر ابن آدم عن ذكره وخدمته والموت فى أثره والله ناظر إليه؟ ثم بكى وبكيت معه، فقلت له مالى أراك وحيدا؟ قال: ما أنا بوحيد والله معى، وما أنا بفريد، وهو أنيسى، ثم قام ومضى عنى مسرعا وقال: يا سيدى أكثر خلقك مشغول عنك بغيرك وأنت عوض عن جميع ما فات يا صاحب كلّ غريب، ويا مؤنس كل وحيد، ويا مؤوى كل فريد، وجعل يمشى وأنا أتبعه، ثم أقبل إلىّ وقال: ارجع عافاك الله إلى من هو خير لك منى، ولا تشغلنى عمن هو خير لى منك، ثم غاب عن بصرى، رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما آمين.

**(الحكاية الثانية والثلاثون بعد الأربع مئة: عن عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه)** قال: مررت براهب فسألته منذ كم أنت فى هذا الموضع؟ قال منذ أربع وعشرين سنة، قلت من أنيسك؟ قال الفرد الصمد، قلت: ومن المخلوقين؟ قال الوحش، قلت فما طعامك؟ قال ذكر الله، قلت: ومن المأكولات، قال ثمار هذه الأشجار ونبات الأرض، قلت افلا تشتاق إلى أحد؟ قال نعم، إلى حبيب قلوب العارفين؟ قلت: ومن المخلوقين؟ قال من كان شوقه إلى الله سبحانه وتعالى كيف يشتاق إلى غيره؟ قلت فلم اعتزلت عن الخلق؟ قال لأنهم سراق العقول وقطاع الطريق، طريق الهدى، قلت ومتى يعرف العبد طريق الهدى؟ قال إذا هرب إلى ربه من كل شىء سواه، واشتغل بذكره عما سواه.

**(الحكاية الثالثة والثلاثون بعد الأربع مئة عن ذى النون المصرى)** قال ذو النون المصرى رضى الله عنه: بينما أنا أسير فى بعض المفاوز إذا أنا برجل متزر بحشيش فسلمت عليه فردّ علىّ السلام، ثم قال من أين الفتى؟ قلت من مصر، قال إلى أين؟ قلت أطلب الأنس بالمولى، قال اترك الدنيا والعقبى يصلح لك الطلب، وتصلح إلى الأنس بالمولى، قلت هذا الكلام صحيح بيّنه لى، قال اتّهم فيما أعطينا، ولقد أعطينا خيرا مما تقول، وهو المعرفة؟ قلت ما اتهمتك ولكى أريد أن تزيدنى نورا على نور، فقال يا ذا النون انظر فوقك، فنظرت فإذا السماء والأرض كأنهما ذهب يتوقد ويتلألأ ثم قال اغضض بصرك فغضضت، فإذا هما قد صارتا كما كانتا فقلت كيف السبيل إلى هذا؟ قال تفرد للفرد إن كنت له عبدا رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما * **قلت**: هذا الذى أراه ليس هو عين المعرفة المذكورة، لكنه دليل على المعرفة، لأن الكرامة تدل على الاستقامة عندهم، والاستقامة لا تكون إلا للعارفين بالله سبحانه، وقوله: إن كنت له عبدٌ، هكذا هو بسكون الدال من غير ألف بعدها مراعاة للسجع.

**(الحكاية الرابعة والثلاثون بعد الأربع مئة عن محمد المقدسى)** روى عن محمد المقدسى رحمه الله تعالى قال: دخلت يوما دار المجانين بالشام، فرأيت فيها شابا على رقبته غلّ وفى رجليه قيد مشدود بسلسلة، فلما وقع بصره علىّ قال يا محمد أترى ما فعل بى؟ ثم قال جعلتك رسولا إليه، قل له لو جعلت السموات غلا على عنقى والأرضين قيدا على رجلى لم ألتفت منك إلى سواك

طُرفة عين، ثم أنشأ يقول:

على بعدك لا يصبر من عادته القرب ... ولا يقوى على قطعك من تيمه الحب

وحبك فى قلبى وفى كبدى إذا ... لم تره العين فقد أبصرك القلب

رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين * **وقال ذو النون المصرى** رضى الله تعالى عنه: رأيت أسود يطوف حول البيت وهو يقول: أنت أنت ولا يديد على ذلك، فقلت يا عبد الله أى شىء عنيت به؟ فأنشأ يقول:

بين المحبين سرّ ليس يفشيه ... خط ولا قر عنه فيحكيه

نار يقابلها أنس بمازجه ... نور يخبره عن بعض ما فيه

شوقى إليه ولا أبغى به بدلا ... هذى سرائر كتمان تناجيه

* وقال بعض العارفين: مساكين أهل الغفلة يشتغلون بكثرة الأعمال ويعظمونها ويفتخرون بها، وأما أهل المعرفة فلو عملوا عمل أهل السموات والأرض من الأزل إلى الأبد لكان ذلك أصغر فى أعينهم فى جنب عظمة الله تعالى من خردلة بين السماء والأرض.

**(الحكاية الخامسة والثلاثون بعد الأربع مئة: عن أبى سعيد الخراز رضى الله تعالى عنه)** قال: كنت فى البادية فنالنى جوع شديد، فطالبتنى نفسى بأن أسأل الله طعاما، فقلت ما هذا من فعل المتوكلين أهل الهمم، فطالبتنى نفسى بأن أسأل الله سبحانه تعالى اصطبارا، فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول:

ويزعم أنه منا قريب ... وإنا لا نضيع من أتانا

فهم أبو سعيد سؤل صبر ... كأنا لا نراه ولا يرانا

* قيل: رؤية القلب بمشاهدة الإيقان وإن غاب عن العينين العيان، وفى هذا المعنى قلت نائبا عن لسان الحال:

يا غائبا غاب وهو فى قلبى أشاهده ... ما غاب من لم يزل القلب مشهودا

إن فات عينىَّ من رؤياك حظهما ... فالقلب قد نال حظا منك محمودا

**إن كنت لست معى فالذكر منك معى   يراك قلبى وإن غيبت عن بصرى**

وإنما قلت هذين البيتين لأنى رأيت بعض المصنفين قد استشهد ببيت لا يصلح وهو هذا:

فهذا لا يجوز فى حق الله تعالى لوجهين: أحدهما قوله لست معى، والثانى قوله غيبت عن بصرى، بضم الغين المعجمة وكسر الياء المثناة من تحت وتشديدها، ولا يصح أيضا فى حقّ المخلوق، فإن قلبه لا يراه لعدم النور الحاصل للعارفين بالله، بل قلب مثل هذا أشدّ ظلمة من سائر الجهال، وإنما ذلك للعارفين كما قال القائل:

**قلوب العارفين لها عيون**

وكذلك لا يحسن قوله: فالذكر منك معى، وإنما يحسن هذا الذكر من الخالق عزّ وجلّ كما قال سبحانه (وهو معكم أينما كنتم) وقال تعالى (فاذكرونى أذكركم) وقال تعالى (فى الحديث القدسى): أنا جليس من ذكرنى، وأشباه ذلك من القول الكريم الذى يكسو العبد خلع عوالى الشرف، ويسكنه من الجنان قصور أعالى الغرف، اللهم أحى قلوبنا بغيث رحمتك ونوّرها بنور معرفتك وزينها بذكرك وشكرك وحسن عبادتك، فإنك الملك المنان الكريم، ذو الفضل العظيم، والمسلمين آمين: ولئن سلمنا أن مثل هذا قد يقال فى حق المخلوق مجازا مع ما فيه من التعسف، فلا يحسن أيضا أن يستشهد به فى باب المعرفة بالله سبحانه وتعالى والمشاهدة لجمال جلاله تعالى بأنوار القلوب المسقاة كؤوس الوصل من راح المحبة على بساط القرب فى حضرة القدس حين طاب وقت المنادمة والأنس، ولله در القائل:

**قلوب العارفين لها عيون   ترى ما لا يراه الناظرونا**
**وألسنة بسرّ قد تناجى   يغيب عن الكرام الكاتبينا**
**وأجنحة تطير بغير ريش   فتأوى عند ربّ العالمينا**
**وترعى فى رياض القدس طورا   وتشرب من بحار العارفينا**
**عبادا قاصدوا بالسرّ حتى   دنوا منه وصاروا صابرينا**

ولله در القائل الآخر:

**للعــارفين قلوب يعــرفــون بهــا ... نور الإله بســرّ الســرّ فى الحـجب**

**صمّ عن الخلق عمى عن مناظرهم ... بكم عن النطق فى دعـواه بالكذب**

**(الحكاية السادسة والثلاثون بعد الأربع مئة عن ذى النون المصرى)** قال ذو النون رضى الله تعالى عنه: وصف لى رجل من العرب، وذكر لى من لطائف شأنه وحسن كلامه فى إشارات أهل المعرفة، فارتحلت إليه حتى بلغت مكانه، فوقفت عنده أربعين صباحا فلم أجد وقتا أقتبس من علمه لكثرة شغله بربه، فلما كان بعض الأيام نظر إلىّ وقال من أين الرجل؟ فأجبته، فقال لأىّ شىء جئتنى قلت لأقتبس من علمك ما يرشدنى إلى ربى، فقال اتق الله واستعن به وتوكل عليه، فإنه ولىّ حميد ثم سكت، فقلت زدنى يرحمك الله تعالى فإنى رجل غريب جئتك من بلد بعيد أريد أن أسألك أشياء اختلجت فى ضميرى، فقال أمتعلم أنت أم عالم أم مناظر؟ فقلت بل متعلم محتاج، قال قف فى درجة المتعلمين واحفظ أدب السؤال، فإنك إن تعديت وتركت الحرمة أفسد ذلك عليك نفع العلم، فإن العقلاء من العلماء والعارفين من الأصفياء سلكوا طريق الصدق والوفاء، وقاموا على قدم القرب والصفاء، وقطعوا أودية الحزن والبلاء، فذهبوا بخير الدارين ولذائذهما، فقلت يرحمك الله متى يبلغ العبد ما وصفت؟ فقال إذا صار خارجا عن الأسباب والأنساب وقطع قلبه من كل علاقة، فقلت ومتى يكون العبد كذلك؟ قال إذا خرج من جميع الحول والقوة وليس له شىء يملكه ولا حال يعرفه، رضى الله تعالى عنهما ونفع بهما.

**(الحكاية السابعة والثلاثون بعد الأربع مئة عن ذى النون المصرى)** قال ذو النون أيضا رضى الله تعالى عنه: بينما أنا فى بعض سياحتى إذا أنا بشيخ على وجهه سيما العارفين، فقلت له يرحمك الله كيف الطريق إلى الله؟ فقال لو عرفت الله لعرفت الطريق إليه، ثم قال يا هذا دع الخلاف والاختلاف، قلت: وما تجديد التوحيد؟ قلت يا هذا يرحمك الله أليس خلاف العلماء رحمة من الله؟ قلت نعم إلا فى تجريد التوحيد؟ قال فقدان رؤية ما سواه لوجدانه، قلت وهل يكون العارف مسرورا؟ فقال وهل يكون العارف محزونا؟ قلت أليس

من عرف الله طال همه، قال بل من عرف الله زال همه، قلت وهل تغير الدنيا قلوب العارفين؟ قال وهل تغير العقبى قلوب العارفين حتى تغيرها الدنيا؟ قلت أليس من عرف الله صار مستوحشا؟ قال ولك يكون مهاجرا متجرّدا، قلت وهل يتأسف العارف على شيء غير الله؟ قال وهل يعرف العارف غير الله فيتأسف عليه؟ قلت وهل يشتاق العارف إلى ربه؟ قال وهل يكون العارف غائبا عنه طرفة عين حتى يشتاق إليه؟ قلت ما اسم الله الأعظم؟ قال أن تقول الله وأنت تهابه، قلت فأنا كثيرا ما أقول ولا تداخلنى الهيبة، قال لأنك تقول الله من حيث أنت لا من حيث هو، قلت عظنى، قال حسبك من الموعظة علمك بأنه يراك، فقمت من عنده، فقلت ما تأمرنى به، قال اطلاعه عليك فى جميع أحوالك، لا تنسه، رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما وبجميع الصالحين.

**(الحكاية الثامنة والثلاثون بعد الأربع مئة عن الشيخ أبى العباس الحرار)** عن الشيخ أبى العباس الحرار بالحاء المهملة والراء المكررة رضي الله عنه، قال: دخلنا على الشيخ أبى أحمد الأندلسى ونحن جميعا من المريدين قصدنا زيارته، فرأينا حوله خلقا عظيما ونقباء، كل نقيب تحت يده جمع كثير، فنظر الشيخ إلينا ثم قال: إذا جاء الصغير إلى المعلم ولوحه ممحوّ كتب له المعلم، وإذ جاء ولوحه مملوء أين يكتب له المعلم؟ ثم قال بالذى جاء يرجع، ثم نظر إلينا نظرة أخرى فقال؛ من شرب من مياه مختلفة دخل مزاجه التغير، ومن اقتصر على ماء واحد سلم مزاجه من التغير * **قال أبو العباس**: ورأيت من أصحاب الشيخ أبى حامد أربعة مئة شاب فى داره، كلهم فى سن خمس عشرة سنة أو نحوها، وكلهم مكاشفون، فلما كان بعض الأيام بعث الشيخ خادمه إلىّ، فمشيت معه إليه، فوجدت عنده جماعة وهو يتكلم، فلما جلست أخذت وشهدت الشيخ قائما على رأسى ومعه قدوم وهو يهدم فىّ وأنا أشهد أعضائى تتفرّق على الأرض إلى أن وصل إلى كعبى ولم يبْق فىّ شيء إلا شمله الهدم ثم أخذ يبنينى بناء جديدا من كعبى صاعدا إلى أن بلغ دماغى ثم قال لى قد استغنيت فسافر إلى بلدك؛ فلما جزت من بين يدى الشيخ انكشف لى العالم العلوى كشفا بحيث لا ينحجب عنى شيء منه، رضى الله تعالى عنهما * قلت قوله: أخذت هو بضم الهمزة وكسر الخاء وسكون الذال المعجمة وضم التاء المثناة من فوق،

ومعناه غبت عن نفسى وعن هذا العالم، وكشف لى شىء من عالم الملكوت.

**(الحكاية التاسعة والثلاثون بعد الأربع مئة عن أبى العباس الحرار)** قال أبو العباس الحرّار أيضا: كان الشيخ أبو يوسف يوما يحضر ميعاد الشيخ أبى عبد الله القرشى رضى الله تعالى عنه وعن الجميع، قال فبعثنى الشيخ أبو يوسف يوما إلى القرشى أسأله هل يعمل فى ذلك اليوم ميعادا أم لا؟ فمضيت إليه فلما وصلت الساحة التى فيها باب داره وقفت مترددا هائبا، وإذا بطاقة فتحت وجارية أخرجت رأسها من الطاقة وقالت: يا أحمد قال لك الشيخ قل لأبى يوسف نحن ما نعمل اليوم ميعادا فشكرت الله تعالى كما عاملنى الشيخ بهذه الحالة من غير إقدام على سؤاله فلما وصلت إلى أبى يوسف قعد، وكان مضطجعا وقال: لم وقفت بساحة الباب حتى قالت لك الجارية ما قالت؟ قلت يا سيدى أنا أهابه، فقال إذا كنت وحدك هبه، وإذا كنت بى أقدم، فقيل للشيخ أبى العباس المذكور أيهما أعلى كشفا فى هذه القضية؟ قال القرشى لأن أبا يوسف أرسلنى إليه وخاطره معى يدرك ما يجرى لى، والقرشى كالمرآة يدرك كل ما يتوجه إليه، رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم.

**(الحكاية الأربعون بعد الأربع مئة عن أبى العباس الحرار)** قال أبو العباس الحرّار أيضا رضى الله تعالى عنه وردت من السياحة على الشيخ أبى العباس المرينى، بفتح الميم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحت وكسر النون وياء النسبة، وكان رجلا كبيرا، فلما جلست إليه سأله سائل، فقال له يا سيدى أيما أفضل العقل أم الروح؟ فشاهدت الشيخ قد أسرى بروحه وأسرى بروحى معه إلى أن دخلنا السماء الدنيا، فاشتغلت برؤية أملاكها وأنوارها وغاب الشيخ عنى، فطلبت مستقرًا أستقرّ فيه فلم أجده فنزلت ووقفت ونظرت إلى الشيخ، فإذا هو مستغرق فى غيبته ثم بعد لحظة حضر فقال للسائل: أسرى بالنبى ﷺ صحبة جبريل عليه السلام فانتهى معه جبريل إلى حده ووقف، وقال: يا محمد ما منا إلا له مقام معلوم منذ خلقت ما تعديت ههنا فتقدم النبىّ ﷺ إلى مقامه الذى اتصل به، فكان جبريل عليه السلام روحا وكان محمد ﷺ حينئذ عقلا أخذ العلم من معدنه، ولم يأخذه من تقليد ولا معقول وكذلك عادة شيوخ هذه الطائفة أرباب المعارف والعلوم اللدنية رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم أجمعين.

**(الحكاية الحادية والأربعون بعد الأربع مئة عن أبى العباس أيضا)** قال أبو العباس أيضا رضي الله عنه: كنت فى وقت تجريدى بمصر أتردد إلى مسجد كان قبالة مصنع الفخارين بطريق القرافة أبيت فيه، فكنت أخرج فى الليل أمشى فى الجبانة، فكشف الله لى أحوال أهل القبور المنعمين والمعذّبين باختلاف أحوالهم، فما رأيت أحسن من الجهة التى تلى قبل الفتح * **قال المؤلف**: وفى هذا المكان المذكور دفن الشيخ المذكور بإشارته، وزرت قبره هناك * **وقال** الشيخ أبو العباس أيضا رضي الله عنه: مرضت مرة فى بلدى أشبيلية، فكنت مضطجعا على ظهرى وإذا أنا أنظر طيورا كبارا ملوّنة بالأخضر والأبيض والأحمر ترفع أجنحتها رفعة واحدة وتضعها وضعا واحدا، وأشخاصا على أيديهم أطباق مغطاة فيها تحف، فوقع لى أنها تحفة الموت، فاستقبلتها وتشهدت، فقال لى واحد منهم أنت ما جاء وقتك هذه تحفة مؤمن غيرك قد جاء وقته ولم أزل أنظر إليهم إلى أن غابوا عنى، رضى الله تعالى عنهم * **وحكى** أن داود العجمى رضى الله عنه لما مات حمل إلى قبره، فإذا هو مفروش بالريحان، فأخذ الذى دفنه سبعة من أغصان الريحان، فكان الناس ينظرون إليها تعجبا سبعين يوما لم تتغير عن حالها حتى أخذها الأمير من الرجل ففقدت، فلا يدرى أين ذهبت * **وقال بعضهم**: رأيت مسكينة الطفارية بعد موتها فى المنام وكانت تحبّ مجالس الذكر، فقلت مرحبا يا مسكينة، فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى، قلت هنيئا لك، قالت وما تسأل عمن أبيحت له الجنة بحذافيرها؟ قلت بماذا قالت بمجالس الذكر رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بها آمين. وقال أبو العباس الحرّار رضي الله عنه كنت فى بعض السياحات أحتاج إلى الاستنجاء بالأحجار، فأخذت مرة حجرا لأستنجى به، فقال لى سألتك بالله لا تستجمر بى، فتركته وأخذت غيره، فقال لى كذلك، فتذكرت ما رتبه الشارع ﷺ فى ذلك، فأخذت الحجر وقلت له أمرنى الله تبارك وتعالى أن أتطهر بك وهو خير لك * **وقال** رضى الله تعالى عنه: تركت أخى بمكة ورجعت إلى مصر، ثم جاءنى بعد ذلك وسلم علىّ ففرحت بقدومه وقال لى: يا أخى أنا جائع، فقلت له يا أخى ما أملك شيئا ولا أتكلف شيئا ولا أسأل أحدا شيئا، فما تم كلامى حتى دخل من الشباك البيت عصفور كبير وألقى فى حجرى قيراطا كبيرا فأخذته واشتريت له به شيئا، فأكله رضي الله عنه.

**(الحكاية الثانية والأربعون بعد الأربع مئة عن الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور)** قال الشيخ صفىّ الدين بن أبى المنصور تلميذ الشيخ أبى العباس المذكور رضى الله تعالى عنهما: كانت لأستاذى أبى العباس ابنة تطلعت نفوس أصحابه ومحبيه إلى التزوج بها، فاطلع الشيخ على ما فى نفوسهم، فقال لهم هذه البنت التى لى لا يخطر لأحد تزويجها، فإنها ساعة ولدت أطلعنى الحقّ سبحانه وتعالى على زوجها من هو وأنا أنتظره، قال الشيخ صفى الدين وكنت حينئذ وراء الفرات مع والدى فى وزارة الملك الأشرف، فلما جئنا إلى مصر بعث الملك العادل والدى رسولا إلى مكة عند أبى عزيز ليعين الملك المسعود ابن الملك الكامل إلى اليمن، فجئت أنا حينئذ إلى الشيخ أبى العباس الحرّار وصحبته وكنت وأنا صغير إذا ذكر عندى الشيوخ والأولياء تلوح لى صورته، فلما صحبته غيرت هيئتى وكانت هيئة جميلة، لى الثياب المذهبة والبغلة الحسنة وغير ذلك، وهجرت الأهل ولزمت الشيخ إلى أن قدم والدى من مكة فى حشكلة عظيمة، وخرج من مصر للقائه خلق كثير بجميع الاهتمام والخيام، فقال لى الشيخ اخرج للقاء والدك، فقلت يا سيدى ما بقى لى والد غيرك وأنا لا أركب لهم شيئا من دوابهم، ولا آكل معهم، قال تخرج على كلّ حال، فخرجت على دويبة فى هيئة رثة وأهلى يبكون على حالى، فلما لقيت والدى فى بركة الحاج سلمت عليه وحدى، فلم يعرفنى هو ولا من حوله، وكان معه عسكر أجناد ومماليك وخدام، فلما عرفنى بعد ذلك وقف واصفرّ وجهه وبهت بهتة أسأل الله أن يثيبه عليها، ثم مشوا وبقوا متعجبين وإذا بأهلى وإخوتى، وكل من خرج من الطوائف وصلوا واجتمعوا وأنا فى ناحية وحدى، ولما نزل البكة قدمت إليه التقاديم، وجمع على سماطه كل من جاء صحبته وكل من خرج لأجله إلا أنا لم أحضر معهم، وانفردت وحدى أبكى بكاء شديدا، بكاء أسير قد أخذ من أهله وحيل بينه وبين أحبته، وفى آخر الحال هددنى بالقيد والحبس إن لم أعد لما كنت عليه معه، فأخبرت الشيخ فطردنى وقال روح إلى أبيك ولا تعد إلىّ فبكيت زمانا، وكنت أنشد ما قاله مجنون ليلى:

**جننا بليلى ثم جنت بغيرنا  وأخرى بنا مجنونة لا نريدها**

وأطلعنى الله على سرّ مقصود الشيخ أنه أحالنى على صدقى ليكون

بريئا من الحظ والقصد فى أمرى، فانشرحت لذلك من جهة الشيخ، ومضيت إلى دار والدى، وحبست نفسى فى خزانة، وآليت أن لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا أخرج إلا إن أراد الشيخ، فسأل عنى والدى فأخبروه بطرد الشيخ لى، وما صممت عليه، فقال إذا اشتدّ به الجوع والعطش يحتاج يأكل ويشرب، فأقمت إلى ثالث يوم على ذلك الحال، فاستيقظ والدى من النوم وقال قولوا له يذهب إلى الشيخ ويفعل بنفسه ما يختار، فقلت لا أروح حتى يروح والدى إلى الشيخ ويسأله قبولى، وقصدت بذلك إعزاز الشيخ فقال: نعم فاستدعى به وخرج ماشيا من بيته إلى مسجد الشيخ وأنا معه فقبل يد الشيخ وقال: يا سيدى هذا ولدك تصرّف فيه كيف شئت، وأود لو كنت مكانه، فقال له الشيخ أرجو أن ينفعك الله به، فسلمنى إلى الشيخ ومضى أعظم الله أجره وجزاه عنى خيرا، فاقمت بعد ذلك شهرا ما رأيته وأنا أحمل كل يوم على كتفى جرّتين ماء إلى زاوية الشيخ حافيا والناس يخبرونه بذلك، فيقول تركته لله تعالى، أسأل الله الا يضيع له أجر ذلك، وأن يجازيه بما هو أهله، ثم بعد وفاة الوالد رأيت فى النوم كأن الشيخ قال لى: يا صفى الدين قد زوجتك ابنتى، فلما استيقظت بقيت متحيرا لا يمكننى من الحياء أن أخبره، وإن لم أخبره تكون خيانة بكونى أخفى عليه شيئا رأيته، فالتفت إلىّ، وقال رأيت كذا وكذا، فقال يا بنىّ هذا كان من الأزل أو كما قال، فزوّجنى إياها وكانت من أولياء الله تعالى، على وجهها نور لا يخفى على أحد ممن يراها أنها ولية لله تعالى، وأنها من أهل الجنة، ورزقت منها أولادا فقهاء فقراء، وعشنا فى بركتها بعد موت أبيها زمانا كثيرا، وكانت كثيرة المكاشفات أخبرت بوقت موتها قبله بسنة، وأخبرت قريب موتها بعجائب ووقائع تقع بعد موتها، فوقعت فكانت تقول فى نزعها لنفسها (يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك راضية مرضية) وتكرر ذلك إلى أن خرجت روحها، رضى الله تعالى عنها.

**(الحكاية الثالثة والأربعون بعد الأربع مئة عن الشيخ صفى الدين المذكور)**

قال الشيخ صفىّ الدين المذكور ﷺ فى رسالته: وممن رأيت بدمشق الشيخ على الكردى ﷺ، كان ظاهر الوله، وكان يتحكم فى أهل دمشق تحكم المالك، ولما دخلت دمشق كنت فى حشكلة من الغلمان واللباس والأهل وأنا ابن ثلاث

عشرة سنة فقعدت فى الجامع من باب جبرون إلى أن جاءنى عند مقصورة الإمام الغزالى رضي الله عنه، فمدّ يده إلىّ مملوءتين تفاحا، فقال خذ، ففزعت منه وتأخرت إلى خلفى، فرمانى بالتفاح واحدة واحدة ومضى، ثم جاءنى عقب ذلك الشيخ أبو القاسم الصقلى وكان معتبرا، ومعه الشيخ نجم الدين خال والدتى وكان مدرسا بدمشق، فأخبرناهما بذلك فتعجبا منه عجبا كثيرا وقالا: يا بنىّ أبشر فسيكون لك شأن هذا الرجل قطب الشام، يقال له على الكردى أتاك بالضيافة، وعزيز أن يعمل مثل هذا مع أحد، فقمت ومشيت إليه وسلمت عليه عند باب جبرون وقبلت يده، فبش فى وجهى وضحك إلىّ فسألت عنه سيدى الشيخ عتيقا، فقال يا بنىّ هو إمام فنه فى وقته * **ومما اتفق** للشيخ المذكور من الكرامات أنه قال فى بعض الأوقات لرجل من أعيان دمشق يقال له بدر الدين: اعمل فى دارك للفقراء سماعا، وأطعمهم شيئا، فقال له السمع والطاعة، فرتب الرجل طعاما لأولاد الفقراء المعروفين بالجامع وغيره، فهم مجتمعون وإذا بالشيخ علىّ قد جاء إلى الدار، فرأى فى صفة منها قوالب سكر، فقال لصاحب الدار: ارمها كلها فى البركة، قال: كلها؟ قال نعم، ثم رمى الجميع فى البركة، فصار الفقراء يشربون الجلاب ويسمعون إلى آخر النهار ثم أكلوا وانصرفوا، ثم قال الشيخ علىّ لصاحب الدار أخرج القوالب، فأخرجها فوجدها كلها صحاحا لم يذهب من السكر شىء، ثم قال لصاحب الدار اخرج وأغلق الباب على الدار واقفلها ولا تأتنى إلا بعد ثلاثة أيام، ففعل ذلك وتركه فى الدار وحده، فلما كان اليوم الثانى لقيه فى الطريق، فسلم عليه ثم ذهب إلى داره فوجدها مغلقة على حالها ففتحها ودخل، فوجد أكثر الرخام مقلوعا، فخرج إلى الشيخ علىّ وقال يا سيدى لم قلعت رخام الدار؟ قال يا بدر الدين تكون رجلا جيدا وتضيف الفقراء على رخام حرام، قال يا سيدى هذه الدار إرثى عن أبى وجدى، فتغيظ الشيخ عليه وخلا، ففكر فى فعل الشيخ وعلمه بمكاشفاته، فتذكر أنها كانت قد قلع رخامها وأصلح فأرسل إلى الصناع الذين رخموها وقال لهم عرفونى ما صنعتم فى ترخيم الدار، قالوا له فيه عيب عملنا شيئا فى غير موضعه، فقال لابد أن تقولوا لى أمرها وأمنهم على نفوسهم، فقالوا رخامك بعناه ورخمناها بشىء من رخام الجامع * وقال الشيخ صفى الدين أيضا رضي الله عنه فى رسالته: لما جاء الشيخ الأجلّ شهاب الدين السهروردى

ﷺ إلى دمشق فى رسالة الخليفة إلى الملك العادل بالخلعة والطوق وغير ذلك، قال لأصحابه: أريد أن أزور عليا الكردى، فقال له الناس: يا مولانا، لا تفعل أنت إمام الوجود، وهذا رجل لا يصلى ويمشى مكشوف العورة أكثر أوقاته، فقال لابد لى من ذلك. قال وكان الشيخ علىّ الكردى مقيما أكثر أوقاته فى الجامع، حتى دخل عليه موله آخر يقال له ياقوت، فساعة دخوله من الباب خرج الشيخ علىّ من دمشق وسكن جبانتها بالباب الصغير، وما دخلها بعد ذلك إلى أن مات، وياقوت فيها يتحكم، فقالوا للشيخ شهاب الدين هو فى الجبانة، فركب بغلته ومشى فى خدمته من يعرفه موضعه؛ فلما وصل إلى قريب مكانه ترجل وأقبل يمشى إليه، فلما رآه علىّ الكردى قد قرب منه كشف عورته، فقال الشيخ شهاب الدين ما هذا الشىء يصدنا عنك وها نحن ضيفانك، ثم دنا منه وسلم عليه وجلس معه وإذا بحمالين قد جاءوا ومعهم مأكول معتبر، فقيل لهم من تريدون؟ قالوا: الشيخ عليا الكردىّ، فقال لهم ضعوه قدام ضيفى. وقال للشيخ شهاب الدين: بسم الله هذه ضيافتك فأكل الشيخ، وكان يعظم الشيخ عليا الكردى رضى الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم * **قلت**: وهذا الوله المذكور عن الشيخ علىّ الكردى موجود فى كثير من الأولياء مشهور، وقد زاد على كثير منهم حتى نسبوا إلى الجنون وهم المعروفون فى الكتب بعقلاء المجانين، وكثير منهم قيدوا وحبسوا، وقد ذكرت جماعة منهم فى هذا الكتاب يحسب الناس أنهم مجانين وهم العقلاء والأولياء، ولكن محبة الله ومعرفته وعظيم ما شاهدوا من عظمته وجلاله وكماله حيرهم وهيمهم وشجاهم؟ وتيمهم، كما قدمت من إنشاد بعضهم:

**حيرتهم محبة الله حتى ... حسب الناس أن فيهم جنونا**
**هم ألبا ذوو عقول ولكن ... قد شجاهم جميع ما يعرفونا**

وقول تحفة رضى الله تعالى عنها:

**معشر الناس ما جننت ولكن ... أنا سكرانة وقلبى صاح**
**أنا مفتونة بحب حبيب ... لست أبغى عن بابه من براح**

منهم من غلب عليه السكر براح محبة الجمال المشهود، فهام فى حبه

وغاب عن الوجود، ومنهم آخرون أيضا يحبون ولكن تستروا بالجنون كما قدمت أيضا من إنشاد بعضهم حيث يقول:

**وموّهت دهرى بالجنون على الورى ... لأكتم ما بى من هواء فما انكتم**

**فلما رأيت الشوق والجذب قاتلى ... هجرت طعامى والشراب ولم أنم**

**فإن قيل مجنون فقد جنّ فى الهوى ... وإن قيل مسقام فما بى من سقم**

وكذلك قلت فى معنى ذلك:

**سقى الله قوما من شراب وداده ... فهاموا به ما بين باد وحاضر**

**يظنهم الجهال جنوا وما بهم ... جنون سوى حبّ على القوم ظاهر**

قلت هذه مع أبيات أخرى، وقد قدمت ذلك الكتاب. ومنهم آخرون يجمعون فى التستر بين الوله والتجريد، يوهمون الناس أنهم لا يصلون ولا يصومون ويكشفون عوارتهم حتى يساء الظن بهم ولا ينسبون إلى الصلاح، وهم يصلون ويصومون فى الباطن فيما بينهم وبين الله تعالى، وقد شوهد كثير منهم يصلون فى الخلوات ولا يصلون بين الناس، وسيأتى الكلام فى أهل التجريد فى آخر الكتاب فى فصل الجواب، وهناك يوضح حكمهم وبيان من يعتقد ومن لا يعتقد، ومن جملة المجردين الشيخ ريحان كان فى عدن، وأظنه حبشيا معتقا كان يصدر معه فى الظاهر شىء مما ينكره ظاهر الشرع، وله كرامات مشهورات، وها أنا أحكى عنه الآن بعض الحكايات.

**(الحكاية الرابعة والأربعون بعد الأربع مئة عن المؤلف)** قال المؤلف كان الله له: أخبرنى بعض الأخيار أنه كان بعض الناس فى ساحل بحر عدن، فأغلق باب البلد دونه فلم يقدر أن يدخل، فبات فى الساحل ولم يكن له عشاء، فرأى الشيخ ريحان فى الساحل، فأتى إليه وقال: يا سيدى أغلقوا الباب دونى وما معى عشاء وأنا أشتهى منك أن تطعمنى هريسة، فقال الشيخ ريحان انظروا إلى هذا يطلب منى العشاء وما يريد أيضا إلا هريسة كأنى أنا مهرسا أصنع الهريسة، فقال له يا سيدى لابد أن تطعمنى ذلك، قال فلم أشعر إلا والهريسة حاضرة حارّة فى الحال، فقلت يا سيدى بقى السمن، فقال انظروا

هذا الفاعل التارك وما يرضى بأكل الهريسة أيضا إلا بالسمن فأنا كنت سمانا أبيع السمن، فقلت يا سيدى ما آكلها إلا بسمن، فقال اذهب بهذه الركوة إلى البحر وائتنى بماء أتوضأ قال: فذهبت إلى البحر فغرفت منه فى الركوة وجئت به، فأخذ منى الركوة، فصبَّ منها سمنا على الهريسة، فأكلت من ذلك ولم أذق مثله قط رضى الله تعالى عنه، ونفعنا به وبجميع الصالحين وأعاد علينا من بركاتهم * **وأخبرنى أيضا** بعض المباركين قال: أرسلنا شيخنا نشترى له تمرا من سوق عدن، فلم نجد فى السوق شيئا منه، فرجعنا إليه بغير شىء، فلقينا الشيخ ريحان فى الطريق فقال انظروا هؤلاء الرسل الملاح أرسلهم شيخهم فى شهوة اشتهاها فرجعوا لغير شىء، اذهبوا إلى بيت فلان فى المكان الفلانى تجدوا حاجة الشيخ عنده، قال فذهبنا إلى ذلك الشخص فى الموضع الذى سماه، فوجدنا عنده التمر، فاشترينا منه للشيخ وجئناه به وأخبرناه بما قال لنا الشيخ ريحان فضحك وقال أشتهى أن أرى هذا الشيخ ريحان، فلم نشعر إلا بالشيخ ريحان قد دخل عليه المسجد الذى هو فيه فخلا به وتحدثا ساعة، فلما خرج الشيخ ريحان تعجب الشيخ مما رأى منه وأثنى عليه وعظمه * وقلت: هذا الشيخ المذكور هو شيخ شيوخنا الذى فى عدن وهو الشيخ الكبير العارف بالله تعالى الفقيه الإمام ذو المناقب العديدة والسيرة الحميدة والكرامات الكبيرة والمحاسن الشهيرة أبو محمد عبد الله بن أبى بكر المدفون فى مورع، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين ببركته، صحب الشيخ الجليل الإمام الحفيل ذا المجد الأثيل والحظ الجزيل العارف بالله المشهور المشكور عظيم الكرامات رفيع المقامات أبا الذبيح إسماعيل بن محمد الحضرمى اليمنى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين ببركاته وبركة سلفه، وقرأ عليه ونال منه منالا فاخرا وحظا وافرا زاده الله من كل خير آمين وجميع المسلمين * قال المؤلف كان الله له: وأخبرنى أيضا بعضهم قال: أخبرنى إنسان ثقة قال: خرجت فى شهر رمضان المبارك أشترى لأهلى شيئا من السوق بين العشاءين، فلقينى الشيخ ريحان رضى الله تعالى عنه، فجرّنى وارتفع بى فى الهواء ارتفاعا كبيرا، فبكيت وقلت له ردنى، فردّنى إلى الأرض وقال أردت أن أفرجك فأبيت * قلت: لعله أراد بهذه الفرجة أن يطلعه على

عجائب ملكوت السموات * قلت: وأخبرنى بعض الصالحين أيضا قال قلت للشيخ ريحان خاطرك معى، فقال لى ما دام هذا الرأس صحيحا لا تخف وأشار إلى رأسه، قال فحسبت أنه يعنى ما دمت حيا، ولم يظهر لى مراده إلا بعد موته وذلك أنه سقط بعد ذلك بمدة طويلة فى أصل جبل فانكسر رأسه ومات، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به * قال الشيخ صفى الدين رضى الله تعالى عنه: رأيت بجيزة مصر امرأة مولهة أقامت فوق ثلاثين سنة قائمة على رجليها فى مكان من الأرض بين الحلفاء ما جلست ليلا ولا نهارا لا شتاء ولا صيفا، ولا يسترها شئ من الشمس والمطر، تأوى الحيات والثعابين حولها، وكان أمرها عجيبا، رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها وبجميع الصالحين.

**(الحكاية الخامسة والأربعون بعد الأربع مئة)** قال المؤلف كان الله له: أخبرنى بعض الصالحين قال: زرت بعض الأولياء الصالحين وصحبنى إنسان، فلما وصلنا إليه وسلمنا عليه، أتانا بطعام فى جفنة كبيرة، وكان للمكان الذى نحن فيه بابان باب كبير، وباب صغير، فدخل علينا بالجفنة من الباب الصغير، فلم يسع الباب دخول الجفنة، فصاح صيحة عظيمة، فرأينا الجفنة قد انضمّ بعضها إلى بعض مثل الثوب إذا عطفت بعضه على بعض ثم دخل ووضعها بين أيدينا، فرأيناها تتفتح وتتسع حتى عادت إلى حالها الأول، وإنما جاءنا من الباب الصغير وفعل هذا حتى نرى هذه الكرامة منه، لأن رفيقى كان ينكر عليه، فاستغفر الله وتاب رضي الله عنه ونفعنا به، وأخبرنى بعضهم أنه اجتمع بجماعة من الصالحين فى اليمن وأن واحدا منهم غرف شيئا من الهواء بكفه ووضعه فى فمه، فإذا هو عسل رضي الله عنه.

**(الحكاية السادسة والأربعون بعد الأربع مئة عن المؤلف)** قال المؤلف رضي الله عنه: بلغنى أن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى سفيان اليمنى رضي الله عنه دخل عدن فى وقت، فقيل له: ههنا يهودى ولاه السلطان على بعض الجهات الكبار المناصب عندهم، فحصل له منزلة عالية ومنصب كبير، فصار المسلمون يمشون تحت ركابه، وإذا جلس يقومون على رأسه، فمشى الشيخ سفيان إليه وهو يومئذ فى الرياضة، والتجرّد فى زىّ فقير، فوجده جالسا على كرسى والمسلمون تحته على الأرض قائمون فى خدمته؛ فلما وصل إليه قال له: قل

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فصاح اليهودى واستغاث بجنده عليه، فلم يقدروا أن يفعلوا شيئا، ثم أعاد عليه الشهاد ثانية وثالثة، وهو فى كلّ ذلك يصرخ بالجند، فلا يقدرون على شىء،ثم بعد المرّة الثالثة أخذ الشيخ بجمة اليهودى، أو قال بذؤابته بيده اليسرى، وأخذ سكينا صغيرة كانت معه بيده اليمنى وقال: بسم الله والله أكبر، وتقرّب بذبحه إلى الله تعالى ثم رجع إلى مكانه، كان يقعد فى الجامع، فبلغ الخبر إلى الأمير، فلم يصدّق واستبعد ذلك لكون المقتول من خدام السلطان ومن خاصته، ولا سيما والقاتل ذكروا أنه مسكين، ثم تواتر الخبر عنه إلى الأمير، فقال لغلمانه ائتونى به، فذهبوا إلى الجامع فلم يقدروا أن يصلوا إليه، فرجعوا إلى الأمير، فركب فى عسكره حتى بلغ الجامع، فلم يقدر أحد منهم أن يدخل الجامع، فضلا عن أن يمدّ يده إليه بسوء، فعرف الأمير أنه محمىّ من قبل الله عزّ وجلّ، فرجع وخاف على نفسه الشدّة من قبل السلطان، لكون البلد فى دركه، فاستشار أهل العقل والرأى ماذا يفعل؟ فقال له بعض الأولياء هؤلاء ما لهم إلا بعضهم بعضا، وفى لحج رجل من الأولياء يقال له العايدى، فأرسل إليه ليأتيك، واشك إليه الحال، فأرسل إليه فجاء وشكا إليه ولزمه، قال له أشتهى أن لا يخرج القاتل من البلد حتى أعرّف السلطان ويأتينى بالجواب، فقال له نعم إن شاء الله تعالى، ثم خرج العايدى من عنده وجاء إلى الشيخ سفيان رضى الله تعالى عنه، وكان بينهما صحبة وودّ، فشكره العايدى على ما فعله وقال: قلعت حجرا من طريق المسلمين، ثم قال له اخرج بنا نتمشى، فخرجا يمشيان حتى بلغا باب الحبس، فقال العايدى للحباس: دونك الرجل قيده واحبسه، فمدّ سفيان رجليه للقيد وقال السمع والطاعة، فقيد وبقى فى الحبس مدة أيام إن شاء ترك القيد فى رجليه وإن شاء فتحه ورمى به؛ فلما كان يوم الجمعة وحضرت وقت الصلاة حلّ القيد وذهب إلى الجامع، فوجده قد امتلأ بالناس، فدخل حتى وصل إلى قرب من الأمير، ثم نظر إلى الناس وقال أصلى على هؤلاء الموتى أربع تكبيرات الله أكبر، ثم خرج ورجع إلى الحبس وأقام فيه مدّة أيام حتى جاء جواب السلطان وهو يقول: أطلقوه فنحن نطلب السلامة منه، فقد كان قبل هذا ادّعى أن البلاد بلاده، وأن الملك له دوننا، ثم خرج من الحبس ولم

يكن للسلطان ولا للشيطان عليه سلطان، وقد كان جرى له مع السلطان قصة، فدخل على السلطان يوما فقال له اخرج من بلادى، وكان ذلك فى أبين، بالباء الموحدة ثم الياء المثناه من تحت بلد بينها وبين عدن نحو مرحلتين، فخرج السلطان منها خائفا * وهذا هو الملك الذى أشرت إليه فى خطبة الكتاب بقولى:

**ملوك على التحقيق ليس لغيرهم    من الملك إلا اسمه وعقابه**

ولحج بالحاء المهملة ثم الجيم: على نحو مرحلة من عدن، والعايدى: بالعين المهملة وبعد الألف ياء مثناة من تحت ثم دال مهملة، رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم.

**(الحكاية السابعة والأربعون بعد الأربع مئة عن المؤلف)** قال المؤلف كان الله له: بلغنى أيضا أنه تخاصم خادم الشيخ أبى الغيث المشهور رضى الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين ببركته هو وغلام السلطان، فضرب خادم الشيخ غلام السلطان، فبلغ ذلك السلطان، فأم بخادم الشيخ أبى الغيث فقتل، فبلغ الشيخ أبا الغيث، فأطرق رأسه ساعة ثم قال مالى وللحراسة، أنا أنزل من المشباب وأترك الزرع، فقتل السلطان فى ذلك الوقت، فجاء ولده الملك المظفر رحمه الله إلى الشيخ المذكور ﷺ مستغفرا، ونعله على رأسه، أو قال فى عنقه، فقال له الشيخ ما تريد؟ قال الملك، فقال أنا قد وليتك * قلت: المشباب المذكور بالميم المكسورة ثم الشين المعجمة ثم الباء الموحدة مكرّرة قبل الألف وبعدها، يعنى به مكانا عاليا من خشب منصوبة فوقها عريش يجلس عليه حارس الزرع * وكذلك بلغنى أن بعض أئمة الأشراف استولى على بعض جبال اليمن، ثم أراد النزول إلى تهامة، فكتب الشيخ أبو الغيث المذكور المشكور المقدم المشهور ﷺ إلى الولىّ الكبير الفقيه العالم ذى المناقب والمفاخر والكرامات الظواهر محمد بن إسماعيل الحضرمى رضى الله تعالى عنه يقول له: قد عزمت على النقلة من بلاد اليمن من أجل ظهور الفتن، فهل لك أن توافقنى على ذلك؟ فكتب إليه الفقيه محمد كتابا يذكر فيه كثرة أهله وقرابته، وأن النقلة بهم تشقّ عليه، ولا يمكنه أن ينتقل ويتركهم، ثم قال ولكن عليك أن تحمى جهتك، وأنا أحمى جهتى؛ فلما بلغ الشيخ أبا الغيث قوله هذا، قال نعم، فقتل الإمام المذكور أو مات فى الحال، رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهم.

**(الحكاية الثامنة والأربعون بعد الأربع مئة عن المؤلف)** قال المؤلف رضى الله عنه وكان الله له: سمعت من غير واحد من الصالحين ومن الثقات يروون عن الشيخ أبى الغيث رضى الله تعالى عنه أنه قال: أتى الشيخ والفقيه السيدان الكبيران، العارفان المشهوران المقدمان صاحبا عواجة إلى شيخى السيد الجليل الولىّ العارف بالله الشيخ علىّ المعروف بالأهدل رضى الله تعالى عن الجميع، ونفعنا والمسلمين ببركتهم وطلبا منه أن يذهب معهما إلى بعض المواضع، قال فوافقهما وذهبت أنا معهم؛ فلما كان بعض الليل إذا أنا أنظر الشيخ والفقيه فى الهواء، فوقفا وفى يديهما سيفان مسلولان، وأنا والشيخ علىّ رضى الله تعالى عنه فى الأرض ونحن سائرون، فذكرت ما رأيت منهما للشيخ علىّ، فقال لى يا أبا الغيث هذا فى مقام التولية والعزل يوليان ويعزلان بإذن الله تعالى وسوف أرثهما أنا، وترثنى أنت، رضى الله تعالى عنهم، ونفعنا بهم * **قلت**: يعنى أنه فوّض إليهما فى التصرّف فى المملكة بعد أن وفقا لموافقة مراد الحقّ عزّ وجلّ. وقد بلغنى أنهما سمعا خطابا من قبل الحقّ عزّ وجلّ وهو يقول لهما: إذا أردتما أن تفعلا شيئا فافعلا ولا تسألانى، فإنى أكره أن أرى ذلّ السؤال فى وجوهكما، رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما.

**(الحكاية التاسعة والأربعون بعد الأربع مئة عن المؤلف)** قال المؤلف كان الله له: أخبرنى بعض الصالحين قال: منذ عشرين سنة لا تزال الدنيا تأتينى فى صورة عجوز كبيرة وقبيحة المنظر لا أستطيع أن أنظر إليها، تحمل لى طعاما وشرابا لم أذق مثله قط، ولا أقدر أصف طعمه وريحه ولا الإناء الذى هو فيه حسنا ولونا وجنسا، قال وأذوق فى كل ذلك طعم كلّ شىء طيب من الحلواء والعسل واللحم واللبن وغير ذلك وليس هو هو، قال وتأتينى السباع من الأسود والنمور وغيرها وتجلس إلى جانبى فى البرية، وكل سبع يأتينى يوافقنى فى الجلوس والاضطجاع، إن جلست جلس وإن اضطجعت اضطجع، ويفترس الغزلان ويأتى بها ويأكلها عندى، وإن رأى طارقا يطرقنى ضرب بيده على الأرض حتى أنتبه، قال واجتمع فى بعض الأوقات بكثير من الأولياء الإنس والجنّ، وينزل علينا فى كل ليلة بعد صلاة العشاء مائدة عظيمة عليها طعام لا يقدر على وصفه الواصفون، فيه طعم كلّ شىء طيب، فنجتمع وقد نبلغ فى

بعض الأوقات نحو أربع مئة رجل ولا ينقص أكلنا منها شيئا، قال وينزل علىّ فى أوقات الفاقة مائدة من الهواء، فإن التفتّ إليها رجعت عنى، وإن اشتغلت بعبادتى ولم ألتفت إليها لم تزل تنزل حتى تقع بين يدىّ فآكل منها حاجتى، قال وأول ما نزلت علىّ فى بدايتى ليلة السابع من انقطاعى إلى الله عزّ وجلّ بعد أن اشتدّ بى الجوع، وكان أشد ما لقيت ليلة الخامس، ثم هان بعد ذلك ونزل معها نور عظيم يملأ الوجود، قال وكانت الشياطين تأتينى وتفزعنى بأهوال عظيمة، ويأتينى سلطانهم فى عساكر كثيرة فى السلاح والعدد، وتضرب الطبول فى موكبه وتمرّ بين يدىّ العساكر وعليهم اللباس المليح، قال وكذلك مرّ بين يدىّ فى بعض الأوقات شىء عظيم يهول الناظر، له سبعون رأسا، وذكر أشياء كثيرة من العجائب العظيمة والكرامات الكريمة، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين آمين.

**(الحكاية الخمسون بعد الأربع مئة عن بعض المشايخ)** روى أن بعض المشايخ خطب امرأة، فأبى أهلها أن يزوّجوه إلا بجارية تخدمها، فلم يقدر على شراء الجارية، فذكر ذلك لصاحب له، فقال له صاحبه أنا أكون عوض الجارية التى تخدم، فاذهب إليهم وقل لهم عندى جارية للخدمة، ولكنها قالت تخدم فى مكان تقعد فيه وحدها لا تراكم ولا ترونها، فذهب إليهم وقال لهم كذلك، فقالوا نعم إذا قامت بالخدمة التى نطلب فلا حاجة لنا فى رؤيتها فزوّجوه، ثم أتى بصاحبه وتركه فى مكان وحده وكان أسود ليس له لحية، فقعد يطحن لهم وعلى وجهه برقع المرأة تحسب أنه جارية، وكان الشيخ يخرج من عند زوجته بالليل يتعبد، فذكرت المرأة ذلك الخروج للنساء، فقلن لها عسى يذهب إلى الجارية، فلما خرج فى تلك الليلة خرجت بعده لتنظر هل هو عند الجارية، فوجدت الجارية تصلى والرحا تدور بنفسها، فتعجبت من ذلك ولم تجد الشيخ هناك، فرجعت وسكتت حتى جاء الشيخ فذكرت له ذلك، وقالت رأيت الجارية تصلى والرحا تدور بنفسها، فقال ما هى جارية ذاك أخى فلان، فقالت أنا أستغفر الله وأنا الجارية التى تخدمكما رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما آمين.

**(الحكاية الحادية والخمسون بعد الأربع مئة عن أبى عبد الله القرشى)** قال الشيخ الكبير قدوة الشيوخ العارفين وبركة أهل زمانه من العالمين أبو عبدالله

القرشى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به: لما جاء الغلاء الكبير إلى ديار مصر توجهت لأدعو، فقيل لا تدع فما يسمع لأحد منكم فى هذا الأمر دعاء، فسافرت إلى الشام، فلما وصلت إلى قريب ضريح الخليل عليه الصلاة والسلام تلقانى الخليل ﷺ، فقلت له يا خليل الله، اجعل ضيافتى عندك الدعاء لأهل مصر، فدعا لهم ففرّج الله عنهم * قلت وقوله: تلقانى الخليل عليه الصلاة والسلام قول حقّ لا ينكره إلا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التى يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض، وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات، كما نظر النبىّ ﷺ موسى عليه السلام يصلى فى الأرض. ونظر أيضا جماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى السموات وسمع منهم مخاطبات، وقد تقدم أنه يجوز للأولياء رضى الله تعالى عنهم من الكرامات ما يجوز للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من المعجزات بشرط عدم التحدى.

**(الحكاية الثانية والخمسون بعد الأربع مئة عن بعضهم)** روى أيضا أنه لما وصل الشيخ أبو عبد الله القرشى رضي الله عنه إلى القدس، كان معه الفقيه أبو الطاهر المحلى، فمرّ الفقيه أبو الطاهر المذكور يوما على مدرسة بالقدس والفقهاء جالسون على بابها بأعظم هيئة ولباس وزىّ وأكثرهم أعجام، فاستحيا أن يمرّ عليهم لحقارته فى نفسه وهو شاب فقير أسود، ورثّ الحالة، فلما رجع إلى الشيخ وبات معه إلى الصبح، قال له الشيخ امض إلى المدرسة التى مررت عليها، كن بها معيدا، قال فتعجبت وعظم ذلك علىّ واستحلت وقوعه ولم يمكننى إلا الامتثال، فجئت إليها وأنا أتوهم أن البواب يمنعنى من الدخول، فلم يمنعنى، فدخلت ووجدت المدرّس جالسا وحلقة كبيرة دائرية عليه، فأردت أن أدخل فى الحلقة فلم يفسح لى منهم احتقارا واستهانة بى، فجلست خلفهم وإذا برجل دخل من باب المدرسة، فلما رآه المدرس عبس وجهه وقام إليه يتلقاه، وانقبضت الجماعة بأسرهم، فقلت للذى أنا وراء ظهره: يا أخى ما للجماعة؟ قال هذا الذى دخل جدلىّ خلافى لا يطاق، وإذا جاء لا يبقى للشيخ معه كلام إلا ملاطفته، ولا يستطيع أحد مجاراته، فلما تلقاه الشيخ أجلسه فى مكانه، فلما قعد استفتح وألقى مسئلة خلافية عقدت، فلما استكمل إيرادها فتح على حفظ سؤاله والجواب عنه، فزاحمت ودخلت بين اثنين وانطلق

لسانى ونصيت سؤاله وما غيرت منه شيئا، وهذا ترتيب المناظرين إعادة السؤال، ثم أجبته بما فتح الله تعالى علىّ ولم أكن قرأت علم الخلاف ولا ناظرت، فتعجب المدرّس منى وبهت الجماعة من أمرى واستعظموا ذلك، وقال المناظر للمدرّس هذا الفقيه من أين لكم؟ قال ما رأيناه إلا هذه الساعة، فقال المناظر لمثل هذا تبنى المدارس، ففرح المدرس حيث كان فى حلقته من أجاب هذا المناظر، ثم قال المدرّس لى ما اسمك؟ فذكرت له اسمى، فقال قد وليتك الإعادة، ثم قام فقمت معه، وقامت الجماعة معى، فقال لى يا فقيه، عادتنا إذا استعدنا معيدا نشيعه حال توليته إلى منزله؛ فلما خرجنا من المدرسة قصد أن يمشى هو والجماعة معى، فسألته أن يخلى عنى ذلك فقبل ورجع، فلما جئت إلى الشيخ قال لى: يا فضولى ولأى شىء منعته أن يفعل عادته ويوصلك إلى منزلك؟ قلت له يا سيدى حملا عن خاطرك، وبقيت بها إلى أن توفى الشيخ، فدفن بظاهر بيت المقدس رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الثالثة والخمسون بعد الأربع مئة عن بعضهم)** روى أن الشيخ أبا عبد الله القرشى رضي الله عنه كان يوما جالسا فى ميعاده بمصر. وكان الشيخ أبو العباس القسطلانى رضي الله عنه هو الذى يقرأ المواعيد بين يديه، فحضر ميعاد الشيخ أبو العباس الطنجى، ففتح القارئ المذكور الكتاب وسكت، فقال له الشيخ القرشى مالك لا تقرأ؟ قال يا سيدى الكتاب أبيض ما فيه شىء مكتوب، فقال الشيخ القرشى مَن ههنا؟ فقالوا أبو العباس الطنجى، فقال الشيخ القرشى له: يا أبا العباس معى تفعل هذا؟ ثم قال للقارئ اقرأ، فوجد الكتاب مكتوبا، فقرأ على عادته، وكان أبو العباس القسطلانى المذكور، وقد ترك زينة الدنيا وأقبَل على خدمة الشيخ القرشى بنفسه، وكان زاهد مصر فى وقته، وكان كثير الرياضات، وكانت إقامته فى آخر عمره بمكة المشرّفة، وبها مات، وقبره معروف، وكان قد حصل قحط فى وقته بمدينة النبىّ ﷺ لانقطاع المطر، وكان هناك يومئذ، فعزم الناس على الاستقساء، وتقرّر الحال على أن يستسقى أهل المدينة يوما، والغرباء يوما، والمجاورون يوما، فاستسقى أهل المدينة فلم يمطروا، فعمل أبو العباس المذكور طعاما كثيرا وأطعم الفقراء وأهل الضرورات واستقسى فمطروا، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به.

**(الحكاية الرابعة والخمسون بعد الأربع مئة عن الشيخ صفى الدين)** روى الشيخ صفيّ الدين رضي الله عنه فى رسالته أنه قال: كان الشيخ أبو عبد الله محمد الأزهرى العجمى رضى الله تعالى عنه كثير السياحات، صاحب آيات عظيمات وحكايات تضيق عنها العقول، قال تلميذه الكبير أبو الحسن بن الدقاق رضي الله عنه: أدخلنى الشيخ محمد العجمى على ثلاث مئة وستين عالما غير عالم السموات والأرض، قال ووصل بى إلى جبل قاف، وأرانى الحية الدائرة بالجبل ورأسها على ذنبها وهى خضراء؛ قال وكان الشيخ إذا مشى بى إلى أمر خارق أوطى الأرض أبقى معه غائبا عن حسى المعهود، فخرج يوما من دمشق وأنا بصحبته إلى أن وصلنا طبرية، ووقفنا على قبر سليمان عليه الصلاة والسلام، فقلت: يا سيدى هذا قبر سليمان عليه الصلاة والسلام، قال هكذا يقال، ثم مشى وأنا خلفه محمول إلى أن أشرفنا على بناء مهول، وإذا نحن بأقوام تلقوا الشيخ وسلموا عليه، وتبرّكوا بقدومه، ثم مشوا قدامه، فوجدت منهم وحشة، فالتفت الشيخ إلىّ وقال يا علىّ احفظ نفسك واشتغل بى ولا تشتغل بمن تراه، فهؤلاء جانّ ونحن قادمون على قبر سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام؛ فلما وصلنا إلى البنيان تلقته طائفة أخرى وأدخلوه البناء، وهو صورة قصر عظيم والشيخ يمشى وأنا خلفه، وإذا فى صدر المكان رجل قائم عليه هيبة عظيمة ونور عظيم، وفى يده عصا، فقال الشيخ لى هذا سليمان، ثم تقدّم وقبل يده، وفى إحدى أصابعه الخاتم، ثم تأخر، فأخذه جماعة من الجنّ خدّام سليمان عليه الصلاة والسلام، وذهبوا به إلى موضع، وقدّموا ضيافته طعاما، فأكل الشيخ وأكلت معه، ثم ذهبوا به يفرّجونه على ذخائر سليمان عليه الصلاة والسلام؛ فأتوا به إلى البساط، فوقف عليه، فجاءت ريح ففرشته، حتى رآه، ثم جاءوا به على عرش بلقيس، فرآه إلى أن استكمل ذخائر سليمان عليه الصلاة والسلام، ثم مرّ على مغارة منذ زمن نبىّ الله سليمان ﷺ؛ فلما أراد الشيخ الانصراف وضعوا له سريرا، وأشار الشيخ إلىّ فوضعوا لى سريرا آخر؛ فلما جلسنا عليهما ارتفعا بنا فى الهواء لا نبصر من يحملهما، ومر بنا فى الهواء فوق بحر انتهينا إلى مكان؛ فلما وصلنا حطّ بنا السريران إلى الأرض، فنزلنا عنهما ثم ارتفعا فى الهواء ورجعا، فمشى الشيخ وأنا خلفه ساعة، وإذا نحن

بدمشق قد بدت * قال: وكنا يوما بدمشق، وكان فى أصحاب الشيخ من هو من الحجاز، ومن هو من العراق، فذكروا الرطب، فقال له أهل الحجاز: رطبنا أطيب، وقال العراقيون: رطبنا أطيب، وكان للشيخ خادم اسمه يوسف، فنظر الشيخ إليه، فخرج الخادم من الباب وغاب لحظة، ثم دخل وعلى يده طبق فيه رطب كما جنى من النخل، فوضعه بين يدى الشيخ، فقال الشيخ يا حجازيون هذا رطب بلادنا فأحضروا أنتم رطب بلادكم؛ وله من العجائب والكرامات أشياء عظيمات، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به.

**(الحكاية الخامسة والخمسون بعد الأربع مئة: عن الشيخ المغاورى رضي الله عنه)**

قال: كنت مدة سنين مولعا بالحرب، وعدة سنين بالسياحة، أدخل إلى بلد الكفار لأمور أمرت بالدخول إلى بلادهم لأجلها وحجابى بحكمى، إن أردت رأونى، وإن أردت لم يرونى، فورد علىّ أمر من جهة الحقّ سبحانه وتعالى بأن أدخل إلى بلادهم لأجتمع فيها برجل صديق فدخلت أرضهم وأريتهم نفسى، فأخذونى أسيرا وفرح بى من أخذنى وكتفنى وجاء بى إلى السوق يبيعنى، وكان هذا هو طريق المقصود الذى أمرت به، فاشترانى رجل معتبر راكب على دابة، ووقفنى على الكنيسة لأكون فيها خادما، فباشرت خدمتها أياما، وإذا بهم قد أحضروا بسطا كثيرة، ومباخر وطيبا كثيرا، فقلت لهم ما الخبر؟ قالوا الملك عادته زيارة الكنيسة يوما فى السنة وقد جاء وقت زيارته، فنحن نهيئها له ونخليها، فلا يبقى فيها أحد حتى يدخل وحده، يتعبد فيها؛ فلما أغلقوها بقيت أنا فيها واحتجبت عنهم فلم يرونى، وإذا بالملك قد جاء ففتحوها له ودخلها وحده وأغلقوا عليه الباب، فدار بالكنيسة يفتشها وأنا أنظر إليه وهو لا يرانى إلى أن اطمأنّ، فدخل المذبح الذى فيها وتوجه إلى القبلة وكبر بالصلاة، فقيل لى هذا هو الذى أردنا لك الاجتماع به، فظهرت ووقفت وراءه حتى يسلم من الصلاة، ثم التفت فرآنى فقال: من تكون؟ قلت مسلم مثلك، قال وما جاء بك ههنا؟ قلت أنت، فأقبل علىّ وسألنى عن أمرى، فأخبرته بما أمرت به من الاجتماع، ولم يكن لى طريق إلى ذلك إلا بصورة ما جرى من الأسر والبيع، واتخاذهم لى خادما للكنيسة، وتمكينى لهم من نفسى فى جميع ذلك، ليقع الاجتماع، ففرح بى، فكاشفته وكاشفنى، ووجدته من كبار الصدّيقين، فقلت له

كيف حالك بين هؤلاء الكفار فى باطن الأمر؟ قال يا أبا الحجاج لى فوائد بينهم لا أبلغ مثلها لو كنت مع المسلمين، قلت له صف لى، قال توحيدى وإسلامى وأعمالى خالصة لله عزّ وجلّ وحده، ما لأحد اطلاع عليها، وآكل حلالا ما فيه شبهة، وأنفع المسلمين نفعا، لو كنت أكبر ملوكهم ما بلغته من الدفع عنهم، وأكفّ عنهم أذى الكفار حتى لا يصل إليهم، وأفعل فى الكفار من القتل والإفساد لأحوالهم ما لو كنت أعظم ملوك المسلمين ما فعلته، وسأريك من بعض تصرّفاتى فيهم، ثم ودعنى وودعته، وقال لى ارجع إلى حالتك، فأخفيت نفسى واحتجبت عن الناظرين، فخرج الملك وقعد على باب الكنيسة وقال: أئتونى بجميع من يختصّ بالكنيسة، فأحضروا له جماعة منهم وعرضوهم عليه، وقالوا هذا بطريقها، وهذا شماسها، وهذا راهبها، وهذا مشارف أوقافها، وهذا جابى رباعها، قال: فمن يخدمها؟ قالوا له فلان يعنون الذى وقفنى على الكنيسة، اشترى أسيرا ووقفه على خدمتها، فأظهر غضبا عظيما وقال: تكبرتم جميعا عن خدمة بيت الربّ، وجعلتم رجلا من غير الملة نجسا يخدم بيت الربّ، فأخذ السيف وضرب رقاب الجميع فى حجة الغيرة على بيت الربّ، وأمر بإحضارى، فظهرت لهم، فقدمونى إليه، فقال هذا خادم الكنيسة التى يتبرّك بها يستحقّ فى مقابلة كبر هؤلاء الإكرام والتعظيم والخلع والمركوب، وإطلاقه إلى وطنه وأهله، ففعلوا بى ذلك وانصرفت عنه رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما.

**(الحكاية السادسة والخمسون بعد الأربع مئة عن بعضهم)** روى أن أمير المؤمنين بالمغرب المسمى يعقوب رحمه الله تعالى رأى مرأى وأحوالا من أحوال المريدين؛ وسببه أنه قتل أخاه غيرة على الملك، فندم على قتل أخيه ندما أورثه توبة أثرت فى باطنه أحوالا حسنة، وتغير عليه من نفسه ما لا يعهده لثمرة التوبة، فما كان أبركه عليه ذنبا * وفى مثل هذا قال القائل:

**وربّ قطيعة جلبت وصالا وكم ذا فى الزوايا من خبايا**

فشكا ما يجده لمريدة كانت تدخل قصره، فقالت له هذه أحوال المريدين، فقال كيف أعمل بنفسى، ومن يعرفنى ويداوينى، قالت له الشيخ أبو مدين سيد

هذه الطائفة فى هذا الزمان، فبعث يعقوب إلى الشيخ أبى مدين وطلبه طلبا حثيثا والتجأ إليه، فاقتضى إجابة الشيخ أبى مدين له، فقال قولوا له نطيع الله عزّ وجلّ سبحانه وتعالى بطاعته، وأنا ما أصل إليه بل أموت بتلمسان، وكان الشيخ يومئذ فى بجاية، فلما وصل إلى تلمسان قال لرسل يعقوب: سلموا على صاحبكم، وقولوا له شفاؤك على يد أبى العباس المرينى، ونفعك على يده، ومات الشيخ أبو مدين بتلمسان رضى الله تعالى عنه ونفعنا به، ومضت الرسل إلى يعقوب فأخبروه بما أوصى به الشيخ له، فطلب الشيخ أبا العباس المرينى طلبا حثيثا، وسير إليه فى كلّ الجهات إلى أن ظفروا به، فأخبروه بما عليه من الطلب، فوجد من الحقّ سبحانه إذنا بالاجتماع به، فمشى إليه واجتمع به، ففرح يعقوب بذلك، ثم أمر بذبح دجاجة وخنق أخرى وأن يطبخ كل واحدة منهما على حدة وقدمها بين يدى الشيخ، وسأله أن يتناول، فنظر الشيخ إليهما وأمر الخادم برفع المخنوقة وقال هذه جيفة، وأكل من الأخرى، فسلم يعقوب نفسه له وأنزل نفسه منزلة خادم، وفتح له على يده، وترك الملك وسلمه لابنه واشتغل مع الشيخ وثبتت قدمه فى الولاية ببركة الشيخ أبى العباس، وإشارة الشيخ أبى مدين رضى الله تعالى عن الجميع ونفعنا بهم. ومما جرى ليعقوب أن الناس كانوا محتاجين إلى المطر، فقال أبو العباس ليعقوب بعد أن خرجا إلى خارج البلد: صلّ واستسق للمسلمين فقال له يعقوب أنت أحقّ بذلك يا سيدى وأولى، فقال له الشيخ بهذا أمرت، فصلى يعقوب ودعا فنزل المطر على الفور رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما والمسلمين آمين.

**(الحكاية السابعة والخمسون بعد الأربع مئة عن الشيخ صفى الدين)**

قال الشيخ صفىّ الدين رحمه الله: رأيت امرأة كبيرة الشأن يعظمها الأولياء والعلماء مغربية يقال لها ستّ الملوك زارت بيت المقدس فى وقت كان فيه الشيخ الكبير الشأن علىّ بن علبس: بفتح العين المهملة والباء الموحدة وسكون اللام بينهما وفى آخره سين مهملة، اليمانى رضى الله تعالى عنه، قال الشيخ علىّ المذكور: كنت فى بيت المقدس، وإذا أنا أشهد حبلا من نور مدّ لى من السماء إلى قبة كانت فى المسجد، فمشيت إلى القبة، فوجدت فيها هذه المرأة ستّ الملوك والنور الذى شهدته متصل بها، فطلبت الولىّ سفيان اليمانى من

الأكابر وأرباب الهمم العالية، وكان معمر الأوقات بالصلاة، ظهر فى جهة من اليمن بعد وصوله إلى ديار مصر وحجه، وشهد له جماعة كثيرة لما رأوا من كراماته ﷺ ونفعنا به * قلت: هذا سفيان الذى قدمت ذكره فى قتله لليهودى الذى ذبحه فى عدن من أجل رفعته على المسلمين واستخدامه لهم يمشون تحت ركابه بولاية السلطان. وقد بلغنى أنه قتل يهوديا آخر فى تعز بالحال بأن قال له تفعل كذا وكذا وإلا قطيت رأس هذا القلم، وكان فى يده رضى الله تعالى عنه قلم وسكين، فقال اليهودى قط القلم وما علىّ من قطته فقط رأس القلم، وإذا برأس اليهودى مقطوع يدحرج على الأرض، وله كثير من الكرامات العظيمات، وكان فقيها قد اشتغل بالعلم وحصل حتى قيل له إن أردتنا فاترك القولين والجهتين، فترك ذلك واشتغل بالله تعالى * وأما وصولى إلى ديار مصر فقد بلغنى أنه سافر إليها ليحضر الجهاد فى دمياط، وكان فتح المسلمين على يديه، وكان قد قال لهم بعض من أطلعهم الله على ما شاء من الغيب: إن فتح دمياط يكون على يد رجل من أهل اليمن * وممن حضر الجهاد بدمياط الفقيه العالم الولىّ العارف عبد الرحمن النويرى ﷺ، واستشهد، قال الأفرنجى الذى قتله ضربت عنقه، ثم قلت له بعد أن مات: يا قسيس المسلمين أنتم تقولون فى قراءتكم (ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) قلت له ذلك بطريق التهكم، ففتح عينيه ورفع رأسه وقال بصوت قوىّ: نعم أحياء عند ربهم يرزقون، ثم سكت فعندما رأيت ذلك وسمعت ما سمعت، نزع الله الكفر من قلبى وأسلمت على يده، وأرجو الله أن يغفر لى ببركته وإسلامى على يديه انتهى كلامه، وكان يقال بعد ذلك للشيخ عبد الرحمن الشهيد الناطق، وله كرامات كثيرة رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الثامنة والخمسون بعد الأربع مئة عن الشيخ صفى الدين)**

قال: كنت فى السياحة تألف إلىّ الوحوش وتجلس حولى وأمشى بينها كأننى منها، وإلى يوم خطر لى دخول العمران، وتذكرت طفلا صغيرا كان يقرب لى، ثم رأيت غزالة صغيرة من الوحوش التى حولى، فخطر فى نفسى لو كانت معى هذه الغزالة أحملها للطفل، فعندما خطر لى هذا الخاطر نفر عنى الجميع وتباعدت وصارت تنظر إلىّ خلاف ما كانت عليه، فاستغفرت الله وتباعدت

من ذلك الخاطر، فعادت إلىّ كما كانت رضى الله تعالى عنه * وقال آخر منهم كنا جماعة نذهب فى أى وقت شئنا إلى أىّ مكان شئنا تطوى لنا الأرض، فلما كان بعض الأيام اشتريت لأولادى دارا، وأخذت بذلك كتابا كتب لى فيما يتعلق بالدار وشرائها، فأرسل إلىّ أصحابى بعد ذلك الموعد بيننا المكان الفلانى، فرجعت إلى حالى الذى كنت أعهده فلم أجده معى، فأرسلت إليهم أقول لهم ذلك الجناح الذى كنت أطير به قد قص، فأرسلوا إلىّ يقولون انظر من أين أُتيت، واقطع العلاقة التى قطعتك، قال: فقطعت كتاب شراء الدار المذكورة فإذا بحالى قد عاد إلىّ، فالتقيت بهم فى المكان الذى ذكروا، ورضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم أجمعين.

**(الحكاية التاسعة والخمسون بعد الأربع مئة عن الشيخ صفى الدين)**

قال الشيخ صفى الدين رضي الله عنه: كان الشيخ مفرج وليا عظيم الشأن، وكان عبدا حبشيا اصطفاه الله بلا أسباب معلومة ولا مقدمات معهودة، أخذه عن حسه المعهود أخذة عظيمة أقام فيها ستة أشهر ما استطعم فيها طعاما ولا شرابا، فلما رأى سيده حاله تغير ضربه فلم يتأثر بالضرب، فظن أن به الجنون، فاستندب شخصا لضربه ليفيق ويتناول الغذاء، فكان الضارب يقول للجنية بزعمه اخرجى، فيقول الشيخ مفرج قد خرجت يعنى نفسه، فقيدوه وغابوا عنه ثم جاءوا إليه فوجدوا القيد فى ناحية وهو فى ناحية أخرى فحبسوه وغابوا عنه فوجدوه خارجا عن المكان الذى حبس فيه، فلما تكاثرت عليهم كراماته أحضروا أفراخا مشوية، فقال لها طيرى فطارت أحياء بإذن الله تعالى، فسكتوا عنه، وتواترت كراماته واشتهرت ولايته وظهرت بركاته، رضي الله عنه.

**(الحكاية الستون بعد الأربع مئة عن بعض الشيوخ)** حكى أنه كان بعض الشيوخ بالرقة، فشكى إليه والى الرقة حتى تغير عليه خاطره، فاتفق أن الوالى مرّ يوما على الشيخ، فصاح عليه صيحة واحدة قال له فيها مت فمات فى الحين * وتكلم هذا الشيخ يوما فى الكرامات، فقالت له عجوز لها عليه إدلال كم فشار وكم دعاوى والناس هلكى من عدم المطر، فكاشف الشيخ عليها، فخرجت من عنده وركبت بغلتها وكانت تربى أولاد الملوك، فلما بلغت بعض

الطريق إذا سحابة قد أرخت مطرا غزيرا، وهبت ريح فرمتها عن البغلة فى الطين ثم قامت فركبت ورجعت إلى الشيخ وقالت: قلنا إنك أنزلت المطر بجاهك فلأى شىء رميتنى من فوق البغلة فى الطين؟ قال لكثرة فضولك * وقال رضي الله عنه كان الملك نور الدين ملك الشام معدودا عندنا من الأولياء الأربعين، كان صلاح الدين من الثلاث مئة، وكانت الأبدال إذا رأوا نور الدين يقول لهم كيف أنا عندكم؟ فيقولون أنت أصلح الظلمة، مع ما كان عليه من أوصاف الولاية، رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الحادية والستون بعد الأربع مئة عن بعضهم)** روى أنه كان الشيخ أبو محمد بن الكبش رضي الله عنه يجتمع بالخضر عليه السلام فى أكثر الأوقات، وكان له صاحب معروف كبير موسر، فقال له يوما يا أخى مالى منك نصيب، فقال فماذا؟ قال تجمع بينى وبين الخضر يوما وتسأله أن يظهر لى حتى أراه، فقال أنا أقول له، فقال للخضر عليه السلام صاحبى فلان قصد رؤيتك، فقال صاحبك مايريدأن يرانى، فقال سبحان الله هكذا قال لى، فقال قل له أنا يوم الجمعة أقصد إلى رؤيته، فلما كان يوم الجمعة بادر الرجل إلى مطمر له فيه قمح ففرق منه إلى قريب وقت الجمعة شكرا لإجابة الخضر عليه السلام إلى زيارته، ثم أغلق الباب وتوضأ وجلس على سجادته يذكر الله تعالى وينتظر الوعد، فدقّ الباب رجل، فقال للجارية انظرى من بالباب، فخرجت فوجدت رجلا عليه أطمار، فقال لها قولى لسيدك رجل يريد الاجتماع بك، فأخبرته فقال لها ما صفة الرجل؟ قالت عليه أطمار، فقال مسكين لاشك أنه يريد من القمح الذى سمع عنه، قولى له يرجع بعد الصلاة، فقالت له ذلك فمضى، فلما كان بعد الصلاة اجتمع الرجل بابن الكبش وقال له جلست فى انتظاره وما رأيته اليوم، قال له ياقليل التوفيق هو الذى خرجت الجارية إليه وقلت لها قولى له ارجع بعد الصلاة ثم قال تريد أن ترى الخضر وعلى بابك الحجاب، فقال الجارية عندى حرّة لوجه الله تعالى، وصار إذا دقّ أحد الباب خرج إليه بنفسه، رحمه الله تعالى.

**(الحكاية الثانية والستون بعد الأربع مئة)** قال المؤلف كان الله له. سمعت من غير واحد يحكى أن بعض التجار قال: كنت مسافرا ومعى دابة عليها

قماش، فلما دخلت مصر واختلطت بالناس نظرت إلى الدابة فلم أجدها، ففتشت عليها وسألت عنها فلم أعلم لها خبرا، فقال لى بعض أصحابى ائت الشيخ أبا العباس الدمنهورى لعله يدعو لك، وكنت أعرفه قبل ذلك، فجئت إليه وسلمت عليه وحكيت له قصتى، فما أصغى إلى كلامى: ولا فرّحنى بحاجتى، ولكن قال لى عندنا ضيفان نطلب لهم كيت وكيت من الدقيق واللحم والحوائج، فخرجت من عنده وأنا أقول والله لارجعت إليه، هؤلاء الفقراء مايعرفون إلا حوائجهم، أتيت إليه وأنا مضرور فما سمع شكواى ولا دعا لى، بل طلب منى قضاء حاجته، فمضيت على هذه النية فوجدت بعض من لى عليه دين فأمسكته، وقلت له ما أفارقك حتىٰ تخلصنى، فدفع إلىّ ستين درهما أو نحو ذلك، فلما حصل لى ذلك قلت فى نفسى والله لأخاطرنّ معه فى هذه، فإما حصل لى الجميع وإلا ذهبت مع ماذهبت فى سبيل الله تعالى، فاشتريت جميع ماذكر لى الشيخ وفضل معى فضلة فاشتريت بها علبة حلاوة، وحملت الجميع حمالا وقصدت الشيخ فلما وصلت قريب الزاوية إذا أنا بدابتى واقفة على باب الزاوية، فقلت فى نفسى هذه دابتى، ثم قلت وأين دابتى لعلها تشبهها؟ فلما دنوت منها وجدتها دابتى بعينها وعليها القماش بحاله كما كان، فتعجبت من ذلك، ثم قلت أخلى من يحفظها أو أدخل بها الزاوية لئلا تذهب، ثم قلت الذى سلمها وحفظها علىّ هو يحفظها، ثم دخلت على الشيخ فوضعت الحوائج كلها بين يديه، فاستعرضها حاجة حاجة حتى انتهى إلى العلبة الحلاوة فقال إيش هذه؟ فقلت ياسيدى فضلت معى فضلة فاشتريت بها هذه، فقال هذه لم تكن داخلة فى الشرط، ولكنى أزيدك بها زيادة، اذهب إلى القيسارية وبع قماشك ولا تستعجل عليه، وكلما بعت شيئا فاقبض ثمنه، ولا تخف أن يرد عليك أحد من التجار، فالبحر فى يمينى والبرّ فى شمالى، قال فمضيت إلى القيسارية فوجدت جميع ما كان معى من القماش مطلوبا، فبعته بزيادة كثيرة على العادة جدا، وكلما بعت شيئا قبضت ثمنه حتى بعت الجميع وقبضت ثمنه، فلما فرغت من ذلك أقبل التجار من البرّ والبحر كأنهم قد أطلقوا انتهى كلامه، قلت وهذا الشيخ أبو العباس له كثير من الكرامات النفاس المشهورات عند الناس، رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الثالثة والستون بعد الأربع مئة عن الشيخ أبى العباس بن العريف)** روى عن الشيخ أبى العباس بن العريف رضي الله عنه أنه قال: أصبحت يوما ضيق الصدر، وكان لى صاحب يعرف بأبى محمد الطرابلسى، فقلت له يا أبا محمد أصبح اليوم قلبى منكوسا فعساك تحكى لى حكاية من حكايات الصالحين، قال نعم، كنت يوما ببلد إفريقية فى العشر الأول من ذى الحجة فإذا أنا بثلاثة نفر وقوف على رأسى، فقالوا يا أبا محمد هل لك فى المسير إلى الحجّ؟ فقلت الرأى على ما رأيتموه، فقالوا عوّل هل بركة الله تعالى، فتقدمنى الواحد منهم وتأخر الاثنان منهم، فساروا فكان إذا أتى الليل خرج الواحد منهم عن الطريق فأتى بعرجون موز، فيقول ههنا عجوز دفعت إلىّ هذا فبعد ثلاث ليال وإذا بأحد منهم قال لى يا أبا محمد أبشر هذه جبال تهامة، فحججت معهم ووافقت فى صحبتهم، فلما آن وقت الرجوع، قالوا لى أنت فى دعة الله فقلت لهم تسوموني الفرقة فقالوا لا بد من ذلك ومضوا وعدلت إلى عيذاب ووصلت إلى أسوان، فقالت لى نفسى تمضى إلى الإسكندرية فلعل أحدا من معارفنا يطلعنك فى البحر إلى المغرب، فقلت لها وإلى الآن لم تؤمنى والله لا دخلت الصحراء إلا من ههنا، فكنت إذا احتجت الوضوء أو الشراب أقول وعزّة المعبود لا أبرح حتى أتوضأ وأشرب فتظلنى سحابة فلا تزال تمطر حتى ترجع غديرا فأتوضأ وأشرب، وإذا جعت قلت كذلك، فما برحت على هذه الحالة حتى رجعت إلى المكان الذى خرجت منه، وها أنا أتخبط يا أحمد وأنت تلبث ثياب الأمراء، وتنظر إلى وجوه الشباب وتقول قلبى نكس شيخ سوء مثلى قلبه نكس، وأما أنت فمنكوس كنت ومنكوس بقيت، قال أبو العباس فوالله مانسيت برد قوله، فمنكوس كنت ومنكوس بقيت إلى أن ألقى الله تعالى رضى الله تعالى عن الجميع ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية الرابعة والستون بعد الأربع مئة عن الشيخ ابن العريف)** روى عن الشيخ ابن العريف أيضا رضي الله عنه قال: أصبحت يوما مهموما، فقلت للشيخ أبى القاسم بن روبيل: حدثنى بحكاية عسى الله أن يفرج مابى، فقال نعم، وصف لى رجل ببعض السواحل يعرف بأبى الخباز. فقصدته على ساحل البحر، فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم أكلمه، حتى إذا كان وقت الصلاة أقبل نفر

من بعض الأودية متفرّقون، فاجتمعوا إليه وتقدمهم واحد منهم، فصلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم واحد منهم أحدا، وجلس الشيخ مكانه وجلست عنده حتى إذا كان وقت الصلاة أقبل النفر فصلوا، ثم انصرفوا حتى جاء وقت العصر فاجتمعوا وصلوا، ثم جلسوا بعد ذلك وتذاكروا فى سير الصالحين ومقامات الأولياء إلى قريب الاصفرار، ثم تفرّقوا واجتمعوا للمغرب، ثم تفرّقوا فجلست عندهم ثلاثة أيام وهم على ذلك، ثم وقع فى نفسى أن أسأله عن مسألة أستفيدها فتقدمت إليه وقلت: أيها الشيخ مسألة أسأل عنها، فقال قل فنظر الجماعة إلىّ كالمنكرين ففزعت، فقلت له أيها الشيخ متى يعلم المريد أنه مريد؟ فأعرض عنى ولم يجبنى، فخفت أن أكون قد أغضبته، فقمت عنه، فلما كان فى اليوم الثانى قلت لابد أن أسأله عن المسألة وعزمت على ذلك، فتقدمت إليه وقلت أيها الشيخ متى يعلم المريد أنه مريد؟ فأعرض عنى كالأول ولم يجاوبنى، فقمت وعدت إليه فى الثالثة وسألته عن المسألة بعينها فاجتمع إلىّ وقال لاتقل هكذا، أظنك تريد أن تسأل عن أول قدم يضعه المريد فى الإرادة؟ فقلت نعم، فقال لى إذا اجتمع فيه أربع خصال: أن تطوى له الأرض وتكون عنده كقدم واحد، وأن يمشى على الماء، وأن يأكل من الكون متى أراد، وأن لاتردّ له دعوة؛ فعند ذلك يضع أول قدمه فى الإرادة، وأما متى علم المريد عندنا أنه مريد سقط من حدّ الإرادة، قال الشيخ أبو العباس بن العريف رضي الله عنه فصحت صيحة واحدة كادت نفسى تذهب معها ثم قلت له آيستنا من الإرادة يا أبا القاسم، وتعجبت من علوّ همة هذا الشيخ رضي الله عنه وعن الجميع ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية الخامسة والستون بعد الأربع مئة: عن الشيخ عبدالله القرشى)**

أنه سمع شيخه أبا يزيد القرطبى رضي الله عنه يقول لما سأله عن بدايته رجاء فائدة ينتفع بها قال: يابنىّ أمر غريب، ما أدخلنى فى هذا الطريق إلا أمر مزعج، وإنما كنت من التجار كان لى دكان فى العطارين، وكنت لاأبيع من السلع إلا ما عزّ ثمنها وعزّ وجودها، وكان لباسى مثل ذلك، فدخلت يوما إلى الجامع لأصلى صلاة الصبح قضاء، فلما تممت الصلاة رأيت حلقة كبيرة، فمضيت إليها وأنا حينئذ لا علم لى بالصالحين إلا على مايقوله العوام من أنهم فى البرارى والجبال، فوقفت عليهم وسمعت القارئ يقرأ فى حكايات الصالحين ومجاهداتهم مثل حكاية أبى يزيد، فقلت فى نفسى بصوت لايسمعنى إلا من

قرب منى: سبحان الله مثل هذا يدون فى الكتب؟ فقال لى رجل وبأىّ شىء تدوّن الكتب؟ فقلت هذا الذى يحكيه شبيه الكذب، رجل يترك الماء سنة ويعيش؟ فقال لى الرجل لا تنكر، فبينا أنا أراجعه الكلام، وإذا فى الحلقة شخص عليه سلهام قد أكل أطرافه الشجر، فرفع رأسه إلىّ وقال أما تستحى أن تتكلم فى الصالحين؟ فقلت وأين الصالحون؟ ثم تركتهم ومضيت وأنا متعجب، فلما كان قرب الظهر وأنا جالس فى الدكان على العادة أبيع وأشترى، وإذا أنا بالرجل صاحب السلهام قد مرّ فرأيته ولم يرنى، فمشى عنى ثم رجع وإذا به كأنه يطلبنى، فقال لى سلام عليك، فقلت وعليكم السلام؟ فقال ما اسمك؟ قلت عبدالرحمن، فقال لى أتعرفنى؟ فقلت نعم أنت الرجل الذى تكلمت معه فى الحلقة، فقال وأنت على تلك العقيدة أو تبت؟ فقلت ما أعرف لى عقيدة أتوب منها، فاتكأ بصدره على صخرة قدام الدكان وقال: يا أبا يزيد أىّ شىء تقول فى عمل الصالحين؟ فقلت أين أولئك؟ فقال نعم، يمشى فى الأسواق رجال لو قال أحدهم هكذا وأشار إلى حجر كان معى فى قاع الدكان فتحرك معه، فانفجر منه فرجتان كان فيهما رهون الناس، فوثبت فأمسكتهما ورددتهما إلى مكانهما، ثم قلت وهل يعطى لرجل المقدرة على مثل هذا؟ فقال وأىّ شىء هذا فى جنب مايحكم الإنسان فيه، قلت وفيماذا يحكم به غير هذا؟ فقال: لو قال للدكان انخلع عن مكانك لانخلع، فرأيت الدكان قد تحرك حركتين فلم يبق فيه زجاجة ولا آنية إلا تحركت حتى خفت أن ينطبق علىّ، فبقيت متحيرا، فتركنى ومضى وكان فىّ غريزة عقل، فقلت إذا كان مثلى يفنى عمره فى هذا الدكان كيف يمكنه الاجتماع بمثل هؤلاء القوم؟ فلما كان الغد ذهبت إلى الحلقة أسمع كلام القوم سماعا آخر، فوالله ما أبقى فى السماع وسعا أن أمضى إلى الدكان، فمضيت إلى خالى ودفعت له المفاتيح وكان هو صاحب الدكان، فقال أين تمضى؟ فقلت له سآتى إن شاء الله تعالى ولم يعلم قصدى، فلم أرجع إلى الدكان بعد ذلك، رضي الله عنه ونفعنا به.

**(الحكاية السادسة والستون بعد الأربع مئة عن بعضهم)** روى أنه كان سيدى الشيخ العارف أحمد بن الرفاعى قدّس الله روحه وأعاد علينا من بركاته، يقرأ القرآن وهو شاب على الشيخ العارف على ابن القارئ الواسطى رضي الله عنه، فصنع شخص طعاما ودعا إليه الشيخ ابن القارئ وأصحابه وجماعة

آخرين من المشايخ والقرّاء وغيرهم، فلما أكلوا من الطعام كان معهم قوّال، فشرع يغنى بدفّ فى يديه وسيدى أحمد جالس عند نعال القوم ونعل الشيخ ابن القارئ معه، فلما طاب القوم واستراحوا وتواجدوا، وثب سيدى أحمد بن الرفاعى إلى القوّال وخسف الدفّ الذى كان معه، فالتفت المشايخ إلى الشيخ علىّ بن القارئ ونافروه فيما صدر من سيدى أحمد، وقالوا لى هذا صبى مالنا معه مطالبة، والمطالبة عليك، فقال لهم الشيخ ابن القارئ اسألوه فإن أتى بالجواب وإلا فعلىّ المطالبة، فالتفتوا إليه وقالوا له لم كسرت الدف؟ فقال لهم: أى سادة نرجع إلى أمانة القول يخبرنا بما يخطر بباله، فأىّ شىء قال اتبعناه، فسألوا القوّال عما خطر بباله فقال: إنى كنت بارحة أمس عند أقوام يشربون، فسكروا وتمايلوا كتمايل هؤلاء المشايخ، فخطر لى أن هؤلاء كأولئك، فلم يتم خاطرى حتى قام هذا الصبى وخسف الدف فعند ذلك نهض المشايخ إلى سيدى أحمد وقبلوا يده واعتذروا له ﷺ ونفعنا بهم آمين.

قلت وإنما تمايلوا بشراب المحبة الذى أشار إليه الشيخ الكبير العارف أبو الحسن الشاذلى ﷺ لما قيل له ماشراب الحبّ، ومن الساقى، وما الذوق، وما الشوق، وما الرىّ، وما السكر. وما الصحو؟ فقال الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب، والكأس هو اللطف الموصل ذلك إلى أفواه القلوب، والساقى هو المتولى الخصوص الأكبر والصالحين من عباده، وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أحبابه، فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظى بشىء منه نفسا أو نفسين ثم أرخى عليه الحجاب، فهو الذائق المشتاق، ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقا، ومن توالى عليه الأمر ودام له الشراب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله تعالى المخزونة، فهو الرّى، وربما غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدرى ما يقال له ولا مايقول، فذلك هو السكر، وقد تدور عليهم الكؤوسات، وتختلف لديهم الحالات. ويردّون إلى الذكر والطاعات، ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات، فذلك وقت صحوهم أو اتساع نظرهم ومزيد علمهم، فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون فى ليلهم، وبشموس المعارف يستضيئون فى نهارهم (أولئك حزب الله الا إن حزب الله هم المفلحون)، وقال بعض الشيوخ الكبار العارفين بالله: المحبة أخذة من الله قلب

من أحبّ الله أن يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله، قال ويكون الشرب بالتدريب بعد التدريب والتهذيب: فيسقى كل منهم على قدره؛ فمنهم من يسقى بغير واسطة والله سبحانه يتولى ذلك، ومنهم من يسقى من جهة الوسايط كالملائكة والعلماء والأكابر من المقرّبين والصدّيقين والعارفين، فمنهم من يسكر بشهود الكأس ولم يذق بعد شيئا، فما ظنك بعد بالذوق وبعد بالشرب وبعد بالريّ وبعد بالسكر بالمشروب ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى، كما أن السكر أيضا كذلك رضي الله عنه. وفى السكر برؤية الكأس قلت:

**حميا برؤيا كاسها سكر ناظر فكيف بمن من تلك بالكاس يشرب**

**بها شارب للراح كل مشاهد جمال جلال ليس عن ذاك يحجب**

**(الحكاية السابعة والستون بعد الأربع مئة. عن بعضهم)** قال: هلّ علىّ هلال رمضان، فساعة رؤيته أطلعنى الله سبحانه على ليلة قدره أىّ ليلة هى، وعرّفنى بها فتحققتها، فلما كانت الليلة المعنية ليلة القدر، كنت أهرب منها كما يهرب الغريم من غريمه وأنوارها تضىء وتلمع فى عينى وأنا أقول. وعزّتك ياربّ وجلالك ما أحتاج معك إلى ليلة القدر. وقال بعضهم: أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة القدر. وأنشدوا فى معنى ذلك:

**لولا شهود جماله فى ذاتى ماكنت أرضى ساعة بحياتى**

**ماليلة القدر المعظم شأنها إلا إذا عمرت بها أوقاتى**

**إن المحبّ إذا تمكن فى الهوى والحبّ لم يحتج إلى ميقاتى**

وقال بعضهم: رأيت الملائكة ليلة ست وعشرين من رمضان فى بعض السنين وهم فى تهيئة وتعبية كما يتهيأ أهل العرس له قبله بليلة، فلما كانت ليلة سبع وعشرين وهى ليلة جمعة، رأيت الملائكة تنزل من السماء ومعها أطباق من نور. فلما كانت ليلة ثمان وعشرين رأيت تلك الليلة كالمتغيظة وهى تقول: هب أن لليلة القدر حقا يراعى. أمالى حقّ يرعى؟ انتهى كلامى رضي الله عنه. قلت: لعلّ تغيظها على الناس لتركهم إحياءها مع كونها جارة لليلة القدر، وحقّ الجار أن يكرم بشىء مما أكرم به جاره. وأما أطباق النور المذكورة فلعلها هدية

إلى من أحيا ليلة القدر الشريفة. ومن أناله الله تعالى شيئا من بركة تلك اللية، والله أعلم. وقد ذكر بعضهم أنه رأى فى ليلة القدر كلّ شىء ساجدا لله عزّ وجل حتى الشجر والحجر، ورأى الأنوار قد ملأت الوجود من العرش إلى الفرش. وقال لى بعض الفقراء: رأيت فى الليلة المذكورة مكتوبا بالنور (ربنا لا تزغ قلوبنا) الآية. قلت: وهذه إشارة إلى الاهتمام بهذا الدعاء، وأن يأمن لا أحد من مكر الله. اللهم إنا نعوذ بك من مكرك (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب).

**(الحكاية الثامنة والستون بعد الأربع مئة عن بعض العلماء)** قال: رأيت الإمام أبا حامد الغزالى رضي الله عنه فى البرية وعليه مرقعة وبيده ركوة وعكاز، وقد كان قبل ذلك يحضر مجلسه فى بغداد مئة عمامة من أبناء الأمراء. وقيل كان يدرس لثلاث مئة ويحضر مجلسه العلماء الفضلاء والطلبة النجباء، قال فقلت له يا إمام أليس تدريس العلم ببغداد خيرا من هذا؟ فنظر إلىّ شزرا وقال: لما بزغ بدر السعادة فى فلك الإرادة وجنحت شموس الأصول إلى مغارب الوصول.

**تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل ... وعدت إلى مصحوب أوّل منزل**

**ونادت بى الأشواق مهلا فهذه ... منازل من تهوى رويدك فانزل**

ونادت يعنى قال لسان حال الأشواق وصلت إلى منازل الأحباب، فدع عنك تعب السير والمشاقّ. وقد ذكرت نبذة من مناقبه فى كتاب (الإرشاد)، وقد شهد له خلائق من الأولياء بالولاية العظمى والمقام العالى الأسنى ودرجة الصديقية وشرف المعالى، فلا التفات إلى ذمّ كل حاسد مشئوم. وكل معاند محروم، وكل أعمى عن محاسنه غير موفق، سوف يرى إذا كشف الغطاء وتحقق:

**سيدرون فيما بعد أيام حامد ... لمن شرف العليا وفخر المحامد**

**إذا حجة الإسلام بان مقامه ... لكلّ الورى ما بين خلّ وحاسد**

**بيوم به عال مقام محمد ... عليه صلاة الله زين المشاهد**

**شفيع الورى مولى البرايا مقدما ... له مشهد يحلو لكل مشاهد**

**(الحكاية التاسعة والستون بعد الأربع مئة)** روى أنه كان سيدى أحمد بن الرفاعى رضي الله عنه إذا طلب منه أحد أن يكتب له عوذة ولم يكن عنده مداد، يأخذ الورقة ويكتب عليها بغير مداد، فكتب يوما لشخص بغير مداد، فأخذ الشخص الورقة وغاب مدّة ثم جاء بها ودفعها إليه ليكتب له فيها ممتحنا له، فلما نظر إليها قال: أى ولدى هذه مكتوبة، وردّها إليه من غير ضجر * وكان فى حياته رضى الله عنه شخصان قد تحابا فى الله تعالى، ولزم كل واحد منهما الآخر، وكان اسم أحدهما وهو الأكبر معالى بن يوسف واسم الآخر عبد المنعم، فمكثا على ذلك سنين، فلما كان بعد أيام خرجا إلى الصحراء وجلسا يتحدثان، فسأل عبد المنعم الشيخ معالى عما حصل له فى ملازمته إياه فى تلك المدة، وأمره الشيخ معالى أن يتمنى، فقال عبد المنعم: أى سيدى عبدك يريد الساعة كتاب عتقنا من النار ينزل علينا من السماء، فقال الشيخ معالى إن كرم الله واسع فضله لا يحدّ، فبينما هما كذلك إذ سقطت عليهما ورقة بيضاء من السماء، فقال الشيخ معالى لعبد المنعم خذ هذه الورقة، فقام وأخذها فلم ير فيها شيئا مكتوبا، فقال قم بنا إلى سيدى أحمد حتى نعرضها عليه، فأتياه ودفعا إليه الورقة ولم يعرّفاه ماذا جرى لهما، فنظر فيها ثم خرّ ساجدا لله تعالى؛ فلما رفع رأسه من سجوده قال: الحمد لله الذى أرانى عتق أصحابى من النار فى الدنيا قبل الآخرة، فقيل له: أى سيدى هذه الورقة بيضاء ما فيها شىء من الكتابة؟ فقال: أى أولادى، يد القدرة لا تكتب بسواد، وهذه مكتوبة بالنور، ثم دفعها إليهما، فلما مات عبد المنعم جعلت فى كفنه، رضى الله تعالى عن الجميع ونفعنا بهم.

**(الحكاية السبعون بعد الأربع مئة عن الشيخ جمال الدين)** روى أن الشيخ جمال الدين خطيب أونية، بضم الهمزة وكسر النون وفتح الياء المثناة من تحت، كان من كبار أصحاب سيدى أحمد قدّس الله روحه، وكان فى أونية بستان، فأراد أن يشتريه لضرورة دعته إلى شرائه، فطلب يوما من سيدى أحمد أن يرسل إلى صاحب البستان. وهو الشيخ إسماعيل بن عبد المنعم شيخ أونية، ويكلمه فى بستانه ويشتريه منه، فقال سيدى أحمد سمعا وطاعة، أى أخى أنا أمشى إليه، ثم قام ومشى معه إلى صاحب البستان وكان منزله فى أونية فشفع

إليه فى البيع المذكور فأبى، فكرر الشفاعة فقال: أى سيدى إن اشتريته منى بما أريد بعتك، فقال أى إسماعيل قل لى كم تريد فى ثمنه؟ فقال أى سيدى تشتريه منى بقصر فى الجنة، فقال أى ولدى من أنا حتى تطلب منى هذا؟ اطلب منى مهما أردت من الدنيا، فقال أى سيدى ما أريد شيئا من الدنيا سوى ما ذكرت، فنكس سيدى أحمد رأسه واصفر لونه وتغير، ثم رفعه وقد تبدلت السفرة بحمرة وقال أى إسماعيل قد اشتريت منك البستان بما طلبت، فقال أى سيدى اكتب لى خطك بذلك، فكتب له فى ورقة: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشترى إسماعيل بن عبد المنعم من العبد الفقير الحقير أحمد بن أبى الحسن الرفاعى ضامنا له على كرم الله تعالى قصرا فى الجنة، تحفه أربعة حدود: الأول إلى جنة عدن، الثانى إلى جنة المأوى، والثالث إلى جنة الخلد، والرابع إلى جنة الفردوس، بجميع حوره وولدانه وفرشه وأسرّته وأنهاره وأشجاره عوض بستانه فى الدنيا، والله له شاهد وكفيل، ثم طوى الكتاب وسلمه إليه، فأخذه ومضى إلى أولاده وهم على الدالية يسقون ذرة كانوا قد ذرعوها فى البستان المذكور، فقال انزلوا فقد بعت البستان المذكور على سيدى أحمد، فقالوا كيف بعته ونحن محتاجون إليه؟ فعرّفهم بما جرى من حديث القصر وأن خطه فى يده بذلك، فأبوا أن يرضوا إلا أن يجعلهم شركاء فيه، فقال انزلوا فهو لى ولكم والله على ما نقول وكيل، فرضوا ونزلوا واستولى الخطيب على البستان وتصرف فيه، ثم بعد مدة يسيرة توفى الشيخ إسماعيل بائع البستان إلى رحمة الله تعالى، وكان قد وصى أولاده أن يجعلوا ذلك الكتاب فى كفنه ففعلوا ودفنوه، فلما أصبحوا من الغد وجدوا على قبره مكتوبا: (قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) رضى الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

**(الحكاية الحادية والسبعون بعد الأربع مئة عن بعضهم)** حكى أنه خرج سيدى أحمد قدّس الله روحه ليلة وقت السحر يتوضأ بين النخيل، فمرّت به سفن مصعدة فيها الشحنة، وجماعة من أتباع ديوان واسط، ومعهم جماعة من المدادين وخلفهم جندى من أتباع الديوان، فلما نظر الجندى إلى سيدى أحمد قال له: أى شيخ قم معنا، فقام ومشى قدامهم، فأدخله مع المدادين، فمر

سيدى أحمد معهم حتى وصل إلى القرية المعروفة ببذرية، بالباء الموحدة والذال المعجمة والراء والياء المثناة من تحت، وقت صلاة الصبح، فرآه فقير، فصاح واستغاث، فاجتمع الفقراء حوله وأكثروا الضجيج، فلما علم أصحاب السفينة أنه سيدى أحمد انزعجوا مما وقع منهم، وعظم عليهم، وجاءوا إليه ووقفوا بين يديه معتذرين مما جرى لهم، فقال لهم: أى سادة وحياتكم ما كان إلا الخير، قضينا لكم حاجة وكسبنا الحسنة وما ضرّ نفسى، وأنا ما أزال جالسا فى الرواق ما أعمل شيئا، وأنتم تسخرون ضعيفا أو من له صنعة وتبطلونهم من صنائعهم وتأثمون فيهم، فإذا عرض لكم حاجة بعد فأعلمونى حتى أساعدكم إلى أن أتعب فأرجع، فقالوا نحن نستغفر الله مما جرى، فتوّبنا وارض عنا، فتوّبهم وقال لهم رضى الله عنكم وعنا، ثم دعا لهم وودعهم فقال له الجندى الذى سخره: أى سيدى هؤلاء القوم رضيت عنهم، فالبعيد الشقى كيف يكون حاله؟ فقال له الله تعالى يرضى عنك، فقال له: أى سيدى توّبنى، فأخذ العهد عليه وتوّبه وقال له: ربنا يشهد علينا أننا إخوة دنيا وأخرى، ثم صعدوا إلى واسط، فترك الجندى خدمة أبناء الدنيا والملوك ورجع إلى سيدى أحمد فأخبره بترك الخدمة، ولازم طاعة الله سبحانه وتعالى، وصار من خيار الناس رحمة الله تعالى عليه ورضوانه.

**(الحكاية الثانية والسبعون بعد الأربع مئة: عن بعض الأخيار)** قال: سمعت بالشيخ أبى الفضل بن الجوهرى المصرى قدّس الله روحه، فخرجت من بلدى وعقدت النية لزيارته فدخلت مصر يوم جمعة فحضرت مجلس وعظه مع جملة الناس، فإذا بشيخ بهىّ المنظر مليح المخطر عليه رياش وأثواب رفيعة وعمامة شرب وطيلسان كذلك، وله همة عالية وقباء واسع، أو قال ودنيا واسعة، فقلت فى نفسى هذا ابن الجوهرى الذى قيل فيه ما قيل، وسارت الركبان بصلاحه ودينه وورعه وكثرة صفاته وقوّة إيمانه وصفاء يقينه، وهو على هذا الزىّ واللباس، فبقيت متعجبا من ذلك ومضيت وتركته على تلك الحال، فبينما أنا سائر فى بعض أزقة مصر وشوارعها إذا بامرأة تصيح بأعلى صوتها وتنوح وتبكى وتقول: وامصيبتاه، وابنتاه، وافضيحتاه، فتقدمت إليها رحمة لها مما تعمل بنفسها، وقلت مالك أيتها المرأة وما قصتك؟ فقالت لى يا سيدى أنا امرأة

من أرباب البيوتات ولم يكن لى من الأولاد سوى بنية واحدة، فربيتها بجهدى وحفظتها بكليتى إلى أن ترعرعت واستوت، فخطبها منى رجل من المسلمين وصلاح العالمين، فعلمت أنه كفء لها فزوّجتها به وهذه ليلة دخولها على بعلها، وقد اعترض لها عارض من الجانّ فأذهب عقلها، فقلت لها شفقة عليها ورحمة لها: لا بأس عليك فعلىّ دواؤها وإصلاح شأنها بلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فسكن ما بها ومضت قدامى، فلم أزل أتبع أثرها إلى أن أتت بى إلى دار عالية البنيان مليحة الأركان، فأذنت لى، فصعدت إلى مجلس فيه من جميع الأفنان مما يصلح لأهل العرس والولدان، فأمرنى بالجلوس فجلست، وإذا بابنتها تلتفت يمينا وشمالا مما حلّ بها من أمر الجان بحكم العزيز المنان مع ما فيها من الحسن والجمال، فقرأت عليها عشر آيات من القرآن على السبع القراءات، فتكلم عند ذلك الجان بلسان فصيح يسمعه القريب والبعيد وقال: يا شيخ أبا بكر لا تفتخر علينا بقراءتك على الروايات السبع، فنحن سبعون صنفا من الجن الذين أسلمنا على يد علىّ رضى الله عنه يوم بئر ذات علم، ونحن جئنا فى يومنا هذا نصلى وراء الشيخ صالح أبى الفضل بن الجوهرى الذى احتقرته وظننت به ما ظننت، فاستغفر الله تعالى من ذلك، وتدارك غفلتك؛ بالتوبة إلى ربك فبينما نحن عابرون على دار هذه الصبية لأجل الصلاة وراء الشيخ الصالح فى هذا اليوم الشريف اعترضتنا، فرمت علينا نجاسة، فسلم أصحابى وتنجست أنا وأحرمتنى الصلاة خلف الشيخ الولىّ، ففعلت بها ما رأيت غضبا عليها، فقلت له بحرمة هذا الشيخ الصالح الذى جئتم إليه من أجل الصلاة وراءه إلا خرجت عنها، فقال لى سمعا وطاعة، فخرج عنها فى الحال وعوفيت الصبية من ساعتها، وأرخت قناعها على وجهها استحياء منى، كأن لم يكن بها شىء، ففرحت والدتها بذلك فرحا شديدا، وقالت جزاك الله عنا خيرا، وسترك كما سترتنا، ثم خرجت فى ساعتى وقد عقدت النية على زيارة الشيخ المذكور، فلما رآنى مقبلا إليه تبسم ضاحكا وقال لى: أهلا وسهلا بالشيخ أبى بكر الذى ما صدق بخبرنا حتى أخبره الجان عنا، فوقعت عند كلامه هذا مغشيا علىّ، وأقمت فى السماع مدة، ولزمت صحبة الشيخ فى زاوية من رباطه بعد أن تبت إلى الله عزّ وجلّ أن لا أنكر كرامات الصالحين، رضى

الله تعالى عنهم ونفعنا بهم أجمعين * قلت: وبلغنى أن الشيخ الكبير العارف بالله أحمد بن الجعد اليمنى زار فى بدايته الشيخ الكبير العارف بالله تعالى عيسى المعروف بالهتار اليمنى، فرأى عليه ثيابا جميلة وبزة حسنة، فتغير اعتقاده ورجع إلى خلفه، فناداه الشيخ عيسى: تعال يا غلام إنى لم ألبس هذه حتى أبليت فى الله تعالى كذا وكذا جلدا؛ فزال عنه ذلك، وأتى إليه وسلم عليه، وطلب منه الدعاء رضى الله تعالى عنهما آمين.

**(الحكاية الثالثة والسبعون بعد الأربع مئة عن سفيان الثورى)** حكى أن سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه: كلمه أصحابه لما رأوا ما هو عليه من شدّة الخوف وكثرة المجاهدة والجهد، فقالوا له يا شيخ لو نقصت عن هذه المجاهدة التى نراها بك نلت مرادك إن شاء الله تعالى، فقال لهم كيف لا أجتهد كل الاجتهاد وقد بلغنى أن أهل الجنة يكونون فى منازلهم، فيتجلى لهم نور عظيم تضىء له الجنان الثمان من شدة ضيائه وحسن بهائه، فيظنون أن ذلك نور من قبل الرحمن سبحانه وتعالى فيخرّون ساجدين، فينادى مناد: ارفعوا رؤوسكم ليس هو الذى تظنون إنما هو نور حورية تبسمت فى وجه زوجها، فظهر من تبسمها هذا النور، فليس يا إخوانى يلام من اجتهد فى طلب الحور الحسان، فكيف بمن يطلب المولى الرحمن؟ ثم أنشأ يقول:

**ما ضرّ من كانت الفردوس منزله ... ماذا تحمل من بؤس وإقتار**
**تراه يمشى نحيلا خائفا وجلا ... إلى المساجد يسعى بين أطمار**
**يا نفس ما لك من صبر على النار ... قد حان أن تقبلى من بعد إدبار**

**(الحكاية الرابعة والسبعون بعد الأربعة مئة: عن أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه)** قال: قصدت سنة من السنين الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام على قدم التجريد، فبينما أنا سائر فى بعض الطريق إذا أنا بشاب حسن الثياب من أهل العراق سائر يقصد معى ما أقصد، فكان إذا سارت الرفقة قرأ كتاب الله تعالى، وإذا نزلوا صلى، وهو مع ذلك نهاره صائم وليله قائم، لم يزل هذا دأبه حتى وصلنا مكة شرّفها الله تعالى، فأراد الشاب مفارقتى وتوديعى، فقلت له يا بنىّ ما الذى هيجك لما رأيته

منك؟ فقال يا أبا سليمان لا تلمنى، فإنى رأيت فى منامى قصرا من قصور الجنة مبنيا بلبنة من ذهب ولبنة من فضة، وكذلك شرايفه، وبين كل شرافتين حورية لم ير الراءون مثلها لما بها من الحسن والجمال والبهاء والكمال، وقد أرخين ذوائب شعورهن، فتبسمت إحداهن فى وجهى فأنارت الجنة بنور ثناياها، ثم قالت يا فتى جدّ لله تبارك وتعالى فى طلبى لأكون لك وتكون لى، ثم استيقظت من منامى، فهذه قصة حالى، فحقيق علىّ يا أبا سليمان أن أجدّ، فمن جدّ وجد، وما رأيته منى من الاجتهاد فهو فى خطبة حورية، قال فسألته الدعاء، فدعا لى وآخانى فى الله تعالى ثم سارعنى قال أبو سليمان فعاتبت نفسى فقلت: يا نفس تيقظى واسمعى هذه الإشارة التى هى بشارة، إذا كان هذا الاجتهاد كله فى طلب حورية، فكيف بمن يطلب ربّ الحورية عزّ وجلّ؟ * قال المؤلف أحسن الله تعالى خاتمته: هذه المنامات التى يراها الصالحون أسرار يظهرها الحقّ سبحانه لهم فى مرآة القلوب الصافية بالرؤيا الصالحة التى هى جزء من أجزاء النبوّة يبشرهم ويعظهم بها ليزدادوا جدّا وزهدا، وليسوا كأمثالنا الذين نوعظ ولا نتعظ * ومن المواعظ العجيبة ما اتفق فى أيام سماع هذا الكتاب علىّ وذلك أنّ بعض الناس قالت له نفسه: ليت أحدا يبيعك جارية للتسرى ويصبر عليك بثمنها إلى الموسم ثم تبيعها، فبينما هو يتمنى ذلك إذ جاءه بعض الفقراء المباركين قبل أن يطلع على ذلك أحد غير الله سبحانه وتعالى، فقال له رأيت فى المنام كأنك فى قبة يعلوها نور وكأن عندك جارية، وكأنّ خارج القبة سبعا من الحور العين ذوات جمال فائق ورؤية فاخرة وهن مشتاقات إليك، قالت واحدة منهنّ وهى تشير إليك هذا الشيخ مجنون أنا أعشقه وهو يعشق هذه الجارية * قلت وفى هذا المعنى أقول:

| | |
|---|---|
| يا عاشقا للغوانى مغرما بهوى | دار الغرور وعيش شيب بالكدر |
| إن الغوانى الحسان الحور مسكنها | دار السرور على فرش على السرر |
| فى سندس الفرش أقمار على سرر | من اليواقيت فى قصر من الدرر |
| يشاهد المخ فى الساقين ناظرها | من فوق سبعين ملبوسا من الحبر |
| قد طرن شوقا إلى أزواجهنّ كما | يشتاق للغائب المحبوب فى السفر |

**(الحكاية الخامسة والسبعون بعد الأربع مئة عن بعض الصالحات)** حكى أن بعض الصالحات وهى شعوانة رضى الله تعالى عنها رزقت ولدا، فربته أحسن تربية، فلما كبر ونشأ قال لها: سألتك بالله يا أماه إلا ما وهبتنى لله سبحانه وتعالى فقالت يا بنىّ إنه لا يصلح أن يهدى للملوك والرؤساء إلا أهل الأدب والتقى، وأنت يا ولدى غرّ لا تعرف ما يراد بك، ولم يأن لك ذلك، فأمسك عنها ولم يقل لها شيئا فلما كان ذات يوم خرج إلى الجبل ليحتطب ومعه دابة له، فلما توسط الجبل نزل عن الدابة وأقبل يحتطب ويجعل فى حبله حتى جمع حزمة وربطها، وجاء يطلب الدابة ليحمل عليها الحطب، فوجد السبع قد افترسها، فجعل يده فى رقبة السبع وقال له يا كلب وحقّ سيدى لأحملنك الحطب كما تعديت على دابتى، فحمل على ظهره الحطب وجعل يقوده وهو طائع لأمره حتى وصل إلى دار أمه، فقرع عليها الباب فقالت: من بالباب؟ فقال ولدك الفقير إلى رحمة الله ربّ الأرباب، ففتحت له، فلما رأت الحطب على ظهر الأسد، قالت يا بنىّ ما هذا؟ فحكى لها القصة، فسرّت بذلك وعلمت أن الله جلّ جلاله قد عنى به واصطفاه لخدمته، فقالت له أما الآن يا بنىّ فقد صلحت لخدمة الملوك، اذهب فقد وهبتك لله عزّ وجلّ وأنت وديعتى إياه، فودّعها وشيعته بالدعاء، ثم أنشأت تقول:

| | |
|---|---|
| **جعل الرضا لسباقه ميدانا** | **فجرى وأطلق من يديه عنانا** |
| **فتقدّم السباق فى غسق الدجى** | **يطوى القفار ويطلب الأوطانا** |
| **هجر الخلائق والعلائق فى رضا** | **محبوبه وتجنب الإخوانا** |
| **شرب الظما حتى تعطش قلبه فغدا** | **وراح من بعد الظما ريانا** |

رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهم وجميع الصالحين.

**(الحكاية السادسة والسبعون بعد الأربع مئة عن ذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه)** قال: كنت فى البادية قاصدا مكة، فغلبنى العطش، فملت إلى حىّ بنى مخزوم، فرأيت جارية صغيرة حسناء جميلة وهى تترنم بالأشعار، فعجبت منها لصدور ذلك عنها وهى من جملة الصغار، فقلت لها: يا هذه الجارية أما فيك حياء؟ فقالت يا ذا النون، إنى شربت البارحة بكأس الحب

مسرورة، فأصبحت اليوم فى حبّ مولاى مخمورة، فقلت لها يا جارية أراك حكيمة فأوصينى بوصية، فقالت يا ذا النون عليك بالسكوت، والرضا من الدنيا بالقوت حتى تزور فى الجنة الحىّ الذى لا يموت، فقلت لها هل عندك ماء؟ فقالت أنا أدلك على الماء، فظننت أنها تدلنى على بئر ماء أو عين، فقلت نعم، فقالت إن الناس يسقون يوم القيامة على أربع مراتب: ففرقة تسقيهم الملائكة قال الله تعالى (بيضاء لذّة للشاربين). وفرقة يسقيهم رضوان خازن الجنة قال الله تعالى (ومزاجه من تسنيم). وفرقة يسقيهم المولى جلّ جلاله وهم الخواصّ من عباده قال الله تعالى (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) فلا تعط سرّك فى دنياك غير مولاك حتى يسقيك مولاك عقباك، رضى الله عنها *

قلت: هكذا وقع فى الأصل ذكر ثلاث فرق وليس فيه ذكر الرابعة، ولعلّ ذلك - والله أعلم - وفرقة تسقيهم الولدان قال عزّ من قائل (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين) وتكون هذه الفرقة فى الترتيب غير الأخيرة، وتكون الأخيرة هى الفرقة التى سقاهم ربهم شرابا طهورا، لأن الختام لا يكون إلا بالأفضل الأشرف الأكمل، والله سبحانه وتعالى أعلم.

**(الحكاية السابعة والسبعون بعد الأربع مئة: عن ذى النون أيضا رضي الله عنه)**

قال: بينا أنا أطوف إذ لمع نور فلحق بعنان السماء، فتعجبت منه، فأتممت طوافى وأسندت ظهرى إلى الكعبة أفكر فى ذلك النور، فسمعت صوتا شجيا بنغمة حسنة فتبعت الصوت فإذا أنا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول:

**أنت تدرى يا حبيبى ... من حبيبى؟ أنت تدرى**

**ونحول الجسم والدمـ ... ـع يبوحان بسرّى**

**قد كتمت الحب حتى ... ضاق بالكتمان صدرى**

قال: فلما سمعت قولها انتحبت وبكيت، ثم قالت إلهى وسيدى ومولاى، بحبك لى إلا ما غفرت لى، فقلت يا جارية ما يكفيك أن تقولى بحبى تقولى بحبك لى، فمن أين علمت أنه يحبك؟ قالت إليك عنى يا ذا النون، أما علمت أن لله تبارك وتعالى أقواما يحبهم ويحبونه، أحبهم قبل أن يحبوه؛ أما علمت قول الحقّ سبحانه وتعالى (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له، فقلت لها من أين علمت أنى ذو النون؟ فقالت يا

بطال جالت القلوب فى ميدان الأسرار، فعرفتك بمعرفة العزيز الجبار، فقلت إنى أراك ضعيفة البدن نحيلة الجسم، فهل بك علة؟ فأنشأت تقول:

محبّ الله فى الدنيا عليل  تطاول سقمه فدواه داه

كذا من كان للبارى محبا  يهيم بذكراه حتى يراه

ثم قالت انظر من خلفك، فالتفتّ ورائى فلم أجد أحدا، فرددت وجهى نحوها فلم أرها، ولم أر أين ذهبت وأنا فى كل وقت أتوسل إلى الله عزّ وجلّ بها فأرى ببركتها القبول والإجابة رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها آمين.

**(الحكاية الثامنة والسبعون بعد الأربع مئة: عن بعض الصالحين)** قال: كنت متوجها من منى إلى عرفات، فلقيتنى جارية عليها مسح من شعر وقناع من صوف، وبيدها سبحة وعكاز، وعلى وجهها نور الطاعة والعبادة، وهى مهرولة فى مشيتها تقول الله الله، فقلت فى نفسى هذه جارية مدعية، فقالت (ويعلم ما تبدون وما تكتمون) فعلمت أنها ولية لله تعالى فقلت لها: يا جارية كلى بكلك بك مشغول، فقالت: يا مسكين وكلى لكلك مبذول، ولكن ورائى من هو أحسن منى، فالتفتُّ فلم أر أحدا، فقالت بعلوّ صوتها يا مدعى يا كذاب ما هكذا فعل الأحباب بالأحباب، أما الأول فإنك أسأت الظن بخدام ربّ الأرباب، وأما لو جئت إليه حقا وعرفته صدقا لأوقفك على بابه لما رأيناك من بعيد حسبناك عابدا، فلما رأيناك من قريب حسبناك عارفا، فلما كلمتنا حسبناك عاشقا، ولو كنت عابدا له ما اشتغلت بغيره، ولو كنت عارفا به ما رجعت منه إلينا، ولو كنت عاشقا لنا ما رجعت منا إلى سوانا، ثم هربت عنى مسرعة وهى تقول: ما مع الله سوى الله حتى غابت عنى، رضى الله تعالى عنها.

وحكى عن الشبلى رضي الله عنه: أنه أتاه جماعة من المارستان، فقال لهم إيش أنتم؟ فقالوا محبوك يا أبا بكرٍ فرماهم بالحجارة فهربوا، فقال يا كذّابون أين المحبة؟ لو صدقتم فى محبتكم لما هربتم، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية التاسعة والسبعون بعد الأربع مئة عن امرأة عابدة)** حكى أنه كان فى بنى إسرائيل امرأة عابدة، وكانت ابنة ملك من ملوكهم، فخطبها رجل من أبناء الملوك فأبت أن تتزوّج به، ثم قالت لجارية لها انطلق والتمسى لى رجلا

ورعا زاهدا ناسكا فقيرا، فانطلقت الجارية فوجدت فقيرا عابدا ورعا، فجاءت به إلى مولاتها، فقالت له إن شئت أن تتزوّج بى ذهبت معك إلى من يعقد نكاحىَ عليك، ففعل، فعقدوا النكاح، ثم قالت له انطلق بى إلى أهلك، فقال والله ما أملك إلا هذا الكساء الذى على ظهرى هو دثارى بالليل ولباسى بالنار، فقالت إنى قد رضيت بك على ذلك، فانطلق بها إلى أهله، وكان يكسب بالنهار ويأتيها بالليل بما تفطر عليه، ولم تكن تفطر بالنهار بل تصوم تطوّعا لله تعالى، وكان إذا أتاها بشىء أفطرت عليه وحمدت الله تعالى على كل حال، قالت الآن تفرّغت للعبادة، فلما كان ذات يوم لم يفتح عليه بشىء يأتيها به، ففزع من ذلك وشقّ عليه وقال: زوجتى جالسة فى بيتها وهى صائمة تنتظر أن آتيها بشىء تفطر عليه، فقام فتوضأ وصلى ودعا ربه تبارك وتعالى وقال: ياربّ إنك تعلم أنى ما أسألك لدنياى وإنما ذلك لرضا زوجة صالحة، اللهم ارزقنى رزقا من لدنك فإنك خير الرازقين، قال فنزلت عليه لؤلؤة من السماء، فأخذها وذهب بها إلى امرأته، فلما نظرت إليه راعها ذلك وقالت له: من أين أتيت بهذه اللؤلؤة التى لم أر مثلها قط عند أهلى؟ فقال لها طلبت اليوم قوتا فلم يفتح لى بشىء، فقلت امرأتى جالسة فى بيتها تنتظر ما آتيها به تفطر عليه وهى بنت ملك ولا أقدر أذهب إليها بغير شىء، فدعوت ربى سبحانه وتعالى فرزقنى هذه اللؤلؤة من السماء، فقالت ارجع إلى مكانك الذى دعوت الله تعالى فيه فابتهل إليه واسأله وقل: اللهمّ سيدى ومولاى إن كان هذا شيئا رزقتنا فى الدنيا فبارك لنا فيه، وإن كان مما ادخرته لنا فى الآخرة الباقية فارفعه، ففعل الرجل ذلك، فرفعت اللؤلؤة، فرجع إليها فأخبرها بذلك، فقالت الحمد لله الذى أرانا ما ادخر لنا فى الآخرة، ثم قالت لا أبالى الآن أن لا أقدر على شىء من هذه الدار الفانية، وشكرت الله تعالى على ذلك رضى الله تعالى عنهما.

**(الحكاية الثمانون بعد الأربع مئة: عن أحمد بن عبد الله المقدسى رحمه الله تعالى)** قال: صحبت إبراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه، فسألته عن بداية أمره وما كان سبب انتقاله من الملك الفانى إلى الملك الباقى؟ فقال لى: أخى كنت جالسا فى أعلى قصر مملكتى والخوّاص قيام على رأسى، فأشرفت من الطاق فرأيت رجلا من الفقراء جالسا بفناء القصر وبيده رغيف يابس،

فبله بالماء بملح جريش وأنا أنظر إليه إلى أن فرغ من أكله، ثم شرب شيئا من الماء، وحمد الله تعالى وأثنى عليه ونام فى فناء القصر، فألهمنى الله سبحانه الفكر فيه، فقلت لبعض مماليكى إذا قام ذلك الفقير فائتنى به، فلما انتبه من نومه، قال له الغلام: يا فقير إن صاحب هذا القصر يريد أن يكلمك، فقال بسم الله وبالله توكلت على الله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلىّ العظيم وقام معه ودخل علىّ، فلما نظر إلىّ سلم علىّ، فرددت عليه السلام وأمرته بالجلوس فجلس، فلما اطمأن قلت له: يا فقير أكلت وأنت جائع فشبعت؟ قال نعم، قلت وشربت الماء على شهوة فرويت؟ قال: نعم، قلت ثم نمت طيبا بلا هم ولا غمّ فاسترحت؟ قال نعم فقلت فى نفسى وأنا أعاتبها يا نفس ما أصنع بالدنيا والنفس تقنع بما رأيت وسمعت، فعقدت التوبة فى تلك الساعة مع الله تعالى فلما انصرم النهار وأقبل الليل لبست مسحا من الشعر وقلنسوة من الصوف وخرجت حافيا سائحا إلى الله تعالى، فلحقنى رجل حسن الوجه والثياب طيب الرائحة فتقدمت إليه وصافحته وسلمت عليه، فرد علىّ السلام وقال لى يا إبراهيم أين تريد؟ فقلت هربت منه إليه، فقال لى أنت جائع؟ قلت نعم، فقام الشيخ وصلى ركعتين خفيفتين وقال لى قم فصل كما صليت، ففعلت ذلك، والتفتّ فإذا عن يمينه طعام موضوع وماء بارد، فقال يا ابن أدهم تقدم وكل من فضل الله تعالى واشكر ربك على ذلك، فتقدمت وأكلت من الطعام كفايتى وهو باق على حاله، وشربت من ذلك الماء وحمدت الله تبارك وتعالى، فقال لى الشيخ يا ابن أدهم اعقل وافهم ولا تستعجل فى أمورك فإن العجلة من الشيطان، واعلم أن الله تعالى إذا أراد بالعبد خيرا اصطفاه لنفسه وجعل فى قلبه سراجا من نور قدسه يفرّق به بين الحقّ والباطل ، ويبصر به عيوب نفسه، وإنى أريد أن أعلمك اسم الله الأعظم، فإذا أنت جعت أو عطشت فادع الله تعالى به فإنه سيشبعك ويرويك. يا ابن أدهم إذا جالست الأخيار والفقراء فكن لهم أرضا يطئونك، ولا تغضبهم فإن الله عزّ وجلّ يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم، قال ثم علمنى الاسم الشريف المنيف، ثم قال استودعتك الله الحىّ القيوم الذى لا يموت، ثم حجب عنى، فأخذت الطريق فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة مليح البزة، فسلمت عليه، فردّ علىّ السلام وقال:

ما حجتك يا ابن أدهم، ومن لقيت فى سفرك هذا؟ فقلت لقيت شيخا من صفته كذا وكذا، فبكى الفتى وأبكانى، فقلت له: يا سيدى أقسمت عليك بالله تعالى، من ذلك الشيخ ومن أنت؟ قال: أما الشيخ فأخى إلياس، وأنا أبو العباس الخضر عليهما السلام، قال ففرحت فرحا شديدا والتزمته إلى صدرى وقبلت ما بين عينيه وصافحته وسألته الدعاء، فدعا لى بالثبات والعصمة، ثم غاب عنى فلم أدر أين ذهب فهذه قصة حالى فى ابتداء أمرى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين * قلت: هذه إحدى الروايتين فى بداية أمره، والرواية الأخرى هى المشهورة، وهى ما قدمنا فى أول الكتاب أنه خرج يصطاد فهتف به هاتف على ما تقدم، والله تعالى أعلم.

**(الحكاية الحادية والثمانون بعد الأربع مئة: عن محمد بن يعقوب الخراسانى رضى الله تعالى عنه)** قال: خرجت من بلدى على نية السياحة والتوكل، فلم أزل على ذلك إلى أن أتيت بيت المقدس، ثم وقفت فى مغارة فى تيه بنى إسرائيل، فمكثت أياما لم أطعم طعاما ولم أشرب شرابا حتى أشرفت على الموت فبينا أنا كذلك إذ رأيت راهبين يسيران وهما أشعثان أغبران، فملت إليهما وسلمت عليهما وقلت لهما أين تريدان؟ فقالا لا ندرى، فقلت أفتدريان أين أنتما؟ فقالا نعم نحن بمملكته وبين يديه، قال فأقبلت على نفسى بالملامة والمعاتبة أقول لها: يا نفس هذان الراهبان قد ثبتا على التوكل دونك مع كونهما كافرين، ثم قلت لهما أما تأذنان لى فى صحبتكما؟ قالا يكون خيرا إن شاء الله تعالى، قال فسرنا جميعا، فلما أمسينا قاما إلى صلاتهما ومعبودهما، وقمت إلى صلاتى ومعبودى، فصليت المغرب بالتيمم، فنظرا إلىّ وقد تيممت بالتراب، فتبسما ضاحكين، فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما الأرض بيده، فإذا بالماء قد ظهر كأنه اللؤلؤ على الصفا، فبقيت باهتا، ثم التفت فإذا بطعام موضوع عن يمينه فتعجبت من ذلك، فقالا لى مالك باهتا متعجبا، تقدم وتناول من الطعام الحلال، واشرب من بارد هذا الماء الزلال، واعبد ربك الكريم ذا الجلال، قال فتقدمت وأكلنا جميعا من الطعام وشربنا من الماء، ثم توضأت للصلاة وقضيت صلاتى، ثم غار الماء كأنه لم يكن، فقاما إلى صلاتهما وقمت إلى صلاتى فى جانب آخر حتى أصبح الصباح، ثم قاما يسيران، فسرت

معهما إلى الليل، فلما أمسينا تقدم الراهب الثانى فصلى ودعا بدعوات خفية، ثم بحث الأرض بيده فنبع الماء كما نبع لصاحبه، وإذا بطعام موضوع عن يمينه، ثم قال لى تقدم وكل واشرب واعبد ربك، فأكلنا وشربنا وتوضأنا للصلاة، ثم غار الماء كأنه لم يكن، فلما كانت الليلة الثالثة قالا لى يا محمدى الليلة ليلتك والنوبة نوبتك، قال فاستحييت من قولهما وداخلنى من ذلك أمر عظيم، فقلت لهما يكون خيرا إن شاء الله تعالى، ثم عدلت عنهما إلى جانب وصليت ركعتين وقلت: اللهمّ سيدى ومولاى إنك تعلم أن ذنوبى كثيرة لم تدع لى عندك جاها ولا وجها ولكن أسألك بالوجيه الكريم ذى الجاه الجسيم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أن لاتخجلنى بينهما؛ فلما فرغت من دعائى التفت فإذا أنا بعين ماء جارية وطعام عن يمينى موضوع، فقلت لهما تقدما وكلا من فضل الله تعالى، فتقدما وأكلنا وشربنا وحمدنا الله على كل حال، ولم نزل على ذلك إلى أن بلغت النوبة الثانية، فدعوت الله تعالى بمثل ما دعوته أولا، فإذا أنا بالماء قد نبع والطعام قد حضر، فلما بلغت النوبة الثالثة دعوت الله تعالى بمثل ما دعوت به فيما تقدم فإذا بطعام اثنين وشراب اثنين، فانكسر قلبى فقالا لى يا محمدى من أين حدثت عليك هذه الحادثة، أما ترى فى طعامك وشرابك تقصيرا؟ فقلت لهما: أما تعلمان أن هذا الأمر مردود إليه، ونحن تحت حكمه ومشيئته، وديننا ومذهبنا، يقتضى ذلك، أعنى عسرا ويسرا، وشدة ورخاء، ومنعا وعطاء، حتى يجرّب صبرنا، فقالا لى صدقت يامحمدى إن هذا ربٌّ عظيم ودين سليم مدّ يدك فنحن نشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدا رسول الله ﷺ وأن دين الإسلام حقّ وما سواه باطل، فقلت لهما يا إخوتاه هل لكما أن نمضى إلى بعض المدن برسم الجمعة والجماعة، فالجمعة حجّ المساكين فقالا لى ذلك رأى سديد وفعل رشيد، فبينما نحن نسير على عزم ذلك إذ أشرفنا على عمارة وكانت ليلة مظلمة، وإذا نحن ببيت المقدس، فدخلناه وأقمنا به مدة طويلة نعبد الله تعالى ورزقنا يأتينا من حيث لا نحتسب، إلى أن قضيا نحبهما وقدما على ربهما، رضى الله تعالى عنهما.

**(الحكاية الثانية والثمانون بعد الأربع مئة عن معروف الكرخى)** حكى أن معروفا الكرخى رضى الله تعالى عنه مرّ على شاطئ الدجلة، فجلس ليتوضأ،

فوضع مصحفه وثوبه، فجاءت امرأة فأخذتهما، فتبعها معروف حتى لحقها فى مكان خال لئلا يهتكها، فقال لها لا بأس عليك أيتها المرأة أنا معروف الكرخى، يا أختى هل لك ولد يقرأ؟ قالت لا، قال فزوج؟ قالت لا، قال فأخ؟ قالت لا، قال فادفعى إلىّ المصحف وخذى الثوب وأنت منه فى حلّ دنيا وآخرة، فاستحيت المرأة منه حياء شديدا، ثم قالت أنا تائبة إلى الله عزّ وجلّ لا أعود إلى مثلها أبدا، ففرح معروف بتوبتها وخصها بدعوة ومضى كل منهما لسبيله، وحلت عليها بركة معروف رحمة الله تعالى عليهما * حكى أن الربيع بن خيثم رضى الله تعالى عنه كان ذات يوم قائما يصلى وفرسه مربوطة قدامه، فجاء سارق فحلّ الفرس وركبها ومضى وهو يراه، فلم يقطع صلاته وكانت قيمة الفرس عشرين ألف درهم، فجاءه أصحابه يلومونه ويقولون له يا ربيع إيش هذا التفريط، تنظر السارق يأخذ جوادك وأنت ساكت، أما كنت تقطع الصلاة وتسترده منه ثم تعود إلى صلاتك فقال لهم يا قوم كنت فيما هو أهمّ علىّ، أو قال أحبّ إلىّ من الفرس ومن مئة ألف فرس، وقد جعلته فى سبيل الله تعالى، رضى الله تعالى عنه * قلت: وبلغنى أن الشيخ الإمام محيى الدين النووى رضى الله تعالى عنه خطف سارق عمامته وهرب، فتبعه الشيخ وصار يعدو خلفه ويقول له: ملكتك إياها قل قبلت، والسارق ما عنده خبر من ذلك.

**(الحكاية الثالثة والثمانون بعد الأربع مئة عن ذى النون المصرى)** حكى عن ذى النون رضي الله عنه أنه قال: رأيت بعض أصحابى فى النوم بعد موته، فقلت له ما فعل الله بك؟ قال غفر لى ببركتك محبتى فيك، وأدخلنى الجنة، وعرض علىّ منازلى فيها، قال ذلك ووجهه حزين، فقلت له مالى أراك حزينا وقد دخلت الجنة وتنعمت فيها؟ فتنفس الصعداء ثم قال: يا ذا النون لا أزال حزينا إلى يوم القيامة، قلت ولم ذلك؟ قال لما رأيت منازلى فى الجنة رفعت لى مقامات فى عليين ما رأيت مثلها، فلما رأيتها فرحت فرحا شديدا وهممت بدخولها، فنادانى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليس له هذه، إنما هذه لمن أمضى السبيل فى سبيل الله تعالى، يعنى كلما أصابه شىء من أمور الدنيا قال فى سبيل الله ثم لا يرجع فيه، فلو كنت أمضيت السبيل لأمضينا لك النيل رحمه الله تعالى * وعن أبى الحسن الدمشقى رحمة الله تعالى عليه قال:

رأيت منصور بن عمار الواعظ رَحِمَهُ اللَّهُ فى المنام، فقلت له ما فعل الله تعالى بك؟ فقال لى قال ربى جل جلاله وتقدست أسماؤه: يا منصور بن عمار فقلت له نعم ياربّ، فقال أنت الذى كنت تزهد الناس فى الدنيا وترغبهم فى الآخرة؟ قلت قد كان ذلك ياربّ، ولكنى ما جلست مجلسا إلا وبدأت بالثناء عليك، وثنيت بالصلاة على نبيك محمد ﷺ، وثلثت بالنصيحة لعبادك، فقال صدقت ضعوا له كرسيا يمجدنى فى سمائى بين ملائكتى كما كان يمجدنى فى أرضى بين عبادى، رضى الله تعالى عنه. قلت هكذا هو فى الأصل الذى نقلت منه تزهد الناس فى الدنيا وترغبهم فى الآخرة، وقد كنت رأيته فى كتاب آخر تزهد الناس فى الدنيا وترغب أنت فيها، وهذا هو المطابق لسياق هذا الكلام، لأنه مشعر بنوع ملام، فاستدركه بما ذكر فيه من الأشياء المحمودة المقام رَحِمَهُ اللَّهُ.

**(الحكاية الرابعة والثمانون بعد الأربع مئة عن بعضهم)** حكى أنه أمسك الغيث عن بغداد حتى كاد أهلها يهلكون، فاغتسلوا وتطهروا وخرجوا إلى الصحراء يسألون الله عزّ وجلّ أن يسقيهم غيثه يوما بعد يوم فلم يسقوا، وكان ذلك فى خلافة هارون الرشيد رحمه الله تعالى، فبينما هم كذلك يلوذون ويتوسلون إذا برجل قد أقبل من صدر البرية أشعث أغبر ذى طمرين، ومعه ثلاث بنات عذارى كأحسن البنات، ووقف فى أطراف الناس وسلم عليهم، فردوا عليه السلام، فقال يا قوم ما لكم وقوفا مجتمعين؟ فقالوا يا شيخ إنا دعونا الله عزّ وجلّ أن يسقينا غيثه فلم يسقنا، فقال يا قوم أهو غائب عنكم فى المدينة حتى خرجتم إلى الصحراء، أليس هو سبحانه وتعالى فى كل مكان موجودا، أما قال تبارك وتعالى فى محكم تنزيله (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) فبلغ هارون الرشيد خبره، فقال هذا الكلام رجل بينه وبين مولاه سريرة، ثم قال ائتونى به؛ فلما حضر بين يديه وتسالما، فصافحه هارون وأجلسه بين يديه، ثم قال له يا شيخ ادع الله تعالى أن يسقينا عسى أن يكون لك عنده جاه، فتبسم الشيخ وقال أتريدون أن أدعو لكم إلهى وسيدى ومولاى؟ فقالوا نعم، فقال توبوا بنا جميعا إلى الله عزّ وجل، فنودى فى الناس بالتوبة، فتابوا وأنابوا، ثم تقدم الشيخ فصلى ركعتين خفيفتين، فلما سلم أخذ بناته عن يساره وعن يمينه وبسط يديه وأسبل دمعته ودعا، فما استتم الدعاء إلا

والسماء قد تجللت بالسحاب وأرعدت وأبرقت وأسبلت مطرا كأفواه القرب، فاستبشر الرشيد بذلك واجتمع إليه خواصه وأهل مملكته يهنئونه ويبشرونه، فقال عليّ بالشيخ الصالح فطلبوه فوجدوه فى مكانه ساجدا فى الماء والطين لله ربّ العالمين، فقالوا لبناته: ما لأبيكن هكذا لا يرفع رأسه؟ فقلن هذه عادته إذا سجد لله تعالى لا يفيق ولا يرفع رأسه إلى ثلاثة أيام، فأخبروا بذلك الرشيد، فبكى بكاء شديدا وقال اللهم إنى أسألك وأتوسل إليك بحرمة الصالحين أن تهبنا لهم وتفيض علينا من جزيل بركاتهم بفضلك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الخامسة والثمانون بعد الأربع مئة: عن السريّ رضى الله تعالى عنه)** قال: مررت يوما فى بعض البرارى مع جماعة من إخوانى على قصر قد أناخ عليه الزمان بكلكله، فهدم أركانه وحطم بنيانه، وقد بقيت معالمه وأبوابه، وعلى أبوابه لوح مكتوب، فنفضت التراب عن ذلك الكتاب، ثم تأملته فإذا هو مكتوب فيه:

**هو السبيل فمن يوم إلى يوم**     **كفرحة النائم المهجوع فى النوم**
**إن المنايا وإن أصبحت فى شغل**     **تحوم حولك حوما أيما حوم**
**لا تعجلنّ رويدا إنها دول**     **دنيا تنقل من قوم إلى قوم**

قال: فدخلت القصر أنا وأصحابى فإذا بقية فى وسطه من الزمرّد الأخضر مرصعة بالدرّ والياقوت والجوهر، قد علاها الغبار من تطاول السنين والأعمار، معلقة على أربعة أعمدة من ياقوت، فتأملناها وأطلنا النظر فيها عليهامنقوش هذا المنظر:

**قف بالقبور وناد المستقرّ بها**     **من أعظم بليت فيها وأجساد**
**قوم تقطعت الأسباب بينهم**     **بعد الوصال فصاروا تحت ألحاد**
**والله لو تعبروا يوماً ولو نشروا**     **قالوا بأن التقى من أفضل الزاد**

قال فتأملنا متكأ الملك فإذا عليه مكتوب:

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس ... ولو تمنعت بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت نافذة ... فى كل مدرّع منا ومترس
ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجرى على اليبس

غيره:

كم قد وقفت كما وقفتا ... وكم قرأت كما قراتا

* قلت: وذكر بعد هذا البيت بيتين ركيكين ملحونين ليس لهما معنى مليح ولا صحيح، فنظمت عوضهما هذه الثلاثة الأبيات:

وكم لهوت بطيب عيش ... دهرا نسيت به المماتا
والآن مت وأنت أيضا ... لابد يوما يقال ماتا
فجدوا حذر تكون مثلى ... كسبت شرّا وخير فاتا

**(الحكاية السادسة والثمانون بعد الأربع مئة: عن الشيخ أبى يزيد القرطبى رضى الله تعالى عنه)** قال: سافرنا مرّة ومعنا رجل من البادية من الصالحين، فجئنا إلى خندق كثير الأشجار، وكان الرجل له معرفة بالآثار، فقال هذا الخندق معمور، فنزلنا الخندق مستوفزين وتعلقنا بالجهة الأخرى، فلما فارقنا الشجر، رأينا نفرا بأيديهم السلاح، وقد نهضوا ليقطعوا علينا الطريق، فاجتمعنا وقلنا أىّ شىء نعمل؟ فقال لنا الرجل ردّوا الأمر إلى أصله ألستم خرجتم لله؟ قلنا بلىَ، قال فاتركوا الأمر على ما هو عليه واتبعونى، ولا يلتفت منكم أحد يمينا ولا شمالا، فتقدم الرجل ومشينا وراءه، والنفر يمشون حذاءنا على غير الطريق، فخرجنا عنهم بالمشى حتى رجعوا خلفنا، وكنت أنا وأصحابى، فالتفت فرأيتهم قد ضايقونا كرمية برمح، فأعلمت أصحابى بأنهم قد أدركونا، وكان البدوى لا يلتفت، فوقف عند كلامى والتفت، فلما رآهم قال: لاحول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم، اللهمّ أبعد عنا شرّ هؤلاء الشياطين، فقلت له أبصر أىّ شىء نعمل؟ فقال وأىّ شىء العمل؟ قلت ها هو وقت

الضحى وقد جوّز الاجتماع فى النافلة، وأنا أتقدّم وأصلى بكم، ويمرّ القوم إن شاء الله تعالى، فقال يا أبا يزيد، وقد احتجنا إلى أن نختفى منهم؟ قلت أنت أخبر، فرفع يده وأشار بأصبعين: المسبحة، والوسطى قفوا، فلقد رأيت النفر وقفوا، ولم يقدر أحد منهم يتعدى موضعه، ولا يدنو من أصحابه، فمشينا ولم يتكلم الرجل بعد ذلك حتى تعلقنا ببعض الشعوب فى مكان آخر يعجزون عنا فيه، فوقف الرجل ووقفنا معه وقال: انظروا هؤلاء الشياطين وقوف على حالهم، والله لولا تقوى الله عزّ وجلّ لمضيت عنهم وتركتهم، ولكن اللهمّ اجعلنا لهم توبة ثم أشار إليهم أن امضوا، فما رأيت أحدا منهم إلا وقد قعد على الأرض يتحدث مع صاحبه، ثم رجعوا فى طريقهم من حيث جاءوا ببركة البدوىّ رضى الله تعالى عنه ونفعنا به * وقال الشيخ أبو العباس ابن العريف رضى الله تعالى عنه: رأيت وليا لله عزّ وجلّ فى بعض المساجد أسرج سراجا، فجاء فأر فأخذ الفتيلة، وكان الرجل قد أخذته سنة فانتبه وقال: يا فاسق تحدث شيئا فى المملكة أنا أكون سببه؟ فرأيت الفأر قد عاد إلى السراج، فنهاه فلم ينته، فغضب وقال للفأر قع فيه قع فيه، فجاء الفأر فوضع خرطومه على النار فمات فتعجبت منه ثم سألته عن ذلك، فقال ما الذى تتعجب منه؟ ذلك تسليط الشرع عليه، رضى الله تعالى عنه * قلت: لعله يعنى بقوله: تسليط الشرع عليه قوله ﷺ «خمس يقتلن فى الحلّ والحرم» فذكر منهن الفأرة، وقد سماها رسول الله ﷺ الفويسقة * وقال بعضهم: سمعت صوفيا وقد قرض الفأر خفه يقول له:

* لو كنت من مازن لم تُستبح إبلى *

قلت: يعنى لو كنت من القوم الشجعان أولى النجدة والسطوة لم تقدر تتسلط على متاعى، وتمام ما استشهد به:

| | |
|---|---|
| ................................... | لكننى من بنى عمرو بن شهبانا |
| يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة | ومن إساءة أهل السوء إحسانا |

والمعنى: لو كنت من أهل السيوف الماضية المنتقمين من العدا لخفتنى: أى لو كنت صاحب حال وسيف: أى من قبل الحق سبحانه لم تستطع أن تتعرّض لى،

لكننى لست من أهل النجدة المذكورين المحميين فأحتاج أتصف بوصف الآخرين المجازين الظلم بالمغفرة والإساءة بالإحسان، هذا الوصف وإن كان ممدوحا فى الشرع مندوبا إليه فليس هو ممدوحا مطلقا عند العرب إذ ذاك يؤدى إلى استيلاء بعضهم على بعض قتلا ونهبا، بل الحكم عندهم كما قال النابغة:

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له  بوادر تحمى صفوه أن يكدّرا

**(الحكاية السابعة والثمانون بعد الأربع مئة: عن الشيخ أبى عبد الله القرشى رضى الله تعالى عنه)** قال: آخر ما تصوّرت لى الدنيا فى صورة امرأة حسناء شابة بيدها مكنسة وهى فى المسجد الذى كنت فيه تكنسه، فقلت لها ما جاء بك؟ قالت جئت لأخدمك، فقلت لا والله، قالت لابد، فأشرت عليها بعصا كانت معى وعزمت على ضربها، فعادت عجوزا وجعلت تكنس المسجد، فلما غفلت عنها، فعادت مثل ما كانت، فقمت لأخرجها فانقلبت عجوزا ضعيفة، فرحمتها ثم غفلت عنها فعادت شابة، فتغيرت عليها وانزعجت لذلك، فقالت لى تطيل أو تقصر هكذا خدمك، وهكذا خدمت إخوانك، فمن ذلك اليوم لم يتعذّر علىّ شىء من الأسباب * وقال أيضا: كنت بمنى فعطشت ولم أجد ماء ولا شيئا أشترى به، فمضيت إلى بئر فوجدت عليه أعاجم، فقلت لأحدهم ضع لى فى هذه الركوة ماء، فضربنى وأخذ الركوة من يدى ورمى بها بعيدا، فمضيت إليها لآخذها وأنا منكسر القلب، فوجدتها فى بركة ماء حلو، فاستقيت وشربت وجئت بها إلى أصحابى فشربوا، وأعلمتهم القصة، فمضوا إلى المكان ليستقوا منه فلم يجدوا ماء ولا أثرا، فعلمت أنها آية. * وقال أيضا: كنت مرّة فى بدر متوجها إلى مكة وكان هناك رجل معه تمر يبيعه إلى الحجاج على أن يأخذ ثمنه بمكة، فدفع لى منه شيئا وألحّ علىّ فى أخذه وقال وأنا أصبر عليك بثمنه إلى مكة وإن متّ فأنت فى حلّ منه، ولم يزل بى حتى أخذته منه ثم إنه عرض له السفر قبلنا فطالبنى بالثمن فقلت له ما عندى شىء، وأنت قلت إنك لا تطلب الثمن إلا بمكة، فقال لابد من الثمن وضيق علىّ وآذنى وشتمنى، فدخلت مسجد بدر ودعوت وتضرعت إلى الله تعالى، ثم خرجت فلقينى رجل كأنه أعرابىّ وعليه ثياب الإحرام، فناولنى دراهم وعدّها فى كفى،

فذهبت إلى صاحب الدين فقضيته دينه، فتضاعفت أذيته وجعل يقول: يخبثون الدراهم ويكذبون ويحلفون أن ما معهم دراهم والدراهم معهم، فسكت ولم أجاوبه بحرف * ومن كلامه رضى الله تعالى عنه: من طلب الغايات فى المبادى فقد أخطأ الطريق * وقال أيضا رضى الله تعالى عنه: الزم الأدب وحدك مع العبودية، ولا تتعرّض لشىء، فإن أرادك له أوصلك إليه * وقال رضى الله تعالى عنه: يسير العمل مع الرعاية منجح * وقال رضى الله تعالى عنه: هجم أهل الشرك ببلاد الأندلس لذلك، وبلغ الخبر أن الأسارى يرمى لهم الحشيش مع الخيل وهم مكتفون يأكلون بأفواههم كما ترعى البهائم، قال: فبتّ فى بعض تلك الليالى عند الشيخ أبى إسحاق بن طريف رضى الله تعالى عنه، فوضع الطعام بيننا ثم تنفس الصعداء بعد أن قال: بسم الله، ثم قال لى: يا محمد: أما بلغك ما طرأ على المسلمين؟ فقلت نعم فجعل يقصّ الخبر ويبكى حتى علا بكاؤه، ثم قال: والله لا أكلت طعاما ولا شربت شرابا حتى يفرج الله تعالى عن المسلمين، ثم اعتزل عن الطعام ساعة، ثم سمعته يقول: الحمد لله الحمد لله، ثم دنا إلى الطعام وقال كل فأكل وأكلت معه، وعجبت منه كيف تركه ثم عاد إليه بعد قسمه فى ساعة، ثم إن الخبر وصل إلينا بعد ذلك أن الوقت الذى تكلم فيه الشيخ صادف أن النصارى سمعوا رجفة عظيمة اعتقدوا أن عسكر المسلمين دهمتهم، فركبوا خيولهم ونجوا بأنفسهم وتركوا الغنيمة والأسارى، فخلص الله عزّ وجلّ المسلمين من أيديهم بغير نصب ولا طلب، ثم إن الأسارى انطلقوا بالغنيمة وأعادوها إلى بلاد المسلمين، والحمد لله رب العالمين، رضى الله تعالى عن الجميع آمين.

**(الحكاية الثامنة والثمانون بعد الأربع مئة: عن الشيخ أبى عبدالله القرشى أيضا ﷺ)** قال: كنت فى بحر جدّة ومعى صاحب لى فعطش عطشا شديدا، فسألت من يبيعنا ماء بشملة كانت علىّ لم يكن علىّ سواها، فلم يبعنا أحد، فقلت لصاحبى خذ هذه الشملة وامض إلى ريس المركب، فمضى إليه بركوة معه، فانتهره وصاح عليه وأخذ الركوة من يده وحذف بها فلم تقع فى البحر بل وقعت فى المركب، فرجع إلىّ فرأيت ذله وانكساره وشدة حاجته، فعلمت أن الله تبارك وتعالى لا يتركه، فأخذت الركوة فملأتها من البحر،

فشرب حتى روى، ثم أخذتها منه فشربت حتى رويت وشرب أيضا من كان إلى جانبى ممن ليس معه ماء، ثم ملأتها ثانية فعجنا الدقيق، فلما حصل استغناؤنا ملأتها بعد ذلك فوجدتها ملحا على ما نعهد، فعلمت أن الحاجة إذا تحققت قلبت الأعيان، رضي الله عنه، وقال بعض الشيوخ: كنا جماعة من الفقراء فى بعض الأسفار، فوصلنا إلى مخاضة من البحر فخضنا حتى توسطنا، فرأيت شابا من الجماعة يشرب من الماء بكفه، فقلت فى نفسى هل هذا الماء حلو؟ فأخذت منه وذقته فوجدته ملحا، فقلت يا بنىّ اسقنى، فقال لى ياعمّ اشرب، فقلت هوحارّ وأردت بذلك ستر حاله عنه، فدفعت إليه إناء من الفخار، فملأه من وسط الماء، فشربته أنا والجماعة كلهم حلوا، انتهى كلامه. قلت: يعنى بقوله: وأردت ستر حاله عنه. أى أخفيت عنه ظهور هذه الكرامة منه، وأوهمته أن الماء حلو لكلّ أحد يشرب، ولكنه حار أريد أن أبرده فى إناء الفخار، ولما كانت العادة والعرف أن الشبان هم الذين يتولون الخدمة من الاستقاء وغيره، سأله أن يستقى له فى الإناء سترا لحاله عنه، لئلا يرى أنه مميز عن الجماعة بهذه الكرامة مع كونه حدثا يخشى عليه العجب، وهذا الشيخ المذكور هو أبو زيد القرطبى رضى الله تعالى عن الجميع ونفعنا بهم آمين.

**(الحكاية التاسعة والثمانون بعد الأربع مئة: عن الشيخ أبى الربيع المالقى رضي الله عنه)** قال: كنت ليلة فقدت من بعض أحوالى شيئا، فاشتغل سرّى بذلك، فرأيت ذات ليلة هدهدا جلس قدامى وكلمنى بكلام لم أفهمه، ثم طار وجلس على كتفى الأيسر وكلمنى، فلم أفهم مايقول، ثم طار وجلس علىّ كتفى الأيمن ووضع فمه فى فمى وجعل يزقنى، فانتفخت، ثم سمعت خشخشة فى صدرى، فتحمست لذلك وعلمت أنه أمر مراد منى، ثم ظهر لى شخصان فتقدّم أحدهما، فشقّ عن صدرى وأخرج قلبى ووضعه فى طست، فسمعت أحدهما يقول للآخر احفظ شجرة العلم، فغسله ثم وضعه فى الجانب الأيمن ثم ألحم الشق فلم أر من ذلك الوقت شيئا خارجا عنى، وأخذت عن نفسى، فسمعت نداء: سل يا سليمان، فقلت أسأل رضاك رضاك، فقال رضيت رضيت، فمن اليوم فتح علىّ القرآن ورؤية القلب، فأنا اليوم أرى بقلبى وأسمع القرآن يتلى علىّ من الجانب الأيمن، رضي الله عنه ونفعنا بهم آمين. وقال بعض المكاشفين: كنت

أرى شيطانى فى حال الرياضة ضعيفا عريانا شعثا على أسوأ الأحوال، فإذا هممت به فرّ أمامى، فلما تزوّجت سامحت نفسى فى حق الزوجة بزعمى، فرأيته فى بعض الأيام قد ظهر لى، فهممت به على العادة فلم يهرب منى ولم يلتفت إلىّ، ورأيته مكتئبا، فقلت له متى تغيرت حالتك هذه عما أعهد؟ فقال منذ تزوجت أنت وتغيرت حالتك، انتهى كلامه. قلت هكذا يطلعهم الله على الزيادة والنقصان، ليزدادوا من الخير ويشكروا الله تعالى عليه، ويرجعوا عن أسباب النقصان ويتضرعوا إليه، حتى يزيل عنهم الصفات المذمومات، ويوفقهم للصفات المحمودات بفضله ورحمته، فيزكون ويزدادون من الهدى إيمانا مع إيمانهم، وقد سمعوا قول الحقّ الشافى للقلوب، والمزيل عنها الصدأ (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدًا».

**(الحكاية التسعون بعد الأربع مئة: عن الشيخ أبى العباس بن العريف رضي الله عنه)**

قال: كنت يوما قاعدا وإذا برجل غريب قد دخل علىّ المسجد وقال: ياسيدى أنت أبو العباس بن العريف؟ قلت نعم، قال راء رأى البارحة رؤيا، قلت، له قل، فقال: كأنه يرى فساطيط صغارا حول العرش، وعليهن فسطاط عظيم قد اكتنف الجميع، فقال لمن هذا الفسطاط؟ فقيل له للفقيه أبى العباس بن العريف، فقال وهذه الصغار؟ فقيل لأصحابه، قال أبو العباس رضي الله عنه: فتغيرت عليه وقلت له ما حملك على إتيانك بمثل هذه الرؤيا لرّجل مذنب مثلى، فلما رأى تغيرى قال لى: هوّن على نفسك أيها الشيخ، فلعلك قنعت بيسير الرزق من الله تعالى فقنع منك بيسير من العمل، قال ثم التفتّ إليه فلم أره، فقلت لأصحابى هذا أتاكم يعرّفكم فقركم، رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما آمين.

قلت: وبلغنى أن الشيخ الإمام شهاب الدين السهروردى رضي الله عنه ونفعنا به ذكر بين يديه البلدان ومن فيها من الصالحين حينئذ، فكأنه أشار إلى أن بعض الجهات ما فيها أحد من الرجال فى ذلك الوقت، فوقف عليه شخصان فى الحال من أهل تلك الجهة فى زىّ مشاعليين، وقال له ياسيدنا نشتهى منك أن تشرّفنا بخدمتك، وكان يومئذ بمكة جاء إلى الحجّ، فأذن لهما بحمل المشعل وسافر راجعا إلى بلاده، فكان يقول وهم سائرون إنى لأشمّ رائحة الفقر من قبل المشعل فلما بلغوا بعض الطريق سئل عن مسئلة غامضة فى علوم المعارف

والأسرار المعروفة بالعلم اللدنى لأهل الأنوار، فأجال ذهنه فيها وتفكر وأمعن النظر وتدبر، ثم وقف وتحير؛ فلما وقف حصان علمه المشهور فى ميدان الامتحان بالسؤال المذكور وقف الشخصان المذكوران بين يديه وقالا: ياسيدى دستورك نقول شيئا فقال قولا. فقال الجواب والله أعلم كذا وكذا، وكشفا القناع عن وجه محاسن الأسرار فى الجواب الشافى للنظار، فكشف الشيخ شهاب الدين رضي الله عنه رأسه وقال: أستغفر الله وانصف فيما صدر منه من الكلام فى أهل الجهات المذكورة، ثم قالا له سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ورجعا عنه إلى بلادهما، رضى الله تعالى عن الجميع ونفعنا بهم.

**(الحكاية الحادية والتسعون بعد الأربع مئة: عن الشيخ الكبير أبى الحسن الشاذلى رضي الله عنه)** قال: نمت ليلة فى سياحتى على ربوة من الأرض، فجاءت السباع فطافت بى وأقامت حولى إلى الصباح، فما وجدت أنسا كأنس وجدته تلك الليلة، فلما أصبحت خطر لى أنه قد حصل لى شىء من مقام الأنس بالله، فهبطت واديا وكان هناك طيور حجل لم أرها، فلما أحست بى طارت فى دفعة واحدة كلها، خفق قلبى رعبا، فسمعت قائلا يقول لى: يامن كان البارحة يأنس بالسباع ملك تفزع من خفقان الحجل؟ ولكنك البارحة كنت بنا والآن أنت بنفسك. وقال رضي الله عنه: جعت مرة ثمانين يوما، فخطر بى أن قد حصل لى نصيب من هذا الأمر، فإذا أنا بامرأة خارجة من مغارة كأن وجهها ضياء الشمس حسنا وهى تقول منحوس منحوس جاع ثمانين يوما، فأخذ يدلّ على الله بعمله، وأنا لى ستة أشهر لم أذق فيها طعاما رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما آمين. وقال رضي الله عنه: كنت بينا أنا فى بعض سياحتى أقول إلهى متى أكون لك عبدا شكورا؟ فسمعت قائلا يقول: إذا لم تر منعما عليه غيرك، فقلت إلهى كيف لا أرى منعما عليه غيرى وقد أنعمت على الأنبياء والعلماء والملوك؟ فإذا قائل يقول لى: لولا الأنبياء لما اهتديت، ولولا العلماء لما اقتديت، ولولا الملوك لما أمنت والكلّ نعمتى منى عليك. وقال رضي الله عنه: كنت أنا وصاحب لى قد أوينا إلى مغارة نطلب الوصول إلى الله تعالى، فكنا نقول غدا يفتح لنا، بعد غد يفتح لنا، فدخل علينا رجل له هيبة، فقلنا له من أنت؟ فقال عبدالملك فعلمنا أنه من أولياء الله تعالى، فقلنا له كيف حالك؟ فقال كيف حال من يقول

غدا يفتح لى، بعد غد يفتح لى؟ فلا ولاية ولا فلاح، يانفس لم لاتعبدين الله لله، قال فتيقظنا وعرفنا من أين دخل علينا، فتبنا واستغفرنا الله تعالى ففتح لنا رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

**(الحكاية الثانية والتسعون بعد الأربع مئة عن بعضهم)** حكى أنه عزم على الشيخ الجليل أبى العباس المرسى رضي الله عنه ونفعنا به إنسان، وقدم إليه طعاما يختبره به، فأعرض عنه ولم يأكل ثم التفت إلى صاحب الطعام فقال له: إنّ الحارث بن أسد المحاسبى رضي الله عنه كان فى أصبعه عرق إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة تحرّك عليه فأنا فى يدى ستون عرقا تتحرك على إذا كان مثل ذلك، فاستغفر صاحب الطعام واعتذر إلى الشيخ رضي الله عنه. قلت: وقد ذكرت حكاية المحاسبى رضي الله عنه فى غير هذا الموضع. وقد حكى أيضا عن بشر بن الحارث رضي الله عنه أنه كان لايمدّ يده إلى أكل طعام ليس بطيب. وكذلك بلغنى أن بعض السلاطين امتحن بعض الشيوخ بذبائح قدّمها إليه لحم بعضهامذكى ولحم بعضها ميتة، فشدّ الشيخ وسطه وقال للفقراء أنا اليوم خادمكم فى هذا الطعام، وأخذ يلتقط المذكى ويقرّبه إلى الفقراء، وينحى الأوانى التى فيها غير المذكى إلى الجند ويقول (الطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين) والسلطان حاضر، فاستغفر الله تعالى وحسن اعتقاده فى الشيخ رضي الله عنه، ونفعنا به. وكذلك بلغنى أن بعض سلاطين الكفار استولى على بعض بلاد المسلمين، فسفك دماءهم ونهب أموالهم وأراد أن يقتل بعض فقراء المشايخ، فاجتمع به الشيخ ونهاه عن ذلك، فقال له السلطان إن كنتم على الحقّ فأظهروا لى برهانا، فأشار الشيخ إلى بعر الجمال هناك فإذا هى جواهر تضىء، وأشار إلى الكيزان فى الأرض فارغة من الماء، فتعلقت فى الهواء وامتلأت ماء وأفواهها منكسة إلى الأرض ولا يقطر منها قطرة، فدهش السلطان من ذلك، فقال له بعض جلسائه لايكبر هذا فى عينك فإنما هو سحر، فقال له السلطان أرنى غير هذا، فأمر الشيخ بالنار فأوقدت. وأمر الفقراء بالسماع، فلما عمل فيهم الوجد دخل الشيخ بهم النار، وكانت نارا عظيمة، ثم خطف الشيخ ولد السلطان ودار به فى النار ثم غاب به، فلم يدر أين ذهب والسلطان حاضر، فبقى متفجعا على ولده، فلما كان بعد ساعة ظهر وفى إحدى كفى ولد السلطان تفاحة وفى الأخرى رمانة، فقال له

السلطان أين كنت؟ قال كنت فى بستان فأخذت منه هاتين الحبتين وخرجت، فتحير السلطان من ذلك، فقال له جلساء السوء وهذا أيضا عمله بصنعة باطلة، فقال السلطان عند ذلك كل ما تظهره لا أصدق به حتى تشرب من هذه الكأس، وأخرج له كأسا مملوءة سما تقتل القطرة منه فى الحال، فأمر الشيخ الفقراء بالسماع حتى ورد عليه حال، فأخذ الكأس حينئذ وشرب ما فيه جميعه، فتمزقت ثيابه التى عليه، فألقوا عليه ثيابا أخرى، فتمزقت الثياب كذلك، ثم أخرى كذلك مرارا عديدة ثم ترشح عرقا وثبتت عليه الثياب بعد ذلك ولم تتقطع، فاعتقده السلطان وعظمه وأجله واحترمه ورجع عن ذلك القتل والإفساد ولعله أسلم. وقد حكى أيضا مثل هذه الحكاية عن بعض من ينسب إلى سيدى أحمد الرفاعى قدس الله تعالى روحه مع سلطان المغول الذى أخذ بغداد ﷺ وعن جميع الصالحين ونفعنا بهم فى الدنيا والآخرة. وحكى أن الشيخ الإمام أستاذ الأكابر، الجامع بين العلم الباطن والظاهر، والحسيب النسيب والشريف النبوى الفاخر السيد الجليل عبدالقادر الجيلانى قدس الله روحه ونوّر ضريحه، طلب من بعض الناس وديعه كانت عنده لبعض الغائبين، فامتنع من تسليمها إليه وقال له: لو استفتيك بمثل هذا ما أفتيتنى بتسليمها إلى غير صاحبها، فلما كان بعد ذلك بزمن يسير جاء كتاب صاحبها إلى المودع المذكور وهو يقول سلم الوديعة إلى الشيخ عبدالقادر، فقد صارت للفقراء، فسلمها إليه، فعتب عليه الشيخ قال تتهمنى فى مثل هذا ﷺ ونفعنا به. قلت: وإليه ينسب أكثر شيوخ اليمن، ومنهم من ينتسب إلى الشيخ الكبير العارف الشهير أبى مدين قدس الله روحه ونوّر ضريحه، هذا شيخ المغرب، والأول شيخ المشرق، أعنى الشيخ عبدالقادر. وهو القائل ﷺ:

| | |
|---|---|
| مافى الصبابة منهل مستعذب | إلا ولا فيـه الألذّ الأطيب |
| أو فى الزمان مكانة مخصوصة | إلا ومنزلتى أعزّ وأقرب |
| وهبت لى الأيام رونق صفوها | فصفت مناهلها وطاب المشرب |
| أنا من رجال لا يخاف جليسهم | ريب الزمان ولا يرى مايرهب |
| قوم لهم فى كل مجد رتبة | علوية وبكل جيش موكب |
| أنا بلبل الأفراح أملأ دوحها | طربا وفى العلياء باز أشهب |

رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين.

**(الحكاية الثالثة والتسعون بعد الأربع مئة عن بعضهم)** حكى عن بعضهم قال: كنت مع بعض الصالحين خارج بغداد، فمرّت علينا جنازة ومعها خلق كثير، فسألنا عن الميت، فقيل هو رجل من الصالحين، فقال الرجل الصالح الذى معى: الله المستعان هكذا يموت الصالحون، قلت: فكيف يموتون؟ قال يموتون على المزابل وتأكلهم الكلاب، قال فرأيته بعد ثلاثة أيام وهو ميت على مزبلة والكلاب تأكل منه رضي الله عنه ونفعنابه آمين. قلت: هذا موت كثير من الأولياء والمحبين والمحبوبين لله عزّ وجلّ، الذين ليس لهم فى الدنيا غرض ولا أمل. وأما حكايات أهل الرغبة فى الدنيا والأمل الطويل فيها فكثير، من ذلك: ماروى أنه جاء بعض الناس إلى سليمان بن داود عليهما السلام وقال له يانبىّ الله أريد منك أن تأمر الريح تحملنى إلى بلاد الهند، فإن لى فيها حاجة فى هذه الساعة وألح عليه فى ذلك، فقال له نعم، وأمر الريح تحمله، فلما خرج من عنده التفت سليمان فرأى ملك الموت قائماعنده عليه السلام، ورآه مبتسما، فسأله عن تبسمه، فقال له: يانبىّ الله تعجبت مَن هذا الرجل فإنى أمرت بقبض روحه فى أرض الهند فى هذه الساعة، فبقيت متفكرا كيف يصل إلى بلاد الهند فى هذه الساعة فلما سألك أن تأمر الريح تحمله تعجبت من ذلك، انتهى كلامه وفى هذا المعنى قلت:

| | |
|---|---|
| **فمن منا لم تأته المنايا** | **إلى أوطانه يوما أتاها** |
| **كما قال الذى عزى نفوسا** | **وقوى فى توكلها قواها** |
| **ومن كانت منيته بأرض** | **فليس يموت فى أرض سواها** |

قلت: يجب الإيمان بأن أمر الله تبارك وتعالى وقدره نافذ على ما سبق فى علمه الغامض، لابد من ذلك وإن بعد فى العقول، ينسب له بعض الأسباب الغوامض، على ما اقتضيت حكمته البالغة ومشيئته السابقة، التى إليها يرجع أمر الخاتمة اللاحقة، نسأل الله تعالى الكريم أن يلطف بنا فى جميع مقدوره، وأن يدبرنا بحسن تدبيره والمسلمين آمين.

ومن عجب لطف الله عزّ وجلّ بعباده ودفعه البلاء عمن لم يحضره

الأجل ببعض عباده المصطفين الخوّاص المعدين للتفريج عند الشدائد والخلاص ما يأتى ذكره فى الحكاية الآتية إن شاء الله تعالى.

**(الحكاية الرابعة والتسعون بعد الأربع مئة عن بعض الشيوخ)** حكى عن بعض الشيوخ الكبار أنه دخل على بعض التجار بثغر الإسكندرية، فرحب به التاجر وفرح به، فرأى الشيخ فى إيوان يجلس فيه التاجر بساطين مثمنين مستعملين من بلاد الروم على قدر الإيوان، فطلبهما من التاجر، فصعب عليه ذلك، وقال له ياسيدى أنا أعطيك ثمنهما، فامتنع الشيخ وقال له: ما أطلب إلا هما بعينهما فقال له التاجر إن كان ولابد من الأخذ فخذ أحدهما، فأخذ الشيخ أحد البساطين وخرج به، وكان حينئذ للتاجر ابنان مسافران فى بلاد الهند كل واحد منهما فى مركب، فبعد مدة سمع أبوهما أن أحدهما غرق هو ومركبه وجميع من كان فيه، ووصل الابن الآخر إلى عدن سالما؛ فلما كان بعد مدة وصل قريب الإسكندرية، فخرج أبوه فى لقائه إلى ظاهر البلد، فرأى البساط الذى أخذه الشيخ منه بعينه محملا على بعض الجمال، فسأله عن قصة البساط من أين هو له؟ فقال له: يا أبت لهذا البساط قصة عجيبة وآية عظيمة، فقال له أبوه يابنىّ أخبرنى بذلك، فقال له سافرت أنا وأخى بريح طيبة من بلاد الهند، كل منا فى مركب، فلما توسطنا البحر عصفت علينا الريح واشتدّ علينا الأمر، وانفتح المركبان، واشتغل كل أهل مركب بمركبهم وسلم كل منا أمره إلى الله تعالى، وإذا بشيخ قد ظهر لنا وفى يده هذا البساط، فسدّ به مركبنا وسرنا بالسلامة أياما، والمركب مسدود بهذا البساط إلى أن وصلنا بعض المراسى، فنقلنا ما كان فى المركب وأصلحناه وشحنا فيه، وأما مركب أخى فغرق جميع من كان فيه ولم يسلم منهم أحد، قال التاجر فقلت له يابنى أتعرف الشيخ إذا رأيته؟ قال نعم، فذهب به إلى الشيخ، فلما رآه صرخ وصاح صياحا عظيما وقال: هو ذا والله يا أبت، فجعل الشيخ يده على حتى أفاق وسكن ما به، فقال التاجر للشيخ لم لا عرّفتنى ياسيدى بحقيقة الأمر حتى أدفع إليك البساطين كليهما؟ فقال: الشيخ هكذا أراد الله عزّ وجلّ، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين.

(الحكاية الخامسة والتسعون بعد الأربع مئة عن بعض الصالحين) حكى عن بعض الصالحين أنه عقد مع الله تعالى عقدا: أنه لا ينظر إلى مستحسنات الدنيا، فمرّ يوما بسوق الصرف، فنظر إلى منطقة معلقة، فجعل يطيل النظر إليها، فالتفت صاحبها فرآه ينظر إليها، ثم التفت إلى المنطقة فلم ير شيئا، فوثب إليه وتعلق به وقال: ماهذه أفعال الصالحين، فقال له مالك يا أخى؟ قال أنت صوفى وتسرق؟ قال له ما الذى سرقت؟ قال سرقت منطقتى، قال والله ما أخذت لك شيئا، قال فأكثرن عليه الكلام وساروا به إلى الأمير وقصوا عليه القصة، فقال له الأمير يا فتى ما هذه أفعال الصالحين، فبكى وقال والله ما أخذت شيئا، فقال رجل من الحاضرين جرّدوه من ثيابه، فجرّدوه من ثيابه فإذا المنطقة مطوقة فى وسطه، قال فصرخ صوتا كاد أن يفارق الدنيا وغشى عليه، فقال الأمير بعد ذلك ائتونى بالسياط، قال فهتف به هاتف يا عبدالله لاتضرب ولىّ الله إنما هو مؤدب بكم، فصرخ الأمير صرخة كادت روحه تفارق جسده وغشى عليه، فلما أفاق الفتى قال مولاى أسألك الإقالة فقد عرفت ذنبى وجرمى وأنا الخاطئ، مولاى سهو لحقّ عبدك الخاطئ، فلا تؤاخذنى الأمان الأمان ياحنان، والخلائق يبكون لبكائه، ولما أفاق الأمير من غشيته جعل يقبل يديه ورجليه ويقول له: ياحبيبى ماقصتك؟ فقال له الفتى اعلم أنى كنت عقدت مع الله تعالى عقدا أن لا أنظر إلى مستحسنات الدنيا، فمررت بهذا الرجل فى سوق الصرف، فنظرت منطقة نظرة غفلة، ولم أعلم ما كان إلا والرجل متعلق بى وهو يوبخنى ويقول أخذت منطقتى ولا أعلم قصته، فهذه والله قصتى، ثم ولى وهو يقول:

يا عدّتى فى شدّتى ... إن لم تكن أنت فمن

ينقذنى من الردى ... ياصاحب الفعل الحسن

طوبى لمن بات بكم ... مشرّدا عن الوطن

(الحكاية السادسة والتسعون بعد الأربع مئة عن ذى النون رضي الله عنه) قال: بينما أنا أدور فى بعض جبال لكام، وإذا برجل قائم يصلى والسباع حوله ربض، فلما أقبلت نحوه نفرت عنه السباع، فأوجز فى صلاته وقال: يا أبا الفيض لو

صفوت لطلبتك الوحوش وحنت إليك الجبال، قال فقلت ما معنى قولك لو صفوت؟ قال تكون لله خالصا حتى يكون لك مريدا، قال فقلت فبم الوصول إلى ذلك؟ قال لاتصل إلى ذلك حتى تخرج حبّ الخلق من قلبك كما خرج الشرك منه، فقلت هذا والله شديد عليّ، فقال هذا أيسر الأعمال على العارفين.

**(الحكاية السابعة والتسعون بعد الأربع مئة: عن ذى النون أيضا رحمه الله)**

قال: وصف لى جارية متعبدة فسألت عنها، فقيل لى إنها فى دير خراب، قال فأتيت الدير فإذا أنا بجارية نحيلة الجسم قد أثر الليل فى وجهها بكلكله وذبحها الكرى بسكاكين السهر، فسلمت عليها، فردت علىّ السلام، فقلت لها يا جارية فى مسكن النصارى؟ فقالت يا هذا ارفع رأسك هل ترى فى الدارين غير الله عزّ وجلّ؟ قال فقلت لها يا جارية هل تجدين وحشة الوحدة؟ فقالت إليك عنى فوالذى حشا قلبى من لطيف حكمته ومحبته، وأوقر خاطرى من دقيق الشوق إلى رؤيته ما علمت فى قلبى موضعا لغيره، قال فقلت لها أراك حكيمة فأخرجينى من الضيق وأرشدينى إلى الطريق، فقالت يافتى اجعل التقوى زادك، والزهد منهاجك، والورع مطيتك، واسلك طريق الخائفين حتى تأتى بابا ليس ترى دونه حجابا ولابوّابا، فعندها تؤمر الخزنة أن لا يعصون لك أمرا، ثم أنشأت تقول:

**من يعــــرف الربّ ولم تغنه     معرفة الربّ فذاك الشقى**

**مـا ضـر ذا الطاعة ما ناله     فى طاعة الله وما قد لقى**

**(الحكاية الثامنة والتسعون بعد الأربع مئة: عن معروف الكرخى رحمه الله)**

قال: رأيت فى البادية شابا حسن الوجه وله ذؤابتان حسنتان وعلى رأسه رداء وعليه قميص كتان وفى رجليه نعل طاق، قال فتعجبت منه ومن زيه فى مثل هذا المكان، فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ياعم، فقلت يافتى من أين أنت؟ قال من مدينة دمشق. قلت متى خرجت منها؟ قال ضحوة نهارى، قال فتعجب منه وكان الموضع الذى رأيته فيه بينه وبين دمشق مراحل كثيرة، فقلت له وأين القصد؟ قال مكة إن شاء الله تعالى، فعلمت أنه محمول فودعته ومضى، فلم أره حتى مضت ثلاث

سنين؛ فلما كان ذات يوم وأنا جالس فى منزلى متفكرا فى أمره وما كان منه بعدى، وإذا بالباب يدقّ فخرجت إليه فإذاهو صاحبى، فسلمت عليه وأدخلته المنزل، فإذا به حاف حاسر الرأس عليه مدرعة من الشعر، فقلت له إيش الخبر؟ فقال يا أستاذ لم يخبرنى بما يفعل بمعاملته فمرّة يلاطفنى ومرّة يهيننى ومرّة يجيعنى ومرّة يطعمنى، فليته أوقفنى على بعض أسرار أوليائه ثم يفعل بى ما شاء، وبكى بكاء شديدا؛ قال معروف رضي الله عنه: فأبكانى كلامه، فقلت له حدثنى ببعض ماجرى عليك منذ فارقتنى، قال هيهات أبديه وهو يريد أن يخفيه، ولكن بدء مافعل بى فى طريقى مولاى وسيدى، فقلت ما فعل بك؟ قال جوّعنى ثلاثين يوما، ثم جئت إلى قرية فيها مقثاة قد نبذ منها الدود، فقعدت آكل منها، فنظرنى صاحب المقثاة، فأقبل إلىّ بسوط وجعل يضرب ظهرى وبطنى ويقول يا لص، ما أخرب المقثاة غيرك، منذ كم أرصدك حتى وقعت بك؟ فبينما هو يضربنى إذا بفارس أقبل مسرعا إليه وجذب السوط من يده، وقال تعمد إلى ولىّ من أولياء الله تضربه وتهينه وتقول له يالص، فلما نظر صاحب المقثاة إلى ذلك أخذ بيدى وذهب بى إلى منزله، فما أبقى من الكرامة شيئا إلا فعل معى وتحلل منى، فبينما أنا عنده لص صرت وليا كما حدثتك، قال معروف رضي الله عنه: فما استتم كلامه حتى دقّ صاحب المقثاة الباب ودخل، وكان موسرا، فأخرج ماله وأنفقه على الفقراء، وصحب الشاب وخرجا إلى الحجّ فماتا فى البرية، رحمهما الله تعالى.

**(الحكاية التاسعة والتسعون بعد الأربع مئة عن بعضهم)** حكى أن يحيى وعيسى عليهما السلام اصطحبا فى سفر، فلما كان بعض الأوقات نام يحيى عليه السلام فى سجدة سجدها عيسى عليه السلام: فأراد عيسى عليه السلام أن يوقظه، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: ياعيسى إن روح يحى عندى فى حضرة قدسى وجسده بين يدى فى أرضى، ولقد باهيت به كرام ملائكتى وأنشدوا:

**قف على الباب قليلا واجعل الذكر سبيلا والزم الباب غدوّا**

**وعشيا وأصيلا إن تطعنى لم تجدنى للمطيعين خذولا**

إن عـنـدى لـلـمـطيـ ـعين شـرابا سلسبيلا

فـاتبـعـوا اليـوم قليـلا تتعـمـوا دهرا طويلا

وقال أبو زيد رضي الله عنه: جمعت فكرى وأحضرت ضميرى ومثلت نفسى واقفا بين يدى ربى، فـقـال لـى: يا أبا يزيد بأىّ شىء جئتنى؟ قلت ياربّ بالـزهد فى الدنيا، قال يا أبا يزيد إنما كان مقدار الدنيا عندى جناح بعوضة ففيم زهدت منها؟ فقلت إلهى وسيدى أستغفرك من هذه الحالة، جئتك بالتوكل عليك، قال يا أبا يزيد ألم أكن ثقة فيما ضمنت لك حتى توكلت علىّ؟ قلت إلهى وسيدى أستغفرك من هاتين الحالتين جئتك بك أو قال بالافتقار إليك، فقال عند ذلك قبلناك. وأنشدوا:

دعـوه لاتلومـه دعوه فـقـد علم الذى لم تعلموه رأى علم الهدى فسما إليه

وطالب مطلبا لم تطلبوه أجاب دعاءه لما دعـاه وقـام بحـقـه وأضـعـتـمـوه

بنفسى ذاك من ممنوح قرب وطاعم مطعم لم تطعـمـوه

(الحكاية الخمس مئة: عن بعض الزهاد) قال: كنت فى جماعة من الزهاد وقد حان وقت صلاة الظهر ونحن فى برية ليس فيها ماء، فدعونا الله تعالى، فلم أستتم الدعاء حتى لاح لنا بالبعد شىء، فقصدناه وطوى الله تعالى لنا البعيد، حتى وصلنا إلى قصر مشيد عال البناء حسن الفناء، وحوله أنهار وعيون تتفجر، فشكرنا الله تعالى على ذلك وأسبغنا الوضوء فصلينا، ثم تقدمنا إلى القصر فإذا على حائطه مكتوب هذان البيتان:

هـذى منازل أقـــوام عـــهـــدتهم فى رغد عيش خصيب ماله خطر

دعـــتـــهم نوب الأيام فـــارتحلوا إلى القـــبـــور فـــلا عـــين ولا أثر

قال: ورأينا فى وسط الدار سريرا من ذهب، وعليه هذه الأبيات:

لا زلت تطلب كل ما يردى وتمـعـن فـى الـطـلـب وملكت مـا أملت من أرض الأعـــاجم والعـــرب مـــدت إليك يد الردى فذهبت فيمن قد ذهب

قال: ورأينا هناك بستانا فيه لوح من رخام عليه مكتوب هذه الأبيات:

**قد كان صاحب هذا القصر مغتبطا — فى ظلّ عيش يخاف الناس من باسه**
**إذا جاءه بغتة مالا مردّ له — فخرّ ميتا وزال التاج عن راسه**
**فاخرج إلى القصر انظر كيف أوحشه — فقدان أربابه من بعد إيناسه**

قال فاستحسنا ذلك ورحنا إلى القبة فإذا فى وسطها قبر عند رأسه لوح من رخام أبيض، وعليه مكتوب:

**أنا رهن التراب فى اللحد وحدى — واضعا تحت لبنة الترب خدى**

غيره لبعضهم:

**باتوا على قلل الأجيال يحرسهم — غلب الرجال فلم تنفعهم القلل**
**واستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم — وأسكنوا حفرا يابئسما نزلوا**
**ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا — أين الأسرة والتيجان والحلل**
**أين الوجوه التى كانت منعمة — من دونها تضرب الأستار والكلل**
**فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم — تلك الوجوه عليها الدود يقتتل**
**قد طالما أكلوا دهرا وما نعموا — فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا**

غيره للمؤلف آنسه الله فى قبره، وعامله بلطفه وبرّه، وأسكنه بحبوحة جنته، وأعاد على المسلمين من بركته آمين.

**ركوب النعش أنساهم ركوبا — على الخيل العتيقات النجاب**
**وليل القبر أنساهم لليل — به عرس المليحات النقاب**
**وأنساهم لفرش ناعمات — لها قد زينوا فرش التراب**
**علا الدود الخدود وغاص فيها — أكولا للبهيات التراب**

غيره لبعضهم:

**وقفت على البنيان حين رأيته — فكبر للرحمن حين رآنى**
**فقلت له أين الذين عهدتهم — حوالبك فى أمن وخفض زمان**
**فقال مضوا واستودعونى رحالهم — وماذا الذى يبقى على الحدثان**

وحكى عن عليّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ورَضِيَ الله عنه أنه قال: دخلت مقابر البقيع لأزور الأحباب، وجعلت أسلم عليهم واحدا واحدا، ثم وليت وأنا أقول:

**مالى مررت على القبور مسلما  ***  قبر الحبيب فلم يردّ جوابى**

**يا قبر مالك لا تجيب مناديا  ***  أمللت بعد صحبة الأحباب**

قال: فأجابنى صوت عال:

**قل للحبيب وكيف لى بجوابكم  ***  وأنا الرهين بجندل وتراب**

**أكل التراب محاسنى فنسيتكم  ***  وحجبت عن أهلى وعن أحبابى**

غيره لبعضهم:

**لياليك تفنى والذنوب كثيرة  ***  وعمرك يبلى والزمان جديد**

**وتحسب أن النقص فيك زيادة  ***  وأنت على النقصان حين تزيد**

غيره لبعضهم وجد مكتوبا على قبر:

**مقيم إلى أن يبعث الله خلقه  ***  لقاؤك لا يرجى وأنت قريب**

**تزيد بلى فى كلّ يوم وليلة  ***  وتبلى كما يبلى وأنت حبيب**

غير لآخر الدنيا:

**ومن يكن همه الدنيا ليجمعها  ***  فسوف يوما على رغم يخليها**

**لا تشبع النفس من دنيا تجمعها  ***  وبلغة من قوام العيش تكفيها**

**لا دار للمرء بعد الموت يسكنها  ***  إلا التى كان قبل الموت يبنيها**

**فمن بناها بخير طاب مسكنها  ***  ومن بناها بشرّ خاب بانيها**

**فاغرس أصول التقى ما عشت مجتهدا  ***  واعلم بأنك بعد الموت تجنيها**

# الخاتمة

قال المؤلف ختم الله له بخير ولوالديه وللمسلمين: قد تمت الحكايات التى وعدت بها فى أول الكتاب وقد كنت وعدت هناك بخاتمة تشتمل على فصلين وختام للخاتمة يشتمل على فصل آخر وها أنا أشرع فى ذلك إن شاء الله والله الموفق والمعين.

## الفصل الأول من الخاتمة

### فى الجواب عن إنكار وقع من بعض الفقهاء المصنفين على الفقراء

منهم: أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله تعالى بالغ فى إنكار بعض حكاياتهم ❖ من ذلك: حكاية الشيخ أبى حمزة الخراسانى رضي الله عنه وقد تقدمت، ولكن نعيدها هنا لإيراد الجواب قال رضي الله عنه: حججت سنة من السنين، فبينا أنا أمشى إذ وقعت فى بئر، فنازعتنى نفسى أن أستغيث، فقلت والله لا أستغيث بأحد، فما استتم هذا الخاطر حتى مرّ برأس البئر رجلان، فقال أحدهما للآخر تعالى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد فأتوا بقصب وبارية ذلك فى كل شىء من الضرورات وغيرها، فلم يتحفظوا من عدوّ ولا سبع، ولا تسببوا لنفوسهم بسبب من الأسباب حتى كان بعضهم يمرّ بالشجرة فتلزم ثوبه بشوكها، فلا يتسبب فى تخليص الثوب حتى تهبّ الريح فتخلصه ❖ وقد قال قطب المقامات اليقين، وحجة الله على العارفين وطمسوا رأس البئر، فهممت أن أصيح ثم قلت فى نفسى إلى من هو أقرب منهما وسكت، فبينما أنا بعد ساعة إذا بشىء جاء فكشف عن رأس البئر، وأدلى رجليه وكأنه يقول تعلق بى فى همهمة منه كنت أعرف منه ذلك، فتعلقت به فأخرجنى فإذا هو سبع، فمرّ وهتف بى هاتف يا أبا حمزة أليس هذا أحسن، نجيناك من التلف بالتلف، فمشيت وأنا أقول:

| | |
|---|---|
| **نهانى حيائى منك أن أكشف الهوى** | **فأغنيتنى بالفهم منك عن الكشف** |
| **تلطفت فى أمرى فأبديت شاهدى** | **إلى غائبى واللطف يدرك باللطف** |
| **تراءيت لى بالغيب حتى كأنما** | **تبشرنى بالغيب أنك فى الكف** |

أراك وبى من غيبتى لك وحشة ... فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف

وتحيى محبا أنت فى الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف

**قلت**: وما أنكره المذكور رحمه الله تعالى فى هذه الحكاية وأن هذا الذى فعله أبو حمزة لا يجوز ليس بصحيح، لأن أبا حمزة المذكور صدر منه هذا وقد منح يقينا كاملا وقلبا شاهدا وحالا عاليا وحياء زاجرا له وحاجزا عليه أن يلتفت إلى غير مولاه أو يرى معه سواه، كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه: إنا لا نرى مع الحقّ أحدا، إن كان ولابد فكالهباء فى الهواء إن فتشته لم تجده شيئا.

* قلت: ولو حصل للمنكر عليهم بعض ما حصل لهم ما أنكر عليهم، والعجب من المنكر المذكور فى إنكار مثل هذا مع أنه يعتقد القوم ويطرز كلامه بكلامهم وحكاياتهم وكراماتهم، وكيف ينكر مثل هذه الحكاية على من صار فانيا عما سوى الحقّ صاحب قلب مشاهد، لا يرى فى الملك والملكوت إلا من هو أقرب إليه من نفسين، كاشف الضر الإله الواحد، والعجب كل العجب أن هذا الذى أنكره له شاهد فى الشرع أى شاهد، وذلك ما جاء أن إبراهيم الخليل ﷺ لما ألقى فى النار عرض له جبريل ﷺ فى الهواء بأمر الله تعالى له ألك حاجة؟ فقال أما إليك فلا، قال: فاسأل ربك، فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى، وقال حسبي الله ونعم الوكيل، فهل كان هذا من إبراهيم ﷺ إلا كمال يقين ومقام رفيع مكين.

وأيضا فقد ذكر العلماء رضى الله تعالى عنهم أن الناس فى التوكل على ثلاثة أقسام:

**القسم الأول** قوم سلموا نفوسهم لله فلم يجلبوا لها نفعا ولا دفعوا عنها من الضرّ دفعا، وقال أبو محمد سهل بن عبد الله رضى الله تعالى عنه: أول مقام فى التوكل أن يكون العبد بين يدى الله سبحانه كالميت بين يدى الغاسل، يقلبه كيف شاء، ولا يكون له حركة ولا تدبير.

**القسم الثانى** من الأقسام الثلاثة: قوم تسببوا فى الضرورات دون غيرها جلبا ودفعا، ضرّا ونفعا، وهذه الطريقة عليها الجمهور من الأنبياء والأولياء؛ ومن هذا القبيل ما احتج به المنكر من احتراز النبىّ ﷺ من الأعداء الكفار فى هجرته، واختبائه فى غار ثور وغير ذلك، فهذه طريقة جمهور الأنبياء عليهم السلام كما ذكرنا، فليس فى ذلك للمنكر حجة، لأن بعض الأولياء لا يحترزون ولا يتسببون لنفوسهم فى شىء أصلا كما قدمنا، وقد تصدر منهم أشياء فى حال من أحوال غالبة عليهم تسلبهم الاختيار، فلا يقاسوا بغيرهم ولا نقول إن تارك التسبب فى الضرورات أفضل من المتسبب فيها من الأولياء، بل قد يكون الأمر بالعكس، ولم يكن النبىّ ﷺ محترزا فى كل شىء، بل قد كان يواجه بعض المخاوف وحده كيوم حنين وغيره، وكذلك أصحابه رضى الله تعالى عنهم، وكذلك كثير فى الأحاديث التى يطول ذكرها. وأما قوة أحوال بعض الأولياء وما أعطوا من اليقين والكرامات فكلها مستمدة من فيض فضله ﷺ، ومنسوبة إليه، وقد كان ﷺ مشرّعا يسلك الطريق السهلة التى يقوى على سلوكها العام والخاص، ولو سلك مقدم الركب والقوافل طريقا وعرة يقوى هو على سلوكها دون كثير منهم لم يكن بهم رءوفا رحيما، ولكنه ﷺ كما قال الله تعالى (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) جزاه الله عنا أفضل الجزاء؛ وقد يسلك بعض الأقوياء من القوافل بعض الطرق الوعرة لمصلحة ولا يمنعه المقدم.

**القسم الثالث**: من الأقسام الثلاثة فى التوكل: قوم دخلوا فى الأسباب كلها فى الضرورات وغيرها، لكن مع اعتمادهم على المسبب دون السبب * ومما أنكر المنكر المذكور ما حكى عن بعضهم، ويقال إنه إبراهيم الخوّاص رضى الله تعالى عنه، وذلك أنه كان لا يقيم فى بلد إلا أياما معدودة خوف الشهرة؛ فلما دخل بعض البلاد اشتهر فيها، فأراد أن يزيل عنه الشهرة وما يترتب عليها من الضرر؛ فدخل الحمام فوجد ثياب ابن الملك قد نزعها ووضعها عند الحمامى ثم غفل الحمامى عنها فلبسها الخوّاص ولبس من فوقها ثيابه وخرج يمشى رويدا حتى يلحقوه وينسبوه إلى اللصوصية وتزول عنه شهرة الصلاح،

فلحقوه وأخذوا منه الثياب وضربوه وسموه فى ذلك البلد لصّ الحمام، فقال لنفسه ههنا طاب المقام، فزعم المنكر أن هذا الفعل لا يجوز فى الشرع لأنه عرّض نفسه للتهمة والعقوبة وفعل فعلا محرّما من وجوه كثيرة *

والجواب عن ذلك: ما أجاب به بعض الفقراء لما سأله بعض الفقهاء عن هذه الحكاية بعينها وقال له: أريد أن تقيم على جوازها دليلا ظاهرا من ظاهر الفقه، ولا أقبل ما يذكره الفقراء، فقال له الفقير المذكور: ما طلبت من الدليل حاصل مشهور، قال وما هو؟ قال أليس يجوز فى ظاهر الفقه استعمال بعض المحرمات عند بعض الضرورات، كاستعمال النجاسات فى المداواة؟ قال الفقيه بلى يجوز ذلك، فقال الفقير فكذلك فى هذه المسئلة، داوى قلبه بهذا المحرّم، فاعترف الفقيه وقال: هذا الجواب هو الفقه بعينه * قلت: وها أنا أزيد هذا الجواب بعض بيان، وهو أن يقال: إذا جاز أن تداوى الأجسام من الأسقام بشىء حرام، فلأن يجوز أن تداوى القلوب التى هى محلّ المعرفة والنور بشىء محظور أولى وأبعد من المحذور، وشتان ما بين المرضين؛ فمرض الأجسام نعمة وحسنات، ومرض القلوب نقمة وهلكات، وأين هلاك الأبدان من هلاك الأديان، ففى هلاك الأديان سخط الملك الديان والبغض من الرحمن والقرب من الشيطان، وليس كذلك هلاك الأبدان فظهر أن مداواة القلب من مرض ضرر الشهرة وغيرها أولى وأحرى؛ ثم الأمراض إنما تداوى بأضداد عللها، فالحرارات تداوى بالبوارد بالحرارة، فكذلك مرض شهرة الصلاح داواه الخوّاص بدواء شهرة الطلاح، وهذا واضح لا يحتاج إلى زيادة إيضاح، وقد نبه النبىّ المكرّم على شرف القلب بقوله ﷺ «الا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب» أخرجاه فى الصحيحين *

ومن ذلك حكاية الشبلى رضى الله تعالى عنه: قال لى خاطرى يوما: أنت بخيل؟ فقلت ما أنا بخيل. فقال بلى أنت بخيل، فقلت ما أنا بخيل، فقال بلى أنت بخيل، فنويت أن أولّ شىء يفتح علىّ أعطيه أول فقير ألقاه، فما تم هذا الخاطر حتى دخل علىّ فلان سماه، بخمسين دينارا فأخذتها وخرجت فأول من لقيت فقيرا ضريرا، أو قال أكمه بين يدى مزين يحلق شعره، فناولتها

المزين فقال منذ قعد الفقير بين يدىّ عقدت مع الله تعالى عقدا أن لا آخذ على حلاقته شيئا، قال فأخذتها وذهبت بها إلى البحر ورميتها فيه وقلت فعل الله بك وفعل، ما أحبك أحد إلا أذله الله، رضى الله تعالى عن الثلاثة ونفعنا بهم * قلت: فالجواب عَن اعتراض المعترض وإنكار المنكر وزعمه أن هذه إضاعة مال من ثلاثة أوجه أحدها: أن يكون فعل ذلك فى حال ورد عليه وذو الحال الغائب غير مكلف. والثانى: أن يكون شهد سما مهلكا كل من صارت إليه فأتلفها كما تتلف الأفعى والثالث: أن يكون بإشارة مؤذنة بالإذن اضطرّته إلى ذلك بحيث لم يجد عنه محيصا، والله أعلم *

ومن ذلك حكاية أحمد بن الحوارى عند ما أمره شيخه أبو سليمان الدارانى رضى الله تعالى عنه: أن يدخل فى التنور وفيه النار لما كلمه وهو مشغول القلب وأكثر عليه من قوله يا أستاذى قد حمى التنور، فقال اذهب فادخل فيه وكان عاهده أنه لا يخالفه فى شىء فدخله ومكث ساعة، ثم قال أبو سليمان الحقوا أحمد، فأتوه وأخرجوه ولم يحترق منه شىء فالجواب عن هذا أنه علم بقوّة يقينه أن مراعاته للعهد المذكور وقيامه بالوفاء به يدفع عنه كل مخوف محذور، وكسى حالا من الله تعالى هو فيه عن حرارة النار مستور * وقد روى عن بعض العارفين أنه قال: الصادق تحت خفارة صدقه، يعنى إذا ارتكب المهالك عن صدق حماه صدقه عن الهلاك، وانقلب ذلك الهلاك نجاة بإذن الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: (قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم) *

ومن ذلك الحكاية التى تقدمت أيضا، وهى أن بعضهم سافر للحج على قدم التجريد، وعاهد الله سبحانه أن لا يسأل أحدا شيئا، فلما كان فى بعض الطريق مكث مدة لا يفتح عليه بشىء، فضعف عن المشى، ثم قال هذا حال ضرورة وقد قال الله (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وإذا لم أسأل انقطعت عن القافلة وهلكت بسبب الضعف المؤدى إلى العجز إلى الانقطاع المؤدى إلى الهلاك، ثم عزم على السؤال، فلما همّ بذلك انبعث من باطنه خاطر ردّه عن ذلك العزم، ثم قال أموت ولا أنقض عهدا بينى وبين الله تعالى، فمرّت القافلة؟ وانقطع واستقبل القبلة مضطجعا ينتظر الموت، فبينما هو كذلك إذا بفارس

قائم على رأسه معه إداوة، فسقاه وأزال ما به من ضرورة، وقال له أتريد القافلة؟ قال وأين منى القافلة فقال له قم وسار معه خطوات، ثم قال له قف ههنا فالقافلة تأتيك، فوقف وإذا بالقافلة مقبلة من خلفه * قلت: والجواب عن هذه الحكاية هو ما ذكرت من الجواب عن الحكاية التى قبلها بلا فرق. وعلى الجملة ما جاء عنهم مما يخالف العلم الظاهر فله محامل: **أحدها**: أن لا نسلم نسبته إليهم حتى يصح عنهم. **والثانى**: بعد الصحة أن يلتمس له تأويل يوافق العلم الظاهر، فإن لم يوجد له تأويل، قيل لعل له تأويلا فى الباطن يعرفه علماء الباطن العارفون بالله تعالى، ويذكر عند ذلك قصة موسى مع الخضر عليهما السلام. **والثالث**: أن يكون صدر عنهم فى حال السكر والغيبة والسكران، سكرا مباحا غير مكلف فى ذلك الحال، فسوء الظن بهم بعد هذه المخارج من عدم التوفيق، نعوذ بالله تعالى من الخذلان وسوء القضاء ومن جميع أنواع البلاء * وبعد هذا كله أقول: اعلموا رحمكم الله وإياى أن من امتلأ قلبه إيمانا بأحوال الفقراء الصالحين منهم والصديقين ومحبتهم والعلم بسيرتهم، سلم لهم ما سمع عنهم وحمل ما جاء عنهم مما لا يمكن حمله على ظاهره على محامل صحيحة، وأوله تأويلا لائقا بأحوالهم المليحة، ومن جملة التأويلات هذه الثلاثة المذكورة، وأما من لم يعرف أحوالهم ولم يشرب مشروبهم ولم يذق من مذوقهم ولم يطلع على علومهم وطريقهم ولم يخالطهم ولم يكمل حسن ظنه بهم، فإنه بلا شك إن لم يوفق ينكر عليهم أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، ولقد أحسن القائل حيث قال:

**أيقدح فيمن شرف الله قدره ... وما زال مخصوصا به طيب الثنا**

**رجال لهم سرٌ مع الله صادق ... فلا أنت من ذاك القبيل ولا أنا**

* وأما من اختلف فى تكفيره منهم، فمذهبى فيه التوقف ووكول الأمر فيه إلى الله تعالى، ولا أرى بمطالعة كلامه مصلحة لا سيما لمن ليس عنده تحقيق لقواعد الشرع ومعرفة الأصل دون الفرع، وأسأل الله الكريم التوفيق لما يحبّ ويرضى، والعفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة لى ولأحبابى والمسلمين أجمعين * وأما قول بعض المشايخ فى بعض الحكايات

التى ذكرتها: رأيت الغوث وهو القطب رضى الله تعالى عنه بمكة سنة خمس عشرة وثلاث مئة على عجلة من ذهب، والملائكة يجرّون العجلة فى الهواء بسلاسل من ذهب فقد تبادر فهم بعض الناس إلى إنكار هذا، وليس ذلك بمنكر، لأنه لم يفعل ذلك بنفسه، بل فعله الحقّ سبحانه وتعالى فى حقه فى عالم الملكوت، لا فى هذا العالم الذى هو محلّ التكليف؛ فلو أن الله تعالى أذن لبعض عباده أن يلبس ثوب حرير مثلا، وعلم العبد مثلا ذلك الإذن يقينا فلبسه لم يكن منتهكا للشرع * فإن قيل: من أين يحصل له علم اليقين؟ قلت: من حيث حصل للخضر ﷺ حين قتل الغلام وهو ولىّ لا نبى على القول الصحيح عند أهل العلم، كما أن الصحيح أيضا عند الجمهور منهم أنه الآن حى وبهذا قطع الأولياء ورجحه الفقهاء والأصوليون وأكثر المحدّثين *

وممن حكى ذلك عن جميع المذكورين الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رضى الله تعالى عنه، ونقله عنه الشيخ الإمام محيى الدين النووى رضى الله تعالى عنه وقرّره. وسأل جماعة من الفقهاء الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام رضى الله عنه قالوا له: ماتقول فى الخضر ﷺ، أحىّ هو؟ فقال ما تقولون لو أخبر عنه ابن دقيق العيد، يعنى الفقيه الإمام تقى الدين بن دقيق العيد رضى الله تعالى عنه أنه رآه بعينه أكنتم تصدقونه أم تكذبونه، فقالوا بل نصدقه، فقال قد والله أخبر عنه سبعون صديقا أنهم رأوه بأعينهم كل واحد منهم أفضل من ابن دقيق العيد انتهى كلامه * قلت: وهذا هو الصحيح المختار عند المحققين من العلماء الموفقين أن العارفين بالله تعالى أفضل من العلماء بأحكام الله رضى الله تعالى عنهم أجمعين وبهذا قال الشخ عزّ الدين بن عبد السلام المذكور وغيره.

وقال الشيخ تقى الدين المذكور بعد أن ذكر بعض الأولياء ممن رآه: هو عندى خير من كذا وكذا فقيها، وكذا أخبرنى بعض الأخيار من العلماء المتمكنين، وهو القاضى نجم الدين الطبرى رحمه الله أنه جاء خبر إلى مكة أن السيد العارف بالله الإمام إسماعيل بن محمد الحضرمى رضى الله تعالى عنه توفى، قال السيد الإمام العارف بالله أحمد بن موسى بن عجيل رضى الله

تعالى عنه وكان حينئذ بمكة أرجو أن يفديه الله بمئة فقيه، ثم جاء الخبر الصحيح أنه حيّ ولم يمت إلا بعد مدة طويلة * رجعنا إلى المقصود: لا شك أن من اعتقد الأولياء وصدّق بكراماتهم وبكلّ ما أخبروا به صدّق بأن الخضر ﷺ حيّ، لأن الصدّيقين رضى الله تعالى عنهم لم يزالوا فى كل زمان يخبرون أنهم اجتمعوا به، وذلك مشهور مستفيض عنهم ومروى عنهم فى الكتب المشهورة التى رواها العلماء والثقات وقد ذكرت فى هذا الكتاب أن جماعة من الشيوخ الكبار اجتمعوا به فى حكايات متفرّقة حذفت أسانيدها. وقد روى بعض الشيوخ الكبار أن الشيخ الكبير العارف بالله سهل بن عبد الله رضى الله تعالى عنه أقبل على الناس يوما وتكلم بكلام حسن، فقيل له لو تكلمت كلّ يوم مثل هذا كنا قد انتفعنا؟ فقال إنما تكلمت اليوم لأنه جاءنى الخضر ﷺ، فقال لى أقبل على الناس بوجهك وتكلم عليهم، فقد مات أخوك ذو النون، وقد أقمتك مقامه، فلولا أنه أمرنى أستاذ الأستاذين ما تكلمت عليكم. وقال الشيخ الجليل العارف بالله أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه: رأيت الخضر ﷺ فى برية عيذاب، فقال لى يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل وكان لك صاحبا فى الإقامة والرحيل *

قلت وأخبرنى بعض شيوخ اليمن أنه يأتيه الخضر عند الشدائد بالفرج. وقد ذكر المشايخ من ذلك ما يتعذّر حصره، منهم الشيخ الكبير العارف بالله أبو عبد الله القرشى رضى الله تعالى عنه، وخلائق لا يحصون، وليس فى الحديث الذى تعلق به بعض المحققين رضى الله تعالى عنهم، وتطويل الكلام والإطناب يخرجنا عن مقصود الكتاب. وأما قوله فى الحكاية المذكورة واسمه أحمد بن عبد الله البلخى أعنى القطب الذى رآه على عجلة من ذهب، فهذا الاسم والنسب المذكوران فى ذلك الزمان خاصة، لأن من المعلوم أن مقام القطبية لا يزال ينتقل من واحد إلى واحد، وقد تقدم ذكر ذلك فى مقدمة هذا الكتاب، وسمعت الشيخ الجليل العارف بالله نجم الدين الأصفهانى رضى الله عنه خلف مقام إبراهيم الخليل ﷺ يذكر أن الخضر ﷺ يسأل الله عزّ وجلّ أن يقبضه إليه عندما يرفع القرآن * قلت: والظاهر والله أعلم أن القطب

والأولياء الموجودين فى ذلك الوقت يطلبون الموت أيضا حينئذ، إذ ليس بعد رفع القرآن تطلب الحياة لأهل الخير * وأما ما قدمت فى بعض الحكايات عن الخضر ﷺ فى الأولياء المعدودين أنهم لا يزالون يبدلون واحدا بعد واحد إلى يوم ينفخ فى الصور، فالمراد إلى قريب يوم ينفخ فى الصور، لأن الساعة لا تقوم على من يقول لا إله إلا الله كما جاء فى الحديث، وكما جاء أن أهل القرآن والعلم يموتون ولا ينزع منهم القرآن والعلم انتزاعا.

وأما الحديث الوارد فى الذين أخبر النبىّ ﷺ أنهم لا يزالون على الحقّ ظاهرين حتى تقوم الساعة، فلابد من تأويله جمعا بين الأحاديث، فيحتمل أن يكون معناه إلى قريب قيام الساعة، هكذا أوّله العلماء *

وأما ما ذكرت فى حكاية الشيخ علىّ الكردى رضى الله تعالى عنه أن كثيرا منهم جمعوا فى التستر بين الوله والتجريد يوهمون الناس أنهم لا يصلون ولا يصومون ويكشفون عوراتهم حتى يساء الظنّ بهم، ولا ينسبون إلى الصلاح، وهم يصلون ويصومون فى الباطن، فيما بينهم وبين الله تعالى، وقد شوهد كثير منهم يصلون فى الخلوات ولا يصلون بين الناس، فذلك صحيح، وهؤلاء لهم مذهب معروف يظهرون المساوى ويخفون المحاسن، ولا يبالى أحدهم بكونه بين الخلق زنديقا إذا كان عند الله صديقا، لأنهم لم يزالوا يبالغون فى نفى رؤية المخلوقين وإسقاطهم من قلوبهم وعدم الاحتفال بمدحهم غير ذمهم استجلابا بالكمال والإخلاص، واستبراء للنفوس من شوائب الشرك الخفى الذى لا يسلم منه إلا الخواص ومنهم آخرون يصلون بين الناس ولا يرون فى الصلاة، بل يحتجبون عن الناس بأحوالهم ولهم أطوار وراء العقل، لا تدرك بالعقول وإنما تدرك بالنور، ويعرفها العارفون * وقد سمعت من بعض أهل العلم الظاهر أن بعض الفقهاء كان ينكر على بعضهم بعض الأشياء المعقولات، فقال له يا فقيه إن هناك أشياء وراء العقل، فانظر أين ترانى الآن؟ فنظر إليه فإذا هو فى الهواء وإذا هو مكانه أيضا.

وكذلك أخبرنى بعض أهل العلم أيضا أن بعضهم كان لا يرى يصلى، فلما كان بعض الأيام أقيمت الصلاة وهو قاعد، فقال له بعض الفقهاء: قم صلّ مع

الجماعة منكرا عليه، فقام وأحرم معهم وصلى الركعة الأولى، والفقيه والمنكر بجنبه ينظر إليه، فلما قاموا إلى الركعة الثانية نظر الفقيه إليه فرأى غيره يصلى مكانه، فتعجب من ذلك، وفى الركعة الثالثة رأى ثالثا غير الأثنين الأولين فازداد تعجبا، وفى الرابعة رأى رابعا غير الثلاثة، فاشتدّ عجبه، فلما سلموا التفت، فرأى صاحبه الأول الذى أنكر عليه جالسا فى مكانه وليس عنده أحد من الثلاثة، فتحير مما رأى، فنظر إليه الفقير الموله ثم ضحك وقال: يا فقيه أىّ الأربعة صلى معكم هذه الصلاة؟ انتهى كلامه * فقلت: ومثل هذه القصة سمعت أنها صدرت من قضيب البان رضى الله تعالى عنه، رآه بعض أصحابه يوم عرفة بعرفة، ورآه آخر من أصحابه فى مكانه لم يفارقه فى جميع ذلك اليوم، فذكر كلّ واحد منهما ذلك لصاحبه، ثم تنازعا وحلف كل واحد منهما بالطلاق من زوجته أنه كما ذكر، فاختصما إلى الشيخ، وذكر كلّ منهما يمينه، فأقرهما على حالتهما وأبقى كل واحد على زوجته.

قال الشيخ صفىّ الدين بن أبى المنصور رضى الله تعالى عنه فسألت الشيخ مفرجا رضى الله تعالى عنه عن حكمه فى هذه القضية بعدم حنث الاثنين مع كون صدق أحدهما يوجب حنث الآخر، وكان معنا فى وقت سؤالى له جماعة فيهم رجال معتبرون، لهم معرفة بالعلم، فقال لنا الشيخ قولوا: يعنى تكلموا فى هذه المسئلة، وكان ذلك إذنا منه لنا بأن نتحدث فى سرّ هذا الحكم، فنتحدث كل واحد منهم بوجه غير كاف وكانت المسئلة قد اتضحت لى، فأشار إلىّ الشيخ بايضاحها، فقلت الولىّ إذا تحقق فى ولايته وتمكن من التصرّف فى روحانيته، يعطى من القدرة فى التصوّر فى صور عديدة فى وقت واحد فى جهات متعددة على حكم إرادته؛ فالصورة التى ظهرت لمن رآها بعرفة حقّ، والصورة التى رآها فى مكانه فى ذلك الوقت حق فكل واحد منهما صادق فى يمينه، فقال الشيخ مفرج رحمه الله تعالى هذا هو الصحيح، يشير إلى صحة ما أوضحته فى صورة ما حكم به بين المتنازعين فى أمره، رضى الله تعالى عنه ونفعنا به * قلت: هذا الجواب يوضح ما يشكل من مثل هذا كما فى قضية الأربعة الذين صلوا صلاة واحدة، كل واحد منهم ركعة، وقضية الواحد الذى

رآه الفقيه فى الهواء وفى الأرض فى وقت واحد، وقضية الشخص الذى كان يتكلم من صورة سهل بن عبد الله ويحسب الحاضرون أنه سهل، وكان سهل فى ذلك الوقت فى منزله، وقد تقدمت حكايته رضى الله تعالى عنه، وغير ذلك مما يشكل على غير العارفين بالله تعالى؛ فأما العارفون بالله تعالى فلا يشكل عليهم ولا يمنعهم ما رأوا من التجريب من حسن الاعتقاد فى المجرّبين كما تقدم من زيارة الشيخ الإمام أستاذ الأنام شيخ شيوخ الإسلام إمام الطريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة علما وعملا ومقاما وحالا وسلوكا وذوقا وكشفا وتحققا، مولانا شهاب الدين السهروردى للشيخ على الكردى رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما، ومجيئه إليه وتطفله عليه، مع كبر جلالته وعلوّ منزلته وكونه وحيد دهره وفريد عصره، ولم يصدّه عنه ما قابله به من كشف عورته، وما نسب إليه من ترك الصلاة وغير ذلك لما عرف فيه الولاية التى سبقت بها العناية. فانظر رحمك الله وإياى إلى حسن اعتقاد هذا السيد وتواضعه، ومحاسن آدابه، ومسارعته إلى زيارته مع كون القادم الذى حقه أن يزار لا يزور، رضى الله تعالى عن الزائر والمزور. وانظر إلى كثير من الناس كيف يطعنون فى مثل هذا الشيخ علىّ المذكور، وينسبونه إلى الزندقة والفجور، إلا الموفقين فإنهم يعتقدونه، وإن لم يعرفوه كما يعرفه العارفون بالله تعالى * ولقد سمعت بعض الفقهاء الكبار فى بلاد اليمن وقد ذكره فى هذا الكتاب، وذكرت بعض كراماته رضى الله تعالى عنه قال: رأيته يفعل بعض الأشياء المنكرة فى ظاهر الشرع جهارا، فقلت فى نفسى انظر إلى هذا الفاعل التارك الذى يقال إنه صالح كيف يقدم على هذه المنكرات المحرمات، فلما كان الليل احترق بيتى بالنار، انتهى كلامه * قلت: وأهل التوله والتجريب كثير لا ينحصر عددهم ولا تحصى كراماتهم ومجدهم، ولكن قد يتشبه بهم من ليس منهم، ويدخل نفسه بالتزوير معهم من هو خارج عنهم، إذ لم يزل فى الناس الكاذب والصادق والطائع والفاسق والصدّيق والزنديق.

فإن قلت: فهذا يؤدى إلى الالتباس فى اختلاف الناس فى الصفات الحقيرات والنفاس، فكيف يعتقد من لا يدرى إلى أىّ القبيلين يرجع ومن

اعتقاده للنفع ينجع؟ فما الجواب فى ذلك؟ قلت: الجواب فيما ظهر لى والله سبحانه وتعالى أعلم مبسوطا ومختصرا، فأما المبسوط فأقول: اعلم وفقك الله وإياى لأحمد الطريقين، وجعلنا جميعا من خير الطريقين الذى قال فيهم العليم الخبير (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) إن حسن الظنّ بالمسلمين فضلا عن الصالحين، باب كبير من أبواب الخير والنفع فى الجلب والدفع، أعنى جلب المحبوبات المحمودات، ودفع المكروهات المذمومات فى الحياة والممات، وذلك مشهور معروف عند كل من هو بالخير موصوف، ولكن لا يمكننا أن نطلق القول باعتقاد كل أحد، بل لابد من التفصيل لما تقدم من وقوع الالتباس، ثم التفصيل فى ذلك فيه صعوبة وغموض، إذا لا يطلع على بواطن الخلق إلا الحقّ سبحانه وتعالى، أو من أطلعه الله على ذلك، ولكنى أقول فى ذلك بحسب ما ظهر لى وانشرح للقول به صدرى، راغبا إلى الله تعالى بالتوفيق للصواب ومستعينا به ومفوّضا إليه أمرى، وراجعا فى ذلك إليه، ومعتمدا فيما أقصد عليه، ومتبرّئًا من الحول والقوّة إلا به فى كل واضح ومشتبه، وهو حسبى ونعم الوكيل، فأقول وبالله التوفيق: الناس على قسمين: معتقد - بكسر القاف - ومعتقد بفتحها، والقسم الأول على قسمين أيضا: ناظر بنور الله تعالى وغير ناظر به، والقسم الثانى من التقسيم الأول على قسمين أيضا: مرتكب منكر فى ظاهر الشرع مصرّ عليه عالم به، وغير مرتكب لذلك. والقسم الثانى منه المعتقد من غير نور ينظر به كأمثالنا، نسأل الله الكريم أن يتكرّم علينا بجاه الكرام عنده؛ والكلام فى هذا القسم يختلف حكمه باختلاف القسم الثانى، وهو المعتقد بفتح القاف، فالقسم الثانى منه هو غير المرتكب للمنكر المذكور يحسن الظنّ به مطلقا. والقسم الأول منه وهو المرتكب على ثلاثة أقسام.

**الأول منها**: من يعتقده العارفون المعروفون بالنور والعلم الباطن، فهذا يعتقد مثلهم، والثانى منها: من لا يعتقده المذكورون، فهذا لا نعتقده لوجهين: أحدهما ارتكابه للمنكر والآخر لموافقة العارفين المذكورين فى عدم اعتقاده. والثالث من الأقسام الثلاثة: من لا نعلم هل يعتقدونه أم لا؟ فهذا على قسمين: الأول منهما: من لم يظهر منه شىء من خوارق العادة، فهذا نسىء الظنّ به

لإصراره على المنكر المذكور مع عدم معارضة كرامته. واعتقاده المذكورين. أو الثانى منهما: من ظهر منه شىء من ذلك، فهذا على ثلاثة أقسام: الأول منها: من يكون معروفا بالديانة والطاعة والعبادة معرفة موجبة لظنّ مؤكد مستند إلى طول خلطة أو غير ذلك من الأسباب الموجبة للظنّ القوىّ، فهذا نعتقده لاجتماع الكرامة والدين ونقول ما نسب إليه من المنكر المذكور يحتمل أن يكون له مخرج عنه بأمر باطن خفىّ علينا كما كا للخضر عليه السلام مع موسى ﷺ. **والقسم الثانى من الثلاثة**: من يكون معروفا بالفسق أو السحر أو الكهانة، فهذا نسىء الظنّ به ،ونقدح فيه وننكر عليه لانتفاء الدين والكرامة جميعا عنه، لأن هذا الذى أظهره ليس بكرامة بل سحر وكهانة يظهران على يد كل ولىّ للشيطان، نعوذ بالله منه؛ والكرامة تظهر على يد كل ولىّ للرحمن تبارك وتعالى، وليس الساحر والكاهن من الدين فى شىء، وقد يكون بعض السحر كفر؛ وكذا المنجم الذى يعتقد أن النجوم مؤثرة بذاتها والطبيب المعتقد أن الطبائع مؤثرة بذاتها كافران، نسأل الله الكريم العافية فى الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين آمين.

**والقسم الثالث من الأقسام الثلاثة**: من يكون مجهول الحال فيما ذكرناه من الديانة مع ظهور الخارق والمنكر المذكورين منه، فهذا نتوقف فيه ونمعن النظر ونختبره ونجرّبه ونبحث معه وعنه فى الأقوال والأفعال والأعمال والأحوال، لأجل تعارض فضيلة ورذيلة، أعنى الخارق المحتمل للكرامة والمنكر المقتضى الملامة. ونلزم معه الأدب فى البحث والاختبار والمجالسة، فإن ظهر لنا ما يقتضى إلحاقه بحكم أحد القسمين اللذين قبله ألحقناه بحكمه، وعاملناه بمقتضاه، وإن لم يظهر لنا شىء منه نظرنا فى المنكر الذى هو ملابسه. وهو على قسمين: فاحش وغير فاحش: فإن كان فاحشا تباعدنا عنه إلى أن يظهر لنا ما يقتضى القرب منه لأنا على يقين من المنكر فى الظاهر، والكرامة نشك فيها فى الظاهر والباطن، وإن كان غير فاحش قربنا منه إلى أن يظهر لنا ما يقتضى البعد عنه، لأن الكرامة محتملة، وتحسين الظنّ بالمسلمين مندوب إليه، وأما المنكر اليسير فلا يكاد يسلم منه إلا القليل، ووجود

الطيب الخالص عزيز جدا، وفى مثل هذا قال القائل:

**من لك بالمحض وليس محض يخبث بعض ويطيب بعض**

فهذه عشرة أقسام ثابتة بعد إسقاط ما تكرر منها.

وقد بقى قسم آخر، وهو كلّ مجهول الحال ظهر منه خارق للعادة من غير ظهور منكر منه، فهذا نحسن الظنّ به ما لم يظهر لنا ما يقدح فيه، وهذا المذكور كله الخارق للعادة هو إذا حصل مع عدم التحدّى والدعوى على ما تقدّم فى فصل كرامات الأولياء من الشرط والتفصيل والاستثناء. وكل من تعارض فيه موجبا مدح وقدح وتساوى الموجبان ولم يترجح أحدهما وشككنا فيه وخفى علينا حاله توقفنا فيه ولم نحكم فيه بصلاح ولا طلاح ولا مدح ولا قدح ولا اعتقاد ولا انتقاد، بل نكل أمره إلى العليم الخبير الذى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) هذا ما ظهر لى من الجواب، والله أعلم بالصواب * وأما المختصر من الجواب وإيجاز البسط والإطناب فى هذه التقسيمات والأقسام المذكورات، فهو أن نقول: الناس على ثلاثة أقسام: قسم نعتقده، وقسم لا نعتقده، وقسم نتوقف فيه *

**فالقسم الأول**: نعتقده بأحد ثلاثة أشياء: الأول أن يعتقده أهل الباطن على أىّ صفة كان. والثانى أن لا يصرّ على منكر ظاهر. والثالث أن تجتمع فيه الديانة والكرامة بشرطهما مع الإصرار على بعض المنكرات فى الظاهر*

**والقسم الثانى** لانعتقده باجتماع ثلاثة أشياء: الأول إصراره على منكر فى ظاهر الشرع عالما به. والثانى عدم ظهور خارق للعادة منه. والثالث عدم علمنا باعتقاد أهل العلم الباطن فيه.

**والقسم الثالث** نتوقف فيه باجتماع ثلاثة أشياء: الأول ظهور الخارق للعادة منه. والثانى جهلنا بحاله. والثالث إصراره على المنكر المذكور مع علمه به ونبحث معه عنه فإن ظهر لنا ما يقتضى صلاحا أو طلاحا عاملناه بمقتضاه وإلا فإن كان المنكر فاحشا جانبناه وإن لم يكن فاحشا خالطناه، والله أعلم.

فهذا مختصر الأول فى نحو من سبع كلامه مع استيعاب جميع أحكامه.

وهذا الذى ذكرته فى المجهول الحال أنه إذا لم يظهر لنا حاله أنا نجانبه أو نخالطه على حسب فحش المنكر وعدم فحشه قلته على جهة الاحتياط، وإلا فليس يخفى الولىّ الصديق الصادق من الساحر الزنديق والكاهن الفاسق، بل يعرف هذا من هذا بأدنى مخالطة بل بمجرد رؤيته، فليس سيما المقرّبين والأبرار كسيما الزنادقة والفجار، وهذا يعرف بالرؤية، وليس الآداب كالآداب، ولا البركات كالبركات، ولا السكون كالسكون، ولا الحركات كالحركات، وهذا يعرف بالمخالطة، فلو لبس الخبيث بكل ممكن بالطاهر، فلابد أن يرشح من باطنه ما يميز بين رشح نتنه الخبيث وبين رشح طيب الطيب الفاخر، فذاك يفوح من باطنه نتن الفجور ويحرق جليسه كنافخ الكير بالنار، وهذا يفوح من باطنه مسك الطاعة ويجد جليسه من ريحه كحامل المسك العطار * مفرد:

**يكون أجاجا دونكم فإذا انتهى  إليكم تلقى طيبكم فيطيب**

ولو أن الشوهاء كل عال وغال من حلىّ وحلل لبست لم تشبه الحسناء، وإن هى عن الحلىّ والحلل تعطلت؛ أين تمويه السراب من المورد العذب الشراب، وأين ظاهر القشر من باطن اللباب، كل ذلك يعرف ببديهة العقول، وفى هذا المعنى أقول:

**لعمرك ما شوها بحلى تزينت  كحسنا وإن كانت عن الحلى عاطله**

**إذا ما ادعت حسنا وتزوير حليها  شهود فدعوى صاحب الزور باطله**

وهذا التفصيل والتقسيم الذى ذكرته فيمن يعتقد ويعتقد بكسر القاف فى الأول وفتحها فى الثانى من المذكورين لا أعلم أحدا ذكره، ولكن أظن أن كلّ موفق يحسن الظنّ فى الفقراء من الفقهاء وغيرهم من أهل الرشاد يوافقنى على ما ذكرته من الاعتقاد، اللهمّ إلا أهل مذهب معروف بالتجسيم فى بعض البلاد، فإنه لا مطمع فى موافقتهم، فإنهم لا يزالون يطعنون فى الأولياء والصالحين من الصوفية ومن الأئمة العلماء الذين خالف صحيح اعتقادهم باطل اعتقاد الحشوية، كالحبر المعظم الذى باهى به سيدنا محمد ﷺ موسى وعيسى ابن مريم عليهما السلام بقوله ﷺ أفى أمتكما حبر هكذا؟ فقالا

عليهما السلام لا، وذلك الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى، روينا ذلك بالإسناد المتصل العالى عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما، وشهد له أيضا الصدّيقون بالصدّيقية العظمى والمقام العالى البعيد المرمى، وفيه قلت:

**أبو حامد غزال غزل مدقق من العلم لم يغزل كذلك بمغزل**
**به المصطفى باهى لعيسى ابن مريم له قال صدقا خاليا عن تقوّل**
**أحبر كهذا فى حواريك قال لا وناهيك فى هذا الفخار المؤثل**
**له فى منامى قلت أأنت حجة لإسلامنا لى قال ما شئت بى قل**

* وذكر الشيخ العارف بالله الخبير الشهير اليمنى أحمد بن أبى الخير الصياد رضى الله عنه ونفع به العباد كلاما ثابتا عنه بالإسناد، من جملته أنه رأى فى بعض الأيام وهو قاعد أن أبواب السماء مفتحة، وإذا بعصبة من الملائكة قد نزلوا إلى الأرض ومعهم خلع خضر ودابة من الدواب، فوقفوا على رأس قبر من القبور وأخرجوا شخصا من قبره وألبسوه الخلع وأركبوه على الدابة وصعدوا به إلى السماء، ثم لم يزالوا يصعدون به من سماء إلى سماء حتى جاوزوا السموات السبع كلها، وخرق بعدها سبعين حجابا، قال فتعجبت من ذلك وأردت معرفة ذلك الراكب، فقيل لى هذا الغزالى، ولا علم لى أين بلغ انتهاؤه رضى الله تعالى عنه وعن علماء المسلمين، وكالإمام الشهير الكبير الولىّ ذى السيرة الحميدة والمناقب العديدة محيى الدين النووى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وغيرهما مما لا يحصى عددهم من العلماء المحققين، والنظار المدققين الصالحين الموفقين؛ ولم يزل الطاعنون المذكورين يتربصون ببعض ما يعدونه زللا لينتهزوه فرصة يتخذونها ذريعة إلى بلوغ الأغراض فى التفكير، ربما قدروا عليه من ثلب الأعراض، ولو قدروا على عقوبة لبادروا إليها؛ لا أقدرهم الله عليها؛ حتى إنهم يأتون إلى كلام فيه نوع استعارة أو مجاز أو ضرب من المبالغة أو غير ذلك، مما يقع فى الكلام الفصيح ويكسونه زىّ معنى مليح، ويعدّه أهل الفضل فى العلوم فضلا للذين لم يزالوا لمعرفة

أنواع البلاغة وتحقيق العلوم أهلا، ويجعلونه هم كفرا وبدعة وجهلا، ولم يزالوا حريصين على إظهار ما يعدونه مساوى بزعمهم وهى محاسن عند من خبرها، وباحثين عن بواطن الفقراء، مترجين انكشاف عورة أمر الشارع بسترها، وكل من رأوه منفردا عن الناس أو متجرّدا عما عليهم من اللباس أو حافيا أو حاسر الرأس أو غير ذلك من هيئات المشمرين فى الله الرافضين للدنيا الأكياس، قالوا هذا خارج عن الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولم يدروا أن الطريق العليا فى الكتاب الأسنى وعزائم السنة الغرّاء وإجماع العقلاء وقياس الفطناء الذين فيهم تقدم قول القائل أولا:

**إن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا نظروا فيها فلما عرفوا**

**أنها ليست لحى وطنا جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا**

هى رفض الدنيا والإعراض عما سوى الله تعالى وليس هى مجرّد الرخص وما فيه لنفوسهم هوى، كأنهم لم يسمعوا قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) الآية وغيرها من الآيات الكريمات والواردات فى فضل الفقراء، وذم الدنيا والهوى، وقوله ﷺ فى الأحاديث الصحيحات والشهيرات فى مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه وذكراها به وتمزقه، وفى أويس بن عامر رضى الله تعالى عنه وذكر تجرده وسيرته، وقوله ﷺ فى الأول منهما «دعاه حبّ الله ورسوله إلى ما ترون» وفى الثانى «لو أقسم على الله لأبرّه» وقوله ﷺ «إن البذاذة من الإيمان»، وقوله ﷺ «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمس مئة عام»، وقوله ﷺ «هذا خير من الأرض مثل هذا»، وقوله ﷺ «ثم رجل يعتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه» وقوله ﷺ «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، والحديث الذى فيه عيادته ﷺ مع جماعة من أصحابه رضى الله تعالى عنهم أجمعين لسعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه وليس عليهم قمص ولا قلانس ولا نعال ولا خفاف، وغير ذلك من الأحاديث الواردة فى التقشف وترك الزينة وعدم التقيد بهيئة مخصوصة، وكذلك سيرة الزهاد من الصحابة والتابعين، وحكايات العباد من السلف الصالحين رضى الله تعالى عنهم فى التجرّد وترك الدنيا، والاشتغال بالأخرى،

والانعزال عن الورى، والتخلى لذكر المولى سبحانه وتعالى، والتغرب عن الأهل والأحباب والأوطان، والتشتت فى السياحات فى الفلوات كما قال بعضهم:

**ومشتت العزمات لا يلوى على أهل ولا مـال ولا جـيـران**

**ألف السرى حتى كأنّ رحيله للبين رحلتـه إلى الأوطان**

واعجبا من قوم يطعنون فى الصوفية السادات كبارهم وصغارهم، كيف عموا عن رؤية محاسنهم الزاهرة، وأنوارهم الباهرة، ومعالى فخارهم وتزينوا بثلب أعراضهم الطاهرة، ولم يقفوا على أغراضهم الظاهرة، ويصدقوا صحيحها، وصموا عن سماع علومهم البحار الزاخرة، ومعارفهم العوالى الفاخرة، فلم يعشقوا مليحها، وغير ذلك مما ذكره يطول، وفى هذا المعنى أقول:

**إذا أنت لم تظهر بها حسن عزّة وتسمع معانى لفظها حين تنطق**

**أصمّ وأعمى عن سماع ورؤية وفى ظلمة والنورَ حولك مشرق**

**وفى ربيعها جار الخيام كغائب له منزل غرب وعزّة مشرق**

**فما قط تدرى طعم حب جمالها ولا أنت ممن حسن عزّة يعشق**

## (الفصل الثانى فى بيان عقيدة المشايخ العارفين الربانيين المكاشفين والعلماء المحققين والأئمة المدققين رضى الله تعالى عنهم أجمعين مختوما بثلاث قصيدات وذكر شىء من الصفات المحمودات والمذمومات)

روينا عن تاج العارفين بالله قطب العلوم اللدنية سيد الطائفة الصوفية الإمام الأستاذ أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه أنه قال: أول ما يحتاج إليه من عقد الحكمة معرفة المصنوع صانعه والمحدث كيف كان إحداثه، فيعرف صفة الخالق حينئذ من المخلوق، وصفة القديم من المحدث، فيذلّ لدعوته، ويعترف بوجوب طاعته فإن لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه * روينا عن الشيخ الكبير العارف بالله قطب المقامات ومعدن الكرامات أبى سهل بن عبد الله التسترى رضى الله تعالى عنه أنه سئل عن ذات الله سبحانه؟ فقال: ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار فى دار الدنيا، وهى موجودة بحقائق الإيمان من غير حدّ ولا حلول، وتراه العيون فى العقبى ظاهرا ملكه وقدرته، قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته؛ فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه. ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية * قلت: وقول سهل هذا فى نهاية الحسن والتحقيق والتدقيق لمن تأمل ألفاظه * وروينا عن الشيخ الكبير العارف بالله لسان الحكمة ذى العلوم والأحوال والكرامات الجمة أبى الفيض ذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه أنه سئل عن التوحيد؟ فقال: أن تعلم أن قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج وصنيعه للأشياء بلا علاج، وعلة كل شىء صنعه، ولا علة لصنعه، وليس فى السموات العلا ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير الله تعالى، وكل ما تصوّر فى وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك * قلت: هذا القول أيضا جمع بين الحسن والتحقيق العزيز، مع أنه مختصر جامع وجيز * وجاء رجل إلى ذى النون فقال: ادع الله تعالى، فقال إن كنت قد أيدت فى علم الغيب بصدق التوحيد، فكم من دعوة مجابة قد سبقت

لك، وإلا فإن النداء لا ينقذ الغرقى. وروينا عن الشيخ الكبير الشأن ذى الكرامات والمعارف والأسرار أبى الحسين النووى رضى الله تعالى عنه أنه قال لما وصف القرب من الله تعالى: أما القرب بالذات فتعالى الملك عنه وإنه متقدس عن الحدود والأقطار، والنهاية والمقدار، ما اتصل به مخلوق، وما انفصل عنه حادث مسبوق، جلت الصمدية عن قبول الوصل والفصل. فقرب هو فى نعته محال. وهو تدانى الذوات. وقرب فى نعته واجب، وهو قرب الفعل باللطف * قلت: وهذا القول أيضا بديع الحسن والتحقيق. وروينا عن الأستاذ أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه أنه سأله ابن شاهين عن معنى مع، فقال مع على معنيين: مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة قال الله تعالى (إننى معكما أسمع وأرى) ومع العامة بالعلم والإحاطة قال الله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) الآية، فقال ابن شاهين: مثلك يصلح أن يكون دالا للأمة على الله عزّ وجلّ * وعن الجنيد أيضا أنه قال: متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير بمن له شبيه ونظير؟! هيهات هذا ظنّ عجيب إلا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا إحاطة، إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان. وقال أيضا: تفرد الحقّ بعلم ما كان وما يكون ومالا يكون أن لو كان كيف كان يكون. وقال أيضا: أشرف المجالس وأعلاها مجالس الفكر فى ميدان التوحيد. وقال أيضا: التوكل عمل القلب والتوحيد قول القلب، وهذا هو قول أهل أصول الكلام هو المعنى القائم بالقلب من معنى الأمر والنهى والخبر والاستخبار * وسئل الجنيد عن التوحيد فقال: يقال إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، بنفى الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير). وروينا عن الشيخ الكبير العارف بالله أبى العباس بن عطاء رضى الله تعالى عنه أنه قال: لما خلق الله الأحرف جعلها سرّا له، فلما خلق آدم ﷺ بث فيه ذلك السرّ ولم يبث ذلك فى أحد من ملائكته فجرت الأحرف على لسان آدم ﷺ بفنون الجريان وفنون اللغات، فجعلها صورا لها، وهذا القول صريح من ابن عطاء رحمه الله تعالى بأن الحروف مخلوقة *

وروينا عن الشيخ الكبير العارف أبى بكر الشبلى رضى الله تعالى عنه أنه قال: جلّ الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف، وهذا صريح من الشبلى بأن القديم سبحانه وتعالى لا حدّ لذاته ولا حروف لكلماته. وسئل عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فقال: الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى * وروينا عن الإمام الجليل ذى المناقب والجد الأثيل سلالة النبوّة معدن الفضائل والعلوم والفتوّة، جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه أنه قال: من زعم أن الله سبحانه وتعالى فى شىء أو من شىء أو على شىء، فقد أشرك بالله إذ لو كان على شىء لكان محمولا، لو كان فى شىء لكان محصورا، ولو كان من شىء لكان محدثا، تعالى الله عن ذلك. وسئل الشيخ العارف جعفر ابن نصير رضى الله تعالى عنه عن الاستواء فقال: استوى علمه لكل شىء، فلا شىء أقرب إليه من شىء. وقال كثير من الأئمة الكبار العارفين أهل الأنوار والأصوليين النظار: استوى، معناه استولى، كما قال الشاعر:

**قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق**

وذكروا تأويلات أخر يطول ذكرها فى معنى الاستواء * وقيل للشيخ أبى الحسن الشاذلى رضي الله عنه أعرشىّ أنت أم كرسىّ؟ فقال الطينة أرضية، والنفس سماوية، والقلب عرشىّ، والروح كرسىّ، والسر مع الله بلا أين * قلت: وهذا القول صريح فى نفى الجهة عن خالق الجهات، المتعالى عن الحركات والسكنات وسائر سمات المخلوقات * وروينا عن الشيخ العارف الواعظ لسان الحكمة يحيى بن معاذ الرازى رضي الله عنه أنه قيل له: أخبرنا عن الله تعالى، فقال إنه واحد، فقيل كيف هو؟ فقال ملك قادر، فقيل أين هو؟ فقال بالمرصاد، فقال السائل لم أسألك عن هذا؟ فقال ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق، فأما صفته فما أخبرت عنه * وقال الشيخ الكبير العارف الأستاذ أبو علىّ الدقاق رضي الله عنه قيل لصوفى أين الله؟ فقال أسحتك الله تطلب مع العين أين. وقال محمد بن محبوب خادم الشيخ العارف أبى عثمان المغربى رضى الله تعالى عنهما قال لى أبو عثمان: يا محمد لو قال لك أحد أين معبودك إيش تقول؟ قال كنت أقول حيث لم يزل. قال: فإن قال: فأين كان فى الأزل؟ إيش تقول؟

قال: قلت أقول: هو الآن، يعنى أنه كما كان ولا مكان، فهو الآن على ما عليه كان، قال فارتضى ذلك منى ونزع قميصه وأعطانيه *

وروينا عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى عثمان المذكور رضى الله تعالى عنه أنه قال: كنت أعتقد شيئا من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبى، فكتبت إلى أصحابنا بمكة إنى أسلمت جديدا *

وروينا عن الأستاذ الإمام أبى إسحاق الاسفراينى رضى اللهتعالى عنه أنه قال: لما قدمت بغداد كنت أدرس فى جامع نيسابور مسئلة الروح وأشرح القول فى أنها مخلوقة، وكان الشيخ أبو القاسم النصراباذى قاعدا متباعدا عنا يصغى إلى كلامنا، فاجتاز بنا من بعد ذلك بأيام قلائل، فقال لمحمد الفرّاق: أشهد أنى أسلمت على يد هذا الرجل، وأشار إلىّ *

قلت: وهذا القول من الشيخ أبى القاسم المذكور تواضع وإنصاف ورجوع إلى الحقّ واعتراف مع جلالة قدره، فإنه كان شيخ وقته، وكذلك قول الشيخ أبى عثمان السابق وكل هذا يدلّ على أنهم مطهرون من الحظوظ النفسية، متصفون بالصفات الزكية أهل الحضرة القدسية * وقال الشيخ الجليل العارف أبو بكر الواسطى رضى الله تعالى عنه: ما أحدث سبحانه شيئا أكرم من الروح، فهذا صريح منه بأن الروح مخلوقة. وقال الشيخ العارف الكبير الربانى أبو القاسم النصراباذى رضى الله تعالى عنه: الجنة باقية ببقائه؛ وهذا القول فى غاية التحقيق، فإن مذهب أهل الحقّ أن صفات ذات القديم باقية ببقائه، وأفعاله باقيات بإبقائه، فهو تعالى عالم بعلم، قادر بقدرة، مريد بإرادة، متكلم بكلام، سميع بسمع، بصير ببصر، حىّ بحياة، باق ببقاء، فهذه الصفات وسائر صفاته باقية ببقاء ذاته أزلا وأبدا؛ وأما أفعاله كالجنة والنار وغيرهما فباقيات بإبقائه لها. وخالفت المعتزلة فى الصفات فقالوا: عالم بغير علم، قادر بغير قدرة، باق بغير بقاء، وكذا سائر الصفات. وخالفت الفلاسفة فى الأفعال الواقعة تحت القدرة فزعموا أنها قديمة، ولزم على قولهم الحكم بقدم العالم، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا.

* وروينا عن الشيخ العارف ذى الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف، أبى إسحاق إبراهيم بن محمد الخوّاص رضي الله عنه أنه قال: انتهيت إلى رجل وقد صرعه الشيطان، فجعلت أؤذن فى أذنه، فنادانى الشيطان من جوفه: دعنى أقتله فإنه يقول: إن القرآن مخلوق * وقال الأستاذ أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه: سئل بعض العلماء عن التوحيد، فقال: هو اليقين، قال السائل بين لى ما هو؟ فقال هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله وحده لا شريك له، فإذا عرفت ذلك فقد وحدته ◆ وقال الشيخ الكبير العارف الربانى أبو علىّ الروذبارى رضي الله عنه وقد سئل عن التوحيد؟ فقال: هو استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل، وإنكار التشبيه وإثبات التوحيد فى كلمة واحدة كلّ ما تصورته الأوهام والأفكار، فالله سبحانه وتعالى بخلافه لقوله تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) قلت وهذه الأقوال رواها الشيخ الإمام أبو القاسم القشيرى رضي الله عنه فى رسالته المشهورة ما خلا ألفاظا يسيرة رواها بعض الأئمة العارفين غيره، ثم إن هذه الأقوال تدل على ما ذكره الإمام القشيرى المذكور، قال رضي الله عنه: اعلموا رحمكم الله تعالى. أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة فى التوحيد، وصانوا عقائدهم عن البدع، ودأبوا بما وجدوا عليه السلف الصالح وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، عرفوا ما هو حقّ القدم وتحققوا، بما هو نعت الموجود عن العدم، فلذلك قال سيد هذه الطائفة الجنيد رضي الله عنه: التوحيد إفراد القدم من الحدوث، وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد كما قال الشيخ أبو محمد الجريرى رضي الله عنه: من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف، يريد بذلك أن من ركن بقلبه إلى التقليد ولم يتأمل دلائل التوحيد سقط عن سنن النجاة، ووقع فى أسر الهلاك. قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضي الله عنه : ومن تأمل ألفاظهم وتصفح كلامهم، وجد فى مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها ما يثق بتأمله بأن القوم لم يقصروا فى التحقيق عن شأو، ولم يعرّجوا فى الطلب على تقصير: قال شيوخ هذه الطريق على ما يدل عليه متفرّقات كلامهم ومجموعاتهم ومصنافتهم فى التوحيد، أن الحق سبحانه

وتعالى موجود قديم واحد حكيم قادر عليم قاهر رحيم مريد سميع مجيد رفيع متكلم بصير متكبر قدير حيّ باقى صمد، وأنه لم يلد ولم يولد، وأنه عالم بعلم، قادر بقدرة، مريد بإرادة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، حيّ بحياة، باق ببقاء، وله يدان هما صفتان يخلق بهما ما يشاء على التخصيص، وله الوجه؛ وصفات ذاته مختصة بذاته، لا يقال هى هو، ولا هى أغيار له، بل هى صفات أزلية ونعوت سرمدية، وأنه أحدى الذات ليس يشبه شيئا من المصنوعات، ولا يشبهه شىء من المخلوقات، وليس بجسم ولا بجوهر، ولا صفاته أعراض، ولا يتصور فى الأوهام، ولا يتقدر فى العقول، ولا له جهة ولا مكان، ولا يجرى عليه وقت ولا زمان، ولا يجوز فى وصفه زيادة ولا نقصان، ولا تخصه هيئة ولا قدرة، ولا تقطعه نهاية، ولا حدّ ولا يحله حادث، ولا يحمله على الفعل باعث، ولا يجوز عليه لون ولا كون، ولا ينصره مدد ولا عون، ولا يخرج عن قدرته مقدور، ولا ينفك عن حكمه مفطور، ولا يعزب عن علمه معلوم، ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم، ولا يقال له أين ولا حيث ولا كيف، ولا يستفتح له وجود فيقال متى كان، ولا ينتهى له بقاء فيقال استوفى الأجل والزمان، ولا يقال لم فعل ما فعل إذ لا علة لأفعاله، ولا يقال ما هو إذ لا جنس له فيتميز بأمارة عن أشكاله، يرى لا عن مقابلة، ويرى لا عن مماثلة، ويصنع لا بمباشرة ومزاولة؛ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويذلّ لحكمه العبيد، لا يجرى فى سلطانه إلا ما يشاء، ولا يحصل فى ملكه إلا ما سبق به القضاء، ما علم أنه يكون من الحادثات أراد أن يكون، وما علم أنه لا يكون مما جاز أن يكون أراد أن لا يكون، خالق أكساب العباد خيرها وشرّها، ومبدع ما فى العالم من الأعيان والآثار قليلها وكثيرها، ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه، ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض إليه، ومؤيد سيدنا ونبينا محمدا ﷺ بالمعجزات الظاهرة والآيات الزاهرة، بما أزاح به العذر وأوضح به اليقين والذكر، وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته ﷺ بخلفائه، ثم حارس الحقّ وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة

أوليائه، عصم الملة الحنيفَية، عن الاجتماع على الضلالة، وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة، وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله عزّ وجلّ (ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) *

قال الإمام الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه: دلت هذه المقالات على هذا المقدار خشية خروجنا عما أردناه من الاختصار، انتهى كلام القشيرى رحمه الله تعالى * وقال الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الخبرى، بفتح الخاء المعجمة وسكون الباء، الموحدة وكسر الراء، الفارسى رضى الله تعالى عنه: أجمعت أئمة هذه الطريقة وسادات شيوخ الصوفية أولى الحقيقة، على ما دلت عليه متفرّقات أقوالهم ومجموعات أنفاسهم فى مصنفاتهم فى التوحيد، وتأسيسهم قواعد العقائد على أصح الأصول وأوضح السبيل المصون عن التشبيه والتمثيل، والنفى والتعطيل، بما عرفوا ما هو حقّ القدم، وتحققوا بما هو نعت الحادث من العدم، على أن العالم بأسره جواهره وأعراضه وأجسامه لطيفة وكثيفة حادث؛ ومعنى العالم كل موجود سوى الله عزّ وجلّ، والعالم فى وجوده مفتقر إلى محدث مخصص أحدثه وخصصه بالوجود الجائز، وأن محدثه هو الله تعالى، الذى لا إله غيره، الموصوف بالصفات الواجبة أزلا وأبدا، وأن صفاته على مراتب ثلاث: المرتبة الأولى: الصفات النفسية، وهو أن الله تعالى موجود قديم واحد قيوم، أحد فرد قائم بنفسه، لا يشبه شيئا، ولا يشبهه شىء. المرتبة الثانية: الصفات المعنوية، وهو أن الله تعالى حىّ بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة، مريد بإرادة، متكلم بكلام، سميع بسمع، بصير ببصر، باق ببقاء، لم يزل ولايزال، وهذه الصفات معان قديمات كالذات قائمات بذاتها إنها لله تعالى، ولا يقال فيها إنها هو ولا أغيار له، لا يشبه شىء منها شيئا من صفات ما سواه. المرتبة الثالثة: الصفات الفعلية المستندة إلى الصفات المعنوية على حسب ما وردت فى الكتب المنزلة، وجرت بها ألسنة ذوى النبوّة عليهم الصلاة والسلام، انتهى كلام الخبرى رحمه الله تعالى.

وقال الشيخ الإمام المحقق السالك الناسك العارف بالله تعالى شيخ

شيوخ الإسلام شهاب الدين السهروردى رضى الله تعالى عنه: الله لا إله إلا هو لا ضدّ له، ولا ندّ له، ولا شبيه له، ولا مثل له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا وزير له، ولا نظير له، لا تدرك كنه عظمته الأوهام، ولا تبلغ شأو كبريائه الأفهام، ولا يعترى ذاته المقدسة التأثر والآلام، والتغير والأسقام، والسِّنَة والمنام، والافتراق والالتئام، جلّ عما يحلّ به الوسواس، وعظم عما تكتنفه الحواس، وكبر عما يحكم به القياس، لا يصوّره خيال، ولا يشاكله مثال، ولا ينوبه زوال، ولا يشوبه انتقال، ولا يلحقه فكر، ولا يحصره ذكر ، قيوم أزلىّ ديموم سرمدىّ، لا تحد أزليته بمتى، ولا تقيد أبديته بحتى، لا يطلق عليه التعيين، ولا يتطرّق إليه التأيين، إن قلت أين فقد سبق المكان، وإن قلت متى فقد تقدّم الأزمان، وإن قلت كيف فقد جاوز الأشباه، والأمثال والأقران، وإن طلبت الدليل فقد غلب الخبر العيان، وإن رمت البيان فذرّات الكائنات بيان وبرهان، أوّل آخر، ظاهر باطن، تفانت الأوائل والأواخر فى أزليته، تفرّد فى أزليته وأبديته تفرّد فى الأزل بنعت العظمة والجلالة قبل الكون والمكان، والدهر والأزمان، والحين والأوان، فالمكان جواهر وأجسام خلقها، والدهر أوقات وأزمان قدّرها، كل ذلك مرسوم بالحدوث، عرفنا المكان والزمان بتعريفه إيانا، ولو شاء كوّننا ولم نعرف زمانا ولا مكانا، وكوننا فى المكان، لو شاء كوننا ولا مكان، فعلمنا بأنا لا نكون إلا فى مكان من قضايا عقلنا، وهذه القضايا هيأها لنا نعقل بها المعقول، ونعلم المعلوم، ولو شاء هيأ لنا غير هيآتنا، فعوالم قدرته غير محصورة، وغرائب مشيئته غير منكورة، وما نحن فيه من العالم بما نحن فيه من العقل والعلم، عالم من عوالمه، ولا يستبعد قولى، ولو شاء كوّننا فى غير مكان، فقد كون المكان لا فى مكان إذ لو كان فى مكان لتسلسل فلا تحصر القدرة بعقلك، إذ العقل قوته أن يحصر الحكمة، فأما القدرة فلا يحصرها، فحدث عن البحر ولا حرج، ومن هذا الأساس تمشت القدرة، وثبتت الأمور الأخروية وعلمها من علمها، وأنكرها من عجز عقله عن إدراكها، فمن يكون المكان والمكون فيه، والزمان والمقدر فيه، عالما من عوالمه، ويسيرا من عظيم قدره، كيف يحصره الزمان والمكان، فما أظهر فى عالم الملك والشهادة،

عـالم الحكمـة والعقل الموهوب لنا الذى نتصرّف بـه موكل بهـذا العـالم، وهذا العالم من العرش إلى الثرى مع العقل الذى فهمه وعقله وعلمه وقسمه أجساما وجواهر وأعراضا عالم من عوالمه فصوّر العالم وكل ما حواه، وهو العالم الذى عـقله العـقـلاء بما فـيـه من الأرض والسـمـاء، والماء والنـار والهـواء، والعـرش والكرسى، والجنّ والإنس والأفــلاك والأمــلاك والألوان والأكـوان والأجـرام والاصطكاك والشمس والقمر والنجوم إلى أعماق أطباق التخوم، بالنسبة إلى العظمة الإلهية أقلّ وأحقر من خردلة بالنسبة إلى جميع العالم، ففرغ بالك عند ذلك من قياسك أنه سبحانه وتعالى داخل العالم أو خارج العالم، فما أحقرك وأحقر علمك، فلو فتحت عين بصيرتك استحييت من قياسك وفكرك ووهمك وخيالك، أيها المحدود المحصور لا ينتج فكرك إلا محدودا محصورا، وأيها المحيط به الجهات لا يحكم علمك إلا بالجهات، فالجهات من جملة العالم، وقد علمت نسبته إلى عظمة الله، فتبارك الله ربّ العالمين*

قلت: هذا الكلام من عقيدة الشيخ الجليل الإمام الحفيل شرف العارفين وإمام المعرّفين، قدوة المرادين وسرّ عباد الله المريدين، عالى المقامات وغالى الكرامات، الحسيب النسيب أبى عبد الله محمد بن أحمد القرشى الهاشمى، قدس الله تعالى روحه ونوّر ضريحه ونفعنا والمسلمين ببركته آمين، وقد أجمع على فضلها كلّ من وقف عليها من أهل السنة من المشايخ العارفين المحققين والعلماء الفاضلين المدققين، قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه: الحمد لله الذى تقدّست عن سمة الحدوث ذاته، وتنزّهت عن التشبيه بالمحدثات صفاته، ودلت على وجوده محدثاته، وشهدت بوحدانيته آياته، الأول الذى لا بداية لأزليته، الآخر الذى لا نهاية لسرمديته الظاهر الذى لا شك فيه، الباطن الذى ليس له شبيه، الحىّ الذى لا يموت ولا يفنى القادر الذى لا يعجز ولا يعيا، المريد الذى أضلّ وهدى وأفقر وأغنى، السميع الذى يسمع السرّ وأخفى، البصير الذى يدرك دبيب النمل على الصفا، العالم الذى لا يضل ولا ينسى، المتكلم الذى لا يشبه كلامه كلام موسى، كلم موسى بكلامه القديم المنزه عن التأخير والتقديم، لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، ولا بحروف ترجع، كل

الحروف والأصوات والنداء محدثة بالنهاية والابتداء، جلّ ربنا وعلا، وتبارك وتعالى، له العظمة والكبرياء، وله القدرة والثناء، وله الأسماء الحسنى والصفات العلى، حياته ليس لها بداية، فالبداية بالعدم مسبوقة، قدرته ليست لها نهاية، فالنهاية بالتخصيص مخلوقة، إرادته ليست بحادثة، فالحادثة بالأضداد مطروقة، سمعه ليس بجارحة، فالجارحة مخروقة، بصره ليس بحدقة، فالحدقة مشقوقة، علمه ليس بكسبىّ، فالكسب بالتأمل، والاستدلال يعلم، ولا بضرورى فالضرورة على الإرادة والإلزام تلزم كلامه، ليس بصوت فالأصوات توجد وتعدم، ولا بحروف فالحروف تؤخر وتقدم، جلّ ربنا عن التشبيه بخلقه، وكل خلقه عاجز عن القيام بكنه حقه، بل هو القديم الأزلىّ، والدائم الأبدىّ، الذى ليس لذاته قد، ولا لوجهه حد، ولا ليده زند، ولا له قبل ولا بعد، ليس بجوهر، فالجوهر بالتحيز معروف، ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف، ولا بجسم، فالجسم بالجهة محفوف، هو خالق الأجسام والنفوس، ورازق أهل الجود والبوس، ومقدر السعود والنحوس، ومدبر الأفلاك والشموس، هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس، على العرش استوى من غير تمكن ولا جلوس، ولا العرش له من قبل القرار، ولا التمكن من جهة الاستقرار، العرش له حد ومقدار والرب لا تدركه الأبصار، العرش تكيفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول وهو مع ذلك محمول، والقديم لا يحول ولا يزول العرش بنفسه هو المكان وله جوانب وأركان، وكان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، ليس له تحت فيقله، ولا فوق فيظله، ولا جوانب فتعدله، ولا أمام فيحده، ولا خلف فيسنده، جل عن التحديد والتكييف والتقدير والتأليف والتعبير والتصوير والشبيه والنظير (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير السراج المنير، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا * قلت فجميع هذا الذى ذكرت معتقد الشيوخ العارفين الأولياء المقرّبين، أهل العلوم اللدنية والأنوار الساطعة، ومعتقد الأئمة العالمين النظار المحققين، أهل الحجج القوية والبراهين القاطعة، وكلا الفريقين لا يحصى عددهم ولا يجهل مجدهم، وقد ذكرت جماعة من الفريق الأول.

وأما الفريق الثانى، فعقائدهم معروفة لا تجهل، وهى فى مصنفاتهم مذكورة، وفضائلهم فى العلم والدين مشهورة، مثل الإمام أبى الحسن الأشعرى، والإمام أبى إسحق الإسفراينى، والإمام أبى بكر الباقلانى، والإمام أبى بكر بن فورك، والإمام أبى المعالى إمام الحرمين، والإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى، والإمام فخر الدين الرازى والإمام ناصر الدين البيضاوى، والإمام عزّ الدين بن عبد السلام والإمام محيى الدين النووى وغير هؤلاء العشرة الأئمة ممن لا يحصى من علماء الأمة من السلف والخلف من أهل السنة، رضى الله تعالى عنهم أجمعين، لكن بعضهم تكلم فى تأويل الظواهر، وبعضهم اعتقد خلاف الظواهر ولم يتكلم فى التأويل وممن حكى ذلك عنهم الإمام محيى الدين النووى رضى اللّه تعالى عنه، مع كونه من جملة المحدثين العارفين والفقهاء الفاضلين الورعين الزاهدين الجامعين بين العلم والدين، حكاه فى شرح صحيح مسلم فى الحديث الذى قال فيه ﷺ «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعونى فأستجب له، من يسألنى فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له» الحديث، قال محيى الدين المذكور: هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء، ومختصرهما أن أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين. أنه يؤمن بأنها حقّ على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق. والثانى: مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكى عن مالك والأوزاعى رضى الله تعالى عنهما أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين: أحدهما: تأويل الإمام مالك بن أنس وغيره معناه: ينزل رحمته تبارك وتعالى عنه: ما أسهل على العارف إرشاد الجاهل بأن يقول: إن كان المراد من النزول: إلى سماء الدنيا ليسمعنا فما سمعنا، فلا فائدة فى النزول وقال أيضا: الاستواء على العرش بطريق القهر والاستيلاء كما قال غيره من الأئمة. قال: واضطر أهل الحقّ إلى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطن إلى تأويل قوله تعالى (وهو

معكم أينما كنتم) إذ حمل بالاتفاق على الإحاطة والعلم، وحمل قوله ﷺ «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» على القدرة والقهر، وحمل قوله ﷺ «الحجر الأسود يمين الله تعالى فى أرضه» على التشريف والإكرام، إذ لو ترك على ظاهره للزم منه المحال، فكذلك الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن للزم كون المتمكن جسما مماسا للعرش إما مثله أو أكبر أو أصغر، وذلك محال، وما يؤدى إلى المحال محال، تعالى الله عن ذلك المقام.

* قلت: وهذا الذى قاله الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رضى الله تعالى عنه، هو نحو مما قاله الإمام حجة الإسلام شيخه الإمام المحقق الناقد المدقق النجيب ابن النجيب أبو المعالى إمام الحرمين رضى الله تعالى عنه حيث قال: فإن قالوا: ما الذى حملكم على تأويل الظاهر؟ قلنا: الذى حملكم على تأويل الظاهر أيضا فى قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم)، وقوله ﷺ «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن»، وقوله ﷺ «الحجر الأسود يمين الله فى أرضه» يعنى الذى ألجأكم إلى تأويل هذه المذكورات لاستحالة ظاهرها فى العقل، ألجأنا إلى تأويل غيرها لاستحالة ظاهرها أيضا فى العقل الذى به عرف الله عزّ وجلّ، وبه تعلق التكليف إذ اعتقاد الظواهر يلزم منه التجسيم والحدوث وغير ذلك من النقص الذى هو من سمات المخلوقين، ولا يجوز على الخالق الملك القدوس الموصوف بالجلال والكمال الذى ليس كمثله شىء، المتعالى عن النظير والمثال. وسئل الإمام البارع أبو المعالى صاحب البرهان القاطع إمام الحرمين رضى الله تعالى عنه ببغداد: هل البارى سبحانه على العرش؟ فقال: فى الجواب: خلق العرش من درّة، وهو بالنسبة إلى قدرته أقلّ من ذرّة، فكيف يكون مستقرّه * قلت لقد أجاد رضى الله عنه بهذا الجواب الوجيز البالغ المفحم الدامغ، فالعرش وإن كان أعظم المخلوقات فهو لا شىء فى جنب عظمة الخالق عزّ وجلّ. وقال الإمام مفتى الأنام عزّ الدين بن عبد السلام رضى الله تعالى عنه فى عقيدته الجليلة النفيسة الجميلة بعد ما ذكر اعتقاد أهل الحقّ فى مسائل الأصول واحتج بالمعقول والمنقول قال: هذا إجمال من اعتقاد الأشعرى رحمه الله تعالى واعتقاد السلف وأهل الطريقة

والحقيقة نسبته إلى التفصيل الواضح كنسبة القطرة إلى البحر الطافح.

**يعـرفــه البــاحث من خلقــه　　وســــائر الناس لـه منكـر**

غيره:

**لقد ظهرت فلا تخفى على أحد　　إلا على أكمه لا يعرف القمرا**

انتهى كلامه.

وقوله: أهل الطريقة والحقيقة: يعنى بهم الصوفية، وعقيدته مشهورة معروفة بالفضيلة بحسن التصرف فى العلوم ونجابة الفروسية فى ميدان مبارزة الخصوم، والعقيدة القدسية للإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى رضى الله تعالى عنه جمعت بين الملاحة والفصاحة والترتيب العجيب والأسلوب الغريب، والفوائد الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة والعبارة البارعة، والبراهين القاطعة، وغير ذلك من المحاسن الفائقة والمعانى الرائقة.

فهاتان العقيدتان من ملاح عقائد العلماء الفاضلين وعقيدتان أخريان من ملاح عقائد الأولياء العارفين عقيدة الشيخ أبى عبد الله القرشى، والشيخ شهاب الدين السهروردى رضى الله تعالى عنه، وجميع ما ذكرته فى هذا الفصل هو معتقد أئمتنا من الأولياء والعلماء رضى الله تعالى عنهم، وهو مذهب أهل السنة من السلف والخلف، وقد صنف أئمتنا فى ذلك مصنفات كبيرات جليلات نفيسات مبسوطات ومختصرات معروفات مشهورات أقاموا فيها الدلائل الظاهرات والبراهين القاطعات عن المعقولات والمنقولات وهذا الكتاب عن إيرادها يضيق بل كثرة الطعن والمجادلات به لا تليق إذ هو موضوع للترقيق والتشويق، ولكن إذ قد ذكرت عقائد أئمتنا رضى الله تعالى عنهم، فأنا أذكر الآن عقيدتى معهم على جهة الاختصار وحذف حجج الأصوليين النظار، فأقول وبالله التوفيق: الذى نعتقده أن أحاديث الصفات ليست على ظاهرها وأن لها تأويلات تليق بجلال الله تعالى ولا نقطع بتعيين تأويل منها، بل نكل ذلك إلى العليم الخبير، الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير، وكذلك نعتقد ما اعتقده العارفون والعلماء العاملون أنه سبحانه وتعالى استوى على العرش على

الوجه الذى قاله، وبالمعنى الذى أراده، استواء منزها عن الحلول والاستقرار والحركة والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، لا يقال أين كان ولا كيف ولا متى كان ولا مكان ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان تعالى عن الجهات والأقطار والحدود والمقدار، لا يحله شىء ولا يحلّ فى شىء كل يوم هو فى شأن، فى أفعاله، لا فى ذاته وصفاته، لا تهتدى عقول العقلاء إلى إدراك معرفة كنه ذاته المقدسة وصفاته العظمى، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما * وقد جمعت المسائل المعتمدة من العقائد فى ثلاث من القصائد، وأودعتها الكتاب المسمى بكتاب الدرر، وسأذكر فى الفصل الأخير من هذا الكتاب واحدة منها جامعة للعقيدة وغيرها، وبها ختمت كتاب الإرشاد، لكونها محتوية على التوحيد وصحيح الاعتقاد، وذكر الجنة والنار والوعظ وتشويق الزهاد والعباد، وأقدم عليها فى هذا الفصل القصيدتين المسماتين: مفاخر الفريقين هداة الطريقين الصوفية العارفين والعلماء العاملين، والقصيدة المسماة معالى المسالك فى مدح المجذوب والسالك *

**القصيدة الأولى**: المسماة راح الإسكار فى اجتلاء عرائس الأنوار، من بيض المعارف الأبكار الغانيات للنظار من خلف الأستار، الكاشفات الخمار للأولياء الأخيار رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين:

**ملوك البرايا ليس يشقى جليسهم ... لهم بيض رايات العلا فى المواقف**

**حبوا وحظوا خصوا اصطفوا ثم قربوا ... وولوا علوا من فوق كل الطوائف**

**كما جاهدوا للنفس فى معرك الهوى ... وجادوا بها مهرا لبيض المعارف**

**أنيلوا المنى صافى الهنا عند ما اجتلى ... بسمر القنا بيض العلا كلّ عارف**

**عرائس أنوار بدا من بهائها ... لمن يجتليها كالبروق الخواطف**

**شموس بدت من مشرق الحسن والبها ... بنور جمال للمحبين شاغف**

**محاسنها خلف الستور فواتن ... فكيف بها عند اجتلاء لكاشف**

شموس الهدى فى حضرة القدس تجتلى ... شموس إليها إشراق أكفى شرائف
سكارى ولم يسقوا مداما وإنما ... سقوا حبّ حسن جلّ عن وصف واصف
تراهم غدا بالحبّ سكرى وغيرهم ... سكارى بأهوال عظام المخاوف
فسكر عقار الهول يرحل بعدما ... يشيب به الولدان من كل راجف
وسكر مدام الحبّ دام مقامه ... بريع ندامى الراح من كل راشف
جمال حميا حبها من يشمها ... تميل به قبل ارتشاف المعارف
فهم بين مشتاق وباك وضاحك ... سرورا وصراخ وراج وخائف
لذكر اللقا والهجر والوصل والجفا ... وقرب وبعد ناشر جمع لاقف
وحلت بوادى طور قلب مقدس ... خيام نديم بالمعانى اللطائف
معارف تهدى فى بهاها لسادة ... هداة إليها بالسلوك عوارف
كنوز الهدى مجرى المعارف والندى ... جلاء الصدى شيخى الطواشى المكاشف
دعاوى الهوى دع للذين ارتياحهم ... إلى الحق يا مرتاح نحو المعارف
سكارى بمولاهم وأنت بجيفة ... فقس رخما بالباز عند التناصف

**القصيدة الثانية**: المسماة عقدة الدر الأسنى على جيد الحسنى، فى مدح العلماء العامليين السنية أهل المناقب العلية السنية رضى الله تعالى عنهم:

بدور الهدى وُرّاث علم نبوّة ... أناروا دجى الظلما بنور المعالم
فكم فتقوا رتقا بغامض مشكل ... وكم رتقوا فتقا بطعن مخاصم
عن السنة الغرا يذبون بالقنا ... وبيض من العلم الشريف صوارم
وقد حملوا أعلام علم وألبسوا ... لباس التقى خيل الرضا فى الملاحم
فولى عداهم من أسنة سنة ... بجيش هدى جيش الضلالة هازم
كمثل الإمام الشافعى ومالك ... وأحمد والنعمان أهل المكارم

أئمة علم يجتلون بمجده     لبيض العلا الغيد الملاح النواعم
وأصحابهم غرّ نجاب لها اجتلوا     وقد ضحكت منها ملاح المباسم
ونعم أبو إسحاق شيخا مبجلا     إماما جلا لتنبيه نفع الملازم
وغنت بغزالى العلا وتغزلت     به حجة الإسلام نور العوالم
وذو المجد محيى سنة ذو إفادة     أجاد النواوىّ البحر أكرم بعالم
ثلاثتهم أصحاب زهد وعفة     لهم سيرة حسناء يا أمّ سالم
كذاك الإمام الرافعى محمد     أبو القاسم المشهور حاوى المكارم
له السنة الغرّا أمالت لثامها     فكان لها بالفهم أعظم لاثم
تغنى بهم جهرا ونوحى بحبهم     ولا تسمعى عذلا ولا لم ثالم
فمن ذا الذى فى الخلق يسلم عرضه     من الخلق والرحمن ليس بسالم
تصانيفهم حسنا عليها سعادة     بها النفع فى ذا العصر والمتقادم
مباركة والكلّ منهم مبارك     إمام نجيب عابد غير سائم
لهم ورع يحكى عظيم وحلية     تحلّوا بها يحلو بها نظم ناظم
كعقد من الدرّ المنظم قدرها     على جيد حسنا قد سبت لب هائم
لذكر الأحبا فى فؤادى حلاوة     محبتهم شيبت بلحمى وفى دمى
كشيخى الفقيه العالم الصالح الرضى     محمد النصال أحسن بخاتم

**القصيد الثالثة**: المسماة معالى المسالك فى مدح المجذوب والسالك، وبيان أقسامها: وهى أربعة أقسام: الأول: سالك بعد الجذب. الثانى: مجذوب بعد السلوك. الثالث: مجذوب غير سالك. الرابع: سالك غير مجذوب، ويقتدى بالأولين دون الأخيرين عند شيوخ الطريقة العارفين المحققين، وأوّل الأولين أفضل من ثانيهما على الأصح عندهم؛ والسالك قبل الجذبة متحمل مشقات ذكرها يطول وحملها يهول، والسالك بعدها محمول يسهل عليه السلوك ويهون، وقد أشرت إلى الأخير منها حيث أقول:

عهدتكم قدماً على خير حالة بها اليوم أنتم سادة وملوك

أتاكم من الرحمن جذب عناية فهان عليكم للوصول سلوك

ومعنى الجذب: أنه يفاجئ المجذوبين من أمر الملكوت ما يأخذهم عن نفوسهم ويدهش العقول، ولله درّ القائل الذى يقول، وبالله التوفيق، وحسبنا الله ونعم الوكيل:

وإنى لألقاها أريد عتابها وأوعدها بالهجر ما طلع الفجر

فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت لا عرف لدىّ ولا نكر

وهذه هى القصيدة الموعود بها:

هنيئاً لقوم يجتلون معارفاً بأنوارها يهدى الطريق نجابها

بها قد هدى الهادون من بعد ما هدوا فهم للهداية أهلها وصحابها

مشوا فى طريق بالعنا سالكينها ولما يرعهم حزنها وخرابها

إلى أن بدت بيضا سلوك نقية وأفنى عداها طعنها وضرابها

فسالكهم بعد اجتذاب وعكسه فتى نفسه بعد السلوك اجتذابها

هما دون غير صالحان للاقتدا يبين إذا دلّ الطريق صوابها

ومحمول جذب لا يدلّ فما درى طريقاً بها القطاع وعر عقابها

ولا سالك من بعد جذب فيجتلى معارف مرخىّ دون تلك حجابها

يفوق بهاها بالجمال إذا بدت شموساً بدت لما تنحى سحابها

بفضل وجذب مع سلوك تفاوتوا ونيل عطيات عزيز جنابها

فكم بين من فى جنة الحبّ سالك ويسقى كؤوس الوصل حال شرابها

وآخر من بعد الشقا فاز باللقا وعذب المحبة بعد ولى عذابها

| | |
|---|---|
| **وآخـر وافـتـه الـسـعـادة نـائمـا** | **فـجـاءت به للوصل يجـرى ركـابهـا** |
| **وآخـر فى وعـر الطـريقـة سـالك** | **يقـول ونار الشـوق فـيـه الـتـهـابهـا** |
| **إذا فاز أصحابى بوصل ولم أفز** | **يحق لنفـسى أن يطول انتـحـابهـا** |

* قلت: هؤلاء الأربعة الأقسام هم أهل الذوق الذى حدا بهم إلى موطن القرب حادى الشوق، وقد تأملت الناس المشار إليهم، فرأيتهم ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** الصوفية وهم أهل الحب والشوق والحال والذوق، وهم مجذوب وسالك على ما قدمنا ذكره وتفصيله فى ذلك.

**والقسم الثانى:** الفقهاء المشتغلون بالدرس والتدريس والبحث فى العلم الشريف المبرزون من محاسنه كل فقه دقيق المعنى لطيف، ولكنهم فيهم جمود على ظاهر الفقه ويبس، ولم يدخل قلوبهم عند ذكر الأحباب والأوطان لين هوى نعمى ونعمان، كما دخل قلوب القسم الأول المذكور الذى فيه أقول:

| | |
|---|---|
| **تذكرهم عيشا بنعمان ناعما** | **حمام الحمى تُقرى نسيم العواصف** |
| **تثير الصبا من كل صبٍّ صبابة** | **فيصبوا إلى عهد الصبا والمآلف** |
| **فهم بين مشتاق وباك وضاحك** | **سـرورا وصـراخ وراج وخـائف** |

**والقسم الثالث:** متوسط بين القسمين المذكورين، أعنى بتوسطهم أن مزجوا شغل القسم الثانى، وهو العلم بشغل القسم الأول، وهو الزهد والورع والعبادة، فجمعوا بين العلم والعمل، وداخلهم الخوف والوجل، ودخل فى قلوبهم الشجية لين هوى نجد ولكن لم يتمكن منها تمكنه من قلوب الصوفية الذين خلعوا العذار، ومال بهم الوجد عن ذكر الأحباب والديار وحنت قلوبهم وأنت، واتصفوا بما قلت فيما تقدم من الأشعار:

| | |
|---|---|
| **وحنت وأنَّت من جوى لوعة الهوى** | **وذكر الأحبا للمحبين شائق** |
| **إذا ذكرت وادى العقيق وجيرة** | **بذى سلم فاضت دموع سوابق** |
| **وإن ذكرت جيران سلع تمايلت** | **بوجد وطعم الوجد يدريه ذائق** |

* قلت: والقسم الثالث المذكور المتوسط بين القسمين المذكورين على طريقة حسنة محمودة عند كلا القسمين، ليس عليها اعتراض، ولا فيها طعن من الطرفين، وعليها أكثر السلف الصالح السادة لزوم العلم العمل الذى هو الورع والزهد وأنواع العبادة، وهذه الطريقة الوسطى المذكورة وإن كانت بالحسن المذكور مشهورة فليست كطريقة الصوفية التى هى بالجمال العالى مشهورة، لأنهم خرجوا لله تعالى عن نفوسهم بالكلية، ورضوا بكلّ مقدور وصبروا على كل بلية؛ أعنى الصادقين منهم والصديقين كما قال بعضهم: حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شىء. وقال آخر: الرضا سرور القلب بمرّ القضاء. وقال بعضهم: لو جعلنى فى الدرك الأسفل من النار كنت أشد رضا ممن فى الفردوس. قال آخر: الراضى من سرّته المصيبة كما تسرّه النعمة. قال قائلهم:

**إذا أنعمت نعمى علىّ بنظرة ... فلا أسعدت سعدى ولا أجملت جمل**

**فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى ... فإن قبلتها منك يا حبذا البذل**

**فمن لم يجد فى حبّ نعمى بنفسه ... وإن جاد بالدنيا إليه انتهى البخل**

* قلت: من لم يحصل له جذب من الحقّ سبحانه وتعالى وأخذ عن نفسه، لم يقدر على التخلص من صفات نفسه، ولم يحصل له من المعرفة بالله تبارك وتعالى، والاطلاع على الملك والملكوت والمشاهدة، وتجلى صفات ذى العزّة والجبروت ما حصل لمن جذبه الحىّ القيوم الذى لا يموت، فمواهب الله تعالى وفضله العظيم عزّ وجلّ لا يقاس بمثله كسب ولا يساويه عمل، فليس السالك والطالب كالمجذوب المطلوب، ولا المعنّى المحبّ كالمنعم المحبوب. وفى ذلك أقول على لسان المحب المعنّى وأنوب:

**أنا طالب والغير مطلوب من أنا ... بها مغرم أهريق فى حبها دمى**

**معنّى بها والغير فيها منعم ... وكم بين مشغوف معنّى وناعم**

**فلا نلت من نعمى نعيم وصالها ... ولا كنت من بلوى هواها بسالم**

كم بين الاجتباء والعناية وبين الإنابة والهدايا، وقد فاوت الحقّ سبحانه بينهما فى العطاء والنصيب، فقال عزّ من قائل (الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب)، لما فاجأ الحق سبحانه وتعالى المجذوبين بالأمر العظيم الذى هالهم أخذهم عنه،فبقوا به بلاهم، ودكدك جبال قلوبهم، ونقض بناءها ثم هدم، ثم بناها بناء ثانيا أكمل وأجمل وأعلى وأتم، وطهرهم من الصفات المذمومات وصفاهم من الكدر، وحلاهم بأجمل الحلى وأحسَن المحاسن، وأحيا قلوبهم ونوّر أبصارهم، وحلاهم بحلى محاسن الصفات المحمودات، بعد أن طهرهم من مساوى رذائل الصفات المذمومات، كالحقد والحسد والرياء والسمعة والعجب والخيلاء والكبر والغش والغلّ وخوف الفقر وسخط المقدور، وطلب العلوّ والرياسة والمحمدة وحبّ الجاه فى الدنيا، والغضب والحمية والأنفة والعداوة والطمع والبخل والشحّ والرغبة، والرهبة من قبل المخلوق، والأشر والبطر، وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء، وحبّ الدنيا والفخر والمباهاة والتنافس فيها، والإعراض عن الخلق استكبارا والخوض فيما لا يعنى. وكثرة الكلام والصلف واختيار الأحوال، والتذلل والتملق والمداهنة، والمدح والذمّ للمخلوقين والتزين لهم، وحبّ المدح بما لم يفعل، والاشتغال بعيوب الناس، ونسيان النعم، وخلو القلب من الحزن، والانقياد للهوى، والمشاركة له فى تدبير أمور الله تعالى، والاقتدار فى أمر الله، والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة والحرص وطول الأمل والتبختر وعزّة النفس، والمغالبة لأمر الله جل وعلا، والأنس بالمخلوقين والسكون إليهم والثقة بهم والخوف منهم، والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة، والأمن من مكر الله تبارك وتعالى، والغيبة والنميمة، والكذب والتصنع والنفاق، وخشية الإملاق، وغيرها من الأوصاف الرذائل المبعدة عن الله عزّ وجلّ وعن نيل الفضائل.

وأما أوصاف المحاسن التى حلاهم بها، فكالتوبة والتقوى والقناعة والزهد والورع والتوكل والتفويض وحسن النية ورؤية المنة والخوف والرجاء والصبر والرضا والاحتساب والإحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن الطاعة والصدق والإخلاص والمحبة والمعرفة وغيرها من أوصاف الفضائل

المقربة من الله تعالى وإلى عالى المقامات والمنازل * قلت: فمن تطهر بتوفيق الله تعالى من المساوى المذكورات الرذيلة، وتحلى بالمحاسن المذكورات الجميلة، فذلك عبد اصطفاه الله تعالى، ولا يقدر على ذلك إلا من أعانه الله وجذبه وتولاه وقرّبه إليه وأدناه، وأولئك هم فى الحقيقة عباد الرحمن، وغيرهم كأمثالنا عبيد الهوى والهوان، وقد مدح الرحمن عزّ وجلّ عباده فى القرآن، وأضافهم إلى اسمه الشريف فنالوا الشرف الأكمل. وفى ذلك قلت نائبا عن لسان حالهم مستعيرا للبيت الأول:

**كفى شرفا أنى مضاف إليكم ... وأنى بكم أدعى وأرعى وأعزف**

**إذا بملوك الأرض قوم تشرّفوا ... فلى شرف منكم أجلّ وأشرف**

وفى مطلبهم العزيز الغالى قلت مستعيرا للبيت الثانى:

**أيا ساكنا بالحب فى جانب الحمى ... بعالى مقام فيه غالى المطالب**

**فديتك حدثنى عن الجانب الذى ... تقدس أن يحظى به كل طالب**

## الفصل الأخير: هو ختام الخاتمة فى توحيد الرحمن، وطرف من طرف الجنان مختوم بمدح خاتم الأنبياء وتاج الأصفياء محمد ﷺ وشرف وكرم

**مصدّرا بالقصيدة الرابعة المباركة** إن شاء الله تعالى الجامعة المسماة شمس الإيمان فى توحيد الرحمن عقيدة أهل الحق والإيقان، والتشويق إلى الجنان والحور الحسان. والتخويف من النيران، ووعظ الإخوان. وأسأل الله تعالى الكريم المنان أن ينفع بها ويمنّ علينا بالتوفيق والغفران والفضل والإحسان مع سائر الأحباب والإخوان والمسلمين أجمعين آمين، وهى هذه:

**تبارك من شكر الورى عنه يقصر ... لكون أيادى جوده ليس تحصر**

**وشاكرها يحتاج شكرا لشكرها ... كذلك شكر الشكر يحتاج يشكر**

**ففى كلّ شكر نعمة بعد نعمة ... بغير تناه دونها الشكر يصغر**

**فمن رام يقضى حقّ واجب شكرها ... تحمل ضمن الشكر ما هو أكبر**

**فسبحان من لا قطّ يبلغ مدحه ... بليغ ومن عنه الثنا متعذر**

**ففى الفعل فضل عن جميل صفاته ... وعن ذاته كلّ البرايا تحيروا**

**تسبحه الحيتان فى الما وفى الفلا ... وحوش وطير فى الهواء مسخر**

**وفى الفلك والأملاك كل مسبح ... نهارا وليلا دائما ليس يفتر**

**تسبح كل الكائنات بحمده ... سماء وأرض والجبال وأبحر**

**جميعا ومن فيهنّ والكل خاضع ... لهيبته العظمى ولا يتكبر**

**له كل ذرّات الوجود شواهد ... على أنه البارى الإله المصوّر**

**دحا الأرض والسبع السموات شادها ... وأتقنها للعالمين لينظروا**

**وأبدع حسن الصنع فى ملكوتها ... وفى ملكوت الأرض كى يتفكروا**

وأوتدها بالراسيات فلم تمد ... وشقق أنهارها بها تتفجر

وأخرج مرعاها وبثّ دوابها ... وللكلّ يأتى منه رزق مقدّر

من الحَبّ ثم الأَبّ والقضب والكلا ... ونخل وأعناب فواكه تثمر

فأضحت بحسن الزهر تزهو رياضها ... وفى حلل نسج الربيع تبختر

وزان سماء بالمصابيح أصبحت ... وأمست بباهى الحسن تزهو وتزهر

تراها إذا جنّ الدجا قد تقلدت ... قلائد درىّ لدر تحقر

فيا ناظرا زهر البساتين دونها ... أظنك أعمى ليس للحسن تبصر

ويا من لها إن المحاسن كلها ... بدار بها مالا على القلب يخطر

ولا سمعت أذن ولا العين أبصرت ... وما تشتهيه النفس فى الحال يحضر

تزيد بهاء كلّ حين وعيشها ... يزيد صفاء قط لا يتكدر

من الدرّ والياقوت تبنى قصورها ... ومن ذهب مع فضة لا تغير

وما يشتهى من لحم طير طعامها ... وفاكهة مما له يتخير

ومشروبها كافورها ورحيقها ... وتسنيمها والسلسبيل وكوثر

ومن عسل والخمر نهران جوفها ... ونهران ألبان وماء يفجر

وغالى حرير فرشها ولباسها ... وحصباؤها والترب مسك وجوهر

ومن زعفران نبتها وحشيشها ... ومن جوهر أشجارها تلك تثمر

فواكه تكفى حبة لقبيلة ... أبيحت أبيحت لا تباع وتحجر

وأكوابها من فضة لا كبيرة ... على شارب منها ولا هى تصغر

بها الكأس يبقى ألف عام على فم ... فلا نافد هذا ولا ذاك يضجر

ومن ذهب زاهى الجمال صحافها ... يلذّ بها عيش به العين تقرر

ومركويها خيل من النور والبها ... ومن جوهر والبخت نور تصوّر
ركاب من الياقوت والسرج عسجد ... أزمتها درّ تضى حيث ينظر
وأزواجها حور حسانٍ كواعب ... رعابيب أبكار بها النور يزهر
هراكيل خودات وغيد وخرّد ... مدى الدهر لا تبلى ولا تتغير
نشت عريا أتراب سنّ قواصر ... لطرف كحيل للملاحة يفتر
غوالى الحلى والحلى عين فواخر ... زكت طهرت من كل ما يتقذر
ثوت فى خيام الدرّ فى روضة البها ... على سرر الياقوت تغدو وتحضر
وبين جواريها تهادى إذا مشت ... على كثب المسك الذكىّ تبختر
ملاح زهت فى رونق الحسن والبها ... وكلّ جمال دونه المدح يقصر
وما المدح فيمن نشرها وابتسامها ... يضىء الدياجى والوجود يمطر
ومن يعذب البحر الأجاج بريقها ... ومن حسنها للعالمين يحير
ومن لو بدت من مشرق ضاء مغرب ... ومات الورى من حسنها حين تظهر
ومن زوجها يغشى بأول نظرة ... إلى وجهها لولا البقا كان يقبر
ومن مخها من خلف سبعين حِلة ... يرى كيف يقوى مدح تلك ويقدر
ومن هى من نور ومسك وجوهر ... فماذا لسان المدح عنها يعبر
وما المدح إلا أن يشبه دانيا ... بأعلى فأما العكس من ذاك يحقر
وليس لحور والجنان مشابه ... ولا عشر معشار ولا شىء يذكر
فخير من الدنيا جميعا خمارها ... فأحسن بمن تحت الخمار مخمر
وأحقر بريات المحاسن والتى ... بتشبيه أوصاف الجنان تصدر
فما الفضة البيضاء شيبت بمسجد ... وما البيض مكنون النعام المستر

بهاء وحسنا ما اليواقيت فى الصفا وفى رونق ما اللؤلو الرطب ينثر

وما الدرّ ما الرمان ما الريم ما المها وما البدر ما زبد وشهد وعنبر

ثنايا وكعب ثم جيد ومقلة ولون ولين ريقها والمعطر

هل الريم فى جيد من القد والبها كمن جيدها نور ومسك وجوهر

وهل للمها عين كبحر مزاجه مدام وشهد للمشاهد يسكر

وهل يشبه الرمان نهدين صوّرا من النور والله العظيم المصوّر

وما شبه الرحمن من بعض وصفها ببيض وياقوت فذلك يذكر

على جهة التقريب للذهن إذ لنا عقول عليها فهم ما ثمّ يعسر

تبارك منشى الخلق عن سرّ حكمة هو الله مولانا الحكيم المدبر

إذا ما تجلى فى جمال جلاله تعالى لكلّ المؤمنين لينظروا

وقد زينت جنات عدن وزخرفت نسوا كلّ ما فيها لما منه أبصروا

جمالا ووصفا جلّ ليس كمثله وفضلا وإنعاما يجلّ ويكبر

نعيم ولذّات وعزّ ورفعة وقرب ورضوان وملك ومفخر

بمقعد صدق فى جوار مليكهم هنيا لمسعود بذلك يظفر

أيا ساعة فيها السعادات يجتلى على وجهها درّ العنايات ينثر

ويا ساعة فيها المفاخر ترتقى علاها وخلعات الكرامات تنشر

سألتكما بالله هل مع أحبة لنا فيكما يوم التزاور محضر

وهل أنعمت نعمى بنعمان باللقا لنا أم نوت فى سرمد الليل تهجر

فإن واصلتنا فالمكارم وصفها وإن قاطعتنا نحن أدنى وأحقر

ألا عاشقا يشتاق من يسكن الحمى وعيشا هنيا صافيا ليس يكدر

ألا مشتر جنات خلد وخيرها وحورا حسانا فى الملاحة تفخر

ألا بائع الفانى الحقير بباقى خطير وملك ليس يبلى ويدمر

ألا مفتد من حرّ نار عظيمة ألوف سنين تلك تحمى وتسعر

لها شرر كالقصر فيها سلاسل عظام وأغلال فغلوا وجرجروا

عصاة وفجار وسبع طباقها وسبعين عاما عمقها قد تهوّروا

وحياتها كالبخت فيها عقارب بغال وضرب والزبانى ينهر

غليظ شديد فى يديه مقامع إذا ضرب الصمّ الجبال تكسر

ومطعومهم زقومها وشرابهم حميم بها أمعاؤهم منه تتدر

ويسقون أيضا من صديد وجيفة تفجر من فرج الذى كان يفجر

وقد شاب من يوم عبوس شبابهم لهول عظيم للخلائق يسكر

فيا عجبا ندرى بنار وجنة وليس لذى نشتاق أو تلك نحذر

إذا لم يكن خوف وشوق ولا حيا فماذا بقى فينا من الخير يذكر

ولسنا لحرّ صابرين ولا بلا فكيف على النيران يا قوم نصبر

وفوت جنان الخلد أعظم حسرة على تلك فليتحسر المتحسر

فأف لنا أف كلاب مزابل إلى نتنها نغدو ولا نتدبر

نبيع خطيرا بالحقير عماية وليس لنا عقل وقلب منوّر

فطوبى لمن يؤتى القناعة والتقى وأوقاته فى طاعة الله يعمر

ومن بعد حمد الله هذى عقيدة عن السنة الغرّاء والحقّ تسفر

وتهدى إلى نهج الصواب متابعا لها وعقيدات المذاهب تهجر

لها السبل الوسطى الحميدة منهج شعار الهدى للأشعرية تشعر

وكم فى حضيض الحشو يهبط لكونها   طريقا بها القطاع تسبى وتأسر

ولا ارتفعت عالى علوّ اعتزالهم   ففيها ذئاب ثم وعر يكسر

مشت مع سواد معظم أهل مذهب   عزيز بحمد الله ما زال ينصر

له بيض رايات العلا مع أئمة   شموس الهدى تعدادهم ليس يحصر

فكم حبر تحقيق العلوم وعارف   لأسرار غيب والحقائق أبحر

وهاهى لها ألفت فى خمس عشرة   وعشرين تجزى من لها يتدبر

علا ربنا عن كيف أو أين أو متى   وعن كلّ ما فى بالنا يتصوّر

ونقص وشبه أو شريك ووالد   وولد وزوجات هو الله أكبر

قديم كلام حين لا حرف كائن   ولا عرض حاشا وجسم وجوهر

مريد وحىّ عالم متكلم   قدير على ما شا سميع ومبصر

بسمع وعلم مع حياة وقدرة   كذلك باقيها بلى الكلّ مصدر

وليس عليه واجب بل عقابه   بعدل، وعن فضل يثيب ويغفر

محكم شرع دون عقل وقد قضى   بخير وشرّ للجميع يقدر

ورؤيته حقّ كذاك شفاعة   وحوض وتعذيب بقبر ومنكر

وبعث وميزان ونار وجنة   وقد خلقا ثم الصراط وتصدر

عظيم كرامات عن الأوليا وقد   محى شرعنا العالى الزكىّ المطهر

شرائع كلّ المسلمين وأحمد   خيار الورى المولى الشفيع المصدّر

وأصحابه خير القرون وخيرهم   على وفق ما قد قدموا ثم أخروا

نجوم الهدى كلّ عدول أولو الندى   فضائلهم مشهورة ليس تنكر

وأفضلهم صدّيقهم صاحب العلا   ورابعهم فى الفضل ذو الفضل حيدر

وتخليد نار ليس إلا لكافر ... وقبلتنا من أمها لا يكفر

سوى من بتأثير الكهانة قائل ... كذلك من قال النجوم تؤثر

بذاتهما أو ربنا غير قادر ... كذا غير مختار إذا ليس بعذر

وغير قدير قال أو غير عالم ... أو العلم بالموجود ما الغير يعبر

أو الكليات الرب يعلم لا سوى ... وفى جزئيات علمه متعذر

ومثبت منفى وناف لمثبت ... من الوصف إجماعا له الجل كفر

ومن باتحاد أو حلول يقول أو ... قديم يقول العالم الكفر يظهر

وأهل إباحات كذا باطنية ... ومن عنه إسقاط التكاليف ينكر

ومن من غلاة الرفض قال نبينا ... عليٌّ وهذاك النبى المبشر

ولكنما جبريل أخطا بوحيه ... بذا المارق الراضى هو النحس يفسر

ومن ينسب الفحشا لعائشة وقد ... لها برأ الرحمن عنها يطهر

فها هى حوت مع صغرها ما عساه لا ... يرى فى كثير من عقائد تكبر

ويا أيها الإخوان من كلّ سامع ... له فهم قلب حاضر يتذكر

الا إن تقوى الله خير بضاعة ... لصاحبها ربح بها ليس يخسر

وطاعته للمتقى خير حرفة ... بها يكتب الخيرات والسعى يشكر

إذا أصبح البطال فى الحشر نادما ... يعضّ على كف أسى يتحسر

فطوبى لمن يمسى ويصبح عالما ... على كلّ شىء طاعة الله يؤثر

بها يعمر الأوقات أيام عمره ... يصلى ويتلو للكتاب ويذكر

ويأنس بالمولى ويستوحش الورى ... ويشكر فى السرّا وفى الضرّ يصبر

ويسلو عن اللذّات بالدون قانع ... تبقى له قلب نقىّ منور

حزين نحيل جسمه ضامر الحشا    يصوم عن الدنيا على الموت يفطر

ويرتاح شوقا للأحبة واللقا    وخدّيه من فرط الغرام يعفر

إذا ذكرت جنات عدن وأهلها    يذوب اشتياقا نحوها ويشمر

ويعلو جواد العزم أدهم سابقا    وأبيض مجنوبا عن النور يسفر

فأدهم يسقى ماء عين وأبيض    لصبر على قطع الفيافى مضمر

ويركض فى ميدان سبق إلى العلا    ويسرى إلى نيل المعالى ويسهر

فمجد العلا ما ناله غير ماجد    يخاطر بالروح الخطير فيظفر

وإنى إلى أمر أنا فيه آمر    لأحوج من غيرى إليه وأفقر

فهذى قصيدى شمس إيمان اسمها    موحدة عما سوى الحق تزجر

مشوّقة نحو الجنان وحورها    مخوّفة النيران عنها تنفر

وواعظة الإخوان من كلّ مسلم    لهم فى التقى والدين نصحا تذكر

وليست تراها أهل هذا وإنما    دعاها إلى ذاك القضاء المقدر

لها من حلى التوحيد والحور حلية    ومن طيبه طيب به تتعطر

وفت مائة أبياتها حين أجملت    وستين والله الكريم الميسر

سألت الذى عمّ الوجود بجوده    ومن منه فيض الفضل للخلق يغمر

يمنّ بخلعات القبول مزين    لها وجزيل الأجر والنفع يثمر

ويرزقنا التوفيق ثم استقامة    وغفران زلات وما فات يجبر

وفى روضة العرفان يحيى قلوبنا    ويسكننا روض اليقين ويجبر

ولى مشتكى إن بث طال وإن يدع    فأنت الذى بالحال ياربّ تخبر

بحقك عاملنا بما أنت أهله    فأنت الذى تهدى وتعطى وتغفر

وأحـبـابنا والمسلمين جـمـيـعـهم ولا يا كـريم العـفـو بالكلّ تمكر
وصلّ على الهـادى النبىّ وآله وأصـحـابه مـا لاح فى الأفق نيـر
صـلاة تبارى المسك عـرفا مـسلما سـلامـا لأكناف الوجـود يعطر
وقـد آن للشـمس الغـروب وقـاربت وآن لكم تسـتـغـفـروا ثم تعـذروا
لناظمـهـا من فى البـلاغـة قـاصـر ومن هـو فى كلّ الحـقـوق مـقـصـر
مـسىء جـرىء يافـعى مـخلط فـبالله ادعـوا الله يعـفـو ويسـتـر
وتمت وفـاح الحـمـد لله ختـمـهـا شـذى دونه فى العرف مسك وعنبـر

* قلت: وهذا التشويق والتخويف المذكوران فى هذه القصيدة إنما هو لعموم الناس الذين يشتاقون إلى الجنان والحور الحسان، ويخافون من النيران وسائر أنواع العذاب والهوان. وأما الخواصّ العارفون بالله تعالى، فاشتياقهم إلى النظر إلى وجه الله الكريم لا يشتاقون إلى نعيم الجنة ولا يخافون من عذاب الجحيم. كما يروى عن ذى النون المصرى رضى الله عنه قال: بينما أنا فى بعض البرارى إذا أنا بشاب قد خطّ عارضاه، فلما رآنى ارتعد واصفرّ لونه وولى هاربا، فقلت له إنسى مثلك؟ فقال وهل الهرب إلا منكم، قال فلحقته وأقسمت عليه أن يقف لى، فوقف فقلت له أراك فى هذه البرية وحدك، ما معك أنيس أما تفزع؟ فقال بلى معى أنيس، فقلت أين هو؟ فقال: هو عن يمينى وعن شمالى ومن خلفى ومن أمامى، فقلت له، فما معك زاد، فقال بلى، فقلت أين هو؟ قال الذى رزقنى فى بطن أمى صغيرا تكفل برزقى كبيرا، فقلت له لا بد لك من شىء تستعين به على القيام بالليل وصيام النهار وخدمة الملك العلام وأكثرت عليه، فولى هاربا وهو يقول:

ولـىّ الله لا تـأويـه دار ويكره أن يكون له عـقـار
يفـرّ من القـفـار إلى جـبـال فـتـبكى حين تفـقـده القـفـار
صـبـورا فى قـيـام الليل جـدّا وصـوّامـا إذا طلع النهـار

| | |
|---|---|
| يقـول لنفـســه جـدّى وكـدّى | فـمـا فى خـدمـة الرحـمن عـار |
| يـنـاجى ربـه والـدمـع جـــار | إلـهى إن قلبى مــستطار |
| إلـهى مــا مـنـائى مـنـك دار | من اليـاقـوت يسكنهـا الحـوار |
| ولا جـنـات عــــدن يـا إلـهى | ولا شـجـر تزينه الثـمـار |
| ولكن وجـهـك البـاقى منائى | به فـامنن فـفى ذاك الفـخـار |

* قلت: وإنما كان الأمر كذلك، لأن كل أحد إنما يشتاق إلى محبوبه؛ فمن غلبت عليه محبة الله فى الدنيا لم يشتق إلا إلى لقائه، والنظر إلى وجهه الكريم؛ ومن غلب عليه حبّ الحظوظ من المطعم والمشرب والمنكح والملبس والمسكن كأمثالنا، اشتاق إلى الجنة ونعيمها الذى هو محبوبه، فلمثل هذا يقال: تفكر يا أخى فى أهل الجنة كيف يسقون من رحيق مختوم، جالسين على منابر من الياقوت الأحمر، فى خيام اللؤلؤ الرطب الأبيض، فيها بسط من العبقرى الأخضر متكئين على آرائك منصوبة، على أنهار تجرى بالخمر والعسل، محفوفة بالغلمان والولدان، مزينة بحور عين خيرات حسان، كأنهنّ الياقوت والمرجان، قاصرات الطرف لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان، يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة من حلل الجنان، وينظر الزوج وجهه فى صدرها أصفى من المرآة، لبهاء نورها لمعان، ويطاف عليهم وعليهنّ بأكواب وأباريق وكأس من معين، ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاء بما كانوا يعملون، يأكلون من أطعمتها، ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا، فى أنهار أرضها فضة، وحصباؤها مرجان، وترابها مسك أذفر، ونباتها زعفران، وكثبانها كافور، وأكوابها من فضة مرصعة بالدرّ والياقوت والمرّجان، فيها الرحيق المختوم الممزوج بالسلسبيل العذب، تشرق الأكوان نورا من ضياء جوهرها، يبدو الشرب من ورائها برقته وحمرته وصفائه وبهجته، فى كف خادم يحكى وجهه ضياء الشمس، لهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، ينظرون إلى وجهه الكريم وقد أشرقت فى وجوههم نضرة النعيم،

ينسـون بلذة النظر جـميع لذات الجنان، يتنعـمون بذلك على الدوام، لا يزالون بين أصناف النعيم، يترددون، وهم من زوال النعم آمنون * وقد روى فى تفسير قوله تعالى (ومساكن طيبة فى جنات عدن) أنه قصر من لؤلؤة بيضاء، فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء، فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سرير ياله من سرير، على كل سرير سبعون فراشا من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة، سبعون لونا من الطعام، وفى كل بيت سبعون وصيفة، ويعطى المؤمن فى كل يوم من القـوّة مـا يأتى على ذلك كله * وروى «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوّج خمس مئة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب، يعانق كل واحدة منهنّ مقدار عمره فى الدنيا، وإن فى الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشت مشى عن يمينها وعن شمالها سبعون ألف وصيفة، وهى تقول أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وإن فى الجنة طيرا كأمثال البخاتى، وإن المؤمن ينظر إلى الطير فى الجنة فيشتهيه فيخرّ بين يديه مشويا ❖ وروى فى تفسير قوله تعالى (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) فإنه يطاف بسبعين صحفة من ذهب فيها لون ليس لون هو فى الأخرى، وفى تفسير قوله تعالى (ختامه مسك) أنه شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم، لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها، وفى قوله تعالى (وفرش مرفوعة) أن ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض، ولو أن امرأة من نساء الجنة اطلعت إلى الأرض لملأت ما بينها ريحا لنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها: يعنى خمارها، وعلى كلّ واحد من أهل الجنة سبعون حلة تتلوّن كلّ حلة منها فى كل ساعة سبعين لونا، يرى الرجل وجهه فى وجه زوجته وفى صدرها وفى ساقها، وترى هى أيضا وجهها فى وجهه وفى صدره وفى ساقه * قلت: وألوان الحلل المذكورة ترى جميعها لا تستر كل حلة منها ما تحتها من الحلل، والطير إذا أكل منه وجد طعم أحد جانبيه مطبوخا والآخر مشويا، فيأكل ما يشاء، ثم يعود طيرا كما كان، ويصفق بجناحيه ويطير إلى رأس الأغصان من أشجار الجنان، ليأكل من طيبات الثمار، ويشرب من

طيبات الأنهار، ويجدون فى كل لقمة من طعامهم لذّة غير ما يجدون فى الأخرى، وفى كل شربة من شرابهم لذّة لا يجدونها فى الأخرى.

* ورويناعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ «إن أهل الجنة يؤذن لهم فى مقدار جمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم سبحانه وتعالى، ويبرز لهم عرشه يتبدّى لهم فى روضة من رياض الجنة، فتوضع له منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دنىء على كثبان المسك والكافور، وما يرون أهل الكراسى بأفضل منهم مجلسا» وهذا بعض حديث طويل. وفى كتاب الترمذى أيضا عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال «لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم».

وفى كتاب الترمذى أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء، وإن أدنى لؤلؤة من تيجان أهل الجنة تضىء ما بين المشرق والمغرب» قوله «الجابية» بالجيم: مكان فى الشام وصنعاء معروفة فى اليمن. وهذه عشرة أحاديث رويناها فى الصحاح فى وصف الجنة وأهلها اقتصرت عليها فى هذا الفصل الآخر ختام خاتمة الكتاب، كما اقتصرت أيضا على عشرة أحاديث من الصحاح فى الفصل الأول من مقدمة الكتاب.

**الحديث الأول**: روينا فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشدّ كوكب درىّ فى السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوّطون ولا يتمخطون، وأمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوّة، وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم عليه الصلاة والسلام ستون ذراعا فىُ السماء» قوله الألوة بفتح الهمزة: عود الطيب؛ والحور جمع حوراء، والحور شدة سواد العين مع شدّة بياضها، وقيل الحور شدة

بياض فى الوجه؛ والعين بكسر العين المهملة جمع عيناء، وهى الواسعة العين، وفى رواية البخارى ومسلم «آنيتهم فيها الذهب، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم بقلب واحد يسبحون الله تبارك وتعالى بكرة وعشيا».

وفى رواية الترمذى «على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من ورائها».

**الحديث الثانى**: روينا فى الصحيحين أيضا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبىّ ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرىّ الغابر فى الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين».

**الحديث الثالث**: روينا فى الصحيحين أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبىّ ﷺ قال: «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مئة سنة ما يقطعها» وفى الصحيحين أيضا من رواية أبى هريرة رضى الله تعالى عنه «يسير الراكب فى ظلها مئة سنة لا يقطعها».

**الحديث الرابع**: روينا فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه أن النبىّ ﷺ قال «إن فى الجنة للمؤمن لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة طولها فى السماء ستون ميلا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن ولا يرى بعضهم بعضا».

**الحديث الخامس**: روينا فى صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن فى الجنة سوقا يأتونها كل جمعة، فتهبّ ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا، ويرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا، فيقولون لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم حسنا وجمالا، فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا».

**الحديث السادس**: روينا فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «قال تعالى: أعددت لعبادى الصالحين مالا عين

رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين)».

**الحديث السابع**: روينا فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا، فيقول الله عزّ وجلّ له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيقول يارب وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول أتسخر بى أو أتضحك بى وأنت الملك؟ قال فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ﷺ فكان ذاك أدنى أهل الجنة منزلة».

**الحديث الثامن**: روينا فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال «إذا دخل أهل الجنة الجنة، نادى مناد: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا».

**الحديث التاسع**: روينا فى الصحيحين عن جرير رضى الله تعالى عنه قال «كنا عند رسول الله ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال: إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته».

**الحديث العاشر**: روينا فى صحيح مسلم عن صهيب رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الحنة يقول الله تبارك وتعالى. تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى» جعلنا الله الكريم منهم ومن الذين قال الله تعالى فيهم (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم * دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر

دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» و صلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وسيد العالمين، وعلى آله الكرام الطيبين وأصحابه الغرّ المنتخبين، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، أفضل صلوات الله عدد معلومات الله، كلما ذكر الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون، وعلى جميع النبيين والمرسلين وآل كلّ والملائكة المقرّبين وسائر الصالحين آمين:

**وسبحانك اللهمّ ربا مقدّسا ... لك الدهر كلّ الكائنات تسبح**

**بحمدك أشهد أن لا إله سواك قط ... تعاليت بل أنت الإله المسبح**

**وغفرانك اللهمّ تب ومجالسى ... فكفر كما جاء الحديث المصحح**

**عن الصادق المختار صلّ مسلما ... على روحه ما غرّد المترنح**

**وبالفضل عاملنا ومعروفك الذى ... به أنت معروف تجود وتمنح**

**وقابل بإحسان إساءتنا فلم ... تزل يا كريم العفو تعفو وتصفح**

**وأسبل جميل الستر يا ذا العلا على ... فعال وأقوال تسوء وتقبح**

**وزن بجمال من جمالك قبحها ... فذو القبح إن يكسى جمالك يمنح**

**فأقوالنا ما زانها حسن حلية ... من الفعل فيها تجتلى وتوشح**

**ولا كسيت غالى لباس من التقى ... خيار لباس فيه تغدو وتسرح**

**ولا أنزلت عالى مقام مزين ... بجوهر صدق فيه تمسى وتصبح**

**فياربّ أصلحنا بإصلاح مضغة ... بإصلاحها كلّ الجوارح تصلح**

**وبالخير فاختم ثم جمل فلم تزل ... بكل جميل من صفاتك تمدح**

**وصلّ على مسك الختام محمد ... سراج الهدى يهدى بنور ويصلح**

**وتمت ولله المحامد كلها ... بها يختم القول الحميد ويفتح**

قال (العبد الفقير إلى عفو الكريم ولطفه ورحمته وعطفه، عبد الله بن أسعد اليافعى اليمنى الشافعى نزيل الحرمين الشريفين، عفا الله عنه وكان له، وبلغه من الخيرات أمله، وختم بالصالحات عمله ووالديه وأحبابه ومحبيه والمسلمين آمين. وهذه قصيدة أنشأتها وسميتها مهيجة الأشجان فى ذكر الأحباب والأوطان، ومدح المصطفى من ولد عدنان، والبيت المعظم الجناب والأركان الجامعة بين شرفى الممدوحين النبىّ المكرّم والبيت المعظم، وشرفى المكان والزمان، الحرم الشريف المحترم ورجب المبارك المحرم، ختمت بها كتاب روض الرياحين فى حكايات الصالحين، ورضى الله تعالى عنهم أجمعين، وهى هذه:

إذا لعلع البرق الحجازىّ بلعلع ... تأجج نيران الجوى بين أضلعى

وإن حملت نشر الخزامى من الحمى ... نسيم الصبا صبت سواجم أدمعى

وإن غنت الورقاء فى الأيك أو بكت ... شجتنى وشاقتنى إلى خير مرتع

وأغرت غرامى بالأحبة حيثما ... أقاموا وهاجت لوعتى وتولعى

تذكرنى جيران سلع ورامة ... وخيف منى والمنحنى والأجيرع

سقى الله حيا خيموا بين رامة ... وبين المصلى جوف أطيب موضع

حيا قد ثروا بين الأباطح والصفا ... صفا عندهم عيش المحب المولع

بحسناء فى الديباج تجلى موشحا ... مقبلها عنه أماطت لبرقع

فدونك قبل للتى عزّ وصلها ... وحمّ فى حماها عن هوى غير مبدع

فما ذاق طعم الوصل من يدعى الهوى ... فبثّ الجوى سرًا هنا لك واخضع

وقم بمصلى هاتها بحجرها ... ولله فاسجد شاكر الفضل واركع

ولذ بالجناب العالى ما بين بابها ... إلى ركنها والذيل فالزمه واخشع

ضع الخد والصدر الكئيب لصدرها ... وبثّ غراما بالتواضع ترفع

وقف بحماها ثم شاهد جمالها ... وذق طيب عيش ناعم وتمتع

تفز بنعيم ثم منّ ورحمة ... وأمن وإحسان وخير مجمع

وقم باكيا قف شاكيا ذا تضرّع     على الباب والزمه ليفتح واقرع
وقل هجركم يولى الشقا وتوسلى     إليكم بكم يا ساداتى وتشفعى
فإن تسعدوا بالوصل فالفضل عرفكم     عرفتم به فى شرع كل مشرع
وإن تهجروا فالذنب أوجب هجركم     لعبدكم والعدل ما تفعلوا معى
أنا المذنب الجانى المسىء جواركم     ولكن رجائى فى نداكم ومطمعى
وأنتم أولو الإحسان والعفو تكرموا     لجار الحمى الرحب الجناب الموسع
وطف بالحمى ودع ربع عزّة     بجسم وكن بالقلب غير مودع
وزر ربع ليلى فالمحاسن والندى     لدى ربعها الممدوح فى كل مجمع
فلا عيش إلا عيش ليلى وعزّة     بوصلهما الغالى العزيز الممنع
هما سقتا راح الهوى كلّ عاشق     غدا من حميا الحب سكران لا يعى
فكم سبتا بالحسن عقلا لمغرم     وكم شغفا بالحب قلبا لمولع
وكم تيما كم هيما ذا صبابة     معنًى وذا قلب من البين موجع
فلولاهما لم نذكر الخيف أو قبا     ولا كان ذكر للعقيق ولعلع
ولم يأت من فجّ عميق ضوامر     بطول السرى تطوى فيافى بلقع
إذا طيبة الغرّا رأيت جمالها     وحسن البها فى نورها المتلمع
فقبل رباها واسقها وابل الشجى     وخلعة أهل الحب صفرا تدرع
وزر روضة كم جنة الخلد جوفها     مصلى حبيب فيه قم بتخشع
هناك لذيذ العيش فانعم مشاهدا     لملبوس أنوار على الأفق مخلع
تنزه وطالع فى بهاء ربوعها     وحسن رباها ثم بعد التطلع
ترى فى الوجود النور من قبة البها     بدا طالعا من مطلع خير مطلع
سراج الهدى الماحى بأنوار وجهه     ظلام الطغى الغوث الشفيع المشفع

محمد الحاوى المحامد قام فى ... مقام علا كلّ الأنام مرفع
إمام الورى مولى البرايا مخصصا ... بفضل وسرّ فيه لله مودع
إذا زرت مولانا الحبيب وجئته ... وقمت حذا متفنى أهيل وممرع
فبالله قبل لى ثرى أرض ريمه ... وسلم وقل بعد البكا والتضرع:
عُبيدك ذاك اليافعىّ مؤمل ... نداك الذى قد عمّ للخلق أجمع
عليك صلاة الله يا معدن الندى ... ويا ملجأ للخلق فى كلّ مفزع
وتسليمه داما يضوعان مندلا ... ومسكا بقبر للمكارم منبع
مدى الدهر ما لاحت بوارق فى دجى ... وزمجر فيه صوت رعد مقمقع
وباتت عيون المزن تبكى بدمعها ... على ثغر زهر ظلّ يضحك مربع
وآل وصحب أهل مجد ونجدة ... بيض وبيض كم بها من مقطع
وسمر عوال كم علوا من علائها ... وكم مزقت من مازق جوف مصرع
إذا هاجت الهيجا علوا كل أكمة ... للقيا القنا شوقا تطير بأربع
وقد لبسوا فى الناس من نسج صانع ... لبوسا لها غير داود يصنع
وما منهمو فى كل خوف وغفلة ... وجهد وفقر فى المجاعة مدقع
سوى أسد فى الحرب فى الليل عابد ... وفى العلم مصباح وفى المحل مشبع
ضراغم كم ذا قد غدت فى الوغا فلم ... تدع كل قرن ثم غير ممزع
إلى أن علا دين الهدى بأولى الندا ... وزال الصدا عن نوره المتشعشع
فأمسوا نجوما حول بدر متمم ... بأعلى سما المجد الأثيل المرفع
ولاسيما زُهر إذا غاب بدرها ... أضاءت بها الظلماء كلّ موضع
كصدّيقهم ذى الجد سابقهم إلى ... علا كل فضل نافيا كل مبدع
مقام نبىّ قام يوم ارتداد من ... مشى القهقرى لم يعط حقا ويسمع

فضاءت بهم ظلما دياجى ارتدادهم رجوعا إلى دين الهدى خير مرجع
له مفخر فى الغار حيا ومفخر له ميتا فى مضجع خير مضجع
وكم مفخر كم من مناقب كم علا وكم سؤدد فى فضله المتنوّع
وفاروقهم نافى الطغى منه بالوغا بقيصر أو عاد وكسرى وتبع
ومن عجب أن الملوك تهابه وتخشاه ناه فى قميص مرقع
لها عن لذيذ العيش مجدب منزل وغيث نداه مخصب كلّ مربع
سراج جنان الخلد محمود سيرة نطوق بحق خائف متورّع
وذى النور والبرهان والحلم والندا خشوع وللقرآن تال مجمع
قنوت الدياجى والعيون هواجع بلذّة عيش فى التهجد مولع
لقدّمته تستحى ملائكة السماء فما ضرّه إذا بالسيوف مبضع
وليث العدى نور الهدى معدن الندى جلاء الصدا بحر العلوم المنقع
مفيد المعالى ذى المكارم والعلا مبيد الأعادى بالكميت المقنع
مطلق دنياه ثلاثا ومن أتى طلاقا ثلاثا لم يراجع ويرجع
وسبطين من عليا المفاخر توّجا بتاج على الرأس الممجد مخلع
وعمين أيضا عمما بعمامة من المجد من فخر الصفىّ المشرّع
كذلك باقى عشرة سادة أولى مناقب جلت سابقى كل مسرع
وزهراء زهت بالفخر مع كل زوجة من العزّ فى العليا بأشرف موضع
وماذا عسى مدحى بنظم قصيدة فضائل كم نوع لها متنوّع
وكل من الأنواع أصل لمفخر وللأصل كم فرع كثير التفرع
وكلّ من الكلّ استمد بغرفة من الفخر من بحر الفخار المشفع
سيدرى أبو جهل إذا جمع الورى لمن شرف العليا بأعظم مجمع

إذا ما لواء الحمد أحمد شاله ... ولم يبق ذو مجد له غير متبع

وكلّ الكرام الرسل تحت لوائه ... غياث الورى من كل هول مروّع

ثنَيت عنانى والوجود فخاره ... وما سرت فى مدحى له قدر أصبع

فها هى للتقصير أرخت من الحيا ... على وجهها الميمون زهىّ برقع

وكانت نوت من جوهر اللفظ تجتلى ... بدرّ بياقوت المعانى مرصع

ولفّ ونشر مستعير موشح ... مدائح تطريز الطباق المرجع

مقابل جنس ردّ صدرا موشحا ... على عجز بالالتفات مصرع

وربّ مليح من حلىّ ومن حلا ... ومن حلل سامى التقى المتورّع

وكان لها وقت شريف وموضع ... منيف عزيز لا يرى بمضيع

بأيام بيض غرّ شهر محرّم ... دعىّ رجب الميمون شهر التطوّع

حذا كعبة غرابها اليمن قبلة ... لكلّ الورى من ساجدين وركع

وفت مئة أبياتها الزهر ضمنها ... لدا الحبّ كم ساج لعينيه مدمع

مهيجة الأشجان تغرى ذوى الهوى ... بشوق إلى ربع الأحبا مزعزع

إذا ما بها غنى الحداة تمايلوا ... وهان بعيد فى ذهاب ومرجع

فإن كنت مثلى عادم الشوق والهوى ... فاصغى عسى يشتاق قلبك واخشع

فياربّ أصلحنا وزين قصيدتى ... بحسن قبول واغفر الذنب وانفع

بها ناظما مع حافظيها وكاتب ... وقارئها والحاضر المتسمع

كذلك راويها وها قد أجزتها ... ومالى من نثر ونظم مسجع

ومن كتب ألفتها أو قرأتها ... وما حاز راو عن مجيز ومسمع

لمن صــار يرويهــا وكلّ مــحــصل لأصل على شــرط ذاك مــجــمع
خــتـمت بهـا روض الرياحين ذاك فى حكايات فـضل الصــالحين مــجـمع
وتمت وحـمـد الله مـسك خـتـامهـا وغـفـرانك اللهمّ يا خـيـر من دعى

**قال مؤلف هذا الكتاب** كان الله تعالى له، وبلغه من الخيرات أمله، وختم بالصالحات عمله وأحبابه والمسلمين آمين: قد حصل والحمد لله فى هذا الكتاب بشارات خير إن شاء الله تعالى سرنى بها جماعة من أهل الخير والصلاح ممن أعتقدهم وألتمس بركتهم، فينبغى أن يتعظ بهذا الكتاب ويتبرّك بسماع ذكر من فيه من السادة ويحسن السامع الظن، ولا ينكر ما فيه من أحوالهم الخارقة للعادة. وها أنا أذكر بعض الجماعة المذكورين أنه حين كان الناس يسمعون علىّ هذا الكتاب بقرب الروضة الشريفة، كان قاعدا يسمع، فأخذه ما يأخذ الفقراء من الوجد والغيبة، فرأى ثلاثة قد خرجوا من القبة الشريفة العالية المنيفة، وأحدهم وجهه كالقمر، فجلس فى الروضة وجلس أحد صاحبيه عن يمينه والآخر عن يساره، واستقبلوا الجماعة الحاضرين للسماع، ولم يزالوا كذلك إلى آخر المجلس، وذكر أنى لما فرغت من الدعاء التفت الأوسط بوجهه المنير إلى صاحبه الذى عن يمينه وتبسم، ثم قاموا فدخلوا فى القبة، والحمد لله على ذلك حمدا كثيرا كما هو أهله، وجزى الله سيدنا محمدا ﷺ عنا أفضل الجزاء، وأولاه أفضل الصلاة والتسليم * وكذلك أخبرنى أيضا آخر أنه رأى فى المنام كأنى مع جماعة من مشايخ الصوفية الفضلاء فى الحرم الشريف المبارك وهم يسمعون هذا الكتاب، فقال وعليك ثياب بيض، فاستغربت ذلك، فأراد بعض الشيوخ أن يتكلم على هذا الكتاب، فقال له الجماعة أو بعضهم: دعه يتكلم، وأشاروا إليك بالكلام * كذلك أخبرنى أيضا آخر أنه رأى فى المنام كأنى مع بعض المشايخ الصالحين فى الروضة المباركة الشريفة ومعنا بعض الأصحاب، ونحن مجتمعون على هذا الكتاب * كذلك أرسل إلىّ وقت تأليف هذا الكتاب بعض الأولياء من البلاد البعيدة يبشرنى ببشارة أرجو ممن فضل الله العظيم المؤمل حصولها إن شاء

الله عزّ وجلّ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الكريم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

تم كتاب «روض الرياحين فى مناقب الصالحين» للشيخ الإمام العالم العامل الزاهد الورع ولىّ الله تعالى عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعى الشافعى اليمنى قدّس الله تعالى روحه ونوّر ضريحه ورضى الله تعالى عنه وأرضاه. وجعل الجنة مأواه. ورحم سلفه.

وكان الفراغ من تعليقه يوم الجمعة المباركة قبل صلاة الجمعة بالمسجد الحرام تجاه الكعبة المشرّفة بيت الله الحرام، زاده الله تعالى شرفا وتعظيما، سلخ رجب المعظم سنة ثلاث وخمسين وثمان مئة، والحمد لله ربّ العالمين أولا وآخرا، وباطنا وظاهرا، وسلام الله على عباده الذين اصطفى، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**تم الكتاب المبارك**

**بعون الله تعالى**

## فهرس روض الرياحين فى حكايات الصالحين




فوراتش للكمبيوتر
م/ حسين الحماقى
٠١٠/٦٦٧٤٣٣٥